سردم العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي- العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر
السنة الثانية- العدد الثامن- ربيع 2005

موقع المجلة على الإنترنيت
www.sardam.info

المراسلات
تلفاكس: 00447043129839
ايميل: info@sardam.info
أو عن طريق سكرتير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
موبايل: 07701420909

تصميم الغلاف: قادر ميرخان
المصمم المنفذ: جمال حسين
الطباعة: تاڤگه فائق
المشرف على الطبع: فرهاد رفيق

محتويات العدد

وثائق

تراث

شخصيات كردية

محطات ثقافية

كتب

بيان

فصاحة الصمت

عدا قلة قليلة متنورة من الأنتلجنسيا العربية التي اقدمت، بجراة ووعي، على تطهير ضميرها من تبعات الجريمة التي ارتكبها صدام حسين باسم العروبة والذود عن الأمن القومي العربي، بحق أطفال حلبجة ونسائها ومواطنيها العزّل، تلك الجريمة التي مرّت ذكراها الأليمة في السادس عشر من آذار الماضي... فإن ما تناولته ماكنة توليد الخطاب في الثقافة العربية بشأن تلك الفاجعة لم يكن سوى جعجعة لفظية خطيرة، عملت على تبرير الجريمة حيناً، وتشويهها حيناً، والقفز عليها حيناً آخر.

لقد مرّت الجريمة، وتمرّ ذكراها كل عام، دون أن يحدث هولها صدمة لإيقاظ ضمير المثقف العربي الذي قرّر الاحتجاب عن التفكير وأجّل مشروع الاستنارة العربية الى حين تلقيه الأوامر بذلك، أو الى حين انتهاء المؤامرة الأمريكية الصهيونية على الأمة العربية!! وغيرها من المؤامرات التي يكثر الحديث عنها في الأوساط الثقافية الناطقة بلغة الضاد منذ ما يقارب القرن.

لاشك أن غياب مشهد حلبجة في ذهن هذا المثقف، وهو المشهد الذي لم تزل رائحة السيانيد والغازات السامة تفوح منه، وحيث صُنعت (خصيصاً) -كما روّجت لها أبواق الدعاية العربية- لتحرق نصف إسرائيل... هو جزء من غياب الإنسان في الثقافة العربية بشكل عام. فمشهد الجثث المتناثرة في مهب الريح الملوثة بخيمياء الهدم، مشهد يختزل مأساة الإنسان المعاصر، أياً كانت هويته و لغته و لون بشرته. فليس مستغرباً، والحال كهذه، أن لا ينصدم المثقف العربي تجاه كل ما تعانيه المجتمعات العربية من أزمات اجتماعية واقتصادية ومظاهر الأمية المتفشية وفساد السلطة السياسية وطغيانها تجاه بلاغة التكفير وقطع الرؤوس لمعارضيها.. وهو نفسه المثقف الذي لم ينصدم، وقرر منذ ما يقارب ربع قرن أن لا ينصدم، تجاه مشهد رضيع حلبجوي يمص حلمة ثدي يطعمه غاز الأعصاب والخردل بدل الحليب.

إن إنجاز أي مشروع لإنارة العقل وتحرّر اللغة المحطمة لفصاحة الصمت، لا يمرّ إلا عبر بوابة الإعتراف والتطهر الخلقي والعودة الى الحياة البريئة التي يصور فيها المرء الأشياء بصورها لا بأسمائها المستترة للحقائق التي تبصرها حتى العين المجردة. فاللغة التي ينبغي أن تكون وسيلة للكشف والإضاءة، أصبحت عند غالبية المثقفين العرب وسيلة للحجب وبث الصمت. ومادامت ثقافة الإعتذار والاعتراف وإضاءة المحتجب غائبة.. فإن أي مشروع ثقافي لإعادة الكرامة الى الإنسان يبقى مؤجلاً، في وقت ينادي فيه الفكر البشري الراهن بضرورة إعادة الكرامة لا الى الإنسان وحده، بل الى محيطه وبيئته الطبيعية. ومادام هذا المشروع مؤجلاً فإن القرار بعدم إبصار مشهد حلبجة، وهو جزء من مشهد مأساوي أكبر لإبادة الإنسان الكردي ومحيطه معاً، يبقى سارياً لدى هذا الخطاب الثقافي.. وتبقى فصاحة توليد الصمت هي الأطغى.

أسرة تحرير سردم العربي

الوضع القانوني لمدينة كركوك في ظل العراق الفيدرالي

د. منذر الفضل

تعتبر مدينة كركوك من المدن المهمة والحيوية في العراق تبعا لعوامل متعددة، لعل من أهمها الثروة الطبيعية التي تكمن في باطنها من البترول والغاز الطبيعي وخصوبة أراضيها الزراعية و كذلك لقدم تاريخ المدينة التي تدل عليه شواهد الآثار وما تناقلته الكتب عن تاريخها من بين المدن العراقية، هذا بالإضافة إلى موقعها الجغرافي والتجاري المتميز فضلا عن مميزات التسامح والتعايش والوئام بين الأديان والمذاهب المختلفة والأعراق من الكرد والعرب والتركمان والآشوريين والأرمن، كما ضمت المدينة تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود جنبا إلى جنب حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية الى تاريخ تهجير اليهود من العراق بعد ظهور مشكلة فلسطين وقيام الحكومة العراقية بإسقاط الجنسية عنهم. وهذا التعايش والوئام جنبا إلى جنب بين القوميات والأديان ظل قائما رغم محاولات الأنظمة السياسية في العراق اتباع نهج سياسة التمييز والتطهير العرقي وبخاصة سياسة التبعيث في عهدي حكم البعث بفعل النظرة الشوفينية لقادة النظامين من العرب في الفترة الأولى عام 1963 ومن الفترة الثانية 1968- وحتى تاريخ سقوط النظام في 9 نيسان 2003 وتحرر العراق من الاستبداد وحكم الطاغية بفعل دعم قوات التحالف للقوى الوطنية العراقية وللشعب العراقي.

ويعود تاريخ مدينة كركوك إلى آلاف السنين وتشير الدراسات إلى أنها وجدت قبل الميلاد فقد تأسست في زمن (الكوتيين او الكاشيين 1600 ق.م) وهم أجداد الكرد وكانت تعرف في الماضي بـ(كوركورا) أي نور النار باللغة الميدية القديمة، بينما يرى البعض الأخر أن المقصود بتسمية المدينة

ومنذ عهد السومريين (العمل المنظم والشديد) وهي ترجمة لكلمة (كاركوك)، بينما سميت المدينة بأسماء اخرى[1].

و لذلك ينصب هذا الموضوع على مسألتين مهمتين لهما صلة بالمجتمع المدني التعددي لعراق المستقبل الديمقراطي الفيدرالي الذي يجب ان يقوم على التسامح والتعايش والتكافل والتعددية القومية والدينية والسياسية والمذهبية، وهاتان المسألتان هما اولا، قضية حقوق الإنسان ووجوب احترامها والالتزام بمعاييرها الدولية والقانونية والثانية، هي خصوصية مدينة كركوك في العراق وما تتميز بها منذ القدم من التنوع العرقي للسكان والتعايش والوئام بين مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والأراء السياسية دون ان تكون هناك اية حساسية أو اصطدام بين السكان إلى وقت ليس ببعيد من الزمان بفعل عوامل متعددة منها التزاوج بين مختلف الأعراق وسيادة فكرة العيش المشترك في الوطن الواحد في ظل مبدا سيادة القانون ونهج التسامح بين السكان.

وبذلك شكلت المدينة في تسامحها وتعايشها بين السكان رمزا من رموز المدن العراقية دون صراع بين اهلها، غير أن هذه الحالة – وللأسف لم تستمر – فقد جرت عمليات كثيرة من الحكومات العراقية المتعاقبة وبخاصة حكومة البعث - صدام في ممارسة سياسة تعريب السكان أو تبعيثهم (اي إجبارهم على الانتماء إلى حزب البعث) وممارسة سياسة التطهير العرقي ***Ethnic Cleansing*** بصورة مخالفة للدستور والقانون والقواعد القانونية الدولية وبخاصة ضد الكرد والتركمان والاشوريين.

ولغرض إلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع لابد من تقسيم البحث على ثلاثة محاور وهي:

القسم الأول – القواعد العامة لحقوق الإنسان في حماية الأعراق البشرية القسم الثاني – جريمة التطهير العرقي في كركوك القسم الثالث – مستقبل مدينة كركوك (التآخي والتسامح والعيش المشترك) القسم الرابع- معالجة قضية كركوك في ظل قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية.

القسم الأول
القواعد العامة لحقوق الإنسان
في حماية الأعراق البشرية

من المعلوم ان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع اعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو اساس الحرية والعدل والسلام في العالم، كما أن من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكي لا يضطر المرء أخر الأمر إلى التمرد على الظلم والاستبداد، فالناس يولدون أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق (المادة 1 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان)[2].

كما جاء في المادة الثانية ((لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الراي السياسي او اي راي اخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي او الثروة أو الميلاد أو

اي وضع اخر، دون اية تفرقة بين الرجال والنساء....)). اذن فان لكل شخص اينما وجد الحق في ان يعترف بشخصيته القانونية (المادة 6).

وفي نطاق الاتفاقيات الدولية، جاءت نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة 1948واضحة في هذا الصدد في حماية الأعراق البشرية كجزء من سياسة احترام حقوق الإنسان والمعايير الإنسانية الدولية. ويراد بجريمة إبادة الجنس البشري هو التدمير المتعمد للجماعات القومية أو العرقية أو الدينية أو الاثنية حيث أن التاريخ شاهد على وجود ممارسات خطيرة وجرائم بشعة في التاريخ الإنساني جرت وتجري بصورة واسعة وفي مناطق مختلفة من العالم، فالحكومة الألمانية النازية ارتكبت هذه الجريمة ضد ملايين البشر بسبب دينهم أو اصولهم العرقية، وهي من الجرائم التي تمس الأمن الدولي وتهدد السلام والاستقرار في العالم ولا يقبل القول بأن هذه الجرائم هي شأن داخلي للدول وبالتالي لا يحق للمجتمع الدولي التدخل لمنعها ومحاسبة الفاعلين لها.[3] كما ارتكبت الجريمة في البوسنة والهرسك وفي كوسوفو وفي أفريقيا.

وهذا يعني أن جريمة إبادة الأجناس البشرية هي جريمة عادية (غير سياسية) وهي لا تسقط بالتقادم (مرور الزمان المانع من سماع الدعوى) وان مرتكبها لا يمنح حق اللجوء السياسي ولا يمكن إعفاء الفاعل منها أو من عقابه حتى ولو كان رئيس دولة إذ تتقرر مسؤوليته حسب القانون لا سيما وان هناك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، ذلك لان جريمة إبادة الجنس – كالتطهير العرقي والاثني – هي جريمة ضد الإنسانية وتعد من جرائم الحرب إذا ارتكبت أثناء الحرب وكلتا الجريمتين هي من الجرائم الدولية *International crimes* كما أن وصف الجريمة هذا يبقى قائما حتى ولو لم تكن الأفعال المذكورة إخلالا بالقانون الداخلي للبلد الذي ارتكبت فيه، كما لابد من القول أن هناك توافقا يجب حصوله بين (القوانين الوطنية الداخلية) و ((الالتزامات الدولية)) و لا يعد تدخل المجتمع الدولي لوقف الأعمال الإجرامية ضد الأعراق والأصول أو الأجناس الأخرى تدخلا في الشأن الداخلي للبلد الذي تمارس فيه هذه السياسة المخالفة لقواعد حقوق الإنسان. وهذا الأمر يعد قيدا على مبدأ السيادة المطلقة للدولة.

لقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن جريمة إبادة الأجناس تدخل تحت طائلة القانون الدولي لأنها من الجرائم الدولية وأيا كان الشخص القائم بها فانه يخضع للعقاب ومن الطبيعي أن وجود الاتفاقية الخاصة بمنع جريمة إبادة الجنس البشري يعني طبقا للقانون الدولي، الاتفاق بين الدول ذات السيادة، أي على الدول الموقعة على الاتفاقية القبول بالتزامات محددة واحترام النصوص المتفق عليها وتنفيذها وفقا للاتفاقية.

وجريمة إبادة الأجناس البشرية ليس بالضرورة أن تتم بالقتل المادي أو بالسلاح الكيمياوي كما

حصل في مدينه حلبجة عام 1988 التي استشهد فيها اكثر من خمسة آلاف إنسان كردي على يد نظام صدام في كردستان العراق أثناء الحرب العراقية – الإيرانية، و إنما يمكن ان ترتكب هذه الجريمة الدولية من خلال وسائل متعددة ذلك ان إبادة الجنس البشري قد تحصل بفعل إيجابي او بفعل سلبي (الامتناع عن تقديم العون) وبعبارة أخرى تعني ارتكاب اي افعال معينة بقصد التدمير الكلي او التدمير الجزئي لجماعات قومية او اثنية او عنصرية او دينية بصفتها هذه، ومثال ذلك (جريمة القتل) بإبادة جسمانية مباشرة أو إلحاق الضرر العقلي بها أو من خلال فرض ظروف معيشية قاسية عمدا كما حصل في الاهوار في جنوب العراق حين قامت اجهزة نظام الرئيس صدام بتسميم الاهوار وقتل الحياة فيها وتجفيفها وتدمير البيئة بحجة منع العمليات العسكرية ضد النظام.

ومن صور إبادة الجنس البشري سياسة التعقيم للبشر والإجهاض والحيلولة دون إنجاب الأطفال ونقل اطفال جماعة معينة بالقوة إلى جماعة أخرى وكذلك سياسة التهجير ضد الكرد الفيليية من مناطق العراق المختلفة بحجة انهم من التبعية الإيرانية حيث جرت ابشع جريمة ضد الكرد الفيليين في العراق منذ عام 1970 وحتى أواخر الثمانينات. ومن المعلوم ان قواعد القانون العامة ونصوص اتفاقية منع إبادة الأجناس البشرية توجب معاقبة الفاعل الأصلي للجريمة ومن ساهم في وقوعها او حرض عليها او تآمر لغرض ارتكابها او حاول القيام بها لأنها من ابشع صور الجرائم ضد الإنسانية.

ومن المعلوم أن هذه الجريمة ارتكبت من نظام صدام ويتحمل هو المسؤولية الأولى عنها، أثناء الحرب العراقية الإيرانية وفي وقت السلم أيضا، و لا تجيز الاتفاقية التي وافق عليها العراق تخلص أي مسؤول من العقوبة عن جرائمه حتى ولو كان الفاعل هو رئيس دولة (المادة الرابعة من اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشري)، حيث ارتكبت جريمة إبادة الجنس في العراق ضد الكرد في كردستان (كما في جرائم حلبجة والانفال) وضد التركمان والاشوريين وضد الشيعة في جنوب العراق وضد الكرد الفيليين الذين تعرضوا إلى تجارب السلاح الكيمياوي والبيولوجي من الوحدة العسكرية رقم 513 أثناء الحرب العراقية – الإيرانية.

ومنذ عام 1968 انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة من إعداد و اعتماد اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية وبدأ تنفيذ الاتفاقية منذ 11-11-1970 ومن هذه الجرائم هي جريمة إبادة الأجناس ***crime of genocide*** الوارد تعريفها في اتفاقية عام 1948. وهذا يعني أن الفاعل للجريمة يستحق العقاب ولو مرت مدة طويلة على ارتكاب جريمته فمرور الزمان لا يكون مانعا من موانع العقاب أو المسؤولية على المجرم لكي لا يحصل الإفلات من العقاب.

وقد تكون البواعث على ارتكاب جريمة الإبادة هي البواعث الدينية كما حصل في جنوب العراق في

تدمير الاهوار وتسميمها وتهجير البشر من مناطق سكناهم بسبب كراهية نظام الرئيس صدام إلى عشائر الجنوب الشيعية في العراق المناوئة لنظامه المستبد فضلا عن تدمير العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وقتل علماء الشيعة بتصفيتهم جسديا في كل مناطق العراق. كما أن هناك باعثا سياسيا واجتماعيا لجريمة إبادة الجنس البشري مثل جريمة إبادة الجنس الكردي والتركماني في كردستان العراق بسبب العنصر أو العنصر والدين معا مثل الكرد الفيليين والتركمان الشيعة.

ان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نص في المادة الثانية على ((أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون او الجنس أو اللغة أو الدين أو الراي السياسي أو اي راي آخر، أو الأصل الوطني او الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو اي وضع أخر، دون إية تفرقة بين الرجال والنساء)). كما نصت المادة 12 على: ((1-لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة 2-يحق لكل فرد ان يغادر اية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة اليه)). ومنعت المادة 5 تعريض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات او المعاملات القاسية أو الوحشية..كما نصت المادة 9 على عدم جواز القبض على اي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا، ووفقا للمادة 15 لكل فرد حق التمتع بجنسية ما ولا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو إنكار حقه في تغييرها ونصت المادة 17 على أن لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره ولا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

القسم الثاني

جريمة التطهير العرقي في كركوك

ليس هناك أدنى شك في وقوع سلسلة من جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان والاشوريين في مدينة كركوك بصورة خطيرة لتغيير هوية المدينة ومعالمها والتأثير على وجودها ومن خلال تفكيك القرى المحيطة بها وفك ارتباطها من المدينة المذكورة وقد شملت سياسة التغيير لهويتها حتى القبور الموجودة فيها لكي لا تكون دليلا على كشف الهوية الكردية لسكان المدينة.

ولم تتوقف سياسة أنظمة الحكم في العراق عن عمليات التطهير العرقي رغم الاحتجاجات المحلية والدولية والإقليمية، فقد مارست السلطات للنظام المقبور عملية مصادرة الأراضي للكرد والتركمان والاشوريين وتوزيعها على العرب وبخاصة منتسبي الأجهزة الأمنية ذلك لأن مدينة كركوك خاضعة لسلطتها المركزية وتمارس عملية نقل وطرد السكان الكرد وغيرهم من كركوك والمناطق المحيطة بها إلى مناطق اخرى في الجنوب او ترحيلهم إلى كردستان للتأثير على الوضع السكاني في المدينة ومنع السكان الأصليين من الكرد وغيرهم من نقل ملكية الأراضي والعقارات أو بيعها فضلا عن قيام الحكومة العراقية بتوزيع الأراضي على العرب من العراقيين والفلسطينيين من العاملين في الأجهزة الأمنية

العسكرية ومصادرة الأملاك للسكان الكرد و عدم السماح لهم بتسجيل الأملاك بأسمائهم.[4] وهذه الأعمال مخالفات خطيرة لحقوق الإنسان.

ومن سياسات نظام صدام ممارسة اسلوب التهجير القسري الداخلي و الخارجي، ويتمثل التهجير الداخلي في فرض الإقامة الجبرية في محل الولادة أو المحل المقيم فيه قبل إحصاء عام 1957 أي وضع القيود على حرية السكن والانتقال داخل الوطن وهو ما يخالف حقوق الإنسان .وحقه في التنقل واختيار السكن وحقه في التملك (المادة 17) وكذلك تدمير القرى كليا ومسحها من الخارطة أو تغيير أسمائها كما حصل في خانقين وكركوك والموصل ومخمور وكفري وتلعفر وداقوق ومناطق كردية عديدة و أخرى يسكنها التركمان.

أما التهجير القسري الخارجي ونقصد به جريمة التطهير العرقي ضد العوائل الكردية والجماعات القومية الاخرى و كذلك ضد الشيعة من الكرد الفيليين وطردهم من بلادهم (العراق) إلى إيران والاستيلاء على دورهم واموالهم وثرواتهم خلافا للدستور والقانون وقد بلغ عدد هؤلاء ما يقارب مليون نسمة.

ويشير العديد من الباحثين إلى ان أولى محاولات التعريب في كركوك جرت إبان الحكم الملكي (عهد وزارة ياسين الهاشمي) من خلال إسكان عشائر العبيد والجبور في الحويجة وذلك لتوفر الأراضي الزراعية الخصبة و بحجة منع النزاعات مع عشائر عزه في ديالى التي كانت قائمة مع عشائر عربية أخرى في مناطق أخرى من العراق[6]

ووفقا إلى إحصاء عام 1957 فان نسبة السكان الكرد في مدينة كركوك هي 48.3٪ وهو الإحصاء الذي اتفق عليه وفق بيان آذار عام 1970 بينما نقصت النسبة لعدد السكان الكرد في إحصاء عام 1977 وصارت 37،33٪ بفعل سياسة التعريب والتطهير العرقي، أما التركمان فقد كانوا حوالي 21.5٪ ثم اصبحت النسبة في إحصاء عام 1977 16،31 ٪ [7]، وفي هذا الصدد يشير الأستاذ الدكتور حسن الجلبي في معرض حديثه عن الفيدرالية للكرد في كردستان عن مدينه كركوك قائلا مايلي:

((وحيث يتعلق الأمر بالمنطقة الكردية يبرز ما يسمى بعقدة كركوك، حسنا يتعلق السؤال بما إذا كانت كركوك تدخل ضمن منطقة كردستان أم لا؟ من ناحية المعطيات التاريخية و الواقعية والسكانية فان المعلوم أن كركوك كانت تتكون من الكرد (وهم الأكثرية) والتركمان ومن ثم العرب، ولهذا فمن الحتمي أن تدخل كركوك ضمن إقليم كردستان في الاتحاد الفيدرالي أو في صيغة اخرى)) [8]

اما الدكتور غسان العطية فيرى عكس ذلك قائلا ((...كركوك يقطنها مزيج مذهبي وقومي - تركمان وكرد وعرب – كما تعرضت ولا تزال لإجراءات تمس التركيبة الاثنية للسكان بسبب سياسة تعريب أو غيرها، كل ذلك يجعل منطقة كركوك ذات خصوصية تحتاج إلى صيغة توفيقية خاصة، الأمر الذي يتمثل في اعتماد كركوك غير تابعة لأي جهة أخرى، شأنها في ذلك شأن بغداد التي يقطنها إلى جانب العرب المسلمين، التركمان والكرد والآشوريون والمسيحيون..))[9]

بينما يذهب الدكتور نوري طالباني – بحق – إلى القول إذا كانت منطقة كركوك ضمن حدود كردستان الجغرافية وان فقهاء القانون والمؤرخين العراقيين يثبتون ذلك قانونيا وتاريخيا، فلماذا إذن القول بصيغة توفيقية وفقا لطروحات نظام صدام في مفاوضات عام 1970 وعام 1984 و عام 1991 [10]، وهو نظام ارتكب جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والقوميات الاخرى.

وفي عهد حكم البعث الأول عام 1963 جرت سلسلة من الإجراءات الخطيرة والممارسات ضد السكان من الكرد والقوميات الاخرى في مدينة كركوك من خلال تدمير القرى القريبة منها وإتباع سياسة الترحيل واسكان بعض العشائر العربية بدلا منها ونقل العاملين الكرد من مناطق كركوك إلى اعمال أخرى خارج المدينة وجعل المنطقة أشبه بالمعسكر الذي تحيط به الربايا العسكرية وتبديل أسماء القرى والأحياء وتسليح العشائر العربية والبدو بحجة الوقوف ضد البشمركة الكرد، إلا أن اكبر عملية تطهير عرقي حصلت في الفترة من 1968 وقد ازدادت بصورة خطيرة جدا بعد عام 1974 ثم بعد نجاح الكرد للادارة الذاتية في إقليم كردستان حيث ارتكبت ابشع صنوف تغيير الهوية ومعالم المدينة بصورة دفعت المنظمات الدولية إلى استنكار هذه الإجراءات غير القانونية والتي تشكل جريمة دولية و مخالفة ضد قواعد حقوق الإنسان،كما عقد اكثر من مؤتمر بخصوص مدينة كركوك في كردستان و أبلغت العديد من المنظمات الدولية بجريمة التطهير العرقي المستمرة وبعمليات تغيير معالم مدينة كركوك وتفكيكها إداريا وطرد سكانها.

بل أن سياسة الاستفزاز ضد الشعب الكردي لم تنحصر في كركوك او خانقين او مخمور فقط و إنما امتدت إلى كل المناطق الكردية وجرت ممارسات خطيرة جدا ضد الكرد وقراهم وضد املاكهم وثرواتهم في مختلف مناطق كردستان وهو يوجب محاسبة المجرمين الدوليين عن هذه الجرائم وفقا للوثائق المتوفرة والتي تمت السيطرة عليها عقب انتفاضة الكرد عام 1991، كما تشير إلى ان النظام المقبور كان يختار المسؤولين الحزبيين والأمنيين والعسكريين للقيام بهذه الأعمال من العرب غير الشيعة (الانبار، الموصل، تكريت..) او من الفلسطينيين –احيانا - ذلك لآن العرب الشيعة يتعاطفون مع القضية الكردية وحركتها التحررية منذ انطلاقها بقيادة الشيخ محمود الحفيد ومن ثم بزعامة القائد التاريخي مصطفى البارزاني، هذا بالإضافة إلى أن المرجع الشيعي الأعلى المرحوم السيد محسن الحكيم لم يوافق على إعطاء أي فتوى لضرب الثورة الكردية في حزيران من عام 1963 رغم محاولات التهديد والوعيد التي تعرض لها أثناء حياته من عبد السلام عارف ومحاولات النظام انذاك إلصاق تهمة الشيوعية بالحركة التحررية في كردستان، كما أن شخصية المرحوم الملا مصطفى البارزاني وأولاده وأحفاده

والقيادة الكردية والشعب الكردي محط احترام وتقدير من العديد من العشائر والشخصيات العربية في وسط وجنوب العراق ممن يتعاطفون مع قضية الشعب الكردي لنيل حقوقه المشروعة وينادون بالوحدة الوطنية والحل السلمي للقضية الكردية وبالاعتراف بحقوق القوميات الأخرى في عراق موحد يقوم على العدل والمساواة واسس الديمقراطية واحترام القانون وتفعيل الدستور والالتزام بقواعد حقوق الإنسان ومعاييرها المتعارف عليها في المجتمع الدولي.

لقد أدانت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في نيسان 2000 بسبب انتهاكات نظام صدام المنظمة والقاسية والواسعة النطاق لحقوق الإنسان وقد تبنت اللجنة قرارا قدمه الاتحاد الأوربي ينتقد نظام صدام على ممارسات القمع والاضطهاد والإرهاب وصوت لصالح القرار 32 دولة من مجموع 53 دولة عضو في اللجنة، كما حثت اللجنة في قرارها الصادر في نيسان 2001 نظام صدام على ضرورة احترام حقوق القوميات والاقليات العرقية والديانات المختلفة والامتناع عن تهجير الكرد والتركمان أو إرغامهم على تغيير محل إقامتهم، كما صدر قرار منظمة العفو الدولية في نيسان من عام 2001 يدين انتهاكات حقوق الإنسان في العراق ومنها عمليات التطهير العرقي ضد الكرد والقوميات الاخرى وكذلك سياسة التعريب والتخريب في هذه المناطق.

القسم الثالث
مستقبل مدينة كركوك
(التآخي والتسامح والعيش المشترك في ظل عراق فيدرالي تعددي وحكم دولة القانون)

لاشك أن مدينة كركوك كانت واحدة من العقد التي وقفت أمام إيجاد الحل السلمي للقضية الكردية في العراق إذ كانت العنصرية والتطرف من بعض العرب في السلطة والنظرة الضيقة لنظام الحكم الدموي المقبور في بغداد حائلا أمام إيجاد الحل الأخوي والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي وفقا للدستور والقانون ووفقا للالتزامات الدولية المعروفة والذي هو جزء من الامة الكردية المغبونة تاريخيا والمجزاة بين اكثر من دولة، لا سيما وان الكرد قدموا مئات الآلاف من التضحيات من اجل هذه الحقوق ورفضا للظلم والاستبداد ومن اجل حرية العيش.[11]

و نحن نعتقد أن وضع مدينة كركوك التاريخي والجغرافي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاثني يشير بما لا يقبل الشك إلى أن كركوك مدينة كردستانية مهمة تقع ضمن حدود كردستان العراق تاريخيا وجغرافيا وقانونيا وان الكرد هم السكان الذين يشكلون الأغلبية في المدينة وضواحيها منذ القدم وعلى الرغم من وجود القوميات الأخرى، كالعرب والتركمان والآشوريين وغيرهم، إلا أن السكان من الكرد هم الذين شكلوا أغلبية السكان ولعل من أهم الأدلة على ذلك هي إحصاء النفوس عام 1957 وكذلك قبور الكرد التي سعت حكومة البعث إلى

العبث بها وتغيير ملامحها و بخاصة بعد مطالبة الزعيم الملا مصطفى البارزاني إحصاء القبور من الكرد كشاهد على دخول المدينة ضمن حدود كردستان في معرض رده على الوفد الحكومي المفاوض على 1970 وهو ما دفع الأنظمة المتعاقبة – وبخاصة في عهد البعث – إلى اتباع نهج عدواني ضد الكرد والقوميات الاخرى بتطهير الأعراق والسيطرة على مقدرات المدينة من الثروات الطبيعية وهو تدخل – كما بينا يتنافى وحقوق الإنسان – اثر على النسيج الاجتماعي والتركيب العرقي والبنية التحتية والحدود الجغرافية. بل أن نهج السلطات امتد حتى إلى المقابر بدرسها تارة وبدفن العرب في مناطق كركوك وفي توطين عشرات الآلاف من الفلسطينيين فيها إلى جانب تغيير أسماء الأحياء والمناطق الكردية وتسميتها بأسماء عربية او بعثية عنصرية واستفزازية مثل حي البعث وحي النخوة وحي العمل الشعبي وحي القادسية وام المعارك وصدام والصمود ...وغيرها ولابد من الإشارة إلى الموقف الشجاع للزعيم المرحوم الملا مصطفى البارزاني هنا حيث قال أثناء مفاوضات عام 1970 للوفد الحكومي المفاوض بخصوص كركوك مايلي: ((أن كركوك هي جزء من كردستان وإذا ظهر في الإحصاء أن أكثرية سكانها ليسوا من الأكراد فأنا لن اعترف بذلك، إنني لن أتحمل أمام الأكراد مسؤولية التخلي عن كركوك ....)).

وتأكيدا لهذا النهج ذكر الاخ السيد مسعود البارزاني موقف الحزب الديمقراطي الكردستاني من موضوع كركوك في تموز 2004 مايلي (نحن أيضا نفضل أن تكون كركوك مدينة نموذجية للعرب والكورد والتركمان والكلدوآشوريين، ولكن يجب أن لا يفكر اي شخص في المساومة على كوردستانية كركوك، كركوك مدينة كوردستانية وقلب كوردستان) وفي معرض رده عن قضية الصهر القومي والتعريب ضد واقع المدينة ذكر ما يلي ((من غير الممكن القبول بواقع التغيير السكاني في كوردستان ولسنا مستعدين للمناقشة حوله، نحن نفضل عقد علاقات جيدة مع القوميات الأخرى في مركز محافظة كركوك وخاصة مع الذين يعترفون بحقيقة كركوك)).

ومن اجل عراق موحد تتعزز فيه قواعد الاحترام للقانون و مفاهيم حقوق الإنسان لابد من ملاحظة مايلي:

1-وقف حملات الاستفزاز والجرائم ضد الشعب الكردي والقوميات الأخرى واحترام خيارات القوميات المتآخية واحترام الأديان والمذاهب والطوائف والآراء السياسية والفكرية ومحاربة العنصرية والفكر الشوفيني من أي مصدر كان، ولا يجوز مطلقا القبول بسياسة تعريب السكان (جعلهم من القومية العربية) بالترهيب والترغيب من النظام المقبور لأنها سياسة فاشلة لن تقود إلا إلى المزيد من الآلام والأحقاد و لأن من يزرع الريح لا يحصد إلا العاصفة وهي سياسة مخالفة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ذلك أن كركوك هي واحدة من المدن التي تعد رمزا من رموز الاخوة والتسامح

والوئام بين الكرد والقوميات الاخرى ومختلف الديانات والمذاهب والأفكار.

2-اعتماد ثقافة التسامح والاعتراف بالأخر ونشر ثقافة حقوق الإنسان.

3-تأسيس صندوق وطني يسمى بـ(صندوق تعويض المتضررين) لتعويض السكان الذين تضرروا من سياسات التطهير العرقي والتهجير وكل متضرر من جرائم النظام من عائدات النفط وتخصيص نسبة منها لضحايا هذه السياسة الخالفة للقانون الدولي وللدستور العراقي وللقوانين الوطنية، كما لابد من تعويض كل متضرر من جرائم النظام في حلبجة الشهيدة وقلعةدزه وخانقين وضحايا جريمة الأنفال و إعادة المهجرين والمهاجرين وبترك الحرية في الاختيار ونبذ سياسة القوة والاستبداد المدمرة. ولا بد من تعويض التركمان والاشوريين الذين طردوا من ديارهم وقراهم وهجروا قسرا بدون اي مبرر والسماح بإعادتهم إلى مناطقهم. ويجب اعادة المواطنين الذين استقدمهم النظام المقبور الى كركوك وتعويضهم لكي يبدءوا حياتهم في المناطق التي قدموا منها تحت المغريات التي سطرها النظام السابق لهم اذ لا يجوز شرعا ولا قانونا احتلال او اغتصاب او سلب ونهب اموال الغير كما جرى في كركوك وغيرها من المدن الاخرى وان ما بني على الباطل هو باطل.

4-إعادة التقسيمات الإدارية السابقة وفقا لخرائط واحصاءات عام 1957 ووفقا لاشراف لجنة وطنية عراقية محايدة.

5-إدخال مدينة كركوك ضمن فيدرالية كردستان في دستور الدولة الفيدرالية العراقية على أن تقع ضمن سيطرة حكومة إقليم كردستان اي ان المدينة تكون واقعة ضمن الحدود الجغرافية لكردستان. وهنا نقول بكل صراحة ان الشعب الكردي ليس جزءا من الشعوب العربية او الوطن العربي ولا يجوز القول بان العراق جزء من الامة العربية بينما هناك قوميات مختلفة في العراق لا تدخل ضمن هذا الوصف الاستفزازي العنصري الضيق الذي ينكر الاخر ولا يجوز الاستمرار بقبول نتائج سياسة التعريب وبهذا تكون عقدة كركوك قد حلت قانونيا وتاريخيا لتكون نموذجا للتسامح والتعايش بين القوميات واتباع الديانات وفي إرساء أسس السلام والاستقرار في عراق موحد. وفي هذا ضمان للحل السلمي والأخوي والمساواة بين الجميع وفقا للقانون.

6-إلغاء التسمية الحالية للمدينة وهي (التأميم) و إعادة التسمية السابقة لها (كركوك) وكذلك إعادة تسميات القرى والمدارس والأحياء السكنية والمناطق السابقة إلى حالها الذي كان سائدا قبل عام 1957 او إيراد تسميات أخرى غير استفزازية للكرد والتركمان والآشوريين.

7-الاعتراف بالشراكة في مدينة كركوك لجميع القوميات والأديان والمذاهب والأفكار وممارسة الحقوق وفقا للقانون بالتساوي واحترام قواعد حقوق الإنسان، حيث يرى الأستاذ مام جلال الطالباني ((أن اكثرية مدينه كركوك ما زالت

كردية ويليها التركمان الذين يشكلون نسبة كبيرة من سكان المدينة، أما العرب فما زالوا اقلية لا تتجاوز العشرة بالمئة من نفوس كركوك ...))[12].

8-ان التعايش في مدينة كركوك في عراق المستقبل القائم على النظام الفيدرالي يجب ان يقوم ضمن سياسة التسامح والوئام وبتفعيل دور القانون ومؤسسات المجتمع المدني الاختيارية سيؤدي إلى تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الأصول الاثنية والديانات والمذاهب والاتجاهات السياسية وضمان حرية التفكير والرأي طبقا للدستور الفيدرالي ودستور حكومة إقليم كردستان من اجل توظيف ثروات العراق الطبيعية لبناء السلام والاستقرار وخدمة الإنسان.

القسم الرابع

معالجة قضية كركوك في ظل قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية

يعد قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية بمثابة الدستور المؤقت للبلاد و أن نصوصه ملزمة للجميع ويقع باطلا كل نص يخالفه (م 3) لانه هو القانون الاعلى في البلاد. وفيما يخص موضوع كركوك فقد نصت المادة 53 / الفقرة ب على ما يلي (تبقى حدود المحافظات الثمانيةعشر بدون تبديل خلال المرحلة الانتقالية) وقد استثنى القانون مدينة بغداد وكركوك من تشكيل أقليم يتكون من ثلاث محافظات، حيث ورد في المادة 53 / الفقرة ج ما يلي (يحق لمجموعة من المحافظات خارج اقليم كوردستان لا تتجاوز الثلاث، فيما عدا بغداد وكركوك، تشكيل اقاليم فيما بينها......). وهذا يعني ان كركوك بموجب القانون المذكور تقع خارج الحدود الادارية لاقليم كوردستان وهو يعيد قضية كركوك الى نقطة الصفر اي يجعلها عقدة الحل للقضية الكوردية. ولا نعرف كيف فات على الوفد الكوردي هذا الامر؟

اما عن قضية حل مشكلات التعريب والصهر القومي والترحيل في كركوك فقد جاءت المادة 58 من القانون المذكور ما يلي:

المادة الثامنة والخمسون:

(أ) تقوم الحكومة العراقية الانتقالية ولا سيما الهيئة العليا لحل النزاعات الملكية العقارية وغيرها من الجهات ذات العلاقة، وعلى وجه السرعة، باتخاذ تدابير من أجل رفع الظلم الذي سببته ممارسات النظام السابق والمتمثلة بتغيير الوضع السكاني لمناطق معينة بضمنها كركوك، من خلال ترحيل ونفي الأفراد من أماكن سكناهم، ومن خلال الهجرة القسرية من داخل المنطقة وخارجها، وتوطين الأفراد الغرباء عن المنطقة، وحرمان السكان من العمل، ومن خلال تصحيح القومية. ولمعالجة هذا الظلم على الحكومة الانتقالية العراقية اتخاذ الخطوات التالية:

1.((فيما يتعلق بالمقيمين المرحلين والمنفيين والمهجرين والمهاجرين، وانسجاماً مع قانون الهيئة العليا لحل النزاعات الملكية العقارية، والإجراءات القانونية الأخرى، على الحكومة القيام خلال فترة

معقولة، بإعادة المقيمين إلى منازلهم وممتلكاتهم، وإذا تعذر ذلك على الحكومة تعويضهم تعويضا عادلا.

2.بشأن الأفراد الذين تم نقلهم إلى مناطق واراض معينة، وعلى الحكومة البت في أمرهم حسب المادة 10 من قانون الهيئة العليا لحل النزاعات الملكية العقارية، لضمان إمكانية إعادة توطينهم، أو لضمان إمكانية تلقي تعويضات من الدولة، أو إمكانية تسلمهم لأراض جديدة من الدولة قرب مقر إقامتهم في المحافظة التي قدموا منها، أو إمكانية تلقيهم تعويضاً عن تكاليف انتقالهم إلى تلك المناطق.

3.بخصوص الأشخاص الذين حرموا من التوظيف أو من وسائل معيشية أخرى لغرض اجبارهم على الهجرة من أماكن إقامتهم في الأقاليم والأراضي، على الحكومة أن تشجع توفير فرص عمل جديدة لهم في تلك المناطق والأراضي.

4.أما بخصوص تصحيح القومية فعلى الحكومة إلغاء جميع القرارات ذات الصلة، والسماح للأشخاص المتضررين، بالحق في تقرير هويتهم الوطنية وانتمائهم العرقي بدون إكراه أو ضغط.

(ب) لقد تلاعب النظام السابق أيضاً بالحدود الإدارية وغيرها بغية تحقيق أهداف سياسية. على الرئاسة والحكومة العراقية الانتقالية تقديم التوصيات إلى الجمعية الوطنية وذلك لمعالجة تلك التغييرات غير العادلة. وفي حالة عدم تمكن الرئاسة الموافقة بالإجماع على مجموعة من التوصيات، فعلى مجلس الرئاسة القيام بتعيين محكم محايد وبالإجماع لغرض دراسة الموضوع وتقديم التوصيات. وفي حالة عدم قدرة مجلس الرئاسة على الموافقة على محكم، فعلى مجلس الرئاسة أن يطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تعيين شخصية دولية مرموقة للقيام بالتحكيم المطلوب.

(ج) تؤجل التسوية النهائية للأراضي المتنازع عليها، ومن ضمنها كركوك، إلى حين استكمال الإجراءات أعلاه، وإجراء إحصاء سكاني عادل وشفاف وإلى حين المصادقة على الدستور الدائم. يجب ان تتم هذه التسوية بشكل تتفق مع مبادئ العدالة، آخذة بنظر الاعتبار إرادة سكان تلك الأراضي.))[13].

ولاشك ان هناك العديد من الملاحظات على هذه النصوص من حيث الصياغة القانونية التي اتسمت بالضعف ومن حيث الجانب الموضوعي أيضا حيث جرت عملية تدويل مدينة كركوك والحال ان مدينة كركوك يكون حل مشكلاتها من عراقيين ولا داعي لتدويل القضية التي سيكون تعقيداً للمشكلة فضلا عن عدم وضوح النصوص في القانون الاعلى المذكور بوجوب تعويض المتضررين من ضحايا النظام السابق وسياساته العنصرية في كركوك. كما ان استثناء مدينة كركوك من اقليم كوردستان ضمن قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية يعقد المشكلة ويخلق بؤر من التوتر فضلا عن ان هناك ضبابية وعدم وضوح في حل المشكلات التي خلفها النظام السابق في كركوك. اما عن ترحيل موضوع

حل التعقيدات والاشكاليات في المدينة المذكور كما ورد في قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية فهو اجراء ليس موفقا يخلق وضعا متوترا بين الكورد والعرب والتركمان والاشوريين في كركوك مما يستوجب القيام بحلول عراقية جذرية عادلة لوضع المدينة وفقا للاسس التاريخية والقانونية والجغرافية من اجل تحقيق السلام والاستقرار.

المصادر و الهوامش

1-انظر حول تسميات مدينه كركوك زميلنا الأستاذ الدكتور نوري طالباني – منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي – 1995 ص 8. وانظر كذلك عوني داودي – صحيفة الاتحاد العدد 402 22-12-2001 ص 10 وجرجيس فتح الله – زيارة للماضي القريب – مشار إليه في بحث داودي وكذلك الأستاذ شاكر خصباك – الكرد و المسألة الكردية – بغداد –1959 ص 14-15

2-الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948

3-انظر نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة 1948 وانظر كذلك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية التي دخلت حيز التنفيذ في 11 نوفمبر 1970 وانظر أيضا الدكتور عبد الرحيم صدقي – القانون الدولي الجنائي – القاهرة 1986 ص 13 و 44 وانظر بخصوص جرائم نظام صدام ضد الكرد الفيليين في التطهير العرقي والتهجير من العراق والمخالفات ضد حقوق الإنسان بما فيها قرارات مجلس قيادة الثورة في إسقاط الجنسية عنهم وعن كل شخص عراقي إذا تبين عدم ولائه للوطن والشعب !! (القرار رقم 666 في 7-5-1980) وراجع الدكتور مصطفى الانصاري – عمليات التهجير في العراق – 1991 ص 105

4-ومن الجدير بالذكر ان جريمة إبادة الجنس البشري تعد من الجرائم ضد الإنسانية إذا ارتكبت وقت السلم ومن جرائم الحرب إذا ارتكبت وقت الحرب وان كلا منهما جريمة دولية تتحقق بوجود أركانها (الركن الشرعي وهو العرف الدولي والاتفاقيات الدولية) والركن المادي وهو الفعل ذاته سواء وقع بصورة عمل إيجابي أم بصورة سلبية وكذلك حالة التحريض و التآمر والاشتراك سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة، ثم الركن المعنوي أي إنها جريمة عمدية تقع عن قصد (القصد الجنائي) وهي دائما تكون في مرتبة الجنايات وليست الجنح بفعل خطورة الجريمة. المرجع السابق ص 52-55 وانظر كذلك مجلة الحقوقي – لندن – جمعية الحقوقيين العراقيين - العدد 2 ص 83 وانظر مقال الدكتور رياض عبد المجيد – سياسة التهجير القسري الداخلي والخارجي – مجلة الحقوقي لندن العدد 1 2001 ص 35-37

5-انظر صحيفة صوت التأميم التي تصدرها السلطة العراقية – العدد 57 في 23 نيسان من عام 2001 وانظر كذلك صحيفة الاتحاد الوطني الكردستاني- العدد 418 في 27 نيسان 2001

6-انظر عزيز قادر – التاريخ السياسي للتركمان – دار الساقي – لندن – 1999 ص 93 وانظر المؤلف القيم للدكتور نوري طالباني – منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي – لندن 1995ص 32-33 و عوني الداودي – ص 10

7-انظر عوني داودي والمراجع التي يشير إليها وكذلك مقال الدكتور نوري طالباني – صحيفة الاتحاد العدد 323 في 18-6-1999

8-انظر راي الأستاذ الدكتور حسن الجلبي المنشور في مؤلف الأستاذ الدكتور عبد الحسين العطية – مأساة شعب العراق والرادة الحياة – 1995 ص 214

9-انظر رأي الدكتور غسان العطية – مقترحات في الوضع الدستوري لعراق ما بعد صدام (التصدي للقضية الكردية والمسألة الطائفية) – الملف العراقي – لندن العدد 90 –1999

10-انظر رأي الدكتور نوري طالباني – مقترحات دستورية تعمل على تعقيد المسألة الكردية وليس حلها – صحيفة الاتحاد العدد 323 في 18-6-1999 وهو منشور كذلك في مجلة أوراق عراقية – العدد الثاني 1999 ص 147 بينما يذهب السيد عزيز قادر في كتابه الموسوم التاريخ السياسي لتركمان العراق ص 259 إلى الاعتماد على وضع سكان كركوك قبل إحصاء عام 1957 بحجة ان التركمان كانوا هم الأغلبية من السكان وان كركوك هي قلب التركمان النابض و رمز وجودهم القومي والتاريخي. ونحن لا نؤيده في هذا الرأي لانه لا توجد إحصاءات رسمية يمكن الركون أليها قبل عام 1957 لكي تكون دليلا رسميا وحجة قاطعة على ما يقول، و لان الفقيه القانوني (الأستاذ الدكتور حسن الجلبي) أكد قائلا ان حدود كركوك هي ضمن كردستان العراق ويلزم أن تتبع إلى حكومة إقليم كردستان لان أغلبية السكان هم من الكرد قبل وبعد إحصاء عام 1957 حيث كانت نسبة السكان الكرد التقريبية قبل إحصاء عام 1957 هي 51٪ بينما شكل التركمان نسبة 21.5٪ و وفقا الى إحصاء عام 1957 وبفعل سياسة التعريب نزلت نسبة الكرد إلى 48.3٪ وبينما كانت نسبة العرب في إحصاء عام 1957 هي 28.2٪ ارتفعت إلى 44.41٪ في إحصاء عام 1977 ونقصت نسبة الكرد في الإحصاء المذكور إلى 37.53٪ و نزلت نسبة التركمان إلى 16.31٪. هذا فضلا عن ان موسوعة الأعلام للعلامة التركي شمس الدين سامي الذي ألفها عام 1896 م ص 3842 جاء فيها ((أن كركوك هي مدينه كردية وتقع في قلب كردستان))، كما لا نتفق مع السيد عزيز قادر في اعتباره بعض السكان العرب في كركوك هم في حقيقة الأصل من التركمان قاصدا بذلك زيادة اعداد نسبة التركمان في المدينة وجعلهم من الأغلبية قبل إحصاء عام 1957 ذلك لان سياسة التعريب والتطهير العرقي تجعل العكس هو الصحيح لتغيير نسبة العرب في المدينة بجعلهم من طرف الحكومات هم الأغلبية من خلال الترحيل والتعريب. وهنا لابد من الاعتراف بحقوق التركمان والعرب والأرمن والآشوريين في شراكتهم في المدينة الكردية كركوك. ونشير إلى أن افضل معيار يمكن الرجوع إليه هو إحصاء عام 1957 لأنه أول إحصاء رسمي معترف به أما التقديرات السابقة على ذلك فهي تخمينية وغير رسمية ووفقا لهذا الإحصاء فان أغلبية السكان هم من الكرد – كما بينا - حيث بلغت نسبتهم 48.3٪.

11-اطلعت على رسالة سرية غير منشورة من المرحوم المهندس نوري محمد أمين أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الكردستاني في كونفرانس عام 1946 ومن مؤسسي حزب شورش عام 1945 وقد رد فيها على رسالة صدام التي استفسر فيها عن أسباب عدم حضوره اجتماع قاعة الخلد للكرد المستقلين عقب انهيار المفاوضات عام 1974 حيث اجاب تحريريا (..إنني من الرافضين لمشروع حكومة البعث في تطبيق الحكم الذاتي ومن المؤيدين لمشروع الحزب الديمقراطي الكردستاني برئاسة الملا مصطفى البارزاني.. وان كركوك جزء لا يتجزأ من حدود كردستان..).

12-انظر مؤلف الأستاذ جلال الطالباني – كردستان والحركة القومية الكردية – دار الطليعة – بيروت ط2 1971 ص 36 و انظر باللغة الفرنسية مؤلف زميلنا الفاضل المرحوم الدكتور علي بابا خان (أكراد العراق *Les Kurdes D Irak*) وهي أطروحة قيمة طبعت في باريس 1991 وكذلك المؤلف القيم له باللغة الفرنسية أيضا المعنون (العراق من 1970-1990). وفيهما يتحدث المؤلف عن جرائم النظام في كركوك وفي مختلف أنحاء كردستان وضد الشيعة أيضا.

13- قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية.

كرد وبلاشفة
رؤية ما بعد القرن العشرين

فريد اسسرد*

ان الاثر السياسي الكبير الذي تركه البلاشفة في الشرق يكمن في التأثير الايديولوجي. وفي حين فشل البلاشفة في تغيير البنيات الاجتماعية القائمة في الشرق عن طريق تصدير الثورة، الا انهم نجحوا لاحقاً، بعد استقرار الاوضاع في روسيا، في نشر بذور الافكار اليسارية فيه. والبلاشفة، بعكس المناشفة الذين كانوا اقل اندفاعا في ثوريتهم، رأوا ان مقتضيات الدفاع عن النفس واستمرار شرعيتهم تستوجب نشر او توفير ما من شأنه المساعدة في نشر الافكار الثورية خارج حدود روسيا.

ثمة صلة قوية لا تنفصم بين البلشفية واليسارية. ومن هذه النظرة يمكن اعتبار البلشفية الاب الشرعي للافكار اليسارية في الشرق.

ورغم ان البلاشفة استفادوا من مواهب روسيا الجغرافية والاقتصادية والسياسية ونجحوا في تحويل الروس الى ((شعب ثوري)) اصيل، الا ان سمعة الروس السيئة بين المسلمين، ومما لاشك فيه بين الكرد، عرقلت انتشار افكارهم الثورية طويلا.

ان مثلث العلاقة بين الكرد والروس والعثمانيين يكتسب طابعاً معقداً. لم يكن الكرد ميالين الى الروس ولكنهم في نفس الوقت لم يكونوا قد صاغوا موقفاً محدداً صارما ونهائياً من العثمانيين. ان مآخذ الكرد على العثمانيين تتلخص في نقاط من قبيل فرضهم الضرائب الباهظة وتجنيد الشبان الكرد والادارة الفاسدة وميل العثمانيين الى فرض سطوة الدولة المركزية. ومن الواضح ان الكرد خضعوا للعثمانيين والتزموا بهم بحكم جملة عوامل

ابرزها ولعل اقواها عامل الدين المشترك وعدم نضوج الوعي القومي.

ومن وجهة النظر الكردية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين فإنه لامجال اطلاقاً للمقارنة بين الروس والعثمانيين. فإنه رغم المآخذ الكردية على العثمانيين، لم يظهر الروس امام الكرد كتعبير مثالي عن العدالة والنبل. ثم ان الكرد من حيث المستوى الحضاري لم يكونوا في وضع يسمح لهم بتقدير قيمة التحضر الروسي بدقة وكيفية التعامل معه.

ان القاء نظرة على العلاقات الدبلوماسية يوضح ان الكرد كانوا مجردين من الدبلوماسية في علاقاتهم مع كل من الروس والعثمانيين سواء بسواء. وربما كان ذلك ينسحب على الاتراك والروس ايضاً في علاقاتهم مع الكرد. ان فشل الكرد في انشاء علاقة مع الروس قائمة على اساس الثقة المتبادلة يقابله فشل الروس في انشاء علاقة مع الكرد قائمة على اساس الثقة المتبادلة. ان عوامل جمة، لعل اقواها ضبابية الرؤية السياسية الروسية والتعصب الارثوذوكسي الروسي ضد المسلمين، دفعت الروس الى الارتياب من الكرد بشكل دائم واعتبارهم مجرد مسلمين جبليين يحركهم السلطان العثماني ضد روسيا. ان نظرة الروس تلك الى الكرد لم تقتصر فحسب على الكرد العثمانيين بل شملت حتى الكرد الايرانيين. ويستدل من محاولة الروس، قبل اندلاع حرب القرم في عام 1830، الزام شاه ايران بمنع الكرد من شن هجمات على الحدود الروسية اذا ما اندلعت الحرب ضد الدولة العثمانية[1]، ان الروس لم يكونوا واثقين من قدرة الكرد الايرانيين على كبح جماح رغبتهم في محاربة روسيا. ومن الواضح بهذا الصدد ان التراث القيصري، الزاخر بنظرات الاستخفاف بالشعوب الصغيرة والاقليات، ساهم بشكل رئيسي في صياغة نظرة الروس الى الكرد.

ان نظرة الارتياب المتبادلة بين الروس والكرد تعود في جزء منها الى ان كل طرف اعتبر الطرف الاخر بمثابة تهديد له. فطوال سنوات عديدة اعتقد الروس ان الكرد يدعمون المساعي العثمانية للسيطرة على ما وراء القفقاس والبحر الاسود. وعزز اعتقادهم هذا ان الكرد شاركوا، بالفعل في الحرب ضد روسيا الى جانب العثمانيين. وبالمقابل، راى الكرد ان الروس يهددون البنيات الاساسية لاقوى دولتين اسلاميتين في العالم الاسلامي ويسعون الى فرض المسيحية على الشرق الاسلامي.

هكذا تبلورت نظرة ارتيابية شديدة بين الجانبين. وفي الحقيقة فإن الكرد شاركوا بالفعل في الحرب ضد روسيا. ورغم ان الكرد كانوا مجبرين على المشاركة في الحرب كونهم رعايا دولة مسلمة، الا انه لا يصح الغاء العامل الارادي في هذا الموضوع لأن ((الاضطرار)) قابله ((التزام)) اخلاقي على الاغلب للدفاع عن دولة ترى انها ملك لكل رعاياها المسلمين. جدير بالاشارة هنا ان كرد الجنوب كانوا اكثر مودة في علاقاتهم مع اسطنبول من كرد الشمال.

ان مسار الاحداث التي جعلت العثمانيين قادرين على جر الكرد الى صفهم وتحويلهم الى وقود الحرب

ضد روسيا، يبرز فعالية الدعوة الى الجهاد ضد الروس الارثوذوكس. ففي حرب القرم شارك ما لايقل عن اربعة الاف خيال كردي في معارك ضد الروس في بياندور وباشقلا ديكلار[2]. وفي جبهة ارضروم حارب متطوعون من رواندوز الروس بضراوة[3]. وفي حرب عامي 1877-1878 انتقلت قوات كردية من السليمانية بقيادة الشيخ سعيد الى الجبهات ضد الروس، كما قادت السيدة قره فاطمة 500 فارس في معارك ضارية ضد الروس[4].

وعلى هذا، فإن علاقات الريبة المتبادلة بين الكرد والروس، قبل ظهور البلاشفة، لم تكن تسمح ببناء علاقات ثقة بين الجانبين.

ان ارتياب الروس في الكرد شمل حتى المتمردين منهم على السلطة العثمانية. ويبدو ان الروس كانوا جادين فعلاً في الارتياب في الكرد ولم يكن في مستطاعهم تبديد تلك الشكوك. حتى عندما كان الكرد يثورون على السلطات العثمانية، لم يتقيد الروس بأي وعد ازاء الكرد. واقل ما يمكن ان يقال في هذا الشأن هو ان الروس لم يصدقوا ان الكرد يمكن ان يكونوا قادرين على الاستمرار في تمردهم على العثمانيين وحثهم ذلك على عدم تأمين اي عون فعال للمتمردين. ويبدو ان الروس اعتقدوا ان تمردات الكرد ضد العثمانيين ليست فعالة الى الحد الذي تستحق ان تتلقى دعمهم. ومن وجهة النظر الروسية فإن سعي الكرد الى التخلص من سلطة العثمانيين الى الابد ليس سوى خرافة. ولم يكشف الروس عن اية رغبة في تصديق تلك الخرافة. ومن المؤكد ان الكرد شاركوا بتصرفاتهم وادارتهم السيئة للازمات في دفع الروس الى تكوين انطباع سيء عن تحركاتهم ضد الدولة العثمانية ومن المؤكد ايضاً ان الروس كانوا يرون ان الكرد غير متحمسين للانفصال عن الدولة العثمانية حتى عندما كانت العلاقات بينهم وبين العثمانيين تتوتر وتصل حد الاصطدام المسلح. وبشكل عام، لم يفهم الروس دوافع تمردات الكرد وعزوها في اغلب الاحيان الى عوامل لا صلة لها بالطموحات القومية. وفي الحقيقة فإن تمردات الكرد ضد الدولة العثمانية طوال القرن التاسع عشر لم تكن واضحة الاهداف وهي لم تهدف الى انشاء وطن قومي للكرد بقدر ما كانت تسعى الى انشاء كيانات اقليمية تتمتع بالحكم الذاتي.

من الطبيعي وقد صار الارتياب هو السمة الغالبة على العلاقات بين الكرد والروس، ان يجد الطرفان صعوبة في فهم التوجهات السياسية لكل منهما. وعلى العكس من الارمن الذين دخلوا في الاستراتيجية الروسية طواعية وحاولوا، ونجحوا الى حد كبير، ربط مصالحهم ومصائرهم بالسياسة الروسية في المنطقة، لم يدخل الكرد في الاستراتيجية الروسية لأسباب اهمها ان الروس لم يكونوا قد قرروا ايجاد مكان لهم في استراتيجيتهم.

وربما يكون اكبر صدام بين الكرد والروس بعد حرب القرم قد حدث خلال الحرب العالمية الاولى. هذه التجربة تركت اثاراً عميقة على نظرة الكرد للروس. ومن المؤكد ان تلك لم تكن تجربة عادية لانها ارتبطت بالحرب بشكل عام وبتصرفات فظة

للروس بشكل خاص. ونشأ عن ذلك ان الكرد كوّنوا فكرة سيئة للغاية عن الروس لانهم وقد عمموا سلوك المقاتل في الحرب على السلوك العام للدولة، لم يعد هناك اي مجال مهما كان ضئيلاً للتقارب الودي.

في عام 1914 دخلت القوات الروسية كردستان. وفي جبهة ارضروم تصدى العثمانيون بقيادة انور باشا تدعمهم قوات الميليشيات الكردية للروس. وكانت نتيجة المواجهة بالنسبة للعثمانيين مأساوية اذ دحر العثمانيون بشكل فظيع وفقدوا سبعين الف شخص من مجموع تسعين الفاً[5]. وقطعاً فإن نصيب الكرد كان مثل نصيب العثمانيين. وبعد حوالي عامين من تلك المواجهة الرهيبة، استولى الروس على مناطق وان وارضروم وطرابزون وارزنجان وموش وبتليس.

ورغم ظروف الحرب التي تستدعي في معظم الاحيان تفكيراً غير اعتيادي، فإننا نجد هنا ضبابية في تفكير كل طرف. فالروس لم يبدر منهم ما يدل على رغبتهم في جعل الاتراك غير قادرين على استغلال الكرد ضد الروس ولا نرى اية محاولة جدية لتحويل الكرد الى اصدقاء وحلفاء للروس. ولعل احد اهم اسباب ذلك اللغز يكمن في عدم ثقة الروس بالكرد وعدم الرغبة، كإنعكاس لانعدام الثقة بهم، في الزام انفسهم بتقديم وعود سياسية للكرد. كما ان الكرد بدورهم كانوا يفتقدون الى برنامج عمل. وليس ثمة ما يشير الى ان الكرد كانوا يرغبون في استغلال فرصة الحرب للانفصال عن العثمانيين ولا نجد اي برنامج واضح للتعاون مع الروس ضد العثمانيين. ان طريقة تعامل عبدالقادر، نجل الشيخ عبيدالله الشمزيني، مع الروس يمكن ان تكون نموذجاً لاسلوب الكرد المتذبذب في تعاملهم مع روسيا، وهو اسلوب خال من اية رؤية استراتيجية. ان ذلك يتضح بدقة من مطالب عبدالقادر الذي اتصل به الروس بناء على اوامر من سازانوف وزير الخارجية الروسي. اشترط عبدالقادر الحصول على مكاسب شخصية مقابل اتخاذه موقف الحياد الذي كان يعني، في مضمونه، الحصول على مكاسب مقابل عدم الاقدام على اي شيء. وقد تمثلت مطالبه في الحصول على ملكية 30 قرية في مناطق تارغاوار ومارغاوار في ايران. لكنه اضاف لاحقاً مطلباً سياسياً مبهماً يتلخص في استعداده للتمرد على تركيا في حال وقوع الحرب اذا حصل من الروس على وعد باستعدادهم لقبول كردستان متمتعة بالحكم الذاتي. وفي نفس الوقت هدد عبدالقادر الروس انه ما لم يحصل على ذلك الوعد من الروس فانه سيقوم بتنظيم مذبحة ضد الارمن. وبنفس الاسلوب اللادبلوماسي الخالي من اللباقة، الذي استخدمه عبدالقادر مع الروس، اعربت السفارة الروسية في اسطنبول لعبدالقادر انه لن يكون هناك اي شك في انه ((سيحكم على نفسه بالموت)) اذا قام بعكس ما هو مطلوب منه. وفي حين ان الروس لم يعطوا اي وعود لعبدالقادر بشأن الحكم الذاتي واكتفوا بأنه يستطيع تسنم منصب رفيع في كردستان، ظل عبدالقادر غير قادر على منح الروس موقفاً واضحاً[6]. هكذا ظل الغموض يحكم علاقات الطرفين بعضهما.

ومن الواضح ان عبدالقادر كغيره من القادة الكرد، ظل متردداً في التحالف مع الروس لاسباب تتعلق بالدين.

وفي كل حال، فإن انشغال بعض النخب الدينية، وبالتحديد افراد من اسرة بدرخان المعروفة بوطنيتها وحسها القومي المرهف، بايجاد صيغ مناسبة للتعاون مع الروس من اجل تحقيق اهداف قومية، يكاد يكون خروجاً عن الاطار المألوف السائد. وعلى العموم لم يدرك الكرد ان الحرب قد توفرت لهم فرصة للتخلص من المحتلين العثمانيين اذا عرفوا كيف يتعاملون مع خصوم الدولة العثمانية. ان عدم الادراك هذا لا يمكن عزوه الى ضعف الوعي السياسي وضبابية الروح القومية للكرد فحسب، بل ايضاً الى عدم نضوج ارادة قوية للتحالف مع الروس ضد اخوانهم في الدين. قطعاً لم يكن الكرد معنيين بتطبيق معايير اخلاقية عامة قدر ما كانوا خاضعين في موقفهم ذاك الى سطوة البنية الدينية التي تحرم التعاون مع الروس ضد اقرانهم في الدين.

هذا التغليب الفظ والمتشدد للجانب الديني على المصالح القومية يدل على ان الكرد رفضوا استبدال هويتهم العثمانية وفضلوها على اية هوية اخرى رغم انهم لم يحصلوا من العثمانيين على اية وعود بشأن اقرار بعض الحقوق السياسية. واذا ما قورن الكرد بعرب الحجاز وسوريا، فانه يتضح ان العرب كانوا اكثر ديناميكياً في تفكيرهم واكثر انفتاحاً في سلوكهم بتغليبهم العامل القومي على العامل الديني، وهو ما جعل العرب لاحقاً يقفون في صف المنتصرين، على عكس الكرد الذين صاروا في صف المهزومين.

ولكن، ورغم كل شيء، لا يمكن تأثيم الكرد وتبرئة ساحة الروس. لأسباب عديدة ربما يتعلق بعضها بالنفسية والعجرفة القومية والتعصب الديني، خلع الجيش الروسي رداء المحارب وارتدى رداء المنتقم وجرت سلسلة من المذابح في اماكن كثيرة ومورس قدر كثير من السلوك الفظ ضد السكان الكرد. ان الحادثة التي وقعت في منطقة بارزان تصلح ان تكون مثالا على اسلوب تعامل الروس مع الكرد. لقد ظن البارزانيون ان ظهور الروس المفاجيء في بارزان مرده اتفاق بين الروس والشيخ عبدالسلام البارزاني، الزعيم الديني للطائفة البارزانية، الذي كان قد التجأ الى القفقاس هرباً من العثمانيين. وقد ظن القرويون ان الروس يمكن ان يأتوا الى المنطقة كأصدقاء، بل حتى كحلفاء، وقد استعدوا لاستقبالهم بحفاوة لكن ما ان تقدموا لاستقبالهم حتى اطلق الجنود الروس النار عليهم وقتلوا حتى الاطفال والنساء طعناً بالحراب واقاموا مجزرة رهيبة في المنطقة[7].

وقد استغل القوميون الارمن، المتعطشون للانتقام من الكرد والاتراك، وجودهم في صفوف الجيش الروسي وصبوا جام غضبهم وحقدهم على السكان دون استثناء. ولم يكتفوا بذلك، بل حثوا الضباط الروس كذلك على السير على خطاهم. ورغم ان الروس لم يظهروا ما من شأنه اعتباره

دليلاً على استهجانهم لسلوك القوميين الارمن الا انهم وجدوا انفسهم في النهاية غير قادرين على تهدئة الارمن التواقين الى الانتقام وجعلهم يكفون عن القيام بالفظائع وسواء كان للروس او للارمن ضلع في ارتكاب الفظائع فإن الكرد حملوا الجيش الروسي مسؤولية تلك الاعمال.

ويلاحظ بهذا الصدد ان الحرب خلقت جواً سايكولوجياً ادى الى تباعد بين الكرد والارمن. وفي حين صار الارمن حلفاء الروس، صار الكرد حلفاء الاتراك العثمانيين. قطعاً لم يكن غريباً ان يميل الارمن الى روسيا، فالارمن الذين كانوا يجدون انفسهم جزيرة صغيرة في محيط اسلامي، كانوا في امس الحاجة الى حليف قوي كروسيا. كما ان توقهم الشديد الى انشاء ارمينيا حرة حثهم على التحالف مع روسيا. وهم على النقيض من الكرد، حظوا على الدوام باهتمام الروس والاوروبيين. وقد نجح القوميون الارمن خلال الحرب وقبلها في ادخال الارمن في الاستراتيجية الروسية، يحدوهم الامل في ان يحظوا ببعض المكاسب بعد ان تضع الحرب اوزارها. وقبل ذلك، ساهمت معاهدتان في تشجيع الارمن على ربط مصيرهم السياسي بروسيا واوربا. والجدير بالتأمل انه في معاهدة سان ستيفانو في عام 1878 حصل الارمن من العثمانيين على نص يقضي باصلاح الادارة في ارمينيا العثمانية. وفي معاهدة برلين المبرمة في نفس العام، وافقت الدولة العثمانية بتأثير الضغوط الاوروبية على الاقرار للارمن العثمانيين بوضع يشبه الحكم الذاتي.

كل هذا جعل الارمن يوسعون الاطار الاخلاقي للصراع، ولكن ليس بالاعتماد على قوتهم الذاتية انما بالاعتماد على قوة الروس والاوروبيين وقد ظلت علاقاتهم مع الكرد والاتراك خلال تلك الفترة متوترة، رغم ان امكانية التقارب بين الارمن والكرد كانت اوفر حظاً من امكانية التقارب بين الارمن والاتراك. وقد غرق الارمن في اوهام شديدة واسكرتهم خيالات جني المكاسب بعد انتهاء الحرب. وليس ادل من ذلك ان الارض التي كان الارمن يحلمون باقامة ارمينيا الكبرى، الحرة والموحدة عليها، قد ضمت مناطق شاسعة جداً من مناطق الكرد.

وخلال الحرب وجد الروس صعوبة في كبح جماح ميول العنف الدموية لدى الارمن. وقد اشار شاخوفسكي قنصل روسيا في دمشق قبل الحرب الى ان القوميين الارمن كانوا يريدون ((ابادة جميع السكان المسلمين الموجودين في المناطق التي قمنا باحتلالها))[8]. هكذا، وجد الكرد انفسهم في وضع جعلهم يحاربون الروس والارمن جنباً الى جنب العثمانيين.

وقبل ان يصل الروس الى اجزاء من كردستان الجنوبية، كان الكرد في مهاباد ومريوان قد تصدوا بصلابة للروس. وفي عام 1916 فتح الروس ثلاث جبهات في كردستان الجنوبية ضد العثمانيين وحققوا بعض النجاح في محاور خانقين والسليمانية ورواندوز. وادت الجبهة المشتركة ضد الروس بين العثمانيين والكرد الى سلسلة من المعارك. وتصرف

الروس بفظاظة بالغة وارتكبت القوات الارمنية المرافقة للجيش الروسي فظائع رهيبة ضد الكرد في رواندوز وتورط الروس في صراع مرير مع القبائل الكردية واضطروا الى الدخول في توتر شديد مع قبيلة هركي وشنقوا زعيمها[9].

لايمكن قطعاً اهمال اثر كل تلك العوامل على ارتياب الكرد في الاهداف الروسية. ويستدل من حرص الكرد على ردع الروس انهم وصلوا الى مرحلة الشعور بالخطر بظهور الروس. ويمكن ان نفهم من اندفاع الالاف من كرد بشدر في التوجه الى جبهات الحرب في بانه وسردشت وخوى وسلماس[10] وهي جميعها مدن ايرانية، ان طبيعة العلاقات الداخلية كانت قد تحددت بدقة وان الكرد قد حسموا امرهم في ضرورة الوقوف بوجه الروس.

وقبل ظهور البلاشفة حاول الروس اعطاء انطباع بوجود تحسن في نظرتهم الى الكرد. وعلى الارجح فإن ذلك الموقف كان منشؤه يعود الى الصعوبات التي لاقاها الجيش الروسي في المناطق الكردية وايضاً الى جهود دبلوماسيين من قبيل شاخوفسكي ومينورسكي وغردليسفكي[11]. هذه المراجعة يمكن ان تعد اقراراً بخطل السياسة الروسية ازاء الكرد، وهو خطأ اضر كثيراً بالروس. لكن تلك المراجعة لم تأت في وقتها اذ جاءت متأخرة جداً لدرجة ان منظري المراجعة لم يكن امامهم الوقت الكافي لكسب الكرد الى جانبهم، حتى ان تفكير البعض منهم في خطة تقضي باحتلال كربلاء المقدسة بمساعدة الكرد الشيعة الايرانيين تعبر عن السذاجة السياسية.

من الصعب تصديق الفكرة التي مفادها ان ظهور البلاشفة الفجائي على المسرح السياسي احدث ضجة على المستوى الاجتماعي بين الكرد. وبهذا الشأن فإن الكرد لم يفرقوا كثيرا بين روس قياصرة وروس بلاشفة. وقد استمرت نظرتهم الى الروس البلاشفة حتى امد طويل امتداداً لنظرتهم الى روسيا القيصرية. ان اول اتصال للكرد مع الروس بعد الثورة الشيوعية حدث بعد هدنة ارزنجان في 18 كانون اول 1917. وقد استغل الاتراك تلك الهدنة لتصفية حساباتهم مع الارمن وتحقيق بعض المكاسب في القفقاس. ولما كان الاتراك يعون اضطراب الجبهات الروسية وارتباك صفوف الجيش الروسي بعد الاضطرابات التي عمت عموم روسيا، فقد استقر رأيهم على ضرورة استغلال الفرصة وتحقيق مكاسب اكثر فاعلية. وحثهم ذلك على خرق الهدنة في شباط من العام التالي. واربك ذلك الخرق البلاشفة واضعف موقفهم في مفاوضاتهم مع الالمان، حلفاء الاتراك، في برست ليتوفسك. وباستغلالهم فرصة وقوع روسيا في الفوضى، ارسل الاتراك قواتهم نحو ارضروم-الكسندربول مدعومة بالميليشيا الكردية خصوصاً الفرقة 36 في الفيلق الاول[12].

في تلك المرحلة لم تكن اقامة العلاقة مع الشرق تشكل الهم الرئيسي للبلاشفة بل ان همهم الرئيسي انصب على كيفية ترسيخ الدولة الثورية. وما كان يثير قلقهم كثيراً هو الحربان الشرستان اللتان ورثوهما عن النظام القيصري؛ واحدة في اوربا ضد المانيا واخرى في الشرق ضد العثمانيين. وفوق ذاك،

ظهرت امامهم مسألة عقائدية لم يكن ثوريو روسيا واوربا قد حققوا اجماعاً عليها ولم يكونوا قد استوعبوها بعد تمثلت في الموقف من المسألة القومية. بالنسبة لمعظم الثوريين الروس، لم تكن المسألة القومية ذات اهمية قصوى وكان الراي الغالب بينهم هو ان هذه المسألة مجرد تعبير تاريخي عن الماضي وان التاريخ قد تجاوزها عمليا نتيجة الكفاح بلا هوادة من اجل التخلص من الراسمالية والتحول الى الاشتراكية. لكن رغم هذه النظرة المتعجرفة الى المسألة القومية، قدم قادة بارزون من البلاشفة، على راسهم لينين، طروحات تؤكد امكانية التواصل مع المسألة القومية من وجهة نظر المتطلبات الثورية. لكن تلك الطروحات لم تكن قادرة على كبح جماح طغيان النظرة الاممية المتشددة للنظرية الماركسية على المسألة.

وفي عام 1917 وجد البلاشفة ان الحفاظ على الثورة وليس الايديولوجيا يستدعي ايلاء اهتمام اكبر بالمسألة القومية من منطلق توسيع الساحة الثورية واخراج روسيا من ازمة الفوضى. هكذا فإن مشروع تحريك الشرق عبر عن الازمة العامة في روسيا اكثر من كونه تعبيراً عن برنامج لاعادة تشكيل الشرق وفق رغبات شعوبه.

لقد ظل الكرد يرتابون من الروس حتى بعد سقوط النظام القيصري وظهور البلاشفة. بالنسبة للغالبية العظمى من الكرد لم تكن البلشفية سوى عقيدة غامضة. ويمكن النظر الى المسألة من زاوية ان البلشفية التي كان البلاشفة يعتبروها اداة التغيير الثورية والانتقال الى الاشتراكية، بدت معقدة وعصية على الفهم في مجتمع الكرد الزراعي-القبلي الذي ثقافته المدينية في ادنى مستوى.

ليس ثمة ما يشير بدقة الى نظرة البلاشفة الاوائل الى الكرد. ان كتابات لينين عن الشرق تخلو من اية اشارة الى الكرد. ان متابعة كتاباته بعد عام او عامين من الثورة الشيوعية وهي كتابات زاخرة بالاشارة الى بلدان من قبيل ايران وتركيا والهند وما وراء القفقاس والبلاد العربية، توضح ان تلك الكتابات تخلو من الاشارة الى بلاد اسمها كردستان.

ان اول اشارة واضحة وصريحة في وثيقة رسمية تحمل توقيع البلاشفة، تتضمن شكوكاً قوية في الكرد من جانب البلاشفة تكاد تصل حد عدم التفريق بين الكرد و((قطاع الطرق)). ان المادة الثانية من اتفاقية الهدنة الموقعة بين الجيشين الروسي والتركي في 18 كانون الاول 1917 بعد حوالي ستة اسابيع من وصول البلاشفة الى السلطة في روسيا، تنص على ان ((الحكومة التركية تتعهد ببذل جميع الجهود من اجل اجبار الكرد على التنفيذ الدقيق لجميع شروط هذه الاتفاقية. وفي حالة قيام الكرد بأعمال عدوانية فإن القوات الروسية، وضمن حدود خطها الفاصل، ستعاملهم معاملة قطاع الطرق الذين لايعترفون بأية سلطة))(13).

ومن البديهي في هذا الشأن ان البلاشفة هم الذين اصروا على الزام الكرد بتنفيذ الاتفاقية لأن الظن السائد عندهم هو ان الكرد سيواصلون

هجماتهم على القوات الروسية حتى لو طلب منهم الاتراك عدم اثارة المشاكل. وتعطي الفقرة الثانية من المادة الانطباع بأن البلاشفة كانوا ينظرون الى الكرد باعتبارهم ((قطاع طرق لايعترفون بأية سلطة)) واعتبروا انه حتى الاتراك غير قادرين على كبح جماحهم، الامر الذي دفعهم الى ان يتركوا لانفسهم الحق في معاملتهم كقطاع طرق.

ان العوامل التي جعلت البلاشفة يتخذون موقفاً غير ودي من الكرد، هي نفس العوامل التي دفعت الروس في ظل الحكم القيصري والحكومة المؤقتة الى اتخاذ نفس الموقف. لقد ورث البلاشفة النظرة الروسية العامة للكرد كشعب جبلي متوحش بعيد عن الحضارة. ومن الواضح ان المسألة الارمنية ساهمت في ترسيخ هذه النظرة عند الروس في كل المراحل. لقد كان الروس عموماً يتعاطفون مع المسألة الارمنية وقد تراءى الكرد للروس كأعوان للعثمانيين في قتل الارمن وعموم المسيحيين. ويبدو ان الروس فهموا المسألة الارمنية اكثر من فهمهم للمسألة الكردية. والراي الذي يحظى بالقبول اكثر من الاراء الاخرى هو ان الروس نظروا الى الكرد كشعب مؤلف من اناس رجعيين متشددين يرفضون كل معالم الحضارة ولا يرغبون في أي تغيير يطرأ على نمط حياتهم. لقد كانت للروس هذه النظرة الى الكرد منذ ايام الامير بدرخان وترسخت هذه النظرة في اذهانهم اكثر فأكثر بعد ظهور البلاشفة.

ليس ثمة ما يشير الى ان البلاشفة الاوائل كانت لهم رؤية سياسية محددة للمسألة الكردية. لم يعمل البلاشفة الذين صاروا منذ اواخر عام 1918 محاطين بالاعداء من كل جانب على ادخال الكرد في استراتيجيتهم. ان رؤية البلاشفة الى الكرد ظلت رؤية تكتنفها الشكوك. وكل ذلك يشير الى ان البلاشفة لم يكن يرون امكانية لوجود حركة قومية بين الكرد ولا نلمس أي تعاطف بلشفي مع الكرد في عامي 1917و 1918. وفي الاعوام اللاحقة سنجد ان البلاشفة يصبحون حلفاء للكمالية التي ستصبح فيما بعد من اشرس خصوم الكرد.

وعلى اساس هذه الخلفية المشوبة بالشك والريبة، لم تتخلص العلاقات الكردية-الروسية طوال القرن العشرين من آثار تلك الريبة المتبادلة. لقد ظل البلاشفة بعد لينين غير ميالين الى ما من شأنه الاعراب عن استعدادهم لدمج الكرد في استراتيجيتهم حتى بعد ظهور يساريين في اوساط الكرد حريصين على تأمين المصالح الروسية من وجهة نظر المقتضيات العقائدية. الحقيقية الوحيدة التي ظلت قائمة هي انه طوال 74 عاماً بعد الثورة الشيوعية، فشل الروس والكرد في التحول الى اصدقاء ودودين.

المصادر

1-جليلي جليل، كرد الامبراطورية العثمانية، ترجمة الدكتور كاوس قفطان، بغداد، 1987، ص 266 (باللغة الكردية).

2-جليلي جليل، من تاريخ الامارات الكردية في الامبراطورية العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ترجمة الدكتور محمد عبدو النجاري، دمشق، 1987، ص 146-150.

3-محمد امين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية، القاهرة، 1948، ص 416.

4-د. عبدالله محمد علي علياويي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من منتصف القرن التاسع عشر الى بداية الحرب العالمية الاولى، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب في جامعة صلاح الدين، اربيل، 1998، ص 83.

5-الدكتور كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، الطبعة الثانية، بغداد، 1984، ص 153.

6-م. س. لازاريف، المسألة الكردية 1891-1917، ترجمة اكبر احمد، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2001، ص 427.

7-ايوب بارزاني، المقاومة الكردية للاحتلال 1914-1958، دار نشر حقائق المشرق، باريس، 2002، ص 36.

8-الدكتور كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص 157

9-المصدر نفسه، ص 170.

10-د. عبدالله محمد علي علياويي، المصدر السابق، ص 15.

11-الدكتور كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص 158.

12-م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص 19-20.

13-المصدر نفسه، ص 505.

*** مدير مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية في السليمانية.**

انا مع حق تقرير المصير للشعب الكردي ومع اختياره لشكل علاقته مع شقيقه الشعب العربي، ليس مجاملة لأحد وانما لأيماني بهذا الحق ايمانا مطلقا مثل ايماني بالديمقراطية والتغييرات التدرجية التطورية في عالمنا ومجتمعنا، وفي العراق تحديدا.

الدكتور عبدالحسين شعبان

مفكر وكاتب عربي من العراق

أبعاد ظهور النقشبندية في كردستان

أوائل القرن التاسع عشر

هلكوت حكيم

بهزيمة جيوش شاه عباس الصفوي امام قوات السلطان العثماني سليم الثاني في سهل شالديران او جالديران (شمال/غربي بحيرة اورمية، في كردستان إيران) عام 1514، بدات مرحلة الصراع الدائم بين الإمبراطوريتين العثمانية والفارسية. بعد هذا التاريخ ادرك الجانبان، كما يذهب إلى ذلك ارنولد توينبي، بأن سقوط احدهما سقوطاً نهائياً امرٌ متعذرٌ، فالموقف غدا يتطلب محاصرة العدو بالإستيلاء على المناطق المحيطة به، اي، بمعنى آخر، أصبح من الصعب ان يتخذ النزاع مجاله داخل إيران نفسها، او في آسيا الصغرى ذاتها، كنتيجة تمركز الصراع في المناطق الفاصلة بين الإمبراطوريتين المتجاورتين، وكان اكثر من 450 كلم منها تمر عبر اراضي كردستان. هذا الموقع جعل من كردستان ساحة رئيسة لتطبيق هذه الإستراتيجية العسكرية، التي نعرف مظاهرها المختلفة عبر اربعة قرون.

لقد كانت كردستان تشكل للإمبراطوريتين إضافة إلى اهمية موقعها الإستراتيجي، مصدراً إقتصادياً خصباً. فإمارات اردلان، كرمنتشاه، ولرستان ـ التي لم تكن تشمل معظم ماتعارف على إعتباره اليوم ضمن كردستان إيران. كانت تقدم في القرن التاسع عشر (37000) "تمن" من الضرائب السنوية إلى الدولة الفارسية، اي ما يعادل 14٪ من مجموع ماكانت تدفعها الهيئات الإدارية الست عشرة لخزينة الشاه، وفيما يتعلق بالجانب الآخر، ذكر "أماديه" احد مندوبي نابليون لدى السلطان العثماني في 1804ـــ 1805، والذي زار شمال كردستان، بأن: "الجيوش العثمانية التي تحارب نابليون في مصر، تعيش على لحوم الحيوانات

المستوردة من كردستان" ويحدد عدد رؤوس مايصل منها إلى القسطنطينية بـ مليون ونصف رأس سنوياً.

لم تكن بلاد الكرد مقسمة ثنائياً بين هاتين القوتين فقط، بل كان كل قسم يتجزأ بدوره إلى إمارات إقطاعية، يعود فجر بعضها إلى القرن العاشر الميلادي. عدد "كامبانيل" أهمها في أوائل القرن التاسع عشر: أردلان، كرمنشاه، ولرستان تحت نفوذ الإمبراطورية الفارسية، بابان، بتليس، سوران، حكاري، بادينان، وبوتان ضمن السلطة العثمانية. وكانت هذه الإمارات في حالة تناحر شبه دائم فيما بينها، تحكم كل واحدة منها عائلة إقطاعية يتنازع أبناؤها على السلطة، وكانت السلطتان المركزيتان: العثمانية والصفوية، تستغلان هذا النزاع بمهارة لتضعيف قوة الإمارات، وكبت جموحها، بين الحين والآخر، نحو الإستقلال، أو نحو الإمبراطورية الأخرى.

إن دراسة تاريخ كردستان في أوائل القرن التاسع عشر، تبين لنا سمات أساسية تميّز بها الوضع السياسي العام آنذاك، يمكن تحديدها في النقاط الآتية:

1. النزاع العثماني ـ الصفوي، وإنعكاساته على الكرد.
2. تناحر الإمارات الكردية فيما بينها.
3. الصراع داخل العائلات الكردية الحاكمة.
4ـ الصراع بين سلطة الحكام الكرد، وسكان الإمارات.

فيما سبق كانت ملاحظات أولية حول الهيكل العام للوضع السياسي في كردستان، في الفترة التي سبقت ظهور الطريقة النقشبندية، ومن ثم تزامنت وإياها، هذه الملاحظات ستساعدنا على النظر بتفصيلٍ أكثر إلى بنية وتاريخ إحدى هذه الإمارات: "بابان"، مسقط رأس الطريقة النقشبندية في كردستان.

إمارة بابان

المعلومات حول بدايات تشكيل هذه الإمارة نادرة جداً، إن لم تكن معدومة. وما ذكره المؤرخون حول تاريخها السابق للقرن السابع عشر، يحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. صورتها ستصبح أكثر وضوحاً منذ حوالي 1686، حين تلقى أحدُ رؤساء العشائر القاطنة في منطقة "بشدر" فقفى أحمد، لقب "بَه بَه" أو "بابان" من السلطان العثماني، ومكافآتٍ أخرى، منها مساحات شاسعة من الأراضي، مقابل خدمته التي قدمها للسلطنة خلال صراعها مع الصفويين. منذ ذلك التاريخ، سجلتِ الإمارةُ صعوداً لولبياً في دورها السياسي والعسكري، سواءٌ على صعيد كوردستان، أو العراق/العربي، أو في علاقاتها مع الصفويين والعثمانيين، لهذا، ولا شك، عوامل كثيرة منها: موقعها الجيوسياسي من الإمبراطوريتين، والذي منحها إمكانية "اللعب على الحبلين"، منافستها للإمارات الأخرى للهيمنة على المنطقة، وتطورها الإقتصادي المثير، نتيجة لموقعها من خطوطٍ تجاريةٍ مهمةٍ، تطور الزراعة والري فيها..إلخ.

ورغم الدور الكبير للمذهب الديني في تحديد التوجه الذهني، والموقف السياسي لسكان المنطقة في القرون الأربعة الماضية ـ السنة كانوا منحازين إلى

الباب العالي، والشيعة إلى الصفويين، والقاجاريين فيما بعد ـ إلا انه من اللافت للنظر بأن شرخا كبيرا حدث بين الزعماء البابانيين في تمايلهم نحو الإمبراطوريتين، وذلك إبتداءً من القرن الثامن عشر. كان الإتجاه الأقوى في العائلة البابانية الحاكم يتعاطف، لأسباب عديدة يضيق مجال ذكرها هنا، مع الصفويين، رغم كونهم وسكان إمارتهم ينتمون الى المذهب السني. ولقد لعب الفرس دوراً عسكرياً احيانا، وسياسيا غالبا في تعيين حاكم الإمارة، إلا ان السلطان التركي كان هو المعني مباشرة بتسمية الأمير البابانى، بعد ترشيحه من قبل والي بغداد في أغلب الأحيان. وسرت العادة، في هذا المجال، على الإحتفاظ بمنافس الأمير العائلي في بغداد لتهديده به، وردّه عن كل محاولة تمرد.

كانت علاقات إمارة بابان مع الإمارات الكردية الأخرى، تشبه علاقة من يتحين الإنقضاض على جاره: في عام 1787، إحتل جيشها إمارة عمادية، ولم يهدأ نزاعها مع سوران إلا في عام 1810، بعد أن تم عقد قران بين إثنين من أفراد العائلتين الحاكمتين، وكان إختيار البابان للهجة غير الكورانية، لهجة أردلان، كلغة شبه رسمية لها، تستهدف أساساً، منافسة الكورانية، بالإضافة إلى إلتزام العشائر القاطنة داخل الحدود البابانية، بإرسال أعداد محدودة من الفرسان والمقاتلين إلى ساحات القتال التي كانت تخوضها الإمارة، عمل زعماء بابان على تنظيم جيش خاص بهم، مزود بأسلحة مصنوعة محليا في أغلب الأحيان. ورغم أن هذا الجيش كان يدرّب للدفاع عن الإمارة من التهديدات الخارجية، إلا أنه لم يتردد في قمع بعض العشائر الكردية المتمردة على السلطة البابانية، أو تمردات العشائر العربية على الباب العالي، وذلك تلبية لطلب من العثمانيين، وتحقيقاً للمطامح الفردية للأمراء البابانيين أنفسهم.

إن التطور الإقتصادي والسياسي للإمارة خلال القرن الثامن عشر، دفع بأمرائها إلى التفكير بإنشاء عاصمة جديدة. فالقديمة "قه لاجوالان" لم تعد بإمكانها أن تستجيب لمتطلبات الظروف المستجدة، إذ ان أهم سبب لإختيارها في الماضي عاصمة، أي وعورة منطقتها، درءاً لهجمات الجيوش الأجنبية، غدا في أواخر القرن الثامن عشر، سبباً أساسياً في التخلي عنها. ولقد وقع إختيار إبراهيم باشا البابانى، الموالي للعثمانيين، على منطقة "ملك هندي/مه لكه ندى" موقعا لعاصمته، وبدأ بالعمل في بنائها عام 1780، وإنتهى منها بعد ذلك بأربعة أعوام. سُميت العاصمة الجديدة "السليمانية/ سليماني، أو سوله يماني" بسبب العثور أثناء الحفر، على خاتم نقش عليه إسم سليمان، غير أن الباشا البابانى، بلغ سليمان باشا، والي بغداد آنذاك، بأن التسمية كانت نسبة إليه. وحينما سأل "ريج"، ممثل شركة الهند الشرقية في بغداد، أحد أحفاد إبراهيم باشا، عن دوافع جده لإختياره تلك المنطقة لبناء عاصمته اجابه: «لأنه كان يحب الصيد، وهذه المنطقة تساعد على ذلك، إضافة إلى وفرة المياه فيها". في حين يؤكد "كامبانيل" بأن السبب كان ملاءمة موقعها تجارياً،

يبدو لنا بأن كامبانيل محق في إعتباره لهذا العامل دافعاً أساسياً لبناء المدينة، فإزدهار التجارة بعد مرور زمن قصير على إنشائها، دعم لرأيه.

في عام 1784 إنتقلت المؤسسات الحكومية البابانية إلى العاصمة الجديدة، التي فتحت أبوابها لكل قادم، وكان قد إستقر فيها أغلب العمال الذين عملوا في بنائها. أضف إلى ذلك النزوح الهائل إليها من قبل سكان الأرياف المجاورة والبعيدة، إذ بلغ نفوسها عام 1810، خمسة عشر ألفاً من بينهم 800 يهودي، و100 مسيحي، وكانت في المدينة ست خانات، خمسة حمامات عامة، خمسة مساجد، وحمام خاص للباشا الحاكم، بالإضافة إلى 2144 دار، 130 منها لليهود، و9 للكلدان، و5 للأرمن، وغدت المدينة في أوائل القرن التاسع عشر مركزاً تجارياً مهماً. وصف الرحالة خطوط تبادلاتها التجارية مع المدن الأخرى على النحو التالي: سليمانية/ بغداد وبالعكس، سليمانية/ كركوك وبالعكس، سليمانية/ موصل وبالعكس، سليمانية/ سنندج - همدان، وبالعكس، سليمانية/ تبريز، وبالعكس، سليمانية/أرضروم، وبالعكس، سليمانية/مصر، وبالعكس. وكانت القوافل تخرج من السليمانية محملة بالحنطة، التبغ، الجبن، السماق، الصابون، العسل، العفص، الفواكه، الرز، الجوز، الحرير الطبيعي، القهوة، كما كانت تسوق معها الأغنام. بينما كانت القوافل التي تصلها تجلب معها: التمر، القهوة، الأقمشة، البضائع الهندية، الأحذية، الجلود، المصنوعات اليدوية، النحاس، الحديد. وكانت بغداد تستورد الخشب من الإمارة عن طريق نهر "سيروان"، وكانت الرحلات التجارية تتكرر مرة أو مرتين في الشهر، بينما القوافل المتوجهة إلى مصر، أو القادمة منها، فنادراً ما كانت تتعدى رحلة سنوية واحدة. ولقد ذكر كامبانيل، حينما زار السليمانية في عام 1810، بأن التجارة في الإمارة البابانية كانت أكثر إزدهاراً وتنظيماً منها في الإمارات الكردية الأخرى، وأدى ذلك، بدوره إلى تطور الصناعات اليدوية في المدينة، خاصة فيما يتعلق بمواد البناء والأسلحة، وكانت أسلحة الجيش البابـاني (مدافع، سيوف، خناجر..) وتجهيزات عسكرية أخرى، بالإضافة إلى الأسلحة الخفيفة للعشائر، تصنع في المعامل التي شيدها البابانيون بمساعدة الخبراء الروس، وقد حفظ التاريخ أسماء حرفيين كرد إشتهروا بصناعة الأسلحة مثل: "وه ستا حسيني حه خما خساز".

كل هذه الظروف الجديدة، خلقت سوقاً جديداً، لم تكن الإمارة تعرفها من قبل، الأمر الذي أدى بدوره إلى تبلور شرائح إجتماعية جديدة. فمنهم التجار والحرفيون والعاملون في الخانات والبناء والقوافل والتجارة..إلخ (والذين نطلق عليهم إسم "البازاريون") وكان أغلب هؤلاء ينتمون إلى أصول ريفية، عانوا من قمع ملاكي الأراضي الزراعية، المدعومين من قبل السلطات البابانية. ولم يكن معظم هذا الكيان الإجتماعي/الإقتصادي، الجديد قد قرر الإستقرار في المدينة بعد، بل ظل معلقاً وحائراً بين الريف والمدينة، رغم ميله الواضح

للإستقرار في الأخيرة. لذلك لم يكن بمحض إرادتهم عندما قام الكثيرون، فيما بعد، بعد تدهور الحالة الإجتماعية/السياسية في المدينة، بالهجرة المعاكسة. ولقد وجد هذا الكيان، منذ بداية تكوينه، نفسه في تناقض مع السلطة البابانية والإقطاعيين الساكنين في المدينة، والعاملين على السيطرة على السوق الجديد، مثلما كان أمرهم مع عملية الإنتاج في الريف، ولم يكن لدى اعضاء هذا الكيان الجديد رؤية سياسية واضحة للوضع، ولا تنظيم يجمعهم، ويجعل من مصالحهم المشتركة المهددة رباطاً فيما بينهم. لذلك لم يكن من المستغرب أن يتجمعوا، ولو لوقت محدد، حول الطريقة النقشبندية، منذ ظهورها في السليمانية عام 1811، إذ غدوا قاعدتها الإجتماعية الرئيسة في المدينة، حيث جمعتهم الطريقة في جبهة واحدة مع معارضين آخرين للسلطتين السياسية البابانية، والدينية/الإجتماعية السائدة في المدينة، والمتمثلة آنذاك، بالطريقة القادرية وشيوخها.

مؤسس النقشبندية في كردستان

إختلف المؤرخون حول تاريخ ميلاد ضياء الدين خالد حسين، مؤسس الطريقة النقشبندية في كردستان، وبلدان إسلامية أخرى، والمعروف بـ (مولانا خالد النقشبندي)، ولكنهم حصروا تقديراتهم في الفترة 1776ـ 1779. ويبدو أن ما سجله إبن أخيه الشيخ محمد اسعد صاحب زاده حول هذا الموضوع 19/كانون الثاني 1779، هو الأقرب إلى الإعتقاد.

فتح ضياء الدين عينيه على الحياة في قرية "قه ره داغ" الواقعة على بعد حوالي 30 كيلومتراً من جنوب السليمانية، والتي إعتبرها "كامبانيل" واحدة من أكبر ضواحي الإمارة، وكانت القرية تعتمد على ثلاث عيون من الماء، يسيطر الحاكم الباباني للمنطقة على إثنتين منها، بينما يتزود سكان القرية جميعاً من عين واحدة. كان لأبيه شيء من الثقافة الدينية، أفادته في سنوات تعليمه الأولى، ثم توجه إلى المدارس الدينية في المدينة. هذا كل ما نعرفه عن صبا خالد، ولا نعرف عن عائلته المزيد، غير أن الواضح انها لم تكن تنتمي إلى أرستقراطية عشيرتها "الجاف".

كعادة طلاب العلم آنذاك في كردستان، ترك خالد مدينته في الرابع عشر من عمره، مسافراً في طلب العلوم الإسلامية لدى الأساتذة الموجودين في بلاد الكرد. تجول لهذا الغرض كثيراً في إمارة بابان وأردلان. اخذ العلوم عن عدد من مشاهير عصره. وفي حوالي 1799 اكمل جميع الدروس المفروضة على طالب شهادة الملا. وما نيله لهذه الشهادة في هذا العمر، إلا دليل على قدراته الذهنية التي تراكمت حولها الأساطير والحكايات فيما بعد، بشكل لا يمكن تمييز الواقعي من المصنوع. في العام نفسه، عرض عليه باشا بابان وظيفة دينية في السليمانية، رفض قبولها، مقدماً أعذاراً تبدو لمعظم المؤرخين غير حقيقية. كان في الواقع يستصغرها، بدليل قبوله وظيفة ارفع شأناً في السنة التالية. هذه الحادثة تبين توتر العلاقة بين الملا خالد، والسلطة السياسية للإمارة.

يذكر معظم الذين كتبوا حول سيرة حياته، قصة رواها بنفسه فيما بعد، حدثت له مع درويش هندي، تعبر عن شوق ورغبة الملا خالد في الوصول إلى شيخ متصوف. هذه القصة جعلته يفكر دون إنقطاع في السفر إلى الهند لأخذ طريقة صوفية. المجلب للإنتباه، أنه رغم وجود واحد من اكبر شيوخ الطريقة القادرية، الشيخ معروف النودهي، في مدينة السليمانية ذاتها، إلا أننا لم نقرأ شيئاً حول أي لقاء قد حدث بينهما، أو أنه قد خطر على بال الملا فكرة أخذ الطريقة على يد هذا الشيخ. علماً أن الملا خالد قد اخذ، فيما بعد، إجازة الطريقة القادرية من شيخ هندي. هذا المثال، والكثير من الأمثلة الأخرى تبين الموقف السلبي الذي كان الملا خالد يكنه للسلطة الدينية في العاصمة.

سافر الملا خالد إلى الهند في عام 1808، عبر بلاد فارس، حيث أظهر فيها عداءً شديداً للشيعة، فدبر هؤلاء محاولتين لإغتياله، غير أنه نجا منهما. قضى سنةً كاملة في دهلي بالهند، مع الشيخ عبد الله الدهلوي مرشد الطريقة النقشبندية. نجهل كل ما يتعلق بهذه الفترة من حياته، ولم يتحدث هو عنها إلا قليلاً جداً. عاد إلى كردستان، وهو يحمل من شيخه أمر الدعوة إلى النقشبندية في البلدان العثمانية. بدأ الدعوة لأول مرة في مدينة سنندج، حيث كان فيما مضى تلميذاً فيها، فدخل طريقته استاذه السابق الشيخ محمد قسيم كردستاني، ومجموعة من أهالي المدينة. وصل السليمانية في عام 1811، فاستقبل إستقبالاً كبيراً. توجه رأساً إلى بغداد، وظل فيها خمسة أشهر، دخل خلالها عدد كبيرٌ من علماء المدينة، وسكانها في الطريقة، وكذلك والي بغداد "سعيد باشا"، وخلفه "داود باشا". عاد في نفس العام إلى السليمانية، ليبدأ نشاطاً مركزاً في الدعوة إلى الطريقة، إلا أن الظروف التي إستجدت حوله، وضعته أمام تجربة، لم يخرج منها منتصراً.

انتشار الطريقة تعد سنوات 1811ـ 1820 من أخصب السنوات التي عاشتها هذه الطريقة في كردستان. فقد حققت شعبيةً أدهشت جميع دارسي تاريخ هذه البلاد، وذلك رغم مواجهتها عداءً مستمراً من قبل القادريين، ومن لدن أمراء بابان بين الحين والآخر.

بعودة مولانا إلى السليمانية في عام 1811 دخل عدد كبيرٌ من السكان في طريقته، بالأخص "البازاريون" الذين كانت الظروف الحربية التي كانت تعيشها الإمارة تضرّ بمصالحهم، إذ أن عداءَ هؤلاء للإقطاعيين المتجمعين حول القوتين السياسية، والدينية/الإجتماعية في العاصمة، في ذلك الوقت كان معروفاً، وقد عبروا عنه في أوائل القرن التاسع عشر بأشكال مختلفة، وفي مناسبات مختلفة، فشكلت الطريقةُ الجديدةُ بالنسبة لهم إطاراً يلتقي فيه عددٌ من مصالحهم المشتركة. لذا كان دعمهم لها قوياً في البداية. ثم أخذ الدخول إلى الطريقة طابعاً جماعياً، بعد أن كان يتم بشكل فردي، حيث دخلتها عشيرة "بارزان" وعشائر منطقة "نهري". وهذه الأخيرة كانت حتى ذلك الحين تنتمي إلى الطريقة القادرية. كما إنضمّ إليها أيضاً عدد من شخصيات

منطقتي "طويلة" و"بياره" (الواقعتين على الحدود العراقية ـ الإيرانية الحالية) ولم يقتصر إنتشارها على كردستان فقط، بل توزع خلفاء مولانا في تركيا، سوريا، فلسطين، العراق، داغستان، ومناطق اخرى. وبلغ عدد خلفائه الكرد 34 خليفة، ومن غير الكرد 33. كان ينتمي إلى مشيخة مولانا خالد في عام 1820، حسب "ريج" 12000 مريداً في البلدان العربية والتركية. ويقدر "عباس العزاوي" مريديه في جميع البلدان، وفي ذات الوقت بـ 20000، وهذا العدد ضخم، إذا ماقارناه بعدد مريدي الطرق الصوفية الأخرى التي عاشت في البلدان الإسلامية قروناً عديدة. ويضاف إلى المريدين الذين كانوا يمارسون طقوس الذكر والعبادة على الطريقة النقشبندية، اولئك الذين لا يمارسون ذلك، وإنما يظهرون الإنتماء إلى الطريقة وشيخها، ولم يكن عدد هؤلاء، كما يبدو قليلاً.

بلغ نفوذ مولانا خالد حداً قارنوه بـ (عبدالقادر الكيلاني)، وإعتبروا كلامه حديثاً نبوياً او ذا مصدر إلهي. وكان الأمراء البابانيون، في فترة محاولاتهم لإستيعابه، يقفون أمامه ليملأوا غليونه وهو جالس. وبلغ الأمر بـ مولانا خالد، أن ينظر في المشاكل السياسية التي كانت تحدث بين أفراد العائلة الحاكمة في الإمارة. وقد بنى له الأمير الباباني محمود باشا في عام 1816 جامعاً لايزال معروفاً حتى يومنا هذا باسم "خانقاى مولانا".

كان الإسلوب التنظيمي للطريقة النقشبندية، اقوى واحسن منها لدى الطريقة القادرية. لم يكن القبول فيها يتم إلا بشروط. والإرتقاء في المراتب الهرمية ما كان يحظى بها كل مريد، وكانت الشروط الواجب توفرها في المريد للوصول إلى مرتبة الخليفة قاسية، ولا يتم إلا بموافقة مولانا خالد نفسه. وكان المريد المتقدم، يقود المريد المبتدأ، وهؤلاء يقودهم خليفة في الأذكار. والذكر يتم مرتين في الإسبوع. وكان على المريدين الا يعاشروا من يعادي الطريقة، وعليهم ان يعيشوا معاً، إذ كانوا بعيدين عن أهلهم. ولقد نظم مولانا خالد طريقته حسب التوزع العشائري في خارج المدن، فكان لديه خلفاء يمثلونه، ويتحدثون باسمه لدى العشائر، اما في المدن وخارج كردستان، فكان التنظيم مدينياً، لا يعتمد التنظيم العشائري أساساً له. وإذا تجاوز خليفة الأوامر، يصدر في حقه من المركز العام ـ السليمانية ـ تنبيه أو إنذار، يوزع على جميع النقشبنديين. وإذا تكرر الأمر طرد من الطريقة. وهذا بالضبط ما حدث لخليفة مولانا في القسطنطينية وبلاد ما وراء النهر. وكانت مركزية السلطة واحدة من اكبر أهداف مولانا، وقد إستطاع ان يحافظ عليها، حتى موته في عام 1827. ومنذ ذلك التاريخ اخذت التيارات ومراكز القوى في الطريقة تتجسد شيئاً فشيئاً.

إن اكثر من حاول تقديم تفسير علمي لهذا الإنتشار السريع للنقشبندية في كردستان، هو "مارتن فان برونسن" الذي يعيد السبب إلى طابعها المتميز عن القادرية، وكذلك إلى الوضع الإجتماعي/السياسي لـ كردستان أوائل القرن التاسع عشر، حيث يذكر بالنسبة للنقطة الأولى، كون

الجانب الروحي عند النقشبندية أكثر أصالة مقارنة مع القادرية، وفيها دقة الضبط والتنظيم ما تفتقدها القادرية، وعلاقاتها الهرمية الداخلية، تفوق درجاتها ما عند القادرية. ويرى فيما يتعلق بالسبب الثاني، يقول الهولندي: " كانت كردستان تعيش فترة إنتفاضات معادية للعثمانيين، وكان ضغط المصالح الإمبريالية يزحف نحو المنطقة، فكان طبيعياً أن تنتشر طريقة يقودها شيوخ معادون للمسيحية والأجانب" إن الأدلة كثيرة حول عداء شيوخ النقشبندية للعثمانيين، وما دخول العشائر فيها، إلا بسبب الخطر الآتي على سلطتهم، وعلاقاتهم الإجتماعية/الإقتصادية من قبل الباب العالي، والسلطان نفسه أعلن تخوفه من "طموحات" الشيخ خالد، الذي قد يكون، حسب زعمه (مدعوما من الإنكليز). أما أن يكون أحد أسباب نجاح الحركة، معاداتها للمسيحية والأجانب، فيبدو لنا تفسيراً يصعب الدفاع عنه، فالمنطقة التي إنتشرت فيها النقشبندية لم تكن قد تعرضت بعد للموجات التبشيرية المسيحية. فالسليمانية مثلاً، لم تكن فيها كنيسة واحدة، وكان عدد اليهود فيها أضعاف أعداد المسيحيين. ثم إن الحركة كانت تجمع المعارضين للحكومة البابانية، ولشيوخ القادرية، وكذلك المعارضين للحكم العثماني وأساليبه، وقد أظهر "ريج" في كتابه تعاطفاً واضحاً مع مولانا، الذي اتهم فيما بعد، ودون دليل ملموس، بالتعامل مع شركة الهند - الشرقية. كيف يمكن القول إذا بأن الحركة كانت معادية للمسيحيين والأجانب؟ إذا كان المقصود بالأجانب هو العثمانيين، فهذه مسألة صحيحة، ولكن المؤلف يتعدى ذلك المقصد، وهذا أمرٌ يصعب قبوله إستناداً إلى الأدلة التي ذكرناها، وكذلك التطورات اللاحقة للطريقة النقشبندية.

إن هذا النجاح الواسع يعود في رأينا، إضافة إلى الأسباب التي إتفقنا مع "مارتن فان برونسن" إلى الوضع السياسي/الإجتماعي في السليمانية نفسها آنذاك، أي صراع البازاريين مع السلطة التقليدية، السياسية، والدينية/الإجتماعية، وإلى حاجة عدد من العشائر إلى التجمع دفاعاً عن تنظيماتها المهددة ، إذ دعموا روابطهم العشرية، بروابط طريقية - صوفية، إذا جاز لنا التعبير، ثم الوضع النفسي السيء الذي كان يعيشه سكان كردستان، خاصة، والبلدان العثمانية عامة، بسبب الحروب الداخلية والخارجية المستمرة، حيث قدمت النقشبندية في أذكارها وأجوائها الداخلية المغلقة، راحة نفسية وذهنية يفتقر إليها الواقع. ثم الشخصية القوية لشيخ الطريقة. وقد ساهمت المعارضة "الدينية" التي تعرضت لها النقشبندية في شعبيتها، وخاصة على نطاق كردستان والعراق.

الصراع بين الطريقتين

إن أكثر ما هدد الواقع الجديد، هو بلا شك، نفوذ الطريقة القديمة، القادرية، القوة الدينية التي لم تكن تنافس لا في إمارة بابان، ولا في كردستان كلها. تعود جذور القادرية إلى القرن الثالث عشر، حينما أخذ الشيخ عبد العزيز: إبن مؤسسها الشيخ

عبد القادر الكيلاني (1077 ـ 1166) بنشر الطريقة في كردستان. وإستطاعت خلال قرون أن تغدو أكبر طريقة بين الكرد، الذين لم يكن إلا القليل منهم يعرف طرقاً صوفية أخرى، وكانت السليمانية في أوائل القرن التاسع عشر واحدة من مراكزها الرئيسة، حيث يسكنها الشيخ معروف النودهي (1752 ـ 1838) الوارث عن أبيه مشيخة القادرية، وإمامة أكبر جوامع إمارة بابان، وكذلك رئاسة عشيرة "برزنجة". وكان الشيخ معروف المرجع الديني الأعلى في الإمارة.. حتى ظهور النقشبندية. كان طبيعياً، إذن، أن يعادي الشيخ معروف، شيخ النقشبندية، عداءً لم ينته إلا بفرار هذا الأخير من السليمانية، وإنتهاء منافسته لسلطة الأول في المدينة. منذ العام 1811، أخذ الشيخ معروف مع أعوانه في الطريقة القادرية، وبدعم من حكومة عبد الرحمن باشا البابانيّ، ينشرون بين الناس شائعات تتهم مولانا خالد بالكفر، وتنسب إليه إدعاء الولاية الكبرى، وتغليف أغراض سياسية بمظاهر دينية. وحينما دفع الإضطهاد المباشر من قبل الباشا مولانا إلى الهروب من السليمانية، والإلتجاء إلى بغداد في نفس العام، أرسل الشيخ معروف رسالة إلى والي بغداد سماها "تحرير الخطاب في الرد على خالد الكذاب" يطلب فيها "إهانة خالد الكذاب الكافر وطرده من بغداد". وقد رفض طلبه هذا بلا شك، وتلف الرسالة بنفسه فيما بعد، ولم يبق لنا منها غير مقتطفات قليلة، وحينما عاد مولانا إلى السليمانية في عام 1813، بعد موت الباشا الذي طرده، أخذ الصراع بين الطريقتين طابعاً يومياً في المدينة. وكان تكتيك الشيخ معروف هو تعبئة جميع أنصاره معه، والعمل على رفع الصراع إلى المستوى العثماني، بدل حصره في النطاق الكردي. فدفع "عثمان الجليلي الموصلي" إلى تأليف كتاب "دين الله الغالب على كل منكر مبتدع كاذب" يقصد به مولانا خالد. فرد عليه مفتي العراق "محمد أمين السويدي"، بطلب من والي بغداد (وليس من مولانا خالد) بكتاب إسمه "السهم الصائب في منْ سمى الصالح بالمبتدع الكاذب". ولم يواجه مولانا هذا التكتيك بمثله. بل على العكس، حاول كبح جماح عدد من أنصاره الذين كانوا يريدون ردّ الضربة بالمثل.

وقد كُتب عدد آخر من الكتب والرسائل دفاعاً عن مولانا، أو ضده. ولقد لاحظنا في أكثر المخطوطات التي إستطعنا قراءتها حول هذا الصراع، بأن الكاتب يهدف أما إلى تكفير مولانا بأية وسيلة كانت، أو إلى ردّ التكفير عنه، ونسب الديانة النقية الصافية إليه، وتفسير ما يواجهه من عداء بالحسد الشخصي. والذي يبحث في هذه المؤلفات عن معلومات سوسيولوجية، أو تاريخية مفيدة، يرجع، مع الأسف، بيد فارغة، وأخرى فيها شذرات من الملاحظات، قد تفيده هنا أو هناك في فهمه العام للنزاع. وحينما أدرك الشيخ معروف فشل كل المحاولات التي قام بها لإبعاد الناس عن الطريقة الجديدة، إلتجأ إلى وسيلة أخرى لتحقيق هذا الهدف، فقد أرسل رسالة إلى أحد الشيوخ الكرد المشهورين،

وهو "يحيى المزوري" يطلب فيها نجدته للتخلص من مولانا. وهنا نص الرسالة التي تحتوي على الكثير من الأدلة:

"من كافة علماء السليمانية، إلى علامة الدنيا على الإطلاق والدين، حجة المسلمين، مولانا وشيخنا، الشيخ يحيى المزوري العمادي، متع الله تعالى، المسلمين بطول حياته. أما بعد:

فقد ظهر عندنا خالد، وإدعى الولاية الكبرى والإرشاد بعد عودته من الهند إلى هذه البلاد، وهو رجل قد ترك العلوم بعد تحصيلها على وجه الكمال، وإختار سبيل الضلال، ونحن قد عجزنا عن إلزامه وإفحامه، فيجب عليكم أن تتوجهوا إلى طرفنا، لإفحامه، ودفع ضلاله ومرامه، وإلا فقد عمّ الضلال بين العباد، وإنتشر في البلاد، وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته." تعترف هذه الرسالة بقدرات مولانا العلمية الإسلامية، وتبيّن كثرة من يتبعه، وعدم قدرة القادريين على إفحامه فكرياً، لذلك يلتجؤن إلى من هو اقدر منهم على فعل ذلك. وحينما وصل الشيخ يحيى المزوري، لردّ مولانا على أعقابه، توجه رأساً إلى اللقاء به. إستمرّ اللقاء عدة ساعات، والمدينة في إنتظار النتائج. بعد هذا اللقاء، عرفت المدينة كلها بأن الشيخ يحيى قد إنتسب إلى النقشبندية، وقبل بمولانا شيخاً له، رغم صغر سن الأخير. ويذكر الكتاب أساطيرَ كثيرةً حول هذا اللقاء. يبدو لنا أن تغييرَ موقف الشيخ يحيى يعود إلى سببين، الأول: شخصية مولانا ومعارفه الواسعة التي كان إكتشافها صدمةً له. الثاني: هو التناقض الذي تراءى له بين مضمون رسالة الشيخ معروف، والواقع. بعد هذه الحادثة، قرر القادريون قتل مولانا. فدبّروا محاولةً لإغتياله، تقرر أن يشترك فيها مائتان من اتباع معروف النودهي، جيء بأغلبهم من القرى المحيطة بالمدينة. وكان المتفق أن يقتلوه وقت خروجه من صلاة العصر، إلا أن الحشد الواقف لتنفيذ العملية، خارت عزيمته، وتفرق، حينما رآه. هذه هي خلاصة القصة التي يرويها في عدة صفحات حول هذه المؤامرة كلٌ من كتب دفاعاً عن شيخ النقشبنديين، والتي لا تخلو تفاصيلها من المبالغة. بعد هذا أرسل الشيخ معروف إبنه "كاك احمدي شيخ" وخليفته "عبدالرحمن الطالباني" لقتله، إلا أن قوى الشخصين خارت عن تنفيذ العملية، فأرسلهم للمرة الثانية، فلم يكن حظها بأحسن من الأولى. ترى ماالذي دفع بالشيخ معروف إلى الوقوف هكذا دون أن يلتقي بمولانا ولو لمرة واحدة؟ لا شك أن هناك دوافع شخصية، فلم يكن من المقبول لدى الشيخ معروف، ملاك الأراضي الواسعة، رئيس عشيرة كبيرة، شيخ أكبر الطرق في كردستان، أن ينافسه في سلطته الدينية/الإجتماعية، شخصٌ ينحدر من عائلة متواضعة. كيف يرضى أن يُدفع بطريقته إلى المرتبة الثانية خلال سنوات قليلة؟! ثم أنه كان محاطاً بمجموعة من الإقطاعيين الذين كانوا مثله، مهددين بتجمع أعدائهم البازاريين في المدينة حول مولانا. لم يكن الدافع الحقيقي لموقفهم إلا خوفهم على سلطتهم، وليس على الدين الإسلامي كما يدعون. وقد أثبت الشيخ

معروف هذا بنفسه، حينما طلب من مولانا أن يغفرَ له عما سبق، وذلك بعد أن هربَ هذا الأخير للمرة الثانية والأخيرة من السليمانية عام 1820، ولم يعد له نفوذ فعلي على المدينة، وعادت سلطة القادريين عليها أقوى مما كانت عليه قبل ظهور النقشبندية. وقد غفر مولانا للشيخ معروف مواقفه، بعد أن نعته بالجهل الذي لا يليق، في رأيه، بالعالم الديني.

موقف البابانيين

أمام هذا الصراع الدائر في العاصمة البابانية، لم يكن حكامُها متفرجين. بل إتبعوا سياسة يمكن الوصول إلى معرفة خطوطها العامة، بملاحظة مواقفهم المختلفة خلال سنوات 1811 ـ 1820، وفيما بعد، ففي تلك الفترة حكم الإمارة أميران: عبد الرحمن باشا، وإبنه محمود باشا. ولم تكن سياسة الأول تسمح بإنتشار أية حركة إجتماعية، أو دينية في إمارته، إذا لم تخضع لسلطته. لذا لم يستطع مولانا البقاء في السليمانية إلا أشهراً قليلة بعد عودته من بغداد عام 1811، إذ أجبره عبدالرحمن باشا، لما رأى فيه خطراً على وحدة الإمارة، على تركها، وأخذ يضطهد أتباعه في المدينة، كما يبدو ذلك من رسائل مولانا إلى بعض البابانيين الذين لم يقطعوا أواصرَ الود معه بينما تميزت سياسة الإبن بمرونة أكثر، وديبلوماسية أذكى، في محاولة إستيعاب شيخ الطريقة، ثم أتباعه. فما أن وصل إلى الحكم، حتى سافرَ إلى بغداد لإعادة العلاقة معها بعد إنقطاعها في الفترة الأخيرة من حكم أبيه. وترجى خلال هذه السفرة مولانا بالعودة إلى السليمانية، فوافق. وأوقف الباشا على الجامع الذي بناه لمولانا، أراضي زراعية، وعدداً من البساتين، للصرف على الطلاب والمريدين. وقد نجحت هذه السياسة إلى حد ما، فابتعد عن مولانا الكثيرُ من أتباعه، وذلك لعاداتهم لباشوات بابان. وكانت سياسة محمود باشا ذات حدين، فمن جهة كان يحاول جهراً إستيعاب النقشبنديين بكل الوسائل الممكنة من مالٍ وجاهٍ وحريةٍ في النشاط، ومن جهةٍ أخرى كان يشجع ضمنيا أعداءهم على محاربتهم، ولا يعلق بحرفٍ على محاولات إغتيال النقشبنديين، وهذا مادفع بمولانا إلى لوم الباشا عليه فيما بعد. كان الإتجاه القويُ في الحكومة البابانية، يعتبر مولانا مواليا للعثمانيين. فهو إذن خطرٌ على الإمارة، وقد إنعكست علاقة البابانيين مع العثمانيين على النقشبنديين. ففي المرتين اللتين طردوا فيها مولانا، كانت علاقاتهم مع العثمانيين متدهورة. وحينما طلبوا من مولانا العودة إلى مسقط رأسه في 1813 و 1822 كانت هذه العلاقات في تحسن. يمكننا أن نتبينَ من الرسالة التي أرسلها مولانا إلى والي بغداد، المكانة التي وصل إليها مع البابانيين في بعض الفترات، وكذلك أحد الأسباب التي دفعت بهم إلى الإعتقاد بـ "ميوله العثمانية": "... وإستحضرنا أميرَ أمراء البابان محمود باشا وعمه عبدالله باشا، وأخاه عثمان بيك، مع القاضي، ومعظم أكابر أعوانهم مجتمعين. بعدما كلفناهم

واحداً بعد واحد منفردين، فملأت بتأييده تعالى قلوبهم وآذانهم من زاجر الوعظ، وحشيت جيوبهم وأردانهم من جواهر اللفظ، حتى أجابوا، وانقادوا، وانقلعوا عما ترسخ فيهم طوال السنين وإعتادوا. ثم عقدنا لهم حفلاً، وشددنا عليهم غاية التشديد، وسددنا عليهم طرق التورية، وانذرناهم بالوعيد، وبذلنا المجهود في إتقان محمود باشا بالوجوه العديدة، وأخذنا المواثيق الأكيدة.."مواثيق اكيدة بعدم الإتصال بالفرس. باءت جميع المحاولات البابانية لإستيعاب الحركة بالفشل. ولم يكن عكس ذلك ممكناً. فأكثر النقشبنديين، ومنهم مولانا نفسه، كانوا يعارضون طبيعة الحكم الباباني. وحينما تدهورت العلاقات البابانية - العثمانية، ووصل الصراع القادري - النقشبندي حداً وجب على الباشا الباباني أن يتخذ موقفاً من أمر النقشبنديين، إتخذه. كتب "كلوديوس جيمس ريج" الذي كان في السليمانية يوم 20 تشرين الأول 1820 مايلي: "هرب الشيخ الكبير خالد هذا الصباح. ورغم مفاجأة وسرية هروبه، نجح في أخذ نسائه الأربع معه. لانعرف بعد أي إتجاه أخذ. قبل أيام كان الكرد يعتبرونه أجل من عبد القادر (يقصدالكيلاني. هـ. ح) وكان من عادة الباشا أن يقف أمامه، ويملأ غليونه. اليوم يقولون بأنه كافر، ويذكرون العديد من الروايات حول عجرفته ومساوئه، وكيف أنه فقد نفوذه بموت إبن الباشا، إذ إدعى قدرته على إنقاذ حياته. إن سبب هروبه بأشكال مختلفة. يقول البعض بأنه زرع الشقاق بين الباشا وإخوانه، وإن الباشا أراد أن يضعهم وجهاً لوجه. ويدعي البعض انه خطط لتأسيس مذهب جديد، ليجعل من نفسه السيد الديني والدنيوي للبلاد. من المؤكد أنهم إتهموا الشيخ خالد بما لم يقترفه. كان جميع العلماء والسادة، وعلى رأسهم الشيخ معروف، يكرهون الشيخ خالد، الذي دفع بهم سابقاً إلى المرتبة الثانية." شكل هذا الهرب ضربة كبيرة للنقشبنديين في مدينة السليمانية، تركت الساحة تماماً للقادريين. ظهرت إمتداداته فيما بعد.

الموقف العثماني

بنى العثمانيون سياستهم تجاه النقشبندية على أساسين:

1. دور الحركة داخل الإمارة البابانية.
2. نفوذها في مجموع الأراضي العثمانية.

ففي بداية ظهورها، دخلها والي بغداد "سعيد باشا" وخلفه "داود باشا". وكان الهدف من ذلك، هو إستيعاب الحركة، والإستفادة منها في تضعيف الإمارة البابانية. وحينما أظهر السلطان العثماني في عام 1818 لوالي بغداد مخاوفه من الأهداف السياسية لمولانا خالد، طمأنه الوالي عليه. ثم دخل الطريقة شيخ الإسلام "زكي زاده مصطفى عاصم". وكانت سياسة بغداد العثمانية تدعم الطريقة في كردستان، وتفسح مجال العمل أمامها في المناطق الأخرى، مادامت تفيد في شق الإمارة وتضعيفها. ولكن ما ان إنتهى هذا الدور، حتى تغيرت السياسة العثمانية من دعم، إلى إضطهاد وقمع. فلم يعد هناك مبرر لدعمها

السابق. وحينما هرب مولانا نهائياً إلى بغداد عام 1820، اخذ مريده السابق "داود باشا" يضيق عليه الخناق، حتى أجبره على ترك بغداد، والهجرة نهائياً إلى الشام. ولم يتوقف تعقبه من قبل العثمانيين هنا، بل أرسل السلطان شخصين لمراقبة نشاطاته هناك. وما لبث ان اصدر في 1826 فرماناً يأمر المسؤولين بمنع نشاطات خلفاء مولانا خالد. وبعد أشهر من وفاته في 7 حزيران 1827، القى الباب العالي القبض على جميع خلفائه في إستنبول، ونفاهم إلى بغداد والسليمانية. ولم يكن نفيهم إلى العاصمة البابانية خالياً من مقاصد سياسية، بل كانت تهدف إلى تصدير المشاكل النقشبندية إلى هذه الإمارة.

***

حرص كُتاب النقشبندية وشيوخها على لبس تجمعهم رداءً دينياً صرفاً. غير ان الواقع كان، ولا يزال، لسوء حظ هؤلاء، يدل على وجود جوانب اخرى، غير التوجه الروحي الصرف إلى الله، في كل تجمع نقشبندي، شأنها شأن كل التجمعات الصوفية الأخرى. إن قرنا ونصفاً من تاريخ النقشبندي الكردي، لا يمكنه إلا ان يقرّ بهذا. من كتابات مولانا خالد ورسائله وسيرة حياته، نخرج عنها بصورة المصلح الإجتماعي، الذي كان يرى في الواقع الإجتماعي والسياسي والديني إنحرافاً، كمياً ونوعياً عن "الإسلام الأصيل" الذي عاشه محمد وصحابته الأولون. فالإصلاحات كانت من ضرورات تغيير احوال المسلمين الروحية والإجتماعية التي فسدت في راي مولانا خالد، لأن ملوكهم فسدوا. لذلك منع على خلفائه، دون نفسه، معاشرة رجال السلطة وتبعة الطرق الأخرى. وقد وضع سبعة شروط لكل خليفة يمثله في القسطنطينية، بؤرة الفساد السياسي والأخلاقي، كما كان يتصور مولانا. كانت طموحاته الإجتماعية/السياسية، غير العلنة، تتعدى حدود كردستان. لذا بث خلفاؤه النشطين في أكثر البلدان الإسلامية العثمانية. وقد عقد زواجين كان الغرض السياسي فيهما واضحاً. فبالإضافة إلى زوجته الأولى التي كانت تنتسب إلى عشيرته الكثيرة العدد (الجاف)، تزوج من إمراة بغدادية، تنتمي إلى واحدة من عائلاتها المشهورة، واخرى فلسطينية، من عائلة غزية متنفذة، اما الزوجة الرابعة التي يذكرها "ريج" فلا يعرف المؤرخون عنها شيئاً. كان مولانا يمثل الإتجاه الإصلاحي في الحركة النقشبندية اوائل القرن التاسع عشر، وتجسد هذا الإتجاه بشكل واضح بعد موته بعقدين في شيوخ منطقة هورامان. وكان هناك إتجاه آخر في الطريقة، أكثر حركية، يمثلها البازاريون وعدد من خلفائه. ففي العديد من رسائله نستشف أن بعضاً من اتباعه كانوا يبثون فكرة المواجهة العنيفة مع السلطة البابانية وشيوخ القادرية. بينما يحاول مولانا إقناعهم بتغيير رأيهم. وحينما سانده البازاريون، كانوا يأملون بذلك تحقيق اغراضهم الخاصة المعادية للسلطة السياسية، والدينية/الإجتماعية، في إمارة بابان. إلا ان اكثرهم إبتعدوا عنه في سنواته الأخيرة، بدافع من خيبة الأمل. وتجسد هذا الإتجاه الحركي، بعد نصف قرن

عند شيوخ "نهري" و "بارزان"، فالشيخ عبيد الله النهري، قائد إنتفاضة 1880، والشيخ سعيد بيران قائد إنتفاضة 1925، والملا مصطفى البارزاني، قائد الحركة الكردية في العراق، من عام 1961 حتى عام 1975، كانوا من شيوخ الطريقة النقشبندية.

يعبر ظهور الطريقة النقشبندية في كردستان عن حركة مدينية بدائية ضد سيطرة الريف الكردي على مدينة السليمانية، وكذلك عن حاجة قسم كبير من المجتمع الكردي إلى سلطة سياسية غير سلطة الأمراء والإقطاعيين الكرد، وسلطة دينية/ إجتماعية غير القادرية، وكذلك عن معادات للسلطة العثمانية أيضاً. وإذا لم تنجح كحركة مدينية، فذلك لأن المدينة الكردية لم تكن قد وصلت حينذاك إلى مستوى يمكنها منافسة الريف وشبكة علاقاتها. كانت هذه الحركة اولى حركة ذات ابعاد مدينية في كردستان. وقد ساهمت كعامل ديني وإجتماعي في إضعاف سلطة الأمراء. فلأول مرة في تاريخ الإمارات الكردية يطرد أميرٌ شيخاً كبيراً من إمارته بهذا الشكل. وإستطاعت النقشبندية ان تستوليَ على الكثير من مناطق نفوذ القادرية، حتى لم تعد تنافسها فحسب، بل تفوقها عدداً أيضاً. ولم يحدث قبل ذلك التاريخ في كردستان نزاع "ديني" بحجم ومستوى النزاع القادري ـ النقشبندي، الذي مازالت إنعكاساته واضحةً في علاقات الطريقتين حتى يومنا هذا. وأهم الأسباب التي حالت دون أن تستطيع النقشبندية ترجمة بعض من أهدافها على النطاق العثماني، إلى الواقع، هو سياسة تقوية المركز التي إتبعها السلطان محمود الثاني، والتي إنتهت بضرب الطرق الصوفية واحدة تلو الأخرى.

ان الشعب الكردي هو شعب ينتمي الى قومية لها تاريخ عريق، وهو مشتت منذ قرون او اكثر، وانه منع على امتداد تأريخه الطويل من اقامة دولة له كحق مشروع، اسوة بسائر الشعوب والأمم، ولم اتوقف في تقديري لحق هذا الشعب في تقرير مصيره، كنت ولا ازال اعتقد ان لكل شعب من شعوب العالم الحق في تقرير مصيره بحرية.

الاستاذ كريم مروة

مفكر وكاتب سياسي عربي من لبنان

الثقافة الكوردية*

فؤاد طاهر صادق

قبل التحدث عن الثقافة الكوردية ومكوناتها، ينبغي لنا تعريف الثقافة للقارئ لكي تكون جلية له.. وكذلك بيان العلاقة المترابطة بين الثقافة والحضارة.. الثقافة هي جميع الأنشطة الفكرية والسلوكية لأمة ما في حقبة من الزمن وتتألف من: الفكر، اللغة، المعرفة (الأدب، الفن، العلم والفلسفة)، التقاليد، العادات، القيم الاجتماعية، الأخلاق، التراث، العقيدة والدين، وطريقة الحياة. اما الحضارة فهي المنجزات والمؤسسات والمصنوعات المادية لمجتمع ما في حقبة من الزمن وتتكون من: الصيد، تربية المواشي، الزراعة، المهن والصناعة، البناء والعمران، التجارة، مؤسسات المجتمع المدني وملحقاتها. الجدير بالذكر أن الثقافة والحضارة مترابطتان ومتداخلتان.. فلاثقافة بدون حضارة، ولا حضارة بدون ثقافة.. ورغم ذلك فانهما مختلفتان.

ان الثقافة خاصة بطابعها القومي وعامة بتشابهها الانساني.. تتطور وتتغير بشكل مستمر ولكن ببطء لكونها عملية انسانية – نفسية – اجتماعية تتطلب كثيراً من الوقت للتطور والتقدم، بعكس تطور وتقدم الحياة المادية التي تتغير وتتقدم بسرعة.

لكل امة هويتها وطابعها الثقافي المتميز عن غيرها من الثقافات.. هذا التباين هو اساس وجود واستقلال الثقافة القومية يساعده على الحفاظ على اصالتها في عالم المنازعات والمجابهات والسيطرة والعالمية[1] (globalism) والمنافسة.. ان "اللغة" هي من الاختلافات الاساسية التي تمثل اهم هوية للثقافة القومية.

مكونات الثقافة الكوردية ليست كلها بمستوى واحد.. منها متطورة وأخرى في دور التطور.. فيما يأتي عرض لمكونات الثقافة الكوردية باختصار شديد:

1-الفكر الكوردي: الفكر هو أساس الثقافة ومصدر التعبير والسلوك والموقف.. وهو عامل من عوامل تقدم الأمة.. لكن ليست كل انواع الفكر نافعة تخدم قضية التطور والتقدم.. من الأفكار ما يساعد على التقدم ومنه ما يعيقها.

الفكر انواع: الفكر القومي، الفكر السياسي، الفكر العلمي، الفكر الفلسفي، الفكر الأمي، الفكر الخيالي، الفكر الديني والخرافي. الفكر القومي والسياسي والعلمي والفلسفي الموضوعي ثمرة للوعي والمستوى الثقافي العالي.

الفكر القومي الكوردي "كوردايەتي" شعور عند غالبية الكورد.. اصبح عند نخب الكورد الواعية عقيدة (ideology)، يعملون به ويناضلون ويضحون من اجله.

بسبب احتلال وتقسيم كوردستان بعد الحرب العالمية الأولى من قبل بريطانيا وحلفائها، فإن الفكر السياسي والسياسة اصبح يشغل الكورد سواءً اختياراً او اضطراراً، كعمل سياسي او مراقبة ومتابعة الأوضاع السياسية وحوادث المنطقة والعالم. في اواخر القرن العشرين برز من بين الكورد ساسة مهرة عن ممارسة وخبرة ومتابعة او كإختصاصيين تخرجوا من جامعات كوردستان او خارجها.

الأمة الكوردية كالأمم الجارة وكثير من امم العالم، لم تبلغ التطور المنشود في ميداني الثقافة والحضارة، لذا فإن حاملي الفكر العلمي بين الكورد يشكلون اقلية.. الغالبية من المتعلمين والقراء الكورد يميلون الى الادب وهي ظاهرة غير مشجعة للتقدم.

اما الفكر الفلسفي بين الكورد، فرغم وجود بعض عناصر فلسفية في بعض الأقوال والأمثال والأشعار والعقيدة الكوردية، فإنهم كالشعوب الجارة لكوردستان ومعظم شعوب العالم ليس لهم مذهب فلسفي متكامل معترف به كفلسفات العصر الحديث: البراكماتية، الوجودية، التجريبية، الواقعية، النقدية، الايجابية[3] (Positivism)، الدياليكتيكية الموضوعية، المادية الدياليكتيكية وغيرها.

الفكر الخيالي نوعان: الفكر الخيالي المعقول والفكر الخيالي اللامعقول.. الفكر الخيالي المعقول هو الخيال الذي من الممكن تحقيقه ويسبق الابداع والاختراع والتنفيذ، كتخيل المفكرين والفنانين هبوط الانسان على القمر قبل حدوثه.. اما الفكر الخيالي اللامعقول هو الفكر الذي يستحيل تحقيقه او عن غير الوجود.. النوع الأول عند الكورد خافت، والنوع الثاني موجود لدى بعض السذج منهم.

ما يتعلق بالفكر الخرافي عن كائنات لا وجود لها، هو الفكر المتخلف يخلق الرعب والقلق في النفوس.. حاملو هذا النوع من الفكر هم جهلة او من متعلمي العقائد المتخلفة، لا يفكرون بشكل علمي ولا وعي لهم.. من المؤسف يوجد بين الكورد من يحملون هذا النوع الظلامي من الفكر.

2-اللغة الكوردية: هي من مكونات الثقافة القومية الكوردية.. اللغة هي اداة تعبير وفهم وتفاهم وتسجيل ونقل واعلام المكونات الأخرى للثقافة. اللغة الكوردية غنية بمفرداتها، رقيقة بألفاظها، لطيفة بأصواتها، وخالصة لخلوها من الكلمات الأجنبية.

بالرغم من ان اللغة الكوردية لم تخدم من قبل المؤسسات الثقافية والسلطات المحتلة لكوردستان، بل حوربت ولاتزال تحارب بشتى الوسائل والسبل، فهي مفعمة بالحيوية تتطور باستمرار.. لغة صلدة

صامدة بوجه التيارات العنصرية المعادية لها.. لم تتمكن لغات السلطات التركية والفارسية والعربية المحتلة لكوردستان ان تقلل من شأنها او النيل منها.. بينما تلك اللغات مليئة بالكلمات الأجنبية ومنها الكوردية، وشاذة ومعقدة من حيث الاملاء والقواعد.

بالرغم من حرمان اللغة الكوردية من ان تكون لغة الادارة والدراسة والمحكمة والمالية بسبب احتلال كوردستان، فإنها لغة غنية، نقية، بليغة وبديعة.

3-المعرفة الكوردية: جزء من الثقافة القومية الكوردية، حيث لم يسمح لها محتلو كوردستان التقدم كثيراً، بل عملوا كل ما بوسعهم محاربة الكورد ثقافياً وسياسياً.

الكوتيون الكورد بنوا مدينة ارابخا (كركوك الحالية) في الألف الثالث قبل الميلاد.. العيلاميون الكورد بنوا مدينة سوس في الألف الثاني قبل الميلاد.. الميديون الكورد بنوا مدينة اكباتان (همدان اليوم) في الألف الأول قبل الميلاد.. عندما بنى الكورد تلك المدن ومدناً اخرى ونظموا جيوشاً واداروا بلداناً اخرى، فهم كانوا اصحاب ثقافة وحضارة.

حسب الدراسات والاكتشافات التي قامت بها هيئة من اساتذة جامعة شيكاكو برئاسة الدكتور بريد وود خلال الأعوام 1948-1955 في كوردستان، تبين لهم بأن الزراعة قد بدأت لأول مرة في العالم 6750 سنة قبل المسيح في كوردستان.. ان الزراعة لا تكون دون خبرة وتجارب ومعرفة.

ان اثار كوردستان واستنتاجات الباحثين عنها تؤكد بأن كوردستان لم تكن فقط من تلك الأوطان التي ظهر فيها الانسان العاقل (Homo Sapiens)، بل ان اول استعمال معدني لصنع ادوات بسيطة بطرق النحاس البارد كان في كوردستان[4].

قلة من البلدان في التأريخ تعرضت للغزو والنهب والسلب والتدمير مثلما تعرضت كوردستان لها على مدى العصور.. غالبية الاثار والوثائق التأريخية في كوردستان دمرت وامحيت. هذا بالاضافة الى عامل الطبيعة، حيث بسبب مرور فترات طويلة تهدم وتحلل بعضها.. من جهة اخرى فان اهمال وجهل وتقصير بعض المواطنين قد شارك في زوال قسم من التراث القومي للأمة الكوردية.

انها لفخر للكورد بأن كان لهم فكر وعقيدة ومعرفة متقدمة في العصر القديم.. انهم لم يكونوا طوال تأريخهم عبدة اصنام.. عبادة الأصنام تنم عن الجهل والغباوة وظلام الفكر. ان الكورد، قبل الزردشتية، كانوا من عبدة الطبيعة وبالأخص الشمس.. عبادة الشمس فيها نوع من الحكمة والمنطق، اذ لولا الشمس لما كانت الحياة على الأرض. وبعد ذلك من القرن السادس قبل المسيح حتى منتصف القرن السابع اعتنق الكورد الديانة الزردشتية.. الزردشتية تعبر عن ثنائية الحياة: الخير والشر، النور والظلام، العدل والظلم، المعرفة والجهل، النظافة والوساخة، الجمال والقبح وغيرها.

الأحرف المستعملة للكتابة من قبل الكورد والعرب والفرس والباكستانيين وغيرهم، هي احرف ارامية (كذلك تسمى احرف سريانية.. السريانية فرع للارامية) التي ابدعوها في القرن الثامن عشر

قبل المسيح.. في ايام "حجاج يوسف الثقفي" الذي كان والياً للأمويين في الكوفة خلال الأعوام 694-714 جرى تنقيطها وتأشيرها.. اما الكورد فقد اضافوا لها بعض احرفهم المتميزة: پ، چ، ڤ، ژ، گ، ڵ، ۆ، ڕ، ێ. من جهة أخرى بسبب تقدم الهند قديماً في مضمار الحساب، فقد اخذ الكورد والفرس والعرب وغيرهم ارقامهم التي تعود الى عصر ملك الهند الشهير "آشوكا" (273-232 قبل المسيح). ان الكتابة وتبادل الرسائل بين حكام بلدان الشرق الأوسط قبل المسيح وحتى القرن الثامن كانت باللغة الارامية.

نتيجة الحروب بين الامبراطوريتين الرومانية والساسانية وبالأخص معاركهم المستمرة خلال الأعوام 709-729 التي دمرت كثيراً من مدن وقرى بلدان الشرق الأوسط وبالأخص كوردستان، حيث كانت ميداناً لمعاركهما، انهكت قواهما واشاعت التذمر، خلقت الفرصة والمجال لقدوم قوى أخرى الى المنطقة.. هكذا انتهزت القبائل العربية البدوية لشبة جزيرة العرب تلك الفرصة السانحة لهم لاحتلال البلدان الواقعة شمال جزيرتهم بذريعة نشر وفرض الدين.. قامت تلك القبائل بنقل التراث الثقافي لشعوبها ومحاولة امحائها بغية فرض وتثبيت عقيدتهم عليهم.. مثال ذلك، قام "عمرو بن العاص" بحرق مكتبة الأسكندرية الثمينة عام 642، حيث كانت فيها مؤلفات عشرات من الفلاسفة والعلماء الاغريق امثال: طاليس، افلاطون، ارسطو، فيثاغورس، اوكليدس، ابيكورس، ارخميدس وغيرهم..

ان تلك القبائل العربية عندما احتلوا كوردستان تصرفت كما فعل عمرو بن العاص وغيره.. خربوا معابدها الزردشتية وامحوا كتابات الكورد ووثائقها التأريخية ودمروا تراثها الحضاري.. وبهذا الصدد تم العثور على قطعة جلد في كهف جيشانه قرب مدينة السليمانية مكتوب عليها شعر، ورغم عدم تدوين اسم الشاعر وتأريخ كتابته، يستنتج من مضمونه بأنها تعود الى اربعينيات القرن السابع.. ادناه نص الكتابة باللغة الكوردية وترجمتها الى العربية:

هورمزگان ڕمان ئاتران كژان
ويشان شاردەوە گەورەى گەوران
زۆركار ئارەب كردنە خاپوور
گناى پاڵەيى هەتا شارەزوور
شن وكنيكان وەديل بشينا
مێر وئازا تليوە ڕووى هوێنا
ڕەوشت زەردەشترە مانوو بێكەس
بزيكانيكا هورمزوە هيو چ كەس(5)

التـرجمة بالعربية:

دمرت معابد اهورمزدا واطفأت نيرانها
الكبار اخفوا انفسهم
العرب الظلام خربوها
اخذوا النساء سبايا
الرجل الشجاع كان يتلطخ في دمائه
بقي الزردشتيون دون اصحاب
ولم يرحم اهورامزدا احداً

الكورد يملكون تراثاً شعبياً غنياً من المهن الشعبية، الطب الشعبي، الفن الشعبي، الالعاب الشعبية، الأدب الشعبي وغيرها. كذلك لكون الأمة الكوردية امة زراعية منذ امد بعيد، فإنها اهتمت بالمناخ تقويما علميا رائعا، حيث بالمقارنة مع التقاويم العربية والسريانية واللاتينية (January - December) من حيث اسماء الأشهر والمضمون وثبات مواقع الأشهر ومطابقتها مع الفصول ومسميات الأشهر فإنه افضلها[7]. كانت لكوردستان منذ فترة بعيدة مراصد بدائية لدراسة الكواكب والنجوم، منها: مرصد "گرمو" على سفح جبل "سمرى رمش"، "لاجين" قرب مهاباد، "بارى" على جبل سوركيّو، "نينجكه" في شمال سقز، "دينەومرى" شرقي كرمانشا، "گلەزەردە" جنوب مدينة السليمانية وغيرها.

رغم ان بعضاً من اقسام الثقافة القومية الكوردية متقدمة قليلاً او كثيراً، للكورد أن يفخروا بها، لكنهم في مجال العلوم وعلم الصناعة (Technology) فإنهم في الخلف يحتاجون لعمل وجهد وراسمال واختصاصات اكثر بغية التطور والتقدم فيها.

فيما يأتي ملخص مركز عن اقسام المعرفة (Knowledge) الكوردية لإعطاء صورة عن مستواها والجوانب المتقدمة والمتخلفة فيها:

أ الأدب الكوردي: ظهر في الألف الأول قبل المسيح.. جمال ومتعة كوردستان والحياة الاجتماعية حرك شعور وعواطف الأدباء والمفكرين الكورد للتحدث والكتابة عنها، فكانت لهم اقوال مأثورة، حكم وامثال، اشعار وقصائد، قصص ومسرحيات، دراسات أدبية، نقد أدبي ومقالات.

للأدب الكوردي تراث غني من الأقوال المأثورة والحكم والأمثال.. انها منسقة وبليغة وذات معانٍ قيمة.. هي نتاج تجارب وخبر الأسلاف نتيجة كسب المعرفة.. لقد قالها مفكرو الكورد الواعون من الأسلاف وتناقلتها الأجيال الى ان ثم تدوين كثير منها ومن ثم طبعها.. منها معانيها واضحة ومفهومة، ومنها تتطلب الإمعان والشرح.. انها تتضمن العبر، التجارب، النصائح، التوجيهات، التعليمات.. وكذلك التحليل والتفسير والدراسة للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

الأقوال المأثورة والأمثال الكوردية تخص الوجود، الحكمة والعقلانية، طبيعة الانسان، العمل والفاعلية، الخبرة والتجارب، الواقع والواقعية، المعرفة وما شاكل.

فيما يأتي بعض من نماذج "الأقوال المأثورة" الكوردية وترجماتها العربية:

-"قسه بيكێشه، بيبێژه، بيوێژه"

اي: أوزن الكلام، غربله ثم قوله

-"ئەم دەست پێویستی به ئەو دەست نەبێت"

اي: لان لا تحتاج هذه اليد اليد الأخرى

-"سواری ئەسپی كەسانی دیكه بیت هەر پیادەیت"

اي: ان تركب حصان غيرك، فأنك تبقى مشاةً

-"دەوڵەمەندی كەم و كورتی دەپۆشێت"

اي: ان الغنى يغطي النواقص

-"قسەی كورت درێژ مەكە،

رێی نزیك دوور مەخەوە"

اي: لا تطول الكلام القصير،

ولا تبعد الطريق القريب.

هنالك المئات من تلك الأقوال المأثورة الكوردية.

اما الأمثال الكوردية (proverbs)، فمن حيث "الحكمة والعقلانية" فيما يلي بعض الأمثلة:

"ئەوەی نەكرێ نەوترێ"

اي: ما لا يمكن تنفيذه، لا ينبغي قوله

-"تەنیا سەیری بەرپێی خۆت مەكە"

اي: لا تنظر امام قدميك فقط

-"ماڵ بڕوا سەر نەڕوا"

اي: زوال المال لا زوال الحياة

-"پێ لە تەختەی رزیو مەنێ"

اي: لا تدس خشباً بالياً

-"هەل لە دەست خۆت مەدە"

اي: لا تفوت الفرص

-"تفەنگ بە تاریكییەوە مەنێ"

اي: لا تطلق في الظلام

-"زار ببیست مەبە، زگ ببین بە"

اي: لا تكن مصدق قول، بل مقصي الحقيقة

حول "الجوهر والأصل"، اليكم بعض الأمثلة الكوردية:

-"بە ڕواڵەت مەخەڵەتێ"

اي: لا تنخدع بالمظاهر

-"خووی شیری تا پیری"

اي: صفة الطفولة الى الكهولة

-"گندۆرە بە ڕەنگی نییە"

اي: ليست جودة البطيخ بلونه

-"گورگە لە پێستی مەڕدایە"

اي: انه ذئب في جلد خروف

بشأن "طبيعة ونفسية الانسان"، اقدم هذه الأمثلة الكوردية:

-"تێر ئاگای لە برسی نییە"

اي: الشبعان لا يحس بالجوعان

-"گلۆرەت كەوتە لێژی كەس

چاكت پێ نایەژێ"

اي: ان نكست فلا تستحسن من قبل احد

-"ئاگرە سوورە لە خۆم دوورە"

اي: مادامت النار بعيدة عني فلا يهم

-"چاكەی سەربەخۆ سەر بە خاوەنیەتی"

اي: عمل الفضيلة دون طلبها، يتحملها صاحبها

-"ئەگەر بە ماڵی بە مام وحاڵی، ئەگەر

بێ ماڵی بێ كەس وكاری"

اي: ان تكن ثرياً، يكن لك العم والمكانة،

ان تكن فقيراً لا يكون لك احد.

في ميدان "التجربة والخبرة"، فيما يلي بعض الأمثال الكوردية:

-"ئەوەی بكات بیانی پەرستی،

هەر دەهێنێت نوشستی"

اي: من يتبع الأجنبي يخسر حتماً

-"ئەوەی زۆر بڵێت، كەم كار دەكات"

اي: من يتحدث كثيراً يعمل قليلاً

-"خۆش باوەڕ تێدەکەوێت"

اي: سريع التصديق يتورط

-"دوژمن بوو بە پرد بۆت

بەسەریدا مەپەڕەوە"

اي: ان اصبح العدو جسراً لك فلا تعبره

"نان مەدە بە سپڵە"

اي: لا تعط الخبز لناكر الجميل

في ميدان "الواقع والواقعية" اليكم بعض الأمثال الكوردية:

-"سەد دەرزی گاسنێکی تێ نابێت"

اي: مئة ابرة لا تساوي محراثا

-"هەرکەسە بە دەردی خۆی دەناڵێت"

اي: كل من يعاني من مشاكله

-"بە گوڵێك بەهار نایەت"

اي: لا يأتي الربيع بوردة واحدة

-"درەخت بە گەورەیی ناچەمێتەوە"

اي: لا تنحني الشجرة عند الكبر

-"ئاو و ئاوەدانی"

اي: الماء والمأهولية

في اطار "النفع والعمليتية" (pragmatism) اعرض بعض الأمثلة الكوردية:

-"چۆلەکەیەکی دەست لە دەی دەرەوە باشترە"

اي: عصفور في اليد خير

من عشرة عصافير طليقة

-"نەداری بێ بەر، نە گوندی بێ سەر"

اي: لا شجرة غير مثمرة ولا قرية دون رئيس

-"باران بباریێت ئاشی دەگەڕێت،

باران نەبارێت جووتی دەگەڕێت"

اي: ان تمطر طاحونته تعمل،

ان لم تمطر محراثه تعمل

بصدد "المنطق والمعرفة"، اعرض بعض الأمثال الكوردية

-"قسەیەك بکە جێی خۆی بگرێت"

اي: قل شيئاً ينفع

-"بۆ هەر دەردە دەرمانێك"

اي: لكل داء دواء

-"پێویستی یەکەم مامۆستایە"

اي: الحاجة هي المعلم الأول

-"چی بچێنیت ئەوە دەدوریەوە"

اي: ما تزرع تحصد

-"هەر هەورازێك نشێوییەکی لە دوایە"

اي: لكل مرتفع منحدر

كذلك توجد أمثال كوردية لجوانب أخرى.. ما تم عرضها قليل من كثير.. قبضة من بالة كبيرة لالاف من الأقوال المأثورة والامثال الكوردية حيث لها مصادر كوردية مطبوعة عدة بأمكان الباحث الرجوع اليها والاستفادة منها.

الأدب الكوردي غني جداً في ميدان الشعر.. الشعر الكوردي يصنف الى: الشعر القومي، الشعر السياسي، الشعر الاجتماعي، الشعر الوطني، الشعر البطولي، الشعر الوصفي، الشعر الغرامي، الشعر الهجائي، الشعر الوقي، شعر الأناشيد وغيرها.

فيما يلي نبذة مختصرة جداً عن بعض الشعراء الكورد ونوعية اشعارهم:

يعتقد بأن زردشت (583-640 قبل المسيح) كان رائداً في مجال الفكر والعقيدة والادب.. بالاضافة الى كتابه الديني "ئاڤێستا" الذي يعتبر اول كتاب كوردي، فإن زردشت قد كتب جزءاً من "ئاڤێستا" باسم "گاتاكان" (الكاتات) بصيغة الشعر.. فيما يلي نموذج من اشعاره، يتبعه ترجمته العربية:

بەممە خشتەر ئاور و هە

نویت ئەو تەم ئانهە نویت گەرمەم

نویت زوروو ئانهە نویت مەتیوش

نویت ئەرسكوە دێوە ئەوداتوو(8)

اي: في مملكة جم الشهيرة

لا برد ولا حر

لا عجز ولا موت

لا حسد ولابخل

يذكر الدكتور "بلەچ شێرکۆ" في مذكراته، استناداً الى المستشرق الروسي "ڤلياسينوڤ"، بأن علماء الاثار عثروا على لوحة حجرية في شرق كوردستان عليها اسطر من شعر الشاعر الكوردي "بۆرا بۆز" يعود الى عام 330 قبل المسيح.. الشاعر في شعره يدعو حبيبته للعيش معاً والسفر الى المصايف والتمشي والتغني للبعض[9].

هنا والمجال لا يتسع لعرض نماذج لأشعار الشعراء الكورد وترجمتها، اكتفي بذكر اسماء بعضهم وفق تسلسلهم الزمني مع اعطاء فكرة عن نوعية واسلوب اشعارهم:

-"بابە لوورەی لوورِستانی" يعود الى القرن الثامن.. اشعاره تعبر عن الأسى والتذمر لما حوله من احوال سيئة[10].

-وكذلك "بالوول ماهي"، "بابة رەجەبی لوورِستانی"، "بابە حاتەمی لوورِستانی"، "بابە نجومی لوورِستانی" وآخرون كانوا شعراء ايام الشاعر "بابە لوورِستانی"[11].

-"عەلی تەرمووکی" ولد في قرية تەرمووك الواقعة بين ماكۆ و هەکاری.. بالاضافة الى اشعاره، هو اول من وضع القواعد الكوردية وقد كتب مذكراته ايضاً.. كانت اشعاره فيها الوصف والغرام وملامح قومية[12].

-"بابا تاهیری هەمەدانی" (935-1010) لأشعاره اوصاف جميلة وتعابير دقيقة ذات أحاسيس رقيقة.. كما تتسم بعضها بالواقعية.

-"بابا سەرهەنگی دەدوانی" (932-1020).. يعبر عن مشاعره وحسه القومي في احد اشعاره[13].

-"شاومیس ڤولی" في عام 1390 يعبر في اشعاره عن شعوره القومي ازاء هجمات ووحشية القبائل البدوية لـ"قەرەقۆین" و "ئاق قۆین" التركمانية[14].

-"مەلای جزیری" (1407-1481) ولد في الجزيرة (شمال كوردستان).. كان شاعراً عاشقاً للحرية والحق.. اشعاره قومية، صوفية وغرامية[15].

-"ئەحمەدی خاني" (1650-1707) هو رائد الشعر القومي الكوردي.. هو فخر لأمته حيث سبق

غالبية المفكرين والكتاب القوميين الأوروبيين وغيرهم.. له القصة الملحمية "مقم و زين" وقاموس "نەوبەهار"

-"نالی" (1797-1855) اسمه خدر احمد شاوەيس.. اشعاره تتسم بالبلاغة والفكر العميق والوصف الجميل.

-"وەلی دێوانە" توفي عام 1813 دون تحقيق امنيته في زواج البنت التي عشقها.. اشعاره غرامية تعبر عن مشاعره الصادقة.

-"مەولەوی" (1806-1882) اسمه عبدالرحيم سعيد.. في اشعاره احاسيس رقيقة واوصاف رائعة متاثرة بجمال طبيعة كوردستان.

-"حاجی قادری کۆیی" (1815-1882) هو رائد الشعر القومي لجنوب كوردستان.. سلك طريق احمدي خاني.. اضاف الطابع الثوري لاشعاره القومية.. يطالب بامحاء الظواهر الاجتماعية المتخلفة ويحارب الخرافات والمتاجرين بالدين ويقف ضد محتلي كوردستان ويرفض التبعية ويدعو مواطنيه رجالاً ونساءً التعلم والتسلح بالثقافة وبالاخص العلوم والاهتمام باللغة القومية.

-"مەحوی" (1830-1904) اسمه محمد ملا وسمان بالخي.. تجد الحكمة والبلاغة في اشعاره

-"شێخ رەزای تاڵەبانی" (1835-1910).. تشتهر اشعاره بالهجاء والطعن، حيث ملأ فراغا بهذا الصدد في الشعر الكوردي.

-"پیرەمێرد" (1867-1950) اسمه توفيق محمود آغا.. كان من ابرز كتاب عصره.. كان كاتبا وشاعرا وصحفيا وباعثا للأمثال والحكم الكوردية وعيد نوروز القومي.. كتاباته ومنها أشعاره لها طابع قومي يتصف بالفكر العميق والوصف البديع.. جعل بعض اشعاره اناشيد قومية ووطنية، منها "نەورۆز"، "کەدەڵێن" (عندما يقولون)، "خوایە وەتەن ئاواکەی" (يا رب عمر الوطن) وغيرها. كان لـ"پیرەمێرد" مطبعة وصحيفة "ژین".. اصدر الصحيفة لعشرات السنين.. له مئات من المقالات والاشعار والاقوال المأثورة.

-"زێوەر" (1875-1945).. اسمه عبدالله محمد ملا رسول.. اشعاره قومية واجتماعية.. كان له رد فعل قوي عن مظالم وغدر الأتراك بالكورد في شمال كوردستان وله شعر عنها.. كان دقيقاً في وصفه وتعبيره عن مشاعره.. جعل كثير من اشعاره اناشيد قومية منها: "نیشتمانم کوردستانە (وطني هو كوردستان)، "کوردستان شانازییە بۆمان" (كوردستان فخر لنا)، "ئەی کوردینە ئەی مەردینە" (ايها الكورد ايها الشرفاء)، "ئەی نیشتمان چەند خۆشەویستی تۆ" (يا وطن كم حبيبة انت) وغيرها.

-"احمد مختار جاف" (1897-1935) لاشعاره طابع قومي واجتماعي.. يؤكد على ضرورة التعلم ويعتبر الأمية عائقة للتحرر وينادي بالنهوض والنهضة.

-"بێکەس" (1905-1948).. اسمه فائق عبدالله.. اشعاره قومية واجتماعية وثورية.. ينادي مواطنيه التعلم والتحرر.. كان يؤمن بمساواة

الجنسين.. يوبخ بشدة الأنكليز لتقسيمهم كوردستان بعد الحرب العالمية الأولى وجعل الكورد تحت احتلال سلطات انقرة وطهران وبغداد ودمشق.

-"گۆران" (1905-1948).. اسمه عبدالله سليمان.. كان شاعر العصر والوصف والواقعية.. تعابيره رقيقة واوصافه دقيقة.

-"دلدار" (1918-1948).. اسمه يونس رؤوف.. اشعاره قومية وثورية واجتماعية.. احد اشعاره اصبح نشيداً قومياً ووطنياً باسم "ئەی رەقیب".

-"كامەران" (1929-1986).. اسمه محمد احمد طه.. له اشعار قومية.

-"بله" (1915-2000).. اسمه ابراهيم احمد..كان سياسياً وصحفياً وكاتباً وقصصياً، وكذلك شاعراً. تم جعل بعض اشعاره اناشيد واغاني وطنية.

-"هەژار" (1920-1991) اسمه عبدالرحمن شرف كندي.. هو من الشعراء القوميين الكورد.. وكذلك له كتابات وترجمات منها الكتاب التأريخي الكوردي "شەرەفنامە".. الف قاموس "هەمبانە بۆرینە".

-"هێمن" (1921-1986).. اسمه محمد امين موكري.. هو شاعر قومي.

-"شێرکۆ بێکەس" (1940).. اشعاره قومية فيها تعابير وافكار عميقة ورموز جميلة واوصاف رقيقة غنية بالمفردات.

-"خالد دلێر" (1932).. اشعاره قومية وثورية وسياسية.. له كتابات اخرى عن السياسة والنقد الأدبي.. حول بعض اشعاره الى اناشيد، منها "پێشمەرگەین".

-"عبدالله پەشێو".. شاعر قومي ثوري على قيد الحياة

هؤلاء بالاضافة الى عشرات من الشعراء الكورد الاخرين داخل كوردستان او خارجها، اللذين بسبب معاناتهم وامتهم من اضطهاد وظلم محتلي كوردستان وحرمانهم من حقوقهم والتمتع بوطنهم الجميل كوردستان.. او بسبب الغربة والبعد عن الوطن والأهل.. او احداث وماسي الحياة التي اثرت في احاسيسهم وبلورت افكارهم كونت منهم شعراء او فنانين.

اما القصة الكوردية التي هي جزء من الادب الكوردي، فقد كانت للكورد منذ زمن بعيد قصص شعبية تداولتها الاجيال الكوردية شفاهاً الى ان تم تدوين بعضها بخط اليد ومن ثم طبع قسم منها خلال القرن العشرين.. القصص الكوردية ملحمية، اجتماعية، بطولية، قومية، سياسية، هزلية، مأساوية وغيرها.

نتيجة تطور التعليم والدراسة والمستوى الثقافي لأبناء كوردستان وتأسيس المطابع فيها، فقد تقدمت القصة الكوردية في النصف الثاني من القرن العشرين وبرز قصاصون كورد منهم: جميل صائب، ابراهيم احمد، حسين عارف، جمال بابان، احمد محمد اسماعيل، هەوری، محمد رحيم رمضان، علاءالدين سجادي، كاوس قفطان، كاكه مەم بوتاني، محمد مولود مەم، محمد على كوردى، محمد صالح سعيد، عرب شمو، محرم محمد امين، حسن جاف، فائق كاك امين، محمد موكري وعشرات من القصاصين الاخرين في كوردستان وخارجها. الجدير

بالذكر بأن القصص الكوردية ليست غنية كالأقوال المأثورة والأمثال والأشعار الكوردية.

للكورد مئات من القصص مليئة بالمعاني والدروس.. بعضها تتحدث عن حوادث تأريخية وتاثيرات اجتماعية ونفسية.. منها ما تم طبعها واخريات تنتظر طبعها.. قسم من القصص الكوردية تظهر الحياة الأجتماعية للمجتمع الكوردستاني ومنها ما يعبر عن البطولات والمواقف الجريئة لمواطنيها بوجه بربرية المحتلين.. كما ان بعضا من القصص الكوردية ينم عن الحكمة والعقلانية.

اما المسرحيات الكوردية التي هي جزء من الادب الكوردي فهي تلك القصص المكتوبة خصيصاً للمسرح تتسم بالحيوية والحركات تنفذ عن طريق التمثيل من قبل اشخاص.

القصص المسرحية والتمثيل المسرحي بدات في بداية القرن العشرين في جنوب كوردستان.. بما ان كثيراً من الأعمال والانشطة الثقافية والسياسية في العصر الحديث قد بدات في شمال كوردستان قبل الأجزاء الأخرى منها، كذلك فالمسرحية الكوردية لربما بدات هنالك، لا يتوفر لدى مصدر للأشارة اليه بهذا الخصوص.

بدا العمل المسرحي في جنوب كوردستان في مدينة السليمانية عام 1922 بمسرحية بأسم "قراليچه" عرضت في ميدان "ئەسحابە سپی".. شارك في المسرحية كل من نوري شيخ صالح، زێوەر، صالح قفطان، كريم زانستی ورؤوف شيخ صالح.

يمكن تصنيف المسرحيات الكوردية على النحو التالي:

-المسرحيات التراثية المأخوذة من القصص التراثية كمسرحية "مەم و زين"، "شيرين و خەسرەو" و غيرها

-المسرحيات القومية عن كفاح الأمة الكوردية من اجل التحرر والاستقلال

-المسرحيات الاجنبية المترجمة الى اللغة الكوردية كمسرحية "نيرون" وغيرها

-المسرحيات الوضعية التي هي من ابداع الكتاب الكورد

من الكتاب المسرحيين الكورد: فؤاد رشيد بكر، شيخ سلام، پيرەمێرد، رفيق چالاك، فتاح كريم كاوه، كامل ذيبر، مصطفى قرداغي، ابوبكر جلال، حەمە كريم هەورامى، شعبان مزيرى، جليل زەنگەنە، محەمەد موكرى وعلي كريم وعشرات غيرهم في كوردستان او خارجها.

هنالك من يعتقد بأن المسرح الكوردي قد بدا مع الاحتفالات بعيد نوروز بشكل شعبي.

بشأن "الدراسات الأدبية الكوردية" التي هي جزء من الأدب الكوردي، خاصة بدراسة جوهر النتاجات الأدبية الكوردية.. تدرس طريقة وأسلوب صياغتها وغايتها وهدفها.. تحقق في مستوى ونوعية العمل الأدبي ودرجة ابداعه الفني.. عن اي معنى وفكر وخيال وعاطفة وشعور يعبر.. الى اي حد حقق الأديب النجاح من تصوراته.. مدى انسجام واتساق كلماته مع معانيها.. اي جمال يلاحظ في الأنتاج الأدبي.

تطورت الدراسات الأدبية الكوردية بفضل ظهور الطباعة ونشر المطبوعات من كتب ومجلات وجرائد من جهة، والدراسات الأدبية الجامعية من قبل الأكاديميين الكورد والأجانب من جهة أخرى. ان ما قام به الأدباء والباحثون الكورد والأجانب عن الأدب الكوردي تعوزها جهود ودراسات كثيرة اخرى بغية اغناء الأدب الكوردي في هذا المضمار.

"الدراسات الأدبية" عن الأقوال المأثورة والأمثال الكوردية، عن الشعر والقصة والمسرحية الكوردية قد تطورت في النصف الثاني من القرن العشرين بشكل كتب، اطروحات ماجستير ودكتوراه في الجامعات الكوردستانية والأجنبية او بشكل دراسات في المجلات والجرائد الكوردستانية والأجنبية.. هنا لا يسع المجال لسرد معلومات عن تلك الدراسات، ولكن من المفيد ذكر بعض المجلات الكوردية التي وردت فيها دراسات ادبية كوردية وهي على سبيل المثال لا الحصر: مجلة گلاويژ، مجلة شەفەق، مجلة طەلاويذي نوێ، مجلة سەردەم، مجلة پەیڤین ومجلات وجرائد كوردستانية واجنبية كثيرة اخرى.

"النقد الأدبي" هو جزء من الأدب الكوردي.. عمل أدبي يقوم الناقد فيه بتقييمه من حيث الجودة والتأثير والابداع والجمال من جهة، ومن حيث الضعف والنواقص وعدم الأتقان من جهة أخرى. النقد الأدبي طريقة وواسطة لتطوير وتقدم الأدب. ينبغي أن يكون الناقد الأدبي مختصاً وموضوعياً.. عليه اتباع طريقة البحث العلمي في عمل النقد الأدبي.

لحد الآن ما تم من نقد أدبي لنتاجات الأدباء والكتاب الكورد ما هو الا قليل من كثير.. فكثير من أعمال النقد الادبي بانتظار النقاد الكورد.. كثير من اعمال النقد الادبي الكوردي تم في النصف الثاني من القرن العشرين سواء بشكل دراسات مختصرة في المجلات والجرائد الكوردية، او بشكل كتب او اطروحات ماجستير والدكتورا في الجامعات الكوردستانية او الاجنبية.. لا يسع المجال هنا ذكر بعضها، بامكان الباحث الرجوع الى المصادر وتلك الجامعات.

واخيراً "المقال" هو جزء من الأدب الكوردي.. هو فن النثر، صياغة قصيرة عن موضوع ما، فيه الوحدة (oneness) والتلخيص والتنظيم.. له بداية ووسط ونهاية.

المقال انواع: موضوعي، ذاتي.. ادبي، فني، علمي، فلسفي.. سياسي، اجتماعي، اقتصادي، نفسي، لغوي وماشابه. المقال الموضوعي يتجنب الذاتية والعاطفة والخيال اللامعقول.. غالباً له طابع المعرفة.. مضمونه ثقافية ومنطقية.. اما المقال الذاتي ففيه الذاتية الصرفة والعاطفة والخيال.. يتعلق بالحياة الخاصة للناس.. عن معاناتهم وتمتعهم، املهم وطموحهم، مواقفهم، حبهم وحقدهم، انفعالاتهم وانحرافاتهم وغيرها.

بظهور الطباعة والمطبوعات في كوردستان في النصف الأول من القرن العشرين وتطورها في النصف الثاني منه، تطور وازدهر المقال الكوردي.. اخذ المقال الكوردي طريقه في النشر في الجرائد والمجلات

الكوردية في كوردستان وخارجها، منها على سبيل المثال لا الحصر: جريدة ژين، مجلة گلاويژ، شەفەق، هيوا، نووسەرى كورد، كۆڕى زانيارى كورد، كوردستاني نوێ، گەلاوێژى نوێ، ئالاى ئازادى، مجلة سەردەم، زانستى سەردەم، پەيڤين، خاك، سلێمانى، ئاينده، برايەتى، گولان، ڕامان وكثيرات غيرها.

ب-الفنون الكوردية:هي جزء من المعرفة (Knowledge) الكوردية.. قسم منها متقدم قطع مراحل كثيرة، والآخر يتطلب جهداً وعملاً ومتطلبات كثيرة بغية تطوره.

جمال طبيعة كوردستان وحيوية ابنائها خلق من بعضهم فنانين في ميادين الأغنية والدبكة والرسم والموسيقى والنقش والنحت والخط والتزيين والتصوير والتمثيل وغيرها.

للكورد عشرات من الدبكات تتسم بالسرعة والحيوية والأيقاع المنظم.. من انواع الدبكات الكوردية: سێ شەی، چەپى، ڕاسته، سووسكەيى، شێخانى، فەقييانى، هەرێ گولێ، لۆشانۆ، گولێ شێنى، شنجاني، بابلۆكان، دۆلافێ، گەردوون، ڕۆينه وكثيرات غيرها. ان الدبكات الكوردية فيها ابداع وفن وتنسيق بامكان المتمرسين المهرة والفنانين اداؤها.

مناظر كوردستان الرائعة، تغاريد القبج والعندليب والبلابل وطيورها الأخرى، خرير مياه جداولها، نسيمها وشحيح اوراق واغصان اشجارها جعلت من بعض الكورد مغنين بارعين يعبرون عن افراحهم واتراحهم عن حسراتهم وامانيهم بأصواتهم الشجية.. فهنالك اغانٍ كوردية سريعة مفعمة بالحيوية للأفراح والدبكات، واخرى بطيئة مرحة تعبر عن الأحاسيس والعاطفة.. اغانٍ كوردية شعبية تراثية واخرى حديثة من حيث الكلمات واللحن والموسيقى.. اغانٍ فردية واخرى جماعية.. اغانٍ غرامية، قومية، وطنية، سياسية، ملحمية وغيرها. من المطربين الكورد اللامعين هذه الأيام: مەزهەرى خاليقى، شڤان، مەرزيه، لەيلا، ناسرى ڕەزازاى، حوسێنى شەريفى، مريەمى ئيبراهيم پوور، زەكەريا عەبدوڵلا، حەسەن گەرميانى، ئەزدەر وەهبى، عەدنان كەريم، ئەردەلان، بهجت يحي، محمد ڕەئووف كەركووكى، كەريم كابان، دياري قەرەداغى، پەيوەند جاف، ئازاد خانەقينى، عادل هەورامى، ميكائيل سنەيى، حەمە جەزا وعشرات غيرهم.

بالأضافة الى الأغاني الكوردية، توجد عشرات من الأناشيد الكوردية الحماسية السريعة.. اغلبها اناشيد قومية، وطنية واخريات خاصة بالشهداء وتمجيد البطولات ووصف جمال ومعالم الوطن.

الكورد منذ القديم عشاق للموسيقى واللحن الشجي والنغمة الرقيقة مليئة بالحيوية والدفء والمتعة.. لكوردستان الاتها الموسيقية من الات القرع والنفخ والأوتار منها "دەهۆڵ" (طبل)، "زوڕنا" (مزمار)، "دەف"، "شمشاڵ" (ناى)، "تەنبوور"، "ساز"، "سيتار" وغيرها. من الموسيقيين الكورد من اصبح فناناً بجهوده الذاتية ومنهم من اصبح

موسيقياً عن طريق الدراسة في المعاهد والكليات الفنية. هنالك فرق موسيقية كوردستانية كثيرة، منها: فرقة مەولەوی، فرقة السليمانية، فرقة سؤلاڤ كركوك، فرقة پاشای گەورەی رەواندز، فرقة باواجي، فرقة هونەری هەولێر، فرقة دهۆك، فرقة كامكاران، فرقة گروهی باراني كرمانشا، فرق محطات تلفزيون كوردسات، كوردستان، ميديا (الان رۆژ) وفرق اخرى كثيرة داخل وخارج كوردستان. من رواد الموسيقيين الكوردستانيين: ويليەم يوحەننا، فرەنسيس داود، فەريد عيسا، باكووری، شەوكەت رەشيد واخرون الذين كانت لهم المبادرة في تطوير وبعث الموسيقى الكوردستانية. هنا ينبغي ذكر البعض من الموسيقيين الكورد الذين خدموا الموسيقى الكوردية وطوروها ولهم مشاركات فعالة في هذا المضمار، منهم: انور قەرەداغي، قادر ديلان، خالد سەركار، سينا جيهاد نەبادی، دلشاد سەعيد، وريا كۆيی، وعشرات غيرهم.

في ميدان التمثيل (acting) الذي هو جزء من الفنون الكوردية، بدأ الكورد العمل في هذا الميدان عن طريق المسرحيات التي بدأت في المدارس.. وهنالك من يعتقد بأن التمثيل عند الكورد قد بدأ ضمن فعاليات الاحتفال بعيد نوروز القومي.. الجدير بالذكر ان بعضاً من نتاجات الأدب الكوردي كملحمة "مەم و زين" لأحمدی خانی (1650-1707) فيها عناصر مسرحية.

في عام 1922 قام عدد من معلمي المدارس في مدينة السليمانية تقديم مسرحية "ڤراڵيچە".. مسرحية اخرى باسم "نێرۆن" قدمت في عام 1926 وهي من اخراج الأستاذ فؤاد رشيد.. مسرحيات اخى قدمت في مدن الكوردستان.. تطورت المسرحية الكوردية والتمثيل الكوردي في النصف الثاني من القرن العشرين.. تم عرض كثير من المسرحيات على المسرح وشاشة التلفزيون.. للمسرحيات الكوردية طابع قومي واجتماعي وسياسي وثقافي وتربوي.. ثم عرض الأحداث والنكبات والمظالم التي تعرضت لها الأمة الكوردية من قبل محتلي كوردستان، منها حملات الابادة الجماعية والأنفال والقمع والتشريد والتعريب والتتريك والتفريس واحوال المعتقلين الكورد في سجون الأعداء وصمودهم ومتانة ايمانهم بقضيتهم العادلة ومعنوياتهم العالية.

في الربع الأخير من القرن العشرين وبسبب التطور وتخرج الالاف من الكورد من المعاهد والكليات الفنية، حصل انعطاف نوعي جديد للتمثل الكوردي.. المخرجون والممثلون الكورد بدأوا بأنتاج افلام قصيرة وطويلة وتلفزيونية ووثائقية.. بالرغم من انتاجهم لكثير من الأفلام الجيدة، فان صناعة السينما في كوردستان بحاجة الى راسمال والات متطورة وستوديوهات ودور سينما راقية واسواق لتصريف الافلام.

بالاضافة الى الأفلام الوثائقية والتلفزيونية، فأن افلام السينما الكوردية في تطور.. فأفلام "رێكە"

(الطريق)، "مێگەل" (القطيع)، "ساتێ بۆ مەستی ئەسپەکان" (ساعة لمرح الخيول)، "مامە ڕيشە"، "طردی ئیرۆز" (التل المقدس)، "کێژاو" (لوافة)، "ڕۆشنا"، "نەێنی" (سر)، "تۆڵە" (ثأر)، "بەهەشتێکی سووتاو" (جنة محروقة)، "مەرگی ئەرخەوانی" (موت ارجواني)، "فرمێسکي ڕەش" (دموع سوداء)، "کۆتاییەکان" (النهايات)، "بەهێمنی هەنگاو بنێ" (تقدم بخطوات هادئة) وعشرات غيرها.

اما النقش الكوردي فله طابع قومي يتميز عن نقوش الشعوب الأخرى.. يوجد الرسم بشكل نقوش في بعض المداخل والأقواس وعلى جدران بعض البيوت والابنية في كوردستان، بالاضافة الى نقوش السجاد والغطية والحصران.

ما يتعلق بفن "الرسم" الذي هوجزء من الفنون الكوردية، فقد بدأ بالجهود والذوق الشخصي للفنانين الكورد حيث تقدم قدر قابلياتهم ومهاراتهم.. ثم عن طريق الدراسة في المعاهد والكليات الفنية في كوردستان وخارجها، فأن الرسم الكوردي تطور اكثر وبشكل اكاديمي. من الرسامين الكورد الذين لهم نتاجات ومشاركات كثيرة في المعارض داخل وخارج كوردستان هم: حسن فلاح، ازاد شوقي، علي جۆلا، محمد عارف، اسماعيل عارف، سمكو توفيق، عطا قزاز، لاله عەبدە، عزيز سليم، سليمان شاكر، جمال بختيار، نوري اسماعيل، حمة كاكه، سامان كريم، عبدالله رسول، اسماعيل خياط وعشرات اخرين.. منهم طبيعيون، تعبيريون، واقعيون، خياليون، رمزيون، تجريديون وغير ذلك.

بشأن "النحت الكوردي" الذي هو جزء من الفنون الكوردية، فقد ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين حيث تم نصب بعض التماثيل في الميادين والمداخل والصالات من قبل النحاتين الكورد.. من النحاتين الكورد في جنوب كوردستان: دارا حمه شعيد، بيان فرج، بيان ماني، فريدون ميرخان، شوان كمال، كوسرت جمال غفور وكثيرون اخرون.. ينبغي القول بأن النحت الكوردي يعوزه الكثير فهو غير متقدم.

كذلك للكورد فنانون في ميدان الكرافيك والسيراميك.. منهم في جنوب كوردستان هيوا محمد علي، قادر ميرخان، حمه سعيد محمد، هيوا عبدالله وغيرهم.

اما فنون التصوير والخط والتزيين (decoration) فانها تطورت في كوردستان في النصف الثاني من القرن العشرين حيث برز مئات من الفنانين الكورد في تلك الميادين.

ان الفنون بشكل عام تتقدم في كوردستان.. بعضها متقدم كالدبكات والأغاني والموسيقى والرسم.. والبعض منها يتطلب عمل وجهود كبيرة لتطويرها.. ومن اجل ذلك يحتاج الى رأسمال، دراسات عليا، سوق، حوافز ومكافآت والنقد الفني.

ج-الكورد والعلوم: تشكل العلوم جزءاً من المعرفة.. لكون الكورد ومنذ القديم امة زراعية، والزراعة تتطلب الخبرة والمعرفة عن التربة والبذور

والشتال والسقى والسماد وغيرها، لذلك فالكورد ومنذ القديم لهم معرفة عن الزراعة والري والمناخ والتقويم والكواكب والحساب.. بالاضافة الى معرفتهم عن الامراض ومعالجتها بالأدوية النباتية وتجبير العظام.. كذلك لهم خبرة ومهارة في الغزل والنسج والصباغة وعمل الصمغ وغيرها.

الأمة الكوردية كالأمة العربية والتركية والفارسية واغلب امم العالم لم تكن رائدة وواضعة للعلوم بشكلها الأكاديمي.. ان الأوروبيين هم من وضعوا العلوم في قالبها الأكاديمي حيث تطورت وازدهرت معظمها في القرن العشرين.

للكورد مئات الالاف من خريجي الجامعات والآلاف من الأختصاصيين والعلماء في العلوم الأجتماعية والطبيعية والرياضية والعلمية.. مئات منهم يعملون في الجامعات والمؤسسات الأوروبية والامريكية والكندية بالاضافة الى الآلاف اللذين يعملون في كوردستان. توجد كثير من المطبوعات العلمية في كوردستان بشكل كتب ومجلات وكراسات ورسالات علمية.

د-الكورد والفلسفة: الفلسفة هي جزء من المعرفة.. الكورد كالأمم الجارة ومعظم أمم العالم لا تملك فلسفة اكاديمية كاملة معترف بها كالفلسفات البراكماتية والوجودية والتجريبية والواقعية والوضعية والديالكتيكية الموضوعية والديالكتيكية المادية والنقدية والشكية وغيرها.. لكن الكورد يملكون خزينة من الحكمة وعناصر الفلسفة في تراثهم الزردشتية والبعض من امثالهم واشعارهم.

الكورد قبل الزردشتية كانوا عبدة الطبيعة وبالأخص الشمس.. لا شك ان في عبادة الشمس نوع من الحكمة والمنطق، حيث لولا الشمس لما كانت الحياة على الأرض. وبعد ذلك ومنذ القرن السادس قبل المسيح اعتنق الكورد الديانة الزردشتية.. الزردشتية تعبير عن ثنائية معالم الحياة من نور وظلام، خير وشر، عدالة وظلم، محبة وحقد، نظافة ووساخة الى اخرها.. هذه الثنائية موجودة في الكون والحياة والمجتمع واية مادة.. الجدير بالذكر ان وجود الأضداد في الاشياء والطبيعة والمجتمعات هي من اسس الفلسفة الدياليكتيكية لهيطل والفلسفة المادية الدياليكتيكية لماركس وانجلز.

التعليمات الزردشتية ومنها: الفكر الجيد، القول الحسن، العمل والفعل الخير هي مقومات اخلاقية.. هنا ينبغي التذكير بأن بعض الفلاسفة امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم قد اعطوا اهمية بالغة للأخلاق. كما توجد الحكمة وطابع الفلسفة في بعض الاقوال المأثورة والأمثال والاشعار الكوردية لا يسع المجال لسرد نماذج عنها وبأمكان الباحث الرجوع اليها.

4-التقاليد الكوردية: هي جزء من الثقافة القومية الكوردية تأثرت بالتراث والبيئة الأجتماعية وطبيعة كوردستان من جهة، والأقطاعية والعشائرية والزردشتية والمسيحية والاسلام من جهة أخرى.

التقاليد الكوردية تشمل الجوانب الفكرية والعقائدية للعادات الكوردية.. هي من تركات

الاسلاف وسلوك جاهزة للأجيال.. عدم اتباعها يعتبر تقصيراً وانحرافاً وخروجاً عن السائد.. الشعارات الدينية، طريقة العبادة، الاحتفالات العامة، اسلوب دفن الموتى، التعزية وماشاكلها نماذج للتقاليد.

الأمة الكوردية كالأمم الأخرى لها بعض التقاليد البالية.. هنا ينبغي القول بأن تغيير وتقدم التقاليد والمكونات الأخرى للثقافة القومية بطيئة جداً بعكس تغيير وتقدم الجوانب المادية لحياة المجتمع. من قيود وعراقيل تقدم امة ما، تعلقها الشديد بالتقاليد والعادات والقيم الأجتماعية المتخلفة والمعتقدات الخرافية.

من التقاليد المتخلفة في كوردستان التي لاتزال سارية عند البعض من الكورد الجهلة، هي تسمية اطفالهم بأسماء عربية.. عندما كانت الأمة الكوردية حرة وكوردستانها غير محتلة كانت اسماء ابناءها كلها كوردية صرفة ومن امثلتها: سواره، پيرمام، شوان، باپير، مەرەوان، برزۆ، سەردار، شاسوار، شێروان، بێگەرد، گوڵناز، ناز، ستێر، گوڵچين، پيرۆز، ئارى، خونچە، مامز، وهكذا.

نتيجة التعلم وانتشار الثقافة والتطور، حل الفكر القومي والعلمي محل الفكر الخرافي والتبعية، بدا الكورد منذ اربعينيات القرن العشرين تسمية اطفالهم على نطاق واسع باسماء كوردية رقيقة ذات معانى لطيفة ومحترمة كـ: دانا، زانا، توانا، ئازا، ئازاد، سەرکەوت، رەنج، رەند، مەند، تاڤگە، تريفە، تارا، ناسك، ناز، راز، نازدار، پەرى، زێ والاف غيرها.. حلت هذه الاسماء الرائعة محل اسماء غير كوردية مستهجنة وسخيفة.

تقليد متخلف اخر عن بعض الكورد كما متبع عند العرب والأتراك والفرس ولربما بتأثير الدين، استعمال القسم كثيراً دون ضرورة وفي غير محلها كالقسم بـ: الله، الشهداء، راس الوالد الى آخره. القسم عند الضرورة وفي مكانه مشروع كالقسم في المحكمة، قسم الوزير والسفير والحاكم واعضاء البرلمان وخريجي الكليات العسكرية والطب والشرطة كعهد منهم لأداء واجباتهم باخلاص ونزاهة.

ظاهرة المغالاة في اقامة التعزية تقليد متخلف آخر، حيث تثقل كاهل صاحب التعزية بدلاً من تخفيفه.

من جهة اخرى ان كثيراً من رجال الدين الكورد المتعلمين ببغائيا، قليلى الثقافة والوعي يقرأون "التلقين" في المقبرة بعد دفن الموتى باللغة العربية، بدلاً من اللغة الكوردية يفهمها الحاضرون.. ان اجراء "التلقين" باللغة الكوردية في الاونة الأخيرة في ازدياد مستمر.

5-العادات الكوردية: هي جزء من الثقافة القومية الكوردية.. انها انعكاس ونتاج للبيئة الاجتماعية والطبيعية لكوردستان من جهة، ومخلفات الاقطاعية والعشائرية والديانات الزردشتية والمسيحية والاسلامية من جهة أخرى.

العادات موروثة من الاسلاف.. تطورها وتقدمها بطيئة جداً، بعكس تغير وتقدم الحياة المادية للمجتمع.. ما تكون مقبولة من اقوال وافعال عند المجتمع تفرض انفسها وتصبح عادة.

الملابس القومية، نوعية المأكولات والمشروبات وكيفية تحضيرها، شكل الزواج، روابط القرابة، طريقة واسلوب العمل وتأدية الواجبات، شكل ونوع المسكن والاثاث البيتية وغيرها تختلف، قليلاً او كثيراً، من مجتمع الى مجتمع اخر.. بعض العادات جيدة ومقبولة واخريات سيئة ومتخلفة.. من العادات الجيدة للكورد هي: السخاء، الضيافة، الفضيلة، التعاون، احترام المسن، الرحمة، اللطافة، النظافة، النشاط وغيرها.. اما العادات السيئة عند البعض من الكورد فهي: الكسل، الكذب، المخادعة، الثأر، تصرفات خرافية ومثيلاتها.

6-القيم الاجتماعية الكوردية: هي جزء من الثقافة القومية الكوردية.. بقدر تقدم الثقافة والحضارة في كوردستان تتقدم قيمها الاجتماعية.. القيم الاجتماعية هي اساس الأخلاق وتؤثر في السلوك والمواقف.

القيم الاجتماعية تتركز في "الخير" و"الجمال" و"الحقيقة".. ان الأوضاع الأقتصادية – الاجتماعية – السياسية – الثقافية هي عوامل لتحديد القيم الاجتماعية. نلاحظ بأن تغير وتقدم تلك القيم، بعكس تطور الحياة المادية، هي بطيئة جداً.. سبب ذلك هو ان البناء والتقدم والتقليد المادي اسهل واسرع من تغيير وتطوير نفسية الانسان من سلوك وعمليات عقلية. ان التعلق الشديد بالتقاليد والعادات والقيم الأجتماعية وبطأ تطورها لا تسير بشكل متوازي مع سرعة التقدم المادى لحياة المجتمع.

أن القيم الاجتماعية عند الكورد بشكل عام معتدلة وفيها الكثير من الجوانب الجيدة والمعقولة.. وهذا يعود الى قناعتهم بحياتهم وانسانيتهم بسبب وفرة خيرات ومياه وثروات كوردستان وجمال طبيعتها.

7-الأخلاق الكوردية: هي جزء من الثقافة الكوردية.. هي تطبيق للعقيدة والقيم الأجتماعية.. متأثرة بالعوامل والأوضاع الأقتصادية – الأجتماعية – السياسية – الثقافية وتؤثر فيها.. بعض من السذج ممن لا يفهمون الأخلاق بشكل صحيح، يعتقدون خطأ بأن الأخلاق خاصة فقط بالجنس (sex)، بالشرف واللاشرف.

لغاية بداية الثمانينات من القرن العشرين، اسمت اخلاق غالبية ابناء كوردستان بالأخلاق الحسنة.. نتيجة ترحيل الملايين من الكورد من قراهم وبلداتهم الى المجتمعات القسرية وما رافقها من عمليات التعريب والتتريك في شمال وجنوب كوردستان، حولوا من منتجين الى مجرد استهلاكيين، حيث اثرت في اخلاق بعض منهم بشكل سلبي.. حولتهم من العصامية وذوي عزة النفس والحياء الى الأتكالية وعمل كل ما من شأنه اعاشة عوائلهم.

بعد انتفاضة عام 1991 وتحرير قسم كبير من جنوب كوردستان وعودة غالبية الكورد المرحلين الى قراهم وبلداتهم واعادة بناءها، بدأت اخلاقهم تعود الى سابق عهدها بشكل تدريجي.

8-العقيدة والدين عند الكورد: هي جزء من الثقافة الكوردية.. كثير من الكورد بدلاً من اهتمامهم بجوهر وغاية الدين وهي الأخلاق الرفيعة والسلوك الجيد، فأنهم يهتمون بمظاهرها وطرق العبادة.. عقيدتهم مليئة بالخرافات والآراء المتخلفة.

انه لفخر للكورد بأنهم على مدى تأريخهم الطويل لم يكونوا عبدة اصنام.. عبادة الأصنام تنم عن الجهل والغباوة وظلام الفكر.. الأمة الكوردية قبل اعتناقها الديانة الزردشتية، كانت عابدة للطبيعة وبالأخص الشمس حيث فيها نوع من الحكمة والمنطق، اذ لولا الشمس لما كانت الحياة على الأرض.. وبعد ذلك ومنذ القرن السادس قبل المسيح اعتنق الكورد الديانة الزردشتية.. الديانة الزردشتية تعبير عن ثنائية الوجود والحياة من نور وظلام، خير وشر، فضيلة ورذيلة، عدل وظلم، ايجاب وسلب، نظافة ووساخة، محبة وحقد، نشاط وكسل، انتاج واستهلاك وهكذا.

عندما جعل الكورد اسلاماً بحد السيف في اربعينيات القرن السابع، فأنهم علموا طريقة العبادة فقط.. ابعدوا عن شؤون وادارة البلاد والاصلاح.. ان غالبية رجال الدين الكورد اتبعوا المذهب الشافعي او الجعفري.. لم يتمكنوا من ايجاد مذهب خاص ومستقل بالكورد بأسم مثلاً "مذهب عبادة الله" ويجعلوا الأذان والوضوء والصلاة والتلقين باللغة الكوردية.. ويبعدوا المواطن الكوردستاني عن الخرافات والبدعات السخيفة وزيارة القبور والتميمة وتجار الدين من الشيوخ والدراوشة.

قسم من الكورد مسيحيون ويزيدون (الأصح يزدانيون).. من المحتمل أن يكون اليزدانيون بقايا للأسلاف الزردشتيين.. صمد المسيحيون واليزدانيون بوجه الحملات والاعتداءات وبقوا على ديانتهم. كلما تقدم الكوردستانيون في ميدان الثقافة والحضارة، كلما ابتعدوا عن الخرافات والخيالات اللامنطقية.. ينبغي ان يكون الدين وسيلة للأصلاح ومعالجة المشاكل الأجتماعية وتطور الأمة الكوردية.

9-التراث الكوردي: يشكل جزءاً من الثقافة القومية الكوردية.. هو نتاج الأسلاف تراكم بمرور الأزمان وانتقل من جيل الى اخر حتى وصل الينا.. من مكونات التراث الثقافي الكوردستاني ماهي اصيل وجوهري تلائم كل العصور والأجيال ويستفاد منها.. ومنها ماهي جوفاء ومتخلفة عائقة ومعرقلة للتقدم.

في ميدان الفكر والعقيدة والأدب، للكورد تراث غني تجده في الأقوال المأثورة والأمثال والاشعار الكوردية ومخلفات العقيدة الزردشتية حيث فيها حكمة وخبرة ومعرفة عن الحياة والطبيعة والواقع.

كما للتراث الثقافي الكوردي لغة كوردية غنية بمفرداتها، رقيقة بألفاظها ونقية لخلوها من الكلمات الأجنبية.. اللغة الكوردية من حيث الاملاء والقواعد والمفردات تخلو من الشواذ، سهلة التعلم، اصوات حروفها رقيقة لا غلاظة فيها.. للكورد ان يفتخروا بها.

في ميدان الفنون، للكورد تراث غني من الدبكات والاغاني والوسيقى.. لهم الات موسيقية قومية كـ"دههۆڵ" (طبل)، "زورنا" (مزمار)، "شمشال" (ناي)، "ساز"، "تەنبوور"، "سيتار"، "دەف" وغيرها.

بشان التراث المعرفي فالأمة الكوردية كونها اقدم امة زراعية لها خبرة ومعرفة بشأن الزراعة والري

وتربية المواشي والنحل وغيرها.. كما لها خبرة في الطب الشعبي، تجبير العظام، معالجة الأمراض بالأدوية النباتية، الطقس والمناخ.. لها افضل تقويم علمي من حيث اسماء الشهر ومحتوياته وثبات مواقعها وتوافقها مع الفصول.

للكورد تراث غني في ميدان المهن الشعبية كالبناء، الحدادة، النجارة، الأواني، صياغة الذهب، صياغة الفضة والنحاس، الغزل، النسيج، النقش، السراجة، السجاد، القماش وغيرها.

10-طريقة الحياة: هي جزء من الثقافة القومية الكوردية.. تتعلق بالعلاقات الأجتماعية للعائلة والقرابة والعمل والتسويق والأنشطة الرياضية والترفيهية وغيرها، نوعية التعامل والسلوك والمواقف، الأسرار والنيات والأهتمامات والطموح.. انها متأثرة بالظروف والأحوال الأقتصادية – الأجتماعية – السياسية – الثقافية.

هنالك جوانب لشكل وطريقة الحياة فرضتها محتلي كوردستان على الأمة الكوردية، وجوانب هي من اختيار وتراث الكورد وفق مستواهم الثقافي والوعي. غالبية الكورد مقتنعون بالحياة البسيطة الهادئة والمريحة.. لا يتهافتون على اقتناء المال والثروة كأبناء الدول الصناعية.. لولا ظلم وقمع اعتداءات محتلي كوردستان على الكورد، فان حياتهم بسبب سعة مساحة كوردستان وقلة نفوسهم نسبياً وكثرة ثرواتهم ومواردهم ووفرة مياههم، لكانت في افضل الأحوال.

بعض من الكورد لا يهتمون كثيراً بتحسين وتطوير حياتهم.. انتاجهم وابداعهم قليل.. استعدادهم للتضحية في سبيل تحرير كوردستان محدود.. نادراً ما يتوجهون صوب المعرفة.. فكرهم وعقيدتهم ليست قومية ولا علمية.. مواقفهم وقراراتهم ارتجالية وساذجة.. سلوكهم ومعاملاتهم خشنة.

لكن تعامل غالبية الكورد مع الآخرين لطيفة.. سلوكهم حسنة، علاقاتهم مع الأقرباء والاصدقاء متينة.. يحترمون المسن والضيف والأجنبي.. يودون التطور والتقدم.. يعملون من أجل تحسين حياتهم.. يتعاطفون مع بعضهم البعض.. يتسمون بالسخاء وحسن الضيافة.. يتعاونون فيما بينهم.. يحبون امتهم الكوردية ووطنهم كوردستان ويعملون من اجلها ويضحون لها.. لا يطمعون في مال وارض الغير.. يهون النزهة والسفر والسياحة.. نشطاء ومنتجون.. يتعلمون سريعاً.. اجتماعيون يواكبون حضارة وثقافة العصر.. يحبون الحرية والنظافة والتنظيم.. يسيرون للأمام وآفاق حياتهم نيرة ومضيئة.

الهوامش

1-من الأفضل كتابة كلمتي "كورد" و "كوردستان" هكذا لكي لا تقرءا من قبل البعض بتسكين الكاف جهلاً.

2-كلمة "العالمية" لـ (globalism) افضل واصح من كلمة "العولمة".

3-يسمونها العرب "الوضعية" خطأ

4-سيتن لويد، آثار بلاد الرافدين ترجمة سامي الأحمد بغداد 1980 ص 300.

5-رشيد ياسمى كورد ص 129 – باللغة الكوردية

6-الأشهر (January - December) لاتينية وليست انكليزية كما لا يعرفها الكثيرون.

7-فؤاد طاهر صادق، رؤشنبيريمان 2004 ص 218-234 باللغة الكوردية.

8-سديق بؤركەيى، تأريخ الأدب الكوردي م -1 1970 ص 27 باللغة الكوردية.

9-انور مائى، الأكراد في بهدينان ص 196.

10-سديق بؤركەيي، تأريخ الأدب الكوردي، م -1 1970 ص 53 باللغة الكوردية.

11-نفس المصدر ص 47، 55، 58 و 60

12-اللغة والأدب الكوردي، 1970 ص – 53 باللغة الكوردية.

13-حسين مدنى- كوردستان وستراتيجية الدول، المجلد – 2 ص 358 باللغة الكوردية

14-نفس المصدر ص – 359

15-اللغة والأدب الكوردي 1970 ص – 71 باللغة الكوردية

تنويه

في الدراسة التأريخية الموسومة "الحضارة القديمة لكوردستان" التي نشرت في العدد 6 من مجلتنا، حصل بعض الأخطاء المطبعية معظمها بسبب اختلاف "طاقم الحروف المطبعية الكوردية" (font) عن العربية وبسبب عدم استعمال الزر المطلوب.. ادناه تفاصيل تلك الأخطاء:

الصفحة	السطر	
158	12	الحديثة وليست الحديث
160	6	جرمو و ليست ضرمو
160	9	تپەكور و ليست تثةكور
160	13	زاوي چمي وليست زاوى ضمى
160	15	بالگين و ليست بالطيف
161	7	گاليسكه وليست طاليسكه
161	34	گريگورسى، گريگورس وليست طريطورسى، طريطورس
161	47 و 48	پ، چ، ژ، ڤ، گ، ڵ، ۆ، ڕ، ێ وليست ث، ض، ذ، ظ، ط، لا، ؤ، ر، آ
162	12	(بعد كلمة خلق) فراغا إداريا و عسكريا وافسح المجال لقوى أخرى
162	52	عرضة وليست عرضته
163	12، 13، 43	بلدات وليست بلدان
163	54	قمچوغه وليست قمضوغة

بدايات الصراع السني الشيعي في العراق

د.فرست مرعي

مدير مركز الدراسات الكوردية

جامعة دهوك

كان الشيعة في العراق يتركزون في منطقتين هما الكوفة معقلهم الرئيس والجانب الغربي من بغداد الذي يطلق عليه ربض الكرخ[1]. وكانت علاقتهم مع اهل السنة في حقيقة الامر ودية يغلب عليها الهدوء، واستمر الامر على هذا المنوال الى ان دخل الديالمة البويهيون بغداد سنة 334هـ وسيطروا على مقاليد الامور، وكانوا يعتنقون المذهب الزيدي، حيث سبق للداعي العلوي الحسن بن علي الاطروشي الزيدي ان دخل الى بلاد الديلم، وتشير كثير من المصادر الى ان عدداً كبيراً من سكان تلك المنطقة قد اسلموا على يديه، وبأنه كان السبب الذي ادى الى انتشار الاسلام وشيوع المذهب الزيدي في تلك المنطقة الوعرة الواقعة جنوبي غرب بحر قزوين ولكن بعد دخول بني بويه الى بغداد وسيطرتهم على الاوضاع فيها تبين انهم انتقلوا من مذهبهم الزيدي الى مذهب الروافض الاثني عشري، وهذا ما بدا واضحاً في الاجراء القاسي الذي ارتكبه الى مذهب الروافض (الاثني عشري)، وهذا مابدا واضحاً في الاجراء القاسي الذي ارتكبه احمد بن بويه بحق الخليفة العباسي المستكفي بالله عندما امر غلمانه الديالمة بسحب الخليفة على الارض بعد ان وضعوا عمامته في عنقه ثم ساقوه مشياً على الاقدام، حيث اغتيل بدار معز الدولة، وقد نهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء، ولعل من الاسباب التي دفعت معز الدولة لفعل تلك الرغبة في الانتصار لرئيس الشيعة الامامية في منطقة الكرخ المعروف بعلي الشافعي الذي كان يثير الفتن الطائفية بين السنة سكنة الجزء الشرقي من بغداد (الرصافة)

والشيعة سكنة الجزء الغربي (الكرخ) مستغلاً سيطرة البويهيين، وهذا مادفع الخليفة وقد بلغه الامر ان يأمر باعتقاله وعدم قبول شفاعة من حاولوا اطلاق سراحه، اذ تبين لهم مدى تمسك الخليفة بمذهب اهل السنة مما برر القول بأنه كان (سنياً يحقد على الروافض).

واستمر الدعم البويهي للشيعة الروافض، وهذا ماحدا سكان ربض الكرخ الغالب عليه التشيع الى القيام بكثير من الاعمال المناوئة لأهل السنة التي اصبحت منطلقاً للفتن والاضطرابات الطائفية خلال العصر البويهي، التي حدثت في بغداد اعتباراً من سنة 338هـ وانتهاءً بالعصر البويهي في سنة 447هـ عندما دخل السلاجقة بغداد بقيادة السلطان طغرل بك يتبين بأنها تربو على سبع وثلاثين[2].

والانكى من ذلك فقد استحدث البويهيون طقوساً جديدة اصبحت بمرور الزمن احد الموروثات العقدية عند الشيعة، ومن هذه الطقوس: البكاء والنواح في 10 محرم. ففي محرم سنة 352هـ امر معز الدولة احمد بن بويه بأن تغلق المتاجر في بغداد وان توقف حركة البيع والشراء في الاسواق (وان تخرج النساء منشرات الشعر ومسودات الوجوه مشقوقات الجيب يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، فعل الناس ذلك ولم يكن للسنية (اهل السنة) قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم)[3].

وفي الثامن عشر من ذي الحجة سنة 352هـ امر معز الدولة بإظهار الزينة في بغداد وان تفتح الاسواق بالليل كما في الاعياد، وان تضرب الدبادب (الطبول) والبوقات، وان تشعل النيران في ابواب الامراء والقادة وعند اصحاب الشرطة فرحاً بعيد الغدير (غدير خم)، فكان كما وصف المؤرخ الدمشقي ابن كثير (وقتاً عجيباً مشهوداً وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة)[4].

وفي سنة 372هـ مات عضد الدولة البويهي فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه ودفن بمشهد علي رضي الله عنه، وهو الذي ادعى بأنه اظهر قبر علي بن ابي طالب الى الوجود وبنى عليه مشهداً[4]. وبذلك يعد عضد الدولة اول ملك دفن عند مشهد علي بن ابي طالب وبنيت له مقبرة خاصة به. وقد ذكر ابن الجوزي بأنه كتب على لوح قبره: (هذا قبر عضد الدولة، وتاج الملة ابي شجاع ركن الدولة، احب مجاورة هذا الامام المعصوم لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وصلاته على محمد وعترته الطاهرة)[6].

وبدفن عضد الدولة في النجف استحدث طقس جديد الا وهو الدفن في النجف بجانب مشهد الامام علي، حيث اصبحت رغبة وامل كل شيعي في العالم ان يدفن في مقبرة النجف من اجل ان يحصل على شفاعة علي بن ابي طالب يوم القيامة، واصبح من القناعات الراسخة لدى غالبية الشيعة بأن علي بن ابي طالب سوف يقوم يوم الحساب على ابواب الجنة ليكون شفيعاً لشعيته وانصاره عند الله يوم القيامة[7]، وقسيم الجنة والنار.

وهكذا استطاع الديالمة البويهيون استحداث اربعة طقوس جديدة سرت في الفكر الشيعي سريان النار في الهشيم واصبحت فيما بعد عند الشيعة علماء وعامة كأنها عقائد موروثة منذ بداية ظهور المذهب في نهاية القرن الثاني الهجري.

ظهور المرجعية الشيعية وعوامل التجاذب والتنافر فيها

لم يكن للطائفة الشيعية مرجعية متعارف عليها كما عليه الآن. فالطائفة الامامية نمت وتطورت من حزب سياسي في منتصف القرن الاول الهجري الى فرقة وطائفة لها مرتكزاتها العقدية الخاصة بها في بدء القرن الثالث الهجري، وكانت النظرية الامامية مفتوحة وممتدة من عهد الامام علي رضي الله عنه الى يوم القيامة وبعبارة اخرى انها لم تكن محصورة في عدد محدد من الأئمة او فترة زمنية مختصة، والتراث الشيعي حافل بمئات الروايات التي تؤكد على استمرار الامامة الى يوم القيامة لذا فلم تكن هناك حاجة لمن ينوب عن الامام، فسلسة الأئمة تترى. ولكن وصول نظرية الامامة الى طريق مسدود بعد وفاة الامام حسن العسكري في سنة 260هـ من غير ولد يخلفه[8]، وقيام جعفر بن علي الهادي اخي الحسن بأخذ تركته. كل ذلك ادى الى تفجر ازمة عنيفة في صفوف الشيعة الامامية الموسوية الذين كانوا يعتقدون بضرورة استمرار الامامة الى يوم القيامة، وقد رافق هذه الازمة حدوث نوع من الحيرة والغموض والتساؤل داخل صفوف الشيعة مما ادى الى تفريقهم الى اربع عشرة فرقة[9]، كل يقول براي مختلف، فذهب بعضهم الى القول بإمامة اخيه جعفر، فيما ذهب بعضهم للالتحاق بالمحمدية الذين قالوا باختفاء السيد محمد (محمد بن علي الهادي) وانكروا وفاته، وقال قسم منهم بانقطاع الامامة، وانكر بعضهم وفاة الحسن العسكري، وقال بعضهم بعودته الى الحياة مرة اخرى، وقال آخرون بوجود ولد له في السر، ولد في حياته على اختلاف في الروايات في سني ولادته، او بعد وفاته، وانه المهدي المنتظر[10].

وقد استطاع دهاقنة الشيعة ان يخرجوا الشيعة من هذا المأزق الخطير بأقل الخسائر من خلال الأدعاء بأنه ولد للامام الحسن العسكري قبل وفاته بسنتين او ثلاث، او خمس، أو ست، او ثماني سنين، ويقولون بأنهم قد شاهدوه في حياة ابيه و انهم على اتصال به، ويطلبون من عموم الشيعة التوقف والبحث والتفتيش عنه او التصريح باسمه ويحرسون ذلك وكانوا يفسرون ادعاء جارية العسكري صقيل بوجود الحمل عند وفاة العسكري بأنه محاولة منها للتغطية على وجود الولد في السر.

ومن ذلك الوقت عرف هؤلاء الذي ادعوا بوجود ولد مغمور للامام حسن العسكري بالطائفة الاثني عشرية.

وكان اصحاب ادعاء وجود ولد للحسن العسكري هم انفسهم الذي ادعوا النيابة عنه ويطلق الشيعة عليهم (النواب الأربعة) الذي ادعوا النيابة عن المهدي في فترة الغيبة الصغرى من سنة 260هـ الى

سنة 329هـ، اذكان هؤلاء النواب يزعمون مشاهدة المهدي المنتظر واللقاء به وايصال الاموال اليه ونقل الرسائل و(التوقيعات) منه الى المؤمنين به.

وهؤلاء النواب هم:

1-عثمان بن سعيد العامري توفي في سنة 262هـ.

2-محمد بن عثمان بن سعيد العامري الملقب بـ(الخلاني) توفي سنة 305هـ.

3-الحسن بن روح النوبختي توفي سنة 325هـ.

4-علي بن محمد السمري (الصيمري) توفي سنة 329هـ[11].

والى جانب هؤلاء (النواب الأربعة)، فقد ادعى النيابة حوالي اربعة وعشرين رجلاً آخر من اصحاب الامامين علي الهادي والحسن العسكري، او من اتباعهم كالحسن الشريعي، ومحمد بن نصير النميري، ومحمد بن علي الشلمغاني ابن ابي العزاقر، وابو دلف الكاتب، والحسين بن منصور الحلاج[12] وغيرهم.

وقد اختلف الشيعة الامامية القائلون بوجود الامام الثاني عشر فيما بينهم حول صدق اولئك النواب وصحة ادعائهم النيابة، فذهب فريق الى تصديق (النواب الأربعة) الاوائل، وذهب فريق آخر كالنصيرية (العلوية) الى تصديق الحسن الشريعي ومحمد بن نصير النميري، فيما ذهب آخرون الى تصديق مجموعة أخرى[13].

ولابد من دراسة ظاهرة ادعاء النيابة عن الأئمة في التاريخ الشيعي، كالذين ادعوا النيابة عن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق الذي ادعى كثير من اصحابه استمرار حياته وغيبته ومهدويته، وكان منهم محمد بن بشير الذي ادعى النيابة عنه، ثم اورث النيابة ابناءه واحفاده مثلما فعل عثمان بن سعيد العامري الذي ادعى نيابة المهدي المنتظر كما اسلفنا، ثم اورث النيابة ابنه محمداً.

ويبدو ان دعوى النيابة كانت تجر مصالح مادية ومكانة اجتماعية سياسية للمدعي، ولاسيما ان المدعي كان يهمس بها في السر وينهى عن التحقق في دعواه، وقسماً منهم كانوا يتعاطون اعمال السحرة لاثبات دعوى نيابتهم.

ومن الجدير ذكره ان احد الباحثين الشيعة يذكر بهذا الصدد: (اذا كنا نتهم ادعياء النيابة الكاذبين بجر النار الى قرصهم، وبالحرص على الأموال والارتباط بالسلطة العباسية القائمة يومذاك، فإن التهمة تتوجه ايضاً الى اولئك (النواب الأربعة) الذين لم يكونوا بعيدين عنها)[14].

يقول احد ادعياء النيابة وهو محمد بن علي الشلمغاني الذي كان وكيلاً عن النائب الثالث الحسين بن روح النوبختي في بني بسطام (مادخلنا مع ابي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر (النيابة) الا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف)[15].

وهكذا استطاع دهاقنة الشيعة تمرير مخططهم في ادعاء النواب الأربعة النيابة الخاصة عن المهدي المزعوم، وتمكنوا بهذه الطريقة من السيطرة على الموارد المالية للطائفة الشيعية من زكاة وخمس

وغيرها للفترة من 260هـ ولغاية 329هـ اي ما يقارب من السبعين عاماً.

وللباحث ان يتساءل لماذا حدد فلاسفة الشيعة سنة 329هـ كنهاية للغيبة الصغرى وبداية للغيبة الكبرى؟ علماً بأن تبريراتهم بخصوص بداية الغيبة الصغرى تجد القبول على اساس ان الحسن العسكري قد توفي سنة 260هـ، وابتكروا له النظرية الجنينية اي وجود جنين في بطن احدى جواريه. ومهما يكن من امر فلا توجود اجابات محددة عند علماء الشيعة بخصوص تحديد بداية الغيبة الكبرى، هل جاءت من المهدي نفسه؟ ام ان هناك عوامل او دوافع اقتضت هذا التاريخ، منها الظرف الصعب الذي كانت تمر به الخلافة العباسية حيث تم سمل عيني الخليفة الراجي بالله في سنة 329هـ وتولى الحكم المتقي بالله، او انه انهم حددوا هذا التاريخ على اساس ان مجموعة من علمائهم توفوا في هذا التاريخ، منهم النائب الرابع علي بن محمد السمري (الصيمري)، والكليني صاحب الكافي، وعلي بن الحسين بن بابويه القمي، او انهم كانوا على دراية بأن الوقت قد حان لمجيء البويهيين للاستيلاء على بغداد وجعل مقدرات الخلافة العباسية تحت حكمهم وهو ما حصل فقد سيطر البويهيون بقيادة احمد بن بويه على بغداد في سنة 334هـ اي بعد خمس سنوات من بداية الغيبة الكبرى.

ولكن يظهر ان بداية الغيبة الكبرى ترافقت مع الانتهاء من كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ووفاته في السنة نفسها وتعليق المهدي على هذا الكتاب بأن (الكافي كاف لشيعتنا)[16]، ولو ان الكليني انتهى من هذا الكتاب قبل هذه الفترة لكانت الغيبة قد تحددت في موعد آخر. وبمجيء الغيبة الكبرى اصبح الشيعة لأول مرة بغير امام معصوم وبغير نيابة واضحة لاسيما وان النواب الأربعة قد توفوا، لذا سادت في هذه الفترة نظرية الانتظار وهي النظرية التي جلبت للشيعة مآزق كثيرة اقلها خروجهم من التاريخ فلا جمعة، ولا جهاد ولا امر بمعروف ولانهي عن منكر الا بحضور الامام الحجة المهدي المنتظر، وكان الزمن كفيلاً بعلاج هذا المأزق عند علماء الشيعة، فبين الفينة والاخرى يخرج عالم بنظرية تؤكد بأنه ينوب عن المهدي في مسألة معينة كالخمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون سفك الدماء، او صلاة الجمعة، وبعبارة اخرى اصبح كبار علماء الشيعة هم مراجع للطائفة نيابة عن المهدي، ولكن كثرة المراجع خلفت مأزقاً جديداً ولتلافي هذه المشكلة استحدث العلماء نظرية الأعلم، وفي الحقيقة لا توجد ضوابط محكمة يستطيع الباحث ان يدلي دلوه في ضوئها، فالمؤثرات الذاتية والعرقية لها اثرها في هذا المضمار.

وهكذا سادت نظرية الانتظار رغم وجود عدة دول شيعية حكمت كالبويهيين من سنة 334هـ لغاية 447هـ، والسرداريين في اقليم خراسان شرق ايران، والدولة المشعشعية في اهوار العراق وايران.

ومما تجدر الأشارة اليه ان الفكر السياسي الشيعي بعد الغيبة الكبرى عام 329هـ اصبح يعيش خارج الزمن (التاريخ) رغم حكم بعض الدول

الشيعية كالبويهيين والمشعشعين والسربداريين، غير ان اطلاع علماء ومتكلمي الشيعة[17] على النظرية السياسية الاسلامية عند علماء اهل السنة ومحاولة ايجاد صيغة ما توافقية بين الفكر السياسي السني وما يسمى بنظرية النيابة عندهم، جعلهم يحاولون الخروج من القوقعة التي اوقعوا انفسهم فيها، فنظرية النيابة وانتظار الأمام الغائب! التي التزموا بها جعلهم لا يسهمون بأي شكل من الاشكال في جهاد الكفار والمنافقين[18] التي هي ذروة سنام الاسلام فضلاً عن الاسهام في عملية التغيير الاجتماعي نحو الأفضل، وبعبارة اخرى فإنهم بتروا نظرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قانون الأمر بالمعوف والنهي على المنكر باللسان واليد فقط دون اليد التي تفضي الى اراقة الدماء عن طريق السلطان[19] وهكذا ينطبق الأمر على تعليق مهمة تنفيذ الحدود اي تحريم اقامتها والأنتظار الممتد الى خروج المهدي[20] والى عدم اقامة صلاة الجمعة[21].

ولكن الغريب ان الناحية المالية من الخمس وغيرها كان لها شأن آخر، فمع أن علماء الشيعة عطلوا الكثير من الأحكام الاسلامية المعلومة من الدين بالضرورة كالجهاد واقامة الحدود وصلاة الجمعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الا انهم استطاعوا الى حد بعيد ابتكار نظريات اجتهادية الواحدة تلو الأخرى في الناحية المالية فقط، وهذا الذي يجعل الباحث في حيرة من امره، فلماذا تعطيل الجهاد والحدود والجمعة؟ والابقاء على الأحكام المالية كالخمس وغيرها؟

وآية الخمس نزلت في غنائم الحرب، وهي صريحة جلية واضحة وضوح الشمس يعرف مدلولها كل من لديه المام باللغة العربية وهي:

"واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل إن كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان...(سورة الأنفال الآية 41)"

وكان علماء الشيعة الى نهاية القرن الخامس الهجري موافقين في تفسيرهم للآية المذكورة مع تفسير علماء اهل السنة، ولكن متأخريهم حوروا الخمس من الغنائم في الحرب الى ارباح التجارة (لغرض في انفسهم) ففسروا الغنيمة بالأرباح وقالوا "ان كل ربح يعتبر غنيمة ويشملها الخمس ثم اضافوا ان هذا الخمس يجب ان يعطى الى الامام الغائب وبما ان الأمام غائب فيجب اعطاؤه الى الفقهاء (النواب) الذين هم نوابه"[22].

وهكذا الزموا الشيعة بدفع الضريبة المالية التي ما انزل الله بها من سلطان، وهكذا ضمن مراجع الشيعة لأنفسهم مورداً مالياً لا ينضب وكنزاً لا يفني على حد تعبير الموسوي[23].

وقبيل وفاة النائب الرابع علي بن محمد السيمري بشهور قليلة يقال بأن رقعة وصلة اليه بتوقيع المهدي! جاء فيها: "لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الا بعد ان يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفتر"[24].

ويلاحظ أن فلاسفة الشيعة ومتكلميهم كانوا السابقين الى النظرية الجدلية (الديالكتيكية) قبل

ظهورها على يد الفيلسوف الألماني هيكل، فكلما تتولد نظرية ما يلاحظ بروز نقيضها وهكذا دواليك، فما ان ظهرت نظرية المهدي المنتظر حتى برزت الى الوجود نظرية النيابة الخاصة بالنواب الأربعة، وما ان حلت الغيبة الكبرى 329هـ حتى تولد نقيضها وهي نظرية التقية والانتظار التي اثرت على الفكر الشيعي تأثيراً كبيراً، ولولا ظهور الدولة البويهية الشيعية بالتوازي مع بدء الغيبة الكبرى لكان مصير الفرقة الاثني عشرية الى زوال كوصيفاتها من الفرق الشيعية الأخرى البائدة التي دخلت في ذمة التاريخ.

ولعلها لم تكن مصادفة هي ظهور المصنفات الشيعية الكبيرة في العصر البويهي حيث ازدهرت حركة التأليف عندهم بسبب تشجيع ودعم البويهيين لعلماء الشيعة وحمايتهم من جوانب عديدة بعد ان كانوا مضطهدين ومطاردين من قبل الخلافة العباسية لافكارهم الهدامة وطروحاتهم الغريبة عن الفكر الاسلامي، فكان أن تفرغ علماء الشيعة لمباحثهم الفقهية ونظرياتهم الجدلية، رافقها انشاء مدارس عديدة (حوزات)، كان من ثمارها ظهور المصنفات الحديثة الثلاثة: من لا يحضره الفقيه لعلي بن بابويه القمي الملقب بـ(الصدوق) المتوفى سنة 381هـ، والاستبصار، وتهذيب الأحكام لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة 460هـ.

وكان متكلمو الشيعة وفلاسفتهم سباقين الى الاستفادة من الفكر المعتزلي الذي انكفأ على نفسه بعد ان بلغ الذروة في عهد المأمون العباسي المتوفى سنة 218هـ والمعتصم المتوفى سنة 227هـ والواثق المتوفى سنة 234هـ، فأحيوا هذا الفكر من جديد بما يخدم اصولهم كالإمامة وغيرها من النظريات التي طرحها متكلموا الشيعة، واستطاعوا الى حد بعيد تطويعها بما يخدم توجههم العقدي والتاريخي والفلسفي[25].

وهناك نقطة على جانب كبير من الأهمية وهي ان الأفكار الغريبة تنمو وتتبلور في ظل الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي، وهذا مابدا واضحا في العصر العباسي الثاني (فترة التدخل التركي) بعد 247هـ وما رافقها من ظهور حركتي القرامطة والزنج اللتين عاثتا في الأرض فساداً وارهقتا الدولة العباسية ارهاقاً شديداً حيث ساد ذعر وقلق اجتماعي كان كفيلاً بإنتعاش الأفكار والحركات الهدامة، واستطاع العالم الشيعي محمد بن يعقوب الكليني الاستفادة من هذا الوضع الحرج والمثالي بالنسبة له، بتمرير افكار غريبة وهدامة تتقاطع مع ابجديات الفكر والفقه الاسلامي من خلال كتابه (الكافي)، ولم يكن بإستطاعته فعل ذلك لو كان النظام السياسي مستقراً ورغم ذلك فإن الدولة العباسية لاحقت في الوقت نفسه عدداً من هؤلاء الزنادقة والملحدين كالحراج والشلمغاني، حيث تم اعدام الأول في سنة 309 هـ والثاني في سنة 322هـ بتهمة الزندقة وتناسخ الارواح والادعاء بحلول الله جلت قدرته فيهما، علما بأن المذكورين كانا من ادعياء النيابة الخاصة للمهدي المزعوم، وكان

الشلمغاني ينافس النوبختي النائب الثالث على النيابة، فضلاً على ان سيرة النواب الأربعة حتى في المصادر الشيعية لم تكن سليمة الى حد كبير وانما يشوبها الدجل والشعوذة.

السلم الكهنوتي عند النصارى والشيعة

الكنيسة الكاثوليكية	الثورة الايرانية الشيعية	الحوزة العلمية في النجف
البابا	مرشد الثورة الايرانية* (الولي الفقيه)	مرجع الطائفة الاعلى
الكاردينال	آية الله العظمى (المرجع)	اية الله العظمى (المرجع)
البطريرك	آية الله	آية الله
الاسقف	حجة الاسلام والسلمين	حجة الاسلام والمسلمين
القس	ثقة الاسلام	ثقة الاسلام
الشماس الانجيلي	الفاضل	الفاضل
الشماس	محصل (المشتغل)	محصل (المشتغل)

*وقد كان الخميني قد طبق نظرية ولاية الفقيه في الواقع بعد ان كانت مجرد نظرية وعد نفسه نائباً عن المهدي المنتظر، الذي يعد نائباً عن الرسول ومن ثم عن الله جل شأنه. اما البابا فهو ينوب عن السيد المسيح على اساس انه رئيس كنيسة القديس بطرس الذي هو نائب عن السيد المسيح ورئيس الحواريين وللامانة العلمية فإن هذا السلم الكهنوتي قد ابتكر على يد الصفويين كما هو ديدنهم في ادخال طقوس اخرى الى الفقه الشيعي كالشهادة الثالثة (اشهد ان علياً ولي الله) والسجود على التربة الحسينية وغيرها. وقد اشار المفكر الايراني علي شريعتي الى تأثر الصفويين بالنصارى من حيث تسلسل مراتب رجال الدين عندهم، كما انه يشبه المنصب الديني للمجتهد الشيعي بالبطريرك او الاسقف او الكادرينال. انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، تقديم ابراهيم دسوقي شتا، ترجمة حيدر مجيد، دار الامير بيروت – لبنان، الطبعة الاولى 1422هـ-2002هـ، ص 239، 278.

الهوامش

1-بني ربض الكرخ على السوق الذي امر ببنائه الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور سنة 157هـ الى الجنوب الشرقي من مدينة بغداد الذي توسع مع مرور الوقت واصبح من المحلات الاربعة المهمة الكثيفة السكان، والى الغرب من الكرخ تقع منطقة برثا التي يحتل مسجدها مكانة خاصة عند الشيعة بسبب زعمهم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه صلى في موضعه وهو في طريقه لحرب الخوارج في النهروان، وبذلك اصبح المكان له قدسية خاصة عندهم!! وهذا مما دعا الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ)الى هدم المسجد وتسويته بالأرض وبقي خراباً الى ان اعاد بناءه امير الامراء بجكم التركي سنة 328هـ انظر (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 79/1، 109).

2-انظر بهذا الصدد مسكويه: تجارب الامم؛ ابن الجوزي: المنتظم؛ ابن الأثير: الكامل في التأريخ؛ ابن كثير: البداية والنهاية؛ والشيء بالشيء يذكر فما ان جاءت الثورة الايرانية بقيادة الخميني حتى بدأت الفتن الطائفية بين الشيعة واهل السنة تطل برأسها من جديد في الباكستان وافغانستان وفي غيرها من بقاع الوطن الاسلامي والفتنة نائمة لعن الله من ايقظها.

3-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 331/5؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 243/11؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، 89/2.

4-الذهبي: العبر في خبر من غبر، 90/2؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 243/11.

5-الذهبي: المصدر نفسه، 138/2.

6-ابن الجوزي: المنتظم في التاريخ.

7-ابراهيم الحيدري: تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقي، لندن، 252.

8-احمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، 96.

9-النوبختي: فرق الشيعة، 2؛ الاشعري القمي: المقالات والفرق، 19.

10-احمد الكاتب: المرجع السابق، 96.

11-الصدوق: اكمال الدين، 5.3.

12-لقد ادعى هذا الشخص حلول الله فيه وثبت للدولة العباسية انه جاسوس باطني للدولة العبيدية (الفاطمية) ولذا حاكمته محكمة عباسية واصدرت عليه حكما بالاعدام في سنة 309هـ، وان غالبية المتصوفية يدعون بأنه احد اوليائهم! كما ثبت ان علي الشلمغاني ادعى هو الاخر القول بالتناسخ وان الله حل فيه، ولذا حاكمته محكمة عباسية واصدرت عليه حكماً بالقتل سنة 322هـ.

13-المرجع السابق، 154.

14-احمد الكاتب: المرجع السابق، 225، 226.

15-الطوسي: الغيبة، 241.

16-بلغ عدد احاديث كتاب الكافي اكثر من 16 الف حديث منها 5072 حديثا صحيحا مقابل 9480 حديثا ضعيفاً انظر (الخوانساري: روضات الجنات، 553)؛ ومما تجدر الاشارة اليه ان النجاشي (احد علماء الرجال عند الشيعة) ذكر ان الكليني جمع كتابه هذا في عشرين سنة. انظر (الرجال: 266)، ويعلق احد كتاب الشيعة على كثرة الروايات الضعيفة في كتاب الكافي، ووجود روايات تؤكد وقوع التحريف في القرآن لماذا لم يتصل الكليني بالمهدي عن طريق النائب الثالث والرابع النوبختي والسيمري (الصيمري)؟ انظر (احمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى الى ولاية الفقيه، 232).

17-لم ينجح متكلمو الشيعة في تطوير نظرية دستورية اسلامية تخدم اي غرض عملي، انظر تراث الاسلام العدد 234 الجزء الثاني، سلسة عالم المعرفة الكويتية.

18-الطوسي، محمد بن حسن: الغيبة، ص 64.

19-الصدوق: اكمال الدين، ص 59-94.

20-المرتضى: رسالة في الغيبة/ رسائل الشريف المرتضى ج2 ص 298.

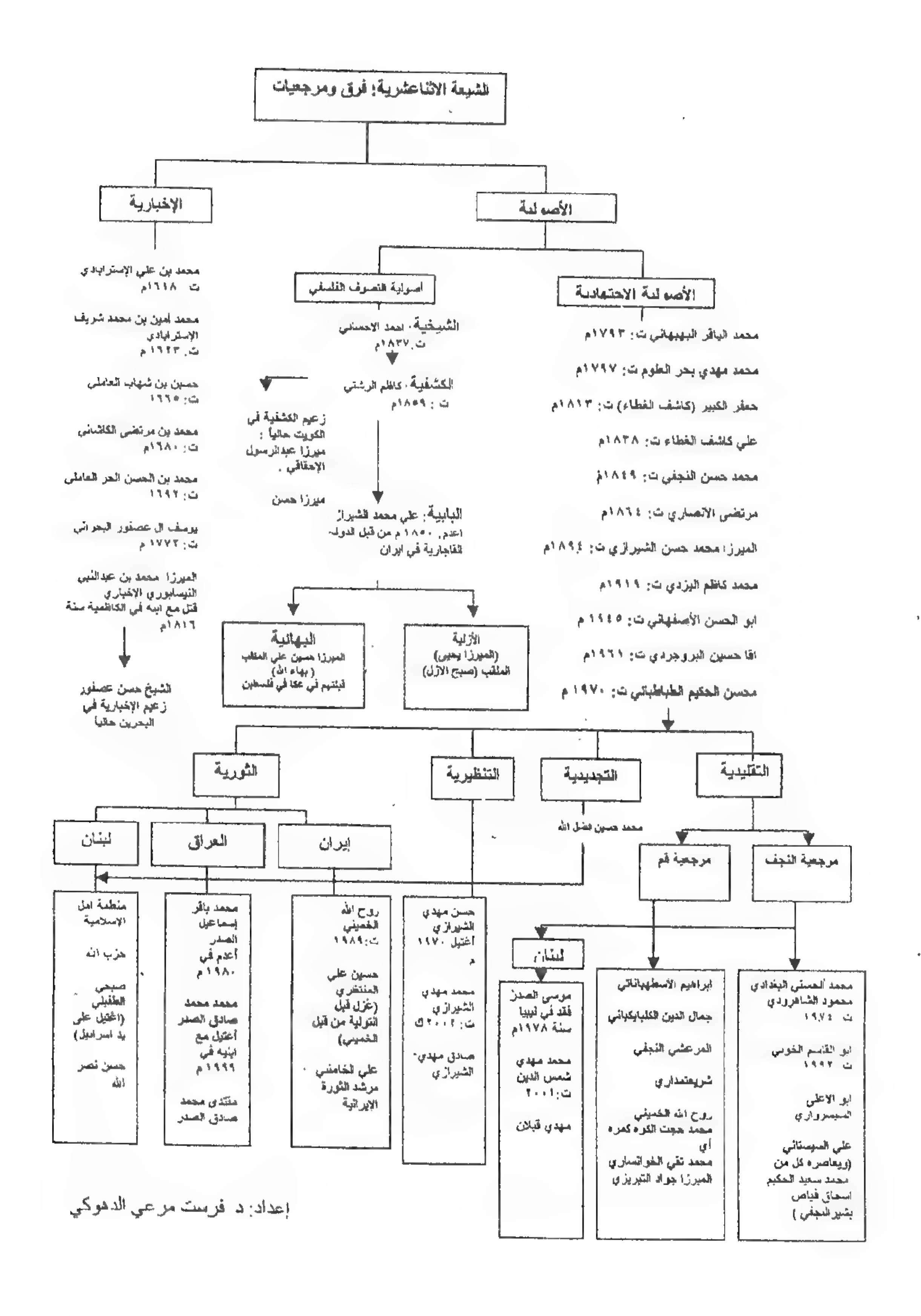
21-الطوسي: المبسوط في فقه الامامية ج1 ص143.

22-موسى الموسوي: الصرخة الكبرى عقيد الشيعة في اصول الدين وفروعه في عصر الائمة وبعدهم، ص 65.

23-المرجع نفسه، ص65.

24-الصدوق: اكمال الدين، ص 483.

25-للأمانة العلمية فإن متكلمي الفرقة الزيدية استطاعوا الاستفادة من الفكر المعتزلي حتى وصل الأمر بالمؤرخين والباحثين الى اعتبار الزيدية هم معتزلة في الأصول.



الشيعة الاثناعشرية: فرق ومرجعيات
الإخبارية
الأصولية
محمد بن علي الإسترابادي ت ١٦١٨م
محمد أمين بن محمد شريف الإسترابادي ت. ١٦٢٣م
حسين بن شهاب العاملي ت: ١٦٦٥
محمد بن مرتضى الكاشاني ت: ١٦٨٠م
محمد بن الحسن الحر العاملي ت: ١٦٩٢
يوسف ال عصفور البحراني ت: ١٧٧٢م
الميرزا محمد بن عبدالنبي النيسابوري الإخباري قتل مع ابنه في الكاظمية سنة ١٨١٦م
الشيخ حسن عصفور زعيم الإخبارية في البحرين حالياً
اصولية التصوف الفلسفي
الشيخية: احمد الاحسائي ت. ١٨٣٧م
الكشفية: كاظم الرشتي ت: ١٨٥٩م
زعيم الكشفية في الكويت حالياً: ميرزا عبدالرسول الإحقاقي.
ميرزا حسن
البابية: علي محمد الشيراز اعدم. ١٨٥٠م من قبل الدولة القاجارية في ايران
البهائية
الميرزا حسين علي الملقب (بهاء الله) ابتنتهم في عكا في فلسطين
الأزلية
(الميرزا يحيى) الملقب (صبح الأزل)
الأصولية الاجتهادية
محمد الباقر البهبهاني ت: ١٧٩٣م
محمد مهدي بحر العلوم ت: ١٧٩٧م
جعفر الكبير (كاشف الغطاء) ت: ١٨١٣م
علي كاشف الغطاء ت: ١٨٣٨م
محمد حسن النجفي ت: ١٨٤٩م
مرتضى الانصاري ت: ١٨٦٤م
الميرزا محمد حسن الشيرازي ت: ١٨٩٤م
محمد كاظم اليزدي ت: ١٩١٩م
ابو الحسن الأصفهاني ت: ١٩٤٥م
اقا حسين البروجردي ت: ١٩٦١م
محسن الحكيم الطباطبائي ت: ١٩٧٠م
الثورية
التنظيرية
التجديدية
التقليدية
محمد حسين فضل الله
مرجعية قم
مرجعية النجف
لبنان
العراق
إيران
منظمة امل الإسلامية
حزب الله
صبحي الطفيلي (اغتيل على يد اسرائيل)
حسن نصر الله
محمد باقر إسماعيل الصدر أعدم في ١٩٨٠م
محمد محمد صادق الصدر أغتيل مع ابنيه في ١٩٩٩م
مقتدى محمد صادق الصدر
روح الله الخميني ت: ١٩٨٩
حسين علي المنتظري (عزل قبل التولية من قبل الخميني)
علي الخامنئي مرشد الثورة الإيرانية
حسن مهدي الشيرازي أغتيل ١٩٧٠م
محمد مهدي الشيرازي ت: ٢٠٠٢م
صادق مهدي الشيرازي
لبنان
موسى الصدر فقد في ليبيا سنة ١٩٧٨م
محمد مهدي شمس الدين ت: ٢٠٠١
مهدي قبلان
ابراهيم الأسطهباناتي
جمال الدين الكلبايكاني
المرعشي النجفي
شريعتمداري
روح الله الخميني
محمد حجت الكوه كمره أي
محمد تقي الخوانساري
الميرزا جواد التبريزي
محمد الحسني البغدادي
محمود الشاهرودي ت ١٩٧٤
ابو القاسم الخوئي ت ١٩٩٢
ابو الاعلى السبزواري
علي السيستاني (ويعاصره كل من محمد سعيد الحكيم اسحاق فياض بشير النجفي)
إعداد: د. فرست مرعي الدهوكي

الجبال الإلتوائية[1] في كردستان

جمعة عبدالله - بغداد

المومياء الكرستال

قبل ان يهتدي الأنسان في العراق ومصر الى اختراع الكتابة اقتصرت المصادر على اثار الانسان المادية، التي خلفها لنا في المواضع، كأدواته المصنوعة من الحجارة والخشب، اللقى، التماثيل، ونوع من الفخار المذني نحروز والوان. والفخار الملون المنقوش من (العصر الحجري القديم). كذلك التصاوير التي نقشها في سقوف الكهوف. ومواقع الفخار في تل مطاره تبعد 35كم عن كركوك = كاسو، تل بازار، تبه كورا، بوغاز ومن ادوار سامراء وغيرها.

هذه اصبحت من مصادر المعرفة في تأريخ الامم. اما الكتابة المسمارية على انواع من الصخور، واللبنى، والهيروغليفه (النقش المقدس) ورق البردي المشتق منها كلمة paper بعد تعاملها بأنزيمات خاصة، وكذلك الكتابة على الجلود والمعادن، تعتبر الوسيلة الثانية كتأريخ.

"الانسان صانع الآلة والكلمة استطاع ان يتغلب بآلاته وعدته المادية والعقلية (حضارته) على بيئته الطبيعية في مسيرة تطوره الطويلة ويسخرها له".

أهم المقالع (الانواع) لإستخراج الصخور و(المرمر) في كردستان

سورني/ رانية/ بمو/ بنجوين/ رايات/ سيد صادق/ دربندي خان الوردي/ ماوت/ بازيان وكلاله

يتم تقطيع الصخور بعد استخراجها حسب القياسات الهندسية المصممة، يتم هذا بطرق واجهزة قديمة تسبب التلف والضياع وبشكل غير دقيق مما يتطلب أجهزة حديثة تلائم التطور وللحفاظ على الثروة ذات المردود المالي الكبير، اذا علمنا ان سعر المتر المربع من الكرانيت المستورد ما يقارب نصف مليون دينار بل اكثر. في حين يمكن الحصول على هذا المنتوج من سلاسلنا الجبلية، حيث الصخور النارية الرسوبية، المتحولة ضمن الدهور الجيولوجية.

وبالامكان ضع البعض حسب الالوان والاحجام (ملائمة المواقع) وذلك عن طريق التطعيم مما يجعلها (مشابهة المواقع)، طالما أن كل فن اختيار، كما هو معمول بتقليد الطبيعة.

والعملية تتم بعد التطعيم الجلي، والتنعيم، التلميع، باستعمال احجار ذات مواصفات خراسانية.

وحسب علمي لتطوير الصناعة وجعلها بالشكل الحضاري ان تساهم الدولة بالتسليف والمشاركة والمساهمة بشركات مختلطة، خاصة ورفع او تخفيض الضرائب واستيراد المكائن وتخصيص اراض ومواد اولية والاستعانة بالخبرة الاجنبية، وعقد مناقشات مع اصحاب الاختصاص من القطاع الخاص للإطلاع على احتياجات قيام مثل هذه الأعمال.

من كتاب دراسات كردية في بلاد سوبارتو[2]

الموم.. المومياء.. صخور الكرستال

.. ومن الادلة الواضحة على تداول بعض المسميات القديمة التي ظلت في الكردية لحد الآن وشاركت لغات اخرى في استعمالها جاءت في مدونات الكتاب اليونان والرومان امثال كيسفيليوس وسترابو[3] وسلوستوس، ذكر الكاتبان الأولان مثلاً "كوردويني" انتج امومون ذا الرائحة الطيبة كذلك نافثات كما يضيف الثالث باللاتينية حول المواد نفسها قائلاً:

Apud Gordueno Amomon Ali Odorgy nan tue

وقد ذكر يوسنفوس أن هذه المواد تستخرج من بلاد (كاردون)، وما مادة (امومون) الا نوع من خلاصة صخور تشبه الكرستال او الكهرمان الاسود ويستخرجها الكرد في بلادهم من الجبال او الكهوف بعد اشعال نوع خاص من الصخور بدرجة حرارة عالية حتى ينصهر لب الصخرة بعد انكسارها ويسيل بعدئذ كالزفت او القار وهي مادة نادرة استعملها فراعنة مصر في عملية تحنيط اجسامهم بعد الموت، لذا يسمى بـ(المومياء) كما يستعملها الكرد لعلاج الكسور والجروح وتعطي نتائج ايجابية غريبة.

ظلت تسمية هذه المادة في الكردية بصيغة (مومياي). ولعل اشتق منها اسم الشمعة (موم). اما (كاكات) التي دونها اليونان كـ(كاكيتين) كما دونها سلوتيوس باللاتينية كـ(كيكتون) فهي الصيغة الشبيهة لـ(كوكرد) Gogird الكردية المستحدثة التي تعني (الكبريت) ذات اللون الاصفر، حيث تستعمل لعلاج الامراض الجلدية او هو (كەزكەز Gazgaz) الشجرة الموجودة في بلاد الكرد، التي تستعمل قطعة من غصنها لمداواة الجروح. اما (نافثا) فهي الصيغة اليونانية لكلمة (النفط) الآن، وفي الكتاب المقدس (نفطار).

وفي حصار مدينة تيكرانوكرتا (ميافارتين) استعمل الجيش الروماني هذه المواد كلها في علاج الجنود الجرحى.

آموموم: هو الاصطلاح اليوناني لكلمة موميا الفارسية التي تعني النوع النادر من بلور (كرستال)، القار الاسود ويشبه الكهرمان الاسود وهو العلاج البديع للجروح والعظام وللكسور، كما ان حمدالله المستوفي يؤكد ان مومياني توجد قرب الموصل، وفي

مناطق مختلفة من ايران يشرح الاسم بأن (موم) الشمع من ابي، لكن الحقيقة هي ان الاسم يأتي من الاصل المصري. ويذكر هيرودوتس ان الايرانيين كانوا يطلون موتاهم بـ(مومياني).

ولاتزال هذه المادة تستخرج من الصخور، تستعمل للأستشفاء من امراض المعدة، وغير ذلك في منطقة (قرداغ) وبالأخص قرية (خاوي) في محافظة السليمانية اليونان..

ايونيا = كاردون

مهد التفكير الحر

بعد الاستقصاء: أن بلاد كاردون تعني = ليديا = آسيا الصغرى = ايونيا = كردستان تركيا.

ومنها النص الآتي: الأمة الاغريقية كانت تشمل مجموعة كبيرة من الشعوب المتباينة التي كانت تختلف اختلافاً شاسعاً في العادات والتقاليد والمزاج، رغم اتحادهم في كثير من المميزات الهامة.

لقد كانت شعوب الاغريق يتمايز بعضها عن بعض، فمنهم المحافظ ومنهم المجد ومنهم المتأخر ومنهم المتحضر ومنهم الخرافي ومنهم المفكر. والاغريق الذي نعنيهم في هذا الفصل ليسوا شعوب الاغريق كلها، ولكنهم هؤلاء الذين يحسب حسابهم في تاريخ الحضارة وهم:

"الأيونيون" خاصة و"الاثنيون"

لقد كانت ارض "ايونيا" في اسيا الصغرى مهد التفكير[5] الحر. ولا ريب في ان تاريخ العلوم الاوروبية والفلسفة الاوروبية يبدأ من "ايونيا" فهناك (في القرنين السادس والخامس ق.م) حاول الفلاسفة الاوائل أن ينفذوا بعقولهم الى اصل هذا العالم وتكوينه.. يقصد ايونيا. وعلى ص 45 يتحدث نيكيتين عن كاردوخيي زينفون[6] قائلا، وهكذا قيل ان الكاردوخيين الذين تكلم عنهم زينفون في كتابه اناباسيس وهو يروي الانسحاب الشهور بين (401-400) ق.م لعشرة الاف يوناني عبر كردستان الحالية الى البر الاسود، لم يكونوا غير الاسلاف الحقيقيين للكورد الحاليين.

انهم كانوا جبليين اشداء مثلهم يقطنون البلاد نفسها ولهم اسم شبيه بأسمهم، وماذا يراد اكثر من ذلك لدعم هذه القضية التاريخية.

فهولاء الكاردوخيون لم يكونوا يعترفون بسلطة الملك ثارتاكسبركيس ولا بسلطة الارمن.

عن كتاب (الكورد) لباسيل نيكيتين

اسيا: بالبداية اطلقوا تسمية اسيا على (ايونيا =كاردوخ) لتصورهم بالأقصى وعند اكتشاف المواقع بعد ايونيا سموها اسيا الصغرى (الشرق).

زاكروس.. مهد الحضارة

جغرافية زاكروس: صعوبة المواصلات بسبب السلسلة كونها تشكل عائقا ومانعاً يستحيل اجتيازه الا في ثلاثة محاور: رايات (قرب رواندوز) — حلبجة — خانقين. ويمكن ممر رايات وحلبجة القوافل من بلوغ اذربيجان وبحيرة اورمية.

بينما يؤدي ممر خانقين الى كرمنشاه وهمدان[7] ومابعدها من المناطق في الهضبة الايرانية،

وكان هناك طريق رابع في اقصى الجنوب يمر بمحاذاة سلسلة زاكروس من دير[8] (قرب بدوه) الى شوشه[9] عاصمة عيلام.

علماً ان سفوح جبال زاكروس وحوض دجلة شمال العراق قد اصبحا مركزين لاستيطان المزارعين في العصر الحجري الحديث 5000 ق.م

بلاد الجبل.. او العراق العجمي

وقد اطلق البارسيون على سكان المناطق الجبلية المعقدة والمنطقة المنفصلة والمتباعدة عن بعضها ببلاد الجبل او (العراق العجمي). حيث خص بهم البارسيون الكرد تمييزاً عن العراق العربي[10].

زاكروس.. والخليج العربي

نشأ الخليج العربي من خلال الحركات التكتونية[11] التي طرأت على الكرة الارضية خلال الفترة الجيولوجية الواقعة بين اواخر العصر الجورامسي الى العصر الكريتاس الاول. حيث هبطت الارض في ثنيه مقعرة واسعة (حوضه)، ادت الى تكوين حوض الخليج العربي الذي تحف بها ثنيه محدبة من الشرق تمثلها سلسلة جبال زاكروس، وكتلة يابسة شبه جزيرة العرب من الغرب. ويمتد من الخط الوهمي المتد من بلد وهيت في العراق شمالاً حتى الحاجز الجبلي الذي يتمثل في شبه جزيرة مسندم في الجنوب، والذي يفصل المحيط الهندي عن الخليج العربي. أي اصبح الخليج العربي بحراً داخلياً مفصولاً عن المحيط الهندي بجبال عمان.

الا ان الحركات التكتونية في عصور جيولوجية متأخرة ادت الى اتصال الخليج بالمحيط الهندي من خلال هبوط الارض في منطقة مسندم وتكون الفتحة الضيقة التي تطلق عليها الان اسم "مضيق" هرمز، اي عندما انفصلت جبال عمان عن جبال زاكروس.

زاكروس.. واريانا[12]

اشهر السلاسل الجبلية التي تحيط بهضبة (اريانا) الجبال الغربية وتعرف باسم زاكروس تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، وطولها يربو على 620 ميلاً وعرضها نحو 120 ميلاً، ويتراوح ارتفاعها ما بين 3280 5570 قدماً، وتتألف من عدة سلاسل متوازية تقريباً تتخللها اودية يتراوح مابين 60 الى 30 ميلاً وعرضها ما بين 12 الى 6 اميال.

وتكثر في منحدرات هذه الجبال المراعي وغابات الاشجار مثل البلوط واللوز والجوز والفستق، وتنمو في سفوح الوديان اشجار الكروم والتين والرمان، ومزارع الحبوب والقطن. وينتقل الرعاة بقطعانهم الى المرتفعات العليا في فصل الصيف من جراء الحر.

سلسلة بشتكو (خلف الجبل).. لورستان

ويرتفرع من السلسلة الوسطى من جبال زاكروس لسان او ذراع يتجه الى الحدود الشرقية من بلاد ما بين النهرين، ويقترب من سهولها، وسببت انحناء وانعطافا في نهر دجلة جعله يقترب من الفرات عند منطقة بغداد، بحيث لا تتعدى المسافة

ما بين النهرين 20-25 ميلاً، وتطل تلك المرتفعات على سهول ما بين النهرين.

وتعرف هذه المنطقة في بلاد ايران باسم "لورستان" او بلاد اللر (المثلث البختياري اللوري البشتكو)، وكثيراً ما غزت منها بعض الاقوام الجبلية وادي الرافدين، مثل الكاشيين في منتصف الالف الثاني ق.م. بعد احتلالهم منطقة (عانه) وبابل سمو بـ(سلالة كيش) التي حكمت بابل.

زاكروس.. والصفائح الارضية والهزات

ان طول سلسلة زاكروس تقرب من 1500 كم في منطقة الخليج فقط – واستمرارها الى سلسلة توروس. وزاكروس واقعة ضمن حزام الهزة الأرضية لصفيحة او (لوح الجزيرة العربية) و(اوراس). و احد اسباب الهزات الأرضية اصطدام الألواح[13] وعدم توازن حالة الاستاتك (ضغط النفط – الماء – السوائل – الغاز)، أي تغيير مناسيب السوائل.

زاكروس.. وقبائل زاكرتي الميدية

ليديا- كوردستان تركيا – اللولوبيون – السيريون الكميديون – الاسكيتيون – الكوتيون (الجوتيون) الميتانيون.

"الجغرافية بدون تاريخ جسر هامد والتاريخ بغير جغرافية عابر سبيل لا يستقرن مقام"

جون سمث

زاكروس: اتخذ سرجون في الحملة المذكورة في منطقة (زردياكو) قاعدة للهجوم على قبائل زاكرتي (سكرت) الميدية التي اشتهرت بجبال زاكروس الآن باسمها، وكانوا يعيشون انذاك في منطقة (ميانه)[14] جنوب بحر قزوين.

لورستان

لورستان: مقاطعة على الحدود الايرانية الغربية، حيث تتقاطع سلاسل جبال زاكروس مع السهول المروية رياً جيداً. واظهرت التنقيبات في تبة جيان (Giyai) Tepe وتبة جامشيدي، وجود صناعة معدنية في المنطقة منذ الالف الرابع ق.م و ما بعده.

وكانت تصنع هنا منذ القرن التاسع وحتى السابع ق.م الاسلحة البرونزية المزينة، وشكائم اللجام والجلبل ومقابض من حجر الشحذ والقواعد والدبابيس والأواني، الا ان البرونزيات اللورستانية الشهيرة في المناطق قد سلبت من المقابر. وقد صنع الحديد في وقت مبكر. وكشفت في المنطقة المجاورة لعيلام على قبور مبكرة تحوي على برونزيات غير ملونة، بينما اظهرت التنقيبات في باباجان عن مستوطن مبني من الحجر يعود تاريخه الى فترة البرونزيات المزينة.

اما ما جاء في كتاب سوبارتو عن اللور

...[15] في بلاد كردستان، تقابل هذه الكلمة في الكردية الجنوبية اسم (لور) الذي يعني الجبل المكسو بالأحراش، وتحولت الى (لير Ler) في اللهجة

نفسها فيما بعد. الا ان (لور) ظلت في تسمية (لورستان).

ويمكن القول هنا بأن كلمتي (رەزور ولور) وجدتا في الجبال الكردية وزاكروس عموما، لأن الاحراش لا توجد في المناطق الاخرى، التي يتكلم سكانه بلغة تنتمي الى العائلة نفسها التي تنتمي اليها الكردية في الشرق الاوسط.

وبما أن الحالة هكذا والكلمة ظهرت في العصر الميدي كما يقول ارنست هرتسفيلد، فلابد انها من الكلمات القديمة ايضاً تداولت في الكردية اثناء بداية تكاملها.

الكشيون (سلالة بابل الثالثة).. وزاكروس

الكشيون[16]: موطنهم في جبال "زاكروس" في منطقة بلاد اللر، أي لورستان، مكان يحاورهم من جهة الشمال اقوام جبلية اخرى منهم الكوتيون و"اللولوبو". تمركزوا في الفرات الاوسط في منطقة (عانه)، بعد غزوهم بابل سموها كردنياش.

وجدت مآثر ملوك السلالة الكشية في اور، الوركاء، نفر، وبابل. من الاقوام الآرية.

معابدهم.. أشكال وصور من النوح النافر او البارز شيدوا برج المدينة (الزقوره) في اكركوف، وهي حلقة مهمة في تطور الزقورات. ادخلوا استعمال الخيل الى بلاد وادي الرافدين.

والى "كودرو" هي احجار تثبيت الحدود للأملاك والعقارات.

"من لا تراث له لا اصالة له"

الهوامش

1-الجبال الالتوائية: جبال المنطقة الشمالية من الجبال الالتوائية الحديثة.

2-الدكتور جمال رشيد احمد.

3-سترابو: جغرافي يوناني في القرن الاول الميلادي، جاب بعض المناطق في غرب اسيا والبلاد التي كانت تتبع الامبراطورية الرومانية، وجمع معلوماته عن هذه البلاد بكتاب اسماه (الجغرافية).

4-كاردوخ: هي ليديا القسم الشرقي في اليونان قديماً كردستان تركيا حالياً كما في التعقيب الآتي:

تعقيب: اليونان.... ايونيا = كاردون

5-حرية الفكر: تأليف ج بيوري/ تعريب/ محمد عبدالعزيز سحف

6-زينفون: قائد ومؤرخ يوناني (قائد الحملة)

7-همدان: مكون من همو — ودان اي منطقة الحبوب في الكردية، عاصمة ميديا، وكانت تسمى اكبتان (مفترق الطرق). كانت عبر التأريخ من محطات قوافل الحرير الى الصين والبحر الابيض المتوسط. والعظماء (دان) كبير.

8-دير: قرب بدره (مدينة بدرة من مدن العراق القديم، ويرجع تاريخها الى زمن السومريين والاكديين وان اصلها (الديرة) ثم ادخل الاراميون على الاسم (ب- بيت) فاصبح بدره بمرور الزمن بعد حذف الياء او ادغامه، ومعناه القلعة او الحصن.

9-العراق العجمي: العراقي معربة من ايراه وايراك اي البلاد الساحلية تسمية ايرانية بالنسبة لموقعهم ومن اسماء مناطق الكرد عبر التاريخ هي:

بلاد الجبل = قوهستان = ميديا = العراق العجمي = كردستان.

10-بارس: كلمة يونانية تعني العادل = التقي اطلقها، وثرس ثولس عاصمتهم تعني مدينة ثارس، كما في طرابلس، ثولس = مدينة.

11-التكتونية: هي حركة القشرة الارضية، لقد عملت العوامل التكتونية (الباطنية) والسطحية على تشكيل سطح العراق.

تعقيب: اسباب تغير مجاري الأنهار منها (دجلة والفرات) هي الحركات التكتونية (الساكني). فقد نشأت مرتفعات العراق الشمالية نتيجة لالتواء القشرة الارضية، بينما ظهر سهل ما بين النهرين نتيجة لالتواء مقعر واسع، تكدست فوقه الرواسب المجروفة من مياه دجلة والفرات، الكرخة، السويب، دجيل والكارون، ومنذ عصر الميوسين حتى اوائل عصر البيلوستوسين احدثت حركات عنيفة نتجت عنها انكسارات والتواءات، هي التي اعطت القارات الصوره التي نراها اليوم.

12-اريانا: كلمة يونانية اطلقت على الهضبة الممتدة بين السند وهضبة الاناضول، ومنها جاءت تسمية (الهضبة الايرانية)، والمفردة (آري) التي تعني بالكردية السيد و(النبيل) كما في كلمة ئەرى تعني نعم سيدي، وسلسلة بشتكو تسمى في خانقين دراوشكه، وعند خابور دجلة بارما، وحمرين في ديالى.

13-الالواح: المعلومات الحديثة تشير الا أن الأرض مجموعة صخور على سوائل تنزلق وتتحرك، وان قارة امريكا تبتعد عن اوربا (2 ملم) سنويا/ القياس بأجهزة الليزر.

14-ميانه: كذلك اسم جبل مرتفع في ايران.

15-Raz iol: تعني الحرج (بساتين الكروم) في البلاد الجبلية (ما بين النهرين) سميت بكردستان.

16-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/ طه باقر.

المصادر

1-العراق القديم/ ترجمة وتعليق حسين علوان حسين

2-تأريخ ايران القديم/ طه باقر الدكتور فوزي رشيد رضا جواد

3-خارطة/ الجبال الالتوائية والهضاب الوسطى في اسيا

(زاكروس + اريانا) مع البحث

4-خارطة العراق العجمي (يطلق البارسيون مفردة عجمي، وبدوي على كرد الجبال كونهم دشتيين لوجود صحارى في ايران منها دشت لوط/ دشت كوير نمك/ دشت قرة قم (صحراء الملح والرمل) وخارطة العراق العجمي يشير الى موقعين للكرد/ كردستان والعراق العجمي) وكركوك على تخوم زاكروس/ المصادر العربية والغربية.

إمارة سوران

في عهد الباشا الكبير محمد كور باشا الراوندوزي

عوني الداودي*

نبذة عن الإمارة، وشخصية الأمير محمد، وكيفية تسلمه الحكم

يتفق المؤرخون الذين كتبوا عن إمارة سوران نقلاً عن كتاب شرفنامه لمؤلفه الأمير والمؤرخ الكوردي شرفخان البدليسي (1543 ـ 1606 م)، بأن نسب امراء هذه الإمارة يرجع إلى شخص يدعى (كولوس) قدم من بغداد إلى هذه الجهات وأقام فيها يمتهن الرعي. دون ان يذكروا لنا شيئاً عن اصوله العرقية، ما عدا أنه كان ابناً لرجل معروف وبارز في الأوساط البغدادية، لكن المؤرخ المعروف حسين حزني موكرياني يقول: "ان مؤسس هذه العائلة التي ينتسب إليها امراء سوران يرجع إلى رجل كوردي يدعى (كولوس) الذي خرج من بين عشيرته وموطنه في قرية (هوديان) التي تبعد حوالي ساعتين مشيا على الأقدام شمال راوندوز"[1].

بينما يذكر كتاب خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان نقلاً عن الدكتور (فريج) "ان لفظ (كولوس) لا يشبه الأسماء العربية، بل هو لفظ كوردي يطلقه كرد تلك الجهات على الذي سقطت انيابه"[2].

وكان لكولوس هذا ثلاثة أبناء هم (عيسى، وابراهيم، وشيخ إدريس) وكان عيسى اكبرهم، محبوبا بين اصدقائه شجاعا كريماً، وكان يوزع بعضاً مما يحصل عليه من الغنائم على المحتاجين والفقراء، فاتخذه الأهالي وبايعوه أميراً عليهم.

اما كلمة سوران وتعني (الحمر) باللغة الكوردية جاءت بعد محاصرة عيسى وأتباعه قلعة (آوان) التي اعتصم بها بعض المفسدون، حيث اتخذ عيسى ورجاله مواقعهم على الصخور الحمراء التي كانت تحيط بالقلعة فأطلق المتصمون عليهم (أصحاب

الصخرة الحمراء) وشيئاً فشيئاً تطورت اللفظة إلى (سوران) إلى يومنا هذا، وبعد أن استطاع عيسى ورجاله الاستيلاء على القلعة، اتخذها مركزاً له، وكانت بداية حكم هذه العائلة وتأسيس إمارة سوران. لا يدلنا المؤرخون على تاريخ بداية تأسيس هذه الإمارة، لكننا نستدل من خلال الكتابات التي تناولت إمارة سوران، بأنها عمرت حوالي ستمئة وخمسين عاماً، ويقول بهذا الصدد الباحث عبد الفتاح علي يحيى:

" لا يعرف بالتحديد تأريخ تأسيس الإمارة السورانية، لكن العديد من المؤرخين يذهبون إلى انها تأسست في القرن الثاني عشر الميلادي، وان مؤسسها كان راعياً فقيراً، ولقد دام عمر هذه الإمارة سبعة قرون تقريباً، حكم خلالها حوالي اربعة وعشرين أميراً وأميرة واحدة تدعى خانزاد"[3].

واتخذت الإمارة عدة عواصم لها: هاوديان، دوين، أربيل، شقلاوه، حرير، خليفان، وراوندوز. وكانت حدود الإمارة تتسع وتتقلص حسب الظروف السياسية والعسكرية في المنطقة، وقوة هذا الأمير عن ذاك، ففي عهد الأمير سيدي بن شاه علي بك استطاع هذا الأمير أن يوسع قاعدة إمارته " واخذ يستولي على البلاد شيئاً فشيئاً فانتزع (اربل) و(الموصل) و(كركوك) من القزلباشية (الإيرانيين) ووضع بذلك أساس إمارة كبيرة في تلك المناطق وكانت مستقلة في شؤونها تمام الاستقلال"[4]. إلا ان إمارة سوران بلغت أوج مجدها في عهد الأمير محمد كور باشا الراوندوزي، ولقد بدأ عهد جديد للإمارة من التقدم والرقي لم تشهدها سوران طيلة فترة حكامها السابقين، وتوسعت كثيراً حتى شملت منطقة شاسعة" تمتد من سنجار إلى القرى الكوردية في أذربيجان الإيرانية، ومن (حصن كيف) إلى نهاية الأراضي التابعة لمدن مخمور والكوير وآلتون كوبري (بردي). وهكذا اصبح الأمير على حد قول مارك سايكس: سيد البلدان الواقعة بين الحدود الشرقية للدولة العثمانية والموصل في بداية القرن التاسع عشر"[5].

ويقول الدكتور جليلي جليل: "استطاع الأمير محمد في حدود عام1833 بسط سيطرته ونفوذه على المناطق المحيطة بسوران حتى وصلت حدود إمارته إلى منطقة الجزيرة ومن الأسفل إلى نهر الزاب وهو الحد الفاصل بينه وبين إمارة بابان"[6]. وكتب، ك. راولنسوني السائح، في حدود عام 1938 بهذا الصدد: بعد الهجمات التي شنها الأمير محمد وصلت سلطته من مدينة شنو (الإيرانية) إلى ضفاف نهر دجلة (العراق) وإلى نهر الزاب الصغير[7].

ويقول المحامي عباس العزاوي: كان أمراء السورانيين زال ذكرهم من البين بـ(آل بابان) ولم تظهر حوادث عنهم إلا قليلاً، وإنما بدات حوادثهم تظهر أيام (كور باشا). ويعرف بـ(مير كوره) وهو محمد باشا الراوندوزي وكان من الصورانيين ومنهم من قال انه من أمراء (لب زيرين ـ الكف الذهبية) في برادوست من أمراء زرزا، شن غارات عديدة واوقع وقائع قاسية وقعت أيام داود باشا.

فالأمير محمد كور باشا الراوندوزي (محمد كور أي محمد الأعور)، والذي لقب بالباشا الكبير، ولد عام

1198 هـ في راوندوز، وهو ابن (مصطفى بك)، أما والدته فهي (بوك شاه زه مان)، درس على يد الملا أحمدي آدمي وكان من كبار علماء الدين في عصره في كوردستان، ولأجل ذلك أمر مصطفى بك ببناء مدرسة خاصة ومسجد له في راوندوز، لا تزال آثارهما باقية إلى يومنا. كان الأمير محمد على جانب عظيم من الدهاء وسداد الرأي والقوة، وكان الهدف الإستراتيجي له هو توحيد الأراضي الكوردية تحت قيادته، وبناء كيان كوردي يستطيع الصمود والتصدي للمطامع العثمانية والإيرانية القاجارية في كوردستان، وسك النقود باسمه، وانشأ مصنعاً لصناعة الأسلحة والمدافع في راوندوز. (التي سنأتي على ذكرها لاحقا)، وعامل اللصوص وقطاع الطرق بقسوة شديدة وبدون رحمة، وينقل لنا السائح الإنكليزي فرايزر، والذي صادف الكثير من اللصوص وقطاع الطرق في أرجاء الإمبراطورية العثمانية "أن هيبة الأمير محمد وسطوته جعلت من إمارة سوران والمناطق التي تحت سيطرته أن تنعم بالأمان".

ويذكر كتاب خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان نقلاً عن الدكتور (روس) طبيب السفارة الإنكليزية الذي كان في بغداد حينذاك، وطلبه الأمير محمد باشا في بلاد السوران لمعالجة عين والده (مصطفى بك) الكثير عن حالة الإمارة آنذاك والأمن المستتب فيها. يقول: "أن الباشا قد خصص أطراف (أربل) لمعيشة مشايخ بلاده، كما أن عشيرة (طي) العربية خاضعة لحكم الباشا، ولهذه العشيرة قوة عسكرية في خدمة الباشا معسكرة حول العقرة" ويضيف: "وحدث أن شيخا من شيوخ (طي) كان مع عشيرته قد لجأ إلى الباشا، حدثته نفسه أن يقدم على ضرب قافلة تمر من البلاد وسلب أموالها، فما كان من الباشا إلا أن أرسل عشرة من رجاله الكرد إلى هذا الشيخ غداة الحادثة لتقطع رأسه من غير ضجة ولا قتال"[8].

ويصف الدكتور (روس) لنا الأمير محمد بعد لقائه به في عقرة: "أنه يناهز الخمس والأربعين من عمره بهي الطلعة حلو الحديث أسمر اللون طويل اللحية أعور العين مربوط إحدى الساقين، لأن دابته كانت رفسته وخدشته، وكان يتكلم بصوت خفيف بطيء. وسأل عن أصول التدريس والتعليم في انجلترة وغيرها من الأسئلة العامة، ثم عطف على العلاقات بين الإنجليز والروس وإيران وأظهر اهتمامه بها. وبعد ذلك استوضحني عن الأعمال الطبية وأثرها حتى ذكر الطاعون والكوليرا فسألني عن طريقة مكافحتهما ثم وقف في مسألة البحث عن الأسلحة والبنادق، وكان ينام في الليل متأخراً فلذا ما كان يصحو من النوم قبل الساعة التاسعة والعاشرة قبل الظهر". كما يذكر الدكتور (فرازر) عن الأمير محمد: "أن دراستي الخاصة أثبتت لي أن الباشا كان على جانب عظيم من الحيطة والحذر مع بعد النظر ودقة الشعور، وكان مع عدله المفرط لا يتردد في إراقة الدماء عند اللزوم، ثم يضيف لم تكن لمحمد باشا ثقة بالسياح الأجانب، فما كان يسمح لهم بالطواف في أنحاء بلاده، وهذا لا يمنع أنه كان يبيح التجار والمسببين من أهالي البلاد المجاورة، دخول

بلاده ومزاولة التجارة فيها، لكنه ما كان يقبل احداً من بلاد خصومه أن يدخل بلده، مهما كانت الظروف وإذا قبض على أحد منهم عد أسيراً"[9].

وكان الأمير محمد شديد التمسك بالدين الإسلامي، لهذا عامل الإيزديين الكورد بقسوة بالغة وكان يعتبرهم (كفاراً) وأراد ان يفرض عليهم الدين الإسلامي بالقوة لكنه لم يفلح في ذلك، واوقع المذابح بهم في مشارف الموصل، وكانت وصمة عار له، ولم يغفر التاريخ له ذلك.

وتعاون الأمير محمد مع الأمير القوي بدرخان أمير إمارة بوتان، وبعث بدرخان أخوه سيف الدين في الجزيرة طلباً لمساعدة الأمير محمد ضد أعدائه. (هنا كنت اتمنى أن تنبش قليلا عن هذه المراسلات)

كما راسل الأمير محمد الوالي محمد علي باشا في مصر، ومد جيشه بالمؤونة في حروبه ضد العثمانيين عام 1832 الذي انتصر فيها جيش محمد علي على العثمانيين في سوريا، ويقول. ب. ليرخ في هذا الصدد: "كان جيش محمد علي بقيادة ابنه إبراهيم باشا يعتاش على المؤونة التي كان الكورد يقدمها لهم"[10].

كانت الإمارة مقسمة في عهد مصطفى بك والد الأمير بينه وبين إخوانه، وكانت الخلافات والصراع على السلطة بينهم في حالة لم يعد يستطيع معها مصطفى بك لكبر سنه أن يحتفظ بمركزه وهيبته كأمير للإمارة، مما جعله أن يفكر بأن يسلم مقاليد السلطة لأحد إخوانه ليستريح من الأعباء التي كانت تثقل كاهله، لكن زوجته الأميرة (بوك شاه زةمان) اشارت عليه بأن يولي الإمارة ابنه محمد الذي كان يحكم في منطقة (جولة مير) المعروف برجاحة عقله وشجاعته، فوافق مصطفى بك على ذلك، وبعث يطلب الأمير محمد أن يحضر إلى راوندوز عاصمة الإمارة، فامتثل الأمير محمد وحضر إلى راوندوز، ففاتحه والده بالمشاكل التي تعصف بمستقبل الإمارة والقرار الذي رسا عليه، فوافق الأمير محمد على ذلك، وتسلم مقاليد السلطة على يد رؤوس الأعيان والقواد، وأعلن ذلك رسمياً.

وضع الأمير محمد نصب عينيه في بداية سلطته القضاء أولاً على الفتن الداخلية وتقوية الإمارة من الداخل وضبط امورها مما دفعه إلى التصادم مع أعمامه وابنائهم، وكان الأمير، وكما تجمع المصادر رجلاً حكيماً قوي الإرادة حازماً حد القسوة في إدارة شؤون الحكم وكان عادلاً، ودخل في حرب لا هوادة فيها مع من ناهض حكمه، ونحى والده عن إدارة شؤون الإمارة، مما جعل مصطفى بك أن يتراجع عن موقفه، وخوفاً على إخوانه من ابنه الشاب القوي الجريء، فبادر إلى عزل الأمير محمد عن الحكم بعد فترة قصيرة من حكمه، وعاد ليتسلم زمام السلطة بنفسه[11] لكنه وبعد سنة واحدة فقط تراجع عن الحكم بعد فشله في السيطرة على الخلافات الداخلية، فطلب من ابنه الأمير محمد بأن يتسلم مقاليد السلطة ثانية، لكن الأمير محمد لم يوافق في هذه المرة على إدارة شؤون الإمارة إلا بشروطه.

فحدد الأمير محمد ثلاثة شروط لا يحيد عنها مقابل تسلمه مقاليد الحكم وهي:

1-ان لا يتدخل والده مطلقاً في تسيير شؤون الإمارة.

2-ان يترك والده راوندوز العاصمة ويمكث في قرية ئوكان.

3-وان يعطي مصطفى بك ابنه الأمير ستين الف ريال شهريا[12].

فوافق الوالد الهرم المغلوب على امره على شروط ابنه، وسلمه مفاتيح الخزينة وأبواب القلعة، وذهب وزوجته إلى قرية ئوكان إلى أن توفاه الأجل في 1238 هـ.

ويظهر من هذا بأن المشاكل التي كانت تعصف بمستقبل الإمارة فوق طاقة مصطفى بك، لهذا رضخ لشروط ابنه وإعلانه ثانية تنصيب الأمير محمد أميراً للإمارة.

باشر الأمير حكمه هذه المرة بثقة عالية وطموح قوي لتنفيذ ما يجول برأسه، فقام أولاً بتحصين القلعة التي هي مركز الحكم، وبناء سور لراوندوز وبإعداد الجيش وبناء المخازن للسلاح والعتاد، وفي مرتفع مقابل راوندوز أمر ببناء قلعة حصينة سماها قلعة (ايج) وجعل فيها قوة دائمة مجهزة بالسلاح والعتاد، وفي شهر رجب من نفس العام باشر بوضع الحجر الأساس للقلاع والجدران حول راوندوز، وبث العيون والبصاصين في انحاء الإمارة ليزودوه بالأخبار يوما بيوم، وقرب الشيوخ والعلماء والشعراء وازجل العطاء لهم، وكان محاطاً بنخبة من علماء الدين يعملون كمستشارين له ابرزهم الملا محمد الخطي[13].

وبعد الإجراءات والتحصينات التي اتخذها، بادر بالهجوم على مراكز الفتن والقلاقل في (هاوديان) و(بالكان) التي كانت تتمثل بعصيان أعمامه وأولادهم وعدم طاعتهم له، فقضى عليهم بفترة وجيزة فاستتب الأمر له. وقد وضع الباشا الكبير بعد ذلك نصب عينه توسيع قاعدة إمارته لتشمل الأراضي الكوردستانية التي هي خارج حدود إمارة سوران، فكانت أولى حروبه الخارجية هو هجومه على برادوست وقلعتها (هه ركيلا) الذي كان يحكمها محمود بك ابن سليم خان، فحاصر القلعة وأمطرها بوابل النيران والمدافع لعدة أيام دون جدوى، فكان المحاصرون يدافعون ببسالة شديدة وأظهر محمود بك شجاعة نادرة في مقاومة جيش الأمير، فما كان من الباشا الكبير إلا أن تظاهر بالانسحاب تاركاً بعض أفراد جيشه مختبئين عن الأعين لتزويده بالأخبار، وفي هذه الأثناء تحرك سليم خان على رأس قوة من قلعته (كاني ره ش) لنجدة ابنه محمود خان وعند وصول سليم خان إلى قلعة (هه ركيلا) فتحت الأبواب لاستقبال سليم خان وقواته بعد أن ظنوا بأن الباشا الكبير لم يكن على مقربة من المنطقة، فبادر المقاتلون الذين كانوا مختبئين بين الصخور بإخبار الباشا بأن أبواب القلعة مفتوحة على مصراعيها، فباغتهم الباشا بدخول القلعة ودارت معركة طاحنة بين الطرفين فكان النصر حليف الباشا، ووقوع محمود بك ووالده سليم خان في الأسر.

هذا الانتصار زاد من معنويات جيش الأمير محمد، واستمر بمهاجمة قلاع البرادوستيين واحدة

تلو أخرى إلى أن استطاع السيطرة على تلك المناطق، ووضع فيها من رجاله لإدارة شؤونها، لكن الفائدة العظمى التي جناها الأمير محمد في بسط نفوذه على مناطق برادوست، ومه ركه ور، وشنو، والسيطرة على قلاعها الحصينة كقلعة (كه كله) وقلعة (نولوس) وقلعة (شيروان) هي في العثور على مناجم النحاس والرصاص والمعادن الأخرى التي كان بحاجة ماسة إليها لصناعة الأسلحة، فنقل الكثير منها إلى عاصمة الإمارة راوندوز.

وفي عام 1816 عهد الأمير محمد لبناء مصنع لصناعة الأسلحة إلى المدعو (أسطة رجب) الذي كان بارعاً في صناعة الأسلحة والعتاد، ووفر له كل ما يحتاجه من المواد الأولية والأموال اللازمة والصناع المهرة، وقد أولى الأمير هذه المهمة عناية بالغة، وذلك لإدراكه أهمية التمويل الذاتي من الأسلحة والذخائر في حروبه المقبلة، وفي نفس العام عقد الأمير محمد اتفاقية صداقة مع نائب السلطنة عباس ميرزا القاجاري، وبعث وفداً إلى إيران. ومن جانب آخر بعث الأمير وراء (خان كليدي) من (ورمى ـ أورمية) وكان هذا ماهراً في صناعة المسدسات والخناجر والسيوف، وباشر الاثنان أي أسطة رجب وخان كليدي بالعمل وبنشاط ملحوظ عملهما في صب قوالب المدافع وصناعة المسدسات والعتاد والسيوف والخناجر. وفي محلة (كارلوكان) في راوندوز في عام 1233هـ أي بعد سنة واحدة من إنشاء المصنع رأى النور إنتاج أول مدفع على يد الأسطة رجب، فكان الأمير فرحاً جداً لهذا العمل العظيم، ولم يستطع الانتظار لحين قدوم أسطة رجب إليه بل بادر شخصياً بالذهاب إليه مهنئاً ومشجعاً، فأكرم الأمير أسطة رجب وأجزل له العطاء فمنحه 1000 ريال من الذهب و100 ريال لكل واحد من الصناع والعمال، كما أنعم عليه بالملابس الفاخرة مع حصان أصيل[14].

بالرغم من قوة الأمير محمد وجيشه المنظم، لم يعتمد كلياً على القوة العسكرية لتوحيد الأراضي الكوردستانية، بل اتبع الأساليب الدبلوماسية وبرع فيها، فاختار نخبة من معاونيه وبعث بهم إلى رؤساء العشائر التي لم تكن منطوية بعد تحت حكمه، لكسب ودهم وشرح أبعاد الخطط التي يرمي الأمير بإنجازها، ونجح المبعوثون بمهمتهم بشكل يدعو إلى الإعجاب، فبعث الأمير بعد ذلك الهدايا والأموال إليهم ومثنياً على الخطوة التي اتخذوها، وهي القبول به كرئيس عليهم.

كما استطاع الأمير أيضا أن يجمع حوله أولئك الرؤساء والقادة الذين كانوا يتذمرن من السياسات العثمانية التي كان همها الوحيد هو جباية الضرائب ومد الجيش العثماني بالجنود عند الحاجة.

بلغ الأمير محمد من القوة والجاه والسلطان ما لم يبلغه أي أمير من أمراء سوران قبله، مما جعل القوات البابانية التابعة إلى الإمارة المعروفة بقوتها وتنظيم شؤونها، أن تنسحب من كويسنجق ورانية إلى عاصمة الإمارة (السليمانية) دون قتال بمجرد وصول قوات الباشا الكبير إلى هذه المناطق، وكان الأمير فرحاً بما حققه من انتصارات وهذا التراجع

من قبل البابانيين الإمارة الجارة لإمارة سوران، فأمر بصناعة مدفع جديد وكتب عليه "نصر من الله وفتح قريب، الأمير المنصور محمد بيك متصرف راوندوز وكويسنجق وحرير" رداً على ما كان متداولاً أيام حكم البابانيين "حكام بابان في كويسجنق وحرير".

وبعد هذه الانتصارات ومد نفوذه في أغلب الأراضي الكوردستانية عقد اتفاقية صداقة مع الحكومة القاجارية في إيران واعترفت الأخيرة رسمياً بحكومة وسلطان محمد باشا، وبعثت له بالتهاني كذلك جاءت التهاني إلى الأمير من مناطق موكريان وهكاري، وبما أنه كانت العلاقات متوترة بين حكام بابان ووالي بغداد داود باشا استقبلوا هذه الأنباء بارتياح رغم قلق وخوف والي الموصل من ذلك.

أما من الناحية الإدارية بادر الأمير بتشكيل لجنة من ستة أشخاص من أقرب المقربين إليه سمي "لجنة الرؤساء" وكان بنفسه يترأس اللجنة، وكلف رسول بك أخي الأمير بإدارة اللجنة، كما أعطيت مسؤولية بناء القلاع والسور وبناء الجسور والطرق إلى "أسطة إبراهيم ماويلي" والتجارة وما يتعلق بأمور الاقتصاد إلى شيخ مصطفى آغا. والخ

وبدأ بحملة عمرانية واسعة في بناء المساجد والمدارس والقلاع، كما أولى اهتماماً خاصاً لبناء الجسور، ليربط أجزاء الإمارة ببعضها بعد التوسعات الكبيرة التي شهدتها سوران في عصره.

كما سك النقود باسمه ومن خلال المصادر التاريخية التي ذكرت أعمال محمد باشا، كانت العملة التي تداولت تتألف من سبع عملات من الذهب والفضة والنحاس مقسمة كالآتي:

1 ـ يوزلي ـ وتساوي خمسة عشر قرشا تركيا.

2 ـ خمس عشرة ريالا.

3 ـ سبعة قروش.

4 ـ اربعة تانكير.

5 ـ 4 \ 3 جليك.

6 ـ خودابه ند 4 \ 1.

7 ـ شايي ـ وتساوي نصف قرش.

وكانت المئة قرش للعملة تعادل ليرة ذهبية عثمانية، وكتبت على أحد أوجه العملة "مير مه نسوور ـ محمد بك" وعلى الوجه الآخر للعملة كتب "ضرب في راوندوز".

وبعد فترة وجيزة بدأ الأمير محمد بإعداد العدة والتحضير للهجوم على إمارة بادينان وإمارة داسني "لا يسع المجال هنا للخوض في تفاصيل العمليات الحربية التي دارت هناك والتي أدت بالنتيجة انتصار الأمير محمد" وبمساعدة أعداء الإمارتين استطاع محمد باشا أن ينتصر انتصاراً ساحقاً، فعمل السيف لمن طالته أياديه وخاصة بالداسنيين الإيزديين، وكما ذكرنا سابقاً اعتبرت أعماله تلك نقطة عار له. وبعد هذه الانتصارات في مناطق بادينان وما حواليها، انتاب والي الموصل الهلع والخوف من هذا القادم الجديد الذي سيهاجمه لا محالة فأخذ الاحتياطات اللازمة وعمد إلى نسف الجسر على نهر دجلة الذي يربط الموصل بتلك المناطق التي أصبحت تحت قبضة الأمير محمد.

الهجوم العثماني على كوردستان

جاء قرار اجتياح كوردستان من قبل الباب العالي على إثر الهزائم التي لحقت بهم على يد محمد علي باشا والي مصر وانتصاراته في سوريا. وكانت كوردستان بإماراتها القوية في القرن التاسع عشر كإمارة بوتان وأميرها القوي بدرخان، ومحمد باشا على رأس إمارة سوران، وإمارة هكاري وبدليس، وكذلك الإمارة البابانية التي كانت عاصمتها السليمانية، تشكل تهديداً خطيراً وفعلياً لسلطة العثمانيين في العراق وفي مناطق الجزيرة.

وكانت سوران في قلب الأحداث وعلى أبواب الموصل وأعترف والي بغداد رسمياً بسلطان الأمير محمد ووقف أمام طموحات هذا الأمير مكتوف الأيدي، لذا تضافرت الجهود للنيل من الأمير محمد والقضاء على إمارته التي باتت تشكل تهديداً حقيقياً لسلطة العثمانيين، بالتعاون مع إيران القاجارية وبمساعدة الروس ولعب الإنكليز دورا مهماً لتقريب وجهات النظر حول نقاط الخلاف بين العثمانيين والقاجاريين "وخوفا من تنامي هذه القوى واستقلالها تدارست القيادة العثمانية الموقف فوجدت أن الأمر يتطلب حملة عسكرية تتوفر لها كافة مستلزمات النجاح"[15].

أسند السلطان محمود الثاني قيادة الجيش إلى رشيد باشا والي سيواس الصدر الأسبق والسردار الأكرم، ولم يأت اختياره لهذه المهمة العسيرة اعتباطاً، كما أدرك رشيد باشا ما يجب القيام به لإعادة الاعتبار لشخصيته التي تصدعت إثر الهزائم التي مني بها على يد المصريين في سوريا ووقوعه في الأسر، وإظهار إخلاصه للسلطان العثماني، لهذا تقبل المهمة ببالغ الفرح والسرور، كما أنه لم ينسَ بعد المساعدات التي قدمها الكورد لأعدائه في معاركه تلك التي تسببت في إضعاف العثمانيين، فكان ناقماً عليهم وينتظر الفرصة السانحة للانتقام منهم وتصفية حساباته معهم، فلهذا جاءت أعماله في غاية القسوة والوحشية، وظهر حقده هذا جلياً عند اجتياحه المناطق التي مر بها في طريقه لملاقاة الأمير محمد تاركاً وراءه الخراب والدمار، وسمح لجنده بنهب ممتلكات أهالي القرى المتناثرة في أرجاء كوردستان، كان ذلك في نيسان عام 1833 أي بعد سنة واحدة على صلح "كوتاهية" بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا. فزحف رشيد باشا بجيشه المكون من 40000 ألفا نحو كوردستان وكان عليه المرور، بسعرد وماردين ونصيبين والجزيرة وموش وسنجار لملاقاة عدوه الأكبر الأمير محمد باشا الكبير، ولاقى مقاومة عنيفة في المناطق التي مر بها، لذلك استخدم سلاح المدفعية بشكل فعال للقضاء على مقاومة الكورد له، وخاصة في جزيرة بوتان بقيادة الأمير بدرخان حليف الأمير محمد، وأمر بتدمير المدينة بالمدافع.

وقبل هذا التاريخ بسنوات، تقبل علي رضا باشا والي حلب مهمة القضاء على داود باشا والي بغداد الذي استقل عن الإمبراطورية العثمانية، ولبى السلطان محمود الثاني طلباته، وزوده بكل ما تتطلب الحملة من السلاح والعتاد والمال، فتحرك

علي رضا من حلب في شباط 1831 " وهو في طريقه انضم إلى جيشه صالح جلبي الزهيري واحد كبراء عشيرة شمر الجربا من أتباع الشيخ صفوك الفارس، وسلمان الغنام احد شيوخ عشيرة العقيل، وكانت هاتان العشيرتان من عشائر العراق الصعبة المراس، وكذلك وضع قاسم العمري والي الموصل وعدو داود باشا اللدود، كل امكاناته تحت تصرف علي رضا "(16).

وكانت الخطة المرسومة هي القضاء أولاً على داود باشا ومن ثم البدء بالإمارات والزعامات الوطنية، وبعد أن تم لعلي رضا القضاء على حكم داود باشا ودخل بغداد في 8 ربيع الأول سنة 1831 واستتب له الأمر، بادر بوضع الخطط للقضاء على الأمير محمد باشا فاختار لهذه المهمة احد اشرس واقسى ضباط القوة غير النظامية المدعو محمد اينجة البيرقدار "حامل العلم الرفيع" وعينه واليا على شهرزوز عام 1933 فكان اول وال عثماني في المنطقة منذ القرن السابع عشر، واختير لهذا المنصب بسبب قسوته وكرهه الشديد للكورد(17).

تدارس الوضع علي رضا والبيرقدار، فرأى البيرقدار أن يتخذ من الموصل نقطة انطلاق له وبدأ الاثنان باتخاذ الخطوات التي تمكنهم من القضاء على إمارة سوران، فكان السلاح الديني أول أسلحتهم، واتصل علي رضا بعلماء الدين ورؤساء القبائل مانحا إياهم الأراضي والقرى بسخاء، "ومن الجدير بالذكر موقف الشيخ نورالدين البريفاكني" 1790ـ 1851 "الذي وقف موقفاً مجيداً ومشهوداً برفضه مقابلة علي رضا قائلا لرسوله الذي جاءه يلتمس ذلك" انا لا أواجه ظالما بسبب عرضي عن الدنيا "كما وامتنع الشيخ الجليل عن ذم أمير سوران، مضحياً بخمس عشرة قرية كان علي رضا قد وعده بها إذا فعل"(18).

هاجم البيرقدار سوران بعد ان ارسل له علي رضا جيش بغداد واستطاع احتلال العمادية، وعند ذاك اصدر امير سوران اوامره إلى إسماعيل باشا الذي كان يحكم دهوك والي رسول باشا، كما أرسل من راوندوز جيشاً بقيادة رشيد بك، وكانت المعركة قرب الزاب الكبير حيث هزم فيها البيرقدار شر هزيمة، كما هزم مرة ثانية في محاولة اخرى للتقدم نحو راوندوز، وعلى إثر ذلك باشر بالانتقام من الأهالي ونهب ممتلكاتهم وسبي نسائهم وأطفالهم، وبيعهم في الموصل.

ويذكر المكرياني بأن حاول الكورد الانتقام من البيرقدار اعلى فعلته الشنيعة تلك، فبعثوا من يغتاله، وتمكن الرجل من الوصول حيث يكمن البيرقدار، ولكن الضحية كان احد ضيوفه ونجا البيرقدار من ذلك بأعجوبة.

تكبد رشيد باشا خلال معاركه تلك وهو في طريقه إلى سوران خسائر كبيرة في الأرواح وأصيب بنقص حاد بالمواد التموينية، ومع قدوم الشتاء وزع أفراد جيشه على القرى التي استطاع أن يرضخها عنوة لكي يؤمن الغذاء لجنوده، بعد أن امتنع الأهالي مدهم بالغذاء واخفائها. مما جعل رشيد باشا أن يستنجد ويطلب المساعدة حسب الفرمان السلطاني

الـذي كـان يـنص بتقـديم جميـع المسـاعدات والتسهيلات له من الولاة والحكام في سيواس وموش وأرضروم وديار بكر والموصل وبغداد، فطلب تزويده بالعساكر من الجيش النظامي في فارس، وجاءته في ربيع 1935 من ولاية ارضروم ما يقارب "20 الف سامار من الطحين" كما زود ايضاً بثلاثة افواج و30 مدفعاً، كما استفاد كثيراً من رؤساء العشائر الكوردية التي كانت ناقمة على الأمير، فمثل هذه التحضيرات والاستعدادات لا تشير فقط إلى النوايا العدوانية لرشيد باشا وحسب بل تدل أيضاً على الاهتمام الكبير من قبل السلطان العثماني محمود باشا نفسه للأمر.

تابع رشيد باشا زحفه، ولم يستطع الوصول إلى مشارف الزاب الكبير إلا بعد اكثر من عام، وكان على والي بغداد علي رضا باشا الهجوم على راوندوز عن طريق كركوك اربيل، والبيرقدار من الموصل حيث يلتقي الثلاثة في سهل حرير. ويقول عباس العزاوي في ذلك: "عزمت الدولة على القضاء عليه (أي الأمير محمد) وعدت غائلته من امهات الغوائل[19].

أما بالنسبة للأمير محمد فقد بدا بتحصينات مواقع الدفاع حول راوندوز والطرق المؤدية إليها، وتوجه على رأس جيش يقدر بأربعين الفا إلى سهل حرير، كما بعث برسالة إلى محمد شاه القاجاري طالباً المساعدة، لكن الشاه محمد لم يلتفت لمساعدة الأمير وحسب بل كان هو الآخر على عجلة من أمره للقضاء على الأمير محمد.

التقى الجيشان ودارت رحى معركة حامية قتل فيها الكثير من الطرفين وسفكت فيها الدماء بغزارة واستمات المقاتلون في جيش الأمير في هذه المعركة المصيرية، وكان تفوقهم واضحاً رغم تفوق العثمانيين في العدد والعدة، مما حدا برشيد باشا بالانسحاب وعبور الزاب باتجاه الوصل.

رغم الخسائر البشرية التي وقعت في جيش رشيد باشا في تلك المعركة كان لا يزال جيشه، يعتد به من حيث العدد والعدة، فباشر رشيد باشا بالإعداد والتحضير لهجوم آخر، فاستطاع أن يسد الثغرات ويملأ النواقص بعد فترة وجيزة، فبادر بالهجوم ثانية مكتسحاً القرى الكوردية التي في طريقه إلى زاخو، فسيطر على زاخو وأخضع حاميتها واستمر بزحفه نحو عقرة، وصمدت عقرة ثلاثة أشهر بقيادة "بيربال جاوه ش" ويؤكد المؤرخون لولا خيانة عشائر الزيبار لما استطاع العثمانيون اقتحام عقرة.

وفي هذه الأثناء وبعد ان تأكد الإيرانيون القاجاريون من الهجوم العثماني الواسع على الأمير محمد الراوندزي، بادروا بالهجوم على سوران من الشرق يدقون طبول يوم تصفية الحساب مع الأمير محمد الذي انتزع الكثير من الأراضي الكوردستانية التي كانت تقع ضمن حدودهم، وفي حزيران 1836 استغل الأمير نظام هذه الفرصة الذهبية فزحف بجيشه من تبريز صوب الأراضي السورانية طالباً من الروس تزويده بالعتاد، وحسب الدكتور جليلي جليل اعتمادا على أرشيف الوثائق الروسية

في القفقاس، زود الروس الجيش الإيراني بـ 1500 طلقة مدفع عيار 24 وثلاث آلاف طلقة مدفع عيار 14.

كما كان الإنكليز أيضاً يحبذون القضاء على النفوذ الكوردي والتخلص من سلطة الأمير محمد كور باشا الراوندزي، لذلك بادروا بسرعة على تقريب وجهات النظر بين العثمانيين والقاجاريين، وحاولوا التنسيق بين رشيد باشا والأمير نظام، لتسيير دفة العمليات العسكرية معاً في تلك المعارك.

حاول الأمير محمد بالطرق الدبلوماسية تحييد الأمير نظام في تلك المعارك وبعث له الهدايا لكن محاولاته باءت بالفشل.

وبعد تضييق الخناق على الأمير محمد من كل الجوانب، وضع رشيد باشا كل إمكانياته العسكرية والدعائية للغاية التي جاء من أجلها، متوجهاً صوب راوندوز، وفي المقابل كان الأمير محمد يستعد للمعركة المقبلة وبعث جيشاً كبيراً بقيادة أخيه أحمد بك للتصدي للجيش العثماني في منطقة حرير، والتحم الجيشان في معركة كان النصر فيها حليف جيش سوران، وأدت إلى انسحاب رشيد باشا ثانية دون أن يحرز أي تقدم.

وبعد هذه المعارك والمناوشات يئس رشيد باشا، واقتنع بعدم جدوى الأعمال العسكرية للقضاء على الأمير محمد نظراً لقوته والتدابير والتحصينات التي اتخذها في مداخل الطرق المؤدية لعاصمة الإمارة راوندوز.

فلجأ إلى الحيلة والخداع، وكان رشيد باشا على علم بالتوجهات الدينية للأمير وتمسكه بالتعاليم الإسلامية، لذلك بعث إليه برسالة يخاطبه فيها بأسلوب ديني، بأن يكف عن إراقة دماء المسلمين ويذكر الموكرياني:"أن رشيد باشا أرسل إلى الأمير فرماناً همايونياً زائفاً، مكتوباً باللغة العربية حشاه بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وجاء فيه: أني أطمئنك وأعطيك عهداً وميثاقاً كالعهود والمواثيق التي أعطاها الخلفاء الراشدون للمسلمين بأن لا يجري بحقكم ما لا ترضون، ولا يقع من جانبنا ما لا يوافق رغباتكم، والشيء الوحيد الذي نريده منكم أن تدخلوا تحت ظل أمير المؤمنين وظل الله على العالمين، الذات السلطانية المباركة. فتنجو من كل بلاء ومصيبة وتحيوا في الدارين سعداء آمنين، أعطيكم العهد الذي أعطاه الخلفاء الراشدون لأمراء المسلمين بأن تكونوا مطمئنين لا تهابون أحداً. وسأرعاكم كما أراعي أولادي تحت جناح رأفتي وشفقتي وعدلي وأحصل لكم على فرمان همايوني بتنصيبكم أميراً لأمراء سوران مصدقاً بمنحكم الخلع والنياشين، وأعطيك كل ما تريد وأقضي لك كل حاجة وأساعدك عند كل ضائقة، وأنصرك على أعدائك، وسيوفي بهذه الوعود كلها بعد مجيئك إلى الباب العالي"[20].

ويذكر العزاوي بأن رشيد باشا كتب إلى علماء الدين المحيطين به أن ينصحوه لتقديم الطاعة.

وعلى رأسهم "الملا محمد الخطي" مفتي سوران ومشاور ومعتمد الأمير، كما كتب أيضاً إلى الملا يحيى المزوري والملا عزرائيل الجزيري للهدف ذاته، وهو إقناع الأمير بالاستسلام. لم يقتنع الأمير بالمستجدات

التي حصلت ورفض التفاوض، وعقد الأمير محمد اجتماعاً عاجلاً دعا فيه قادة الجيش وبحضور الملا محمد الخطي ليتدارسوا الوضع وإيجاد الحلول المناسبة، حيث أصر الملا محمد الخطي على موقفه، وهو بعدم جدوى الحرب، وحقناً لدماء المسلمين وان يسلم الأمير محمد نفسه حسب الوعود والعهود التي قطعها رشيد باشا، رفض القادة والضباط مقترحات الخطي، وناقش قائد الجيش الأمير احمد الملا الخطي وتخاصم معه، واصر على القتال، وانتهى الاجتماع دون الوصول إلى قرار نهائي، مما حدا بالملا الخطي بأن يطلق فتواه في خطبة الجمعة في الجامع الكبير بعدم شرعية مقاتلة جيش الخليفة وان "كل من يحارب جيش الخليفة غير مؤمن وزوجه منه طالق" وكان وقع فتواه تلك كوقع النار في الهشيم، وسارع رشيد باشا بنشر تلك الفتوى من خلال أعوانه وعملائه بين العساكر والجيش، وكانت المشاعر الدينية يوم ذاك هي المحرك الأساسي للنفوس والهمم، فخارت القوى، ووهنت العزائم، بين الناس البسطاء والمقاتلين، فألقى الكثير منهم السلاح رافضاً القتال، ونتيجة ذلك والتي يصفها المؤرخون الكورد بالخيانة العظمى من قبل الملا محمد الخطي، فتحت بعض الممرات والطرق نحو راوندوز، فاندفع منها جيش رشيد باشا محاصراً المدينة، ويقول الدكتور جليلي جليل في ذلك : "أن سلاح الدين الذي لطالما استخدمه الأمير محمد في معاركه السابقة، وفي تثبيت سلطانه، انقلب اليوم ضده موجها سيفه صوب نحره".

وحاول الأمير محمد في بادئ الأمر المقاومة لكن دون جدوى، فالمدينة محاصرة من كل الجهات بأعداد كبيرة من القوات النظامية وفوهات المدافع مصوبة إليها، وانقسم الجيش على نفسه بين فريق مؤيد وآخر لايريد القتال، لم يبق أمام الأمير غير الاستسلام والتفاوض عليه يستطيع بذلك ان ينقذ ما يمكن انقاذه.

استسلم الأمير محمد قبل الفجر في نهاية آب 1836 بصحبة الملا محمد الخطي، وأظهر رشيد باشا امتنانه للملا الخطي ووعده بعودة الأمير محمد سالماً، كما استقبل رشيد باشا الأمير محمد بكل احترام وعامله بالأسلوب الذي يتماشى ومكانة الأمير وشهرته واقتيد إلى استنبول بناءً على أوامر السلطان محمد الثاني حيث استقبله باحترام وسمح له بالعودة إلى كوردستان، لكنه اغتيل في طريق عودته، وتضاربت الآراء في مقتله، هناك من يقول، بأن والي بغداد هو الذي بعث يطلب من السلطان بقتل الأمير خوفاً من عودته، ويذكر عبد الفتاح علي يحيى نقلاً عن سليمان الصائغ والميجر سون: بينما كان الأمير في طريقه إلى راوندوز، فاجأه التتر - حامل البريد السلطاني، يحمل البراءة في قتله إلى والي سيواس فاعدم الحياة، عام 1838 وبطريقة جلد الرقبة بالسيف على الأكثر[21].

أما بالنسبة للوضع في راوندوز بعد استسلام الأمير محمد، فدخلتها القوات العثمانية بقيادة البيرقدار ورضا علي والي بغداد بأمر من رشيد باشا ونهبت أموالها وممتلكاتها.

فتوى العلامة محمد الخطي

وتبقى شخصية ودور الملا محمد الخطي وفتواه التي يعتبرها الكثير من المؤرخين هي السبب الرئيس لإسقاط الإمارة السورانية، محل جدل ونقاش. يعتبر الشيخ محمد الخطي من كبار علماء عصره، وتتلمذ على يد العلامة الكبير محمد ابن آدم، وله عدة مؤلفات قيمة. 1ـ حواش على البيضاوي 2 ـ حاشية على جمع الجوامع 3 ـ حاشية على تحفة بن حجر 4ـ رسالة في علم الكلام. وهذه الأخيرة قدمها إلى الوالي داود باشا، ويذكره العزاوي : "وكان من مشاهير العلماء في أيامه، وعندي له رسالة قدمها إلى داود باشا (في العلم الإلهي)[22].

المعروف بأن داود باشا كان في حالة عدم رضى وتذمر من الحكام البابانيين وذلك بسبب علاقة البابانيين بالحكومة الإيرانية، وعندما امتد نفوذ وسلطة الأمير محمد إلى أجزاء من الأراضي التي كانت بحوزة أمراء بابان، فرح داود باشا لهذه الخطوة فبعث بالهدايا إلى الأمير مع الملا محمد الخطي، مهنئاً ومشجعاً، ولذلك يذهب الموكرياني إلى القول بأن داود باشا بخطوته تلك كان يريد الاستفادة من الخطي يوم يستفحل أمر الأمير محمد، ويلصق تهمة الخيانة بالخطي على إثر فتواه التي سبق ذكرها. بينما يكتفي الدكتور جليلي جليل بالإشارة إلى أن المؤرخين الكورد يعتبرون الملا محمد الخطي خائناً لشعبه وأميره الذي عينه وانعم عليه بما لم يحصل عليه اي عالم ديني قبله من الجاه والمكانة البارزة والكلمة المسموعة، وكذلك بالنسبة للباحث عبد الفتاح علي يحيى الذي أفرد عدة صفحات من بحثه القيم بإلصاق تهمة الخيانة بالخطي مفنداً آراء الدكتور كاوس قفطان الذي قلل من شأن فتوى الخطي في إسقاط الإمارة، ويعزو سقوطها على الأخطاء التي ارتكبها الأمير محمد وتعصبه الأعمى للدين وقسوته البالغة في التعامل مع الآخرين. ولخص المؤرخ محمد امين زكي بك سقوط إمارة سوران في ثلاث نقاط رئيسية:

1 ـ التعصب المقوت والإفراط في الاعتماد على علماء الدين الجاهلين بالشؤون والظروف السياسية.

2 ـ عدم الاهتمام بفكرة الاتفاق مع الأمراء المجاورين لتوحيد العمل.

3. حقد وحسد أمراء بابان وبادينان والجزيرة، ولاغرو فان محمد باشا لو لم يكن مغروراً كثيراً، ولو ترك المجاورون التنافس والحسد واتفقوا فيما بينهم لكان من الصعب على الحكومة أن تتغلب عليهم وربما توفقوا جميعاً، ولكن الحسد والتنافس كان سبباً ازالتهم جميعاً.

لكن المفكر الكوردي مسعود محمد له وجهة نظر اخرى بحق الشيخ محمد الخطي ويبرئه من تهمة الخيانة في كتابه "له به روشه كاني زيان ــ من هموم الحياة " وبعد إطرائه على علم ومكانة العالم محمد الخطي يقول: "بأنه لم تمتد أصابع الاتهام بالخيانة إلى الخطي إلا بعد النهضة القومية الكوردية، اي بمعنى أن معاصري الخطي لم يروا في فتواه تلك ما يشين أو ما يدخل في باب الخيانة"، ويستشهد في ذلك بقصائد الشاعر القومي الكبير

الحاج قادر الكويي الذي كان عمره آنذاك اي يوم اطلاق الفتوى ما يقارب الثانية عشرة من عمره، ثم عاش الشاعر متغرباً عن بلده في استنبول وفي سنين وعيه القومي لم تبق حادثة صغيرة أو كبيرة مما مر بتاريخ الكورد آنذاك إلا ونظم فيها شعرا وذكر الأمير محمد وأخوه الأمير احمد كثيراً يمجد أعماله وبطولاته، فلم نر بأنه طعن بفتوى العلامة الخطي أو معتبراً إياه خائناً في أية قصيدة من قصائده. ثم يقول، وفي نفس الوقت وحسب تسلسل الأحداث لم تصدر أية فتوى خلال الشهور الماضية، إلا بعد وصول طلائع الجيش العثماني إلى أطراف راوندوز، وإن كان الخطي يرى في محاربة جيش الخليفة معصية وتعتبر كفراً فلماذا لم يطلق أية فتوى قبل ذلك التاريخ والمعارك كانت على أشدها في سهل حرير. ومن جهة أخرى كان الخطي أدرى الناس بطبائع الأمير محمد وقسوته ضد من يحاول التعرض لحكومته وسلطته، فالحد الأدنى من درجات المعقولية كانت تحتم على الخطي أن يبتعد عن راوندوز إلى مكان آمن قبل اطلاق فتواه تلك كي لا تطوله أيادي الأمير، ويمضي مسعود محمد في القول مذكراً بشروط الأمير محمد لوالده عند استلام الحكم، وعدم قبوله أي كان من التدخل في شؤون الإمارة والحكم، وكيف نحى الأمير محمد عمدة علماء الدين إبن آدم وأجبره على الرحيل من راوندوز ليسكن قرية (ولزم)، ويعتقد بأن الأمير محمد لم يكن ليتوانى عن تقطيع أوصال الملا الخطي إرباً لو كان أحس فعلاً بأن الخطي ينوي خراب الإمارة وتجريده من سلطاته، ويستطرد في القول لو كانت باستطاعة الأمير محمد مقاومة الجيش العثماني والتغلب عليه فانه لم يكن ليكتفي برد جيشهم وحسب بل ومطاردتهم والقضاء عليهم بما فيهم الخليفة نفسه، هنا في إشارة إلى ان الأمير لم يكن يهتم إلى محتوى الفتوى التي كانت تنص على الكفر في محاربة جيش الخليفة، ثم يذهب في القول بأن الخطي هو اول المتضررين من سقوط الإمارة بعد المكانة الرفيعة التي كان يشغلها، فهو مفتي سوران ومشاور الأمير ومعتمد أسراره على مدى عشرين عاماً، فهل من المعقول أن يضحي الخطي بكل ذلك لاكتشافه مؤخراً بأن محاربة جيش الخليفة يعد كفراً، ومن جهة أخرى إن كان الخطي كما يدعي البعض بأنه فعلاً كان على اتفاق مع العثمانيين، الم يكن من المنطق ان يحصل الخطي على بعض الامتيازات من العثمانيين، لكننا نراه بعد سقوط الإمارة يرجع إلى قريته (خه تي) ليتفرغ لتدريس تلاميذه علوم الدين والمعارف، وهو لا يملك شيئاً، ويستخلص المفكر مسعود محمد بأن فتوى الشيخ محمد الخطي كانت في صالح العامة وبرضي الأمير محمد نفسه بعد أن يئس من المقاومة لكثرة الجيش العثماني المسلح جيداً. اي بمعنى إن تلك الفتوى كانت باتفاق الملا الخطي والأمير محمد كور باشا الراوندوزي، للحفاظ على ماء الوجه.

وخاتمة القول أرى بأن سقوط إمارة سوران جاءت في الدرجة الأولى نتيجة الإصرار العثماني على ان تقضي على الإمارات الكوردية وبسط سيطرتها

المباشرة على كوردستان في زمن تنامي النزعة العسكرية العثمانية للسلطان محمود الثاني الذي باشر حكمه بالقضاء على الإنكشارية وبناء الجيش النظامي، وفرض المركزية العثمانية في المناطق التي كانت تمسهم مباشرة في حالة اي تغيير في موازين القوى في المنطقة.

الهوامش:

1-يظهر من هذا بأن مصطفى بك لم يكن يريد في قرارة نفسه التنحي عن الحكم نهائياً.

2-بالنسبة للشرط الثالث هو كما مثبت عند الدكتور جليلي جليل في كتابه المذكور آنفا. لكن كتاب (ميزوي ميراني سوران – تاريخ امراء سوران) للمؤرخ حسين حزني موكرياني، يذكر بأنه اشترط على والده ستين الفاً وعلى والدته (بوك شاه زه مان) ثلاثين الفاً، دون ان يذكر شهرياً.

3-سيأتي ذكر هذا العالم الديني لاحقاً، والذي اختلف المؤرخون في تحديد وتأثيره في شؤون الحكم ودوره لإسقاط الإمارة.

4-يذكر موكرياني: بأن سيد طه افندي قائمقام راوندوز استطاع ان يخرج في عام 1926 ثلاثة من تلك المدافع من اعماق النهر، التي رمى بها الأتراك في حربهم ضد الأمير. أود أن أذكر هنا بأن احد تلك المدافع منصوبة الى يومنا هذا في الساحة الرئيسية في راوندوز وكنت اعرج لمشاهدتها كلما قادتني قدماي الى تلك الأنحاء، وفي آخر زيارة لي لكوردستان في عام 1992 كانت احداها لا تزال منصوبة هناك، الكاتب.

5-عبد الفتاح علي يحيى، مصدر سابق.

6-عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين الجزء السادس، عن عبد الفتاح علي يحيى، المصدر السابق.

7-ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، عن عبد الفتاح علي يحيى، المصدر السابق.

8-محمد مصطفى الكزني، الشيخ نورالدين البريفكاني، القاهرة 1982 ص6 نقلاً عن تحفة السالكين ورقة 6. المصدر السابق.

9-المحامي عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع.

10-عبد الفتاح علي يحيى، مصدر سابق.

11-عبد الفتاح علي يحيى، المصدر السابق، ويذكر في الهامش رقم 51 " طريقة جلد الرقبة بالسيف كانت تنفذ بذوي الخطر من الناس ويقاد إلى غرفة مكبلاً بالحديد ويجلسونه على كرسي ويلفون حول عنقه حمالة سيف ويمسك بطرفيها جنديان ويأخذان يشدان على عنقه حتى يكسرا فقراته ويزهقا انفاسه خنقاً. ثم يأتي الجلاد يفصل الرأس عن الجسد ويغسل ويسلخ ويحشى بالقش او التبن ويوضع في صندوق ويقدم للوالي الذي يرسله بدوره إلى استنبول بعد أن يراه.

12-تاريخ العراق بين احتلالين، مصدر سابق.

المصادر:

1 ـ شه رفنامة للمؤرخ الأمير شرف خان البدليسي، ترجمة هزار.

2ـ خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، تاريخ الدول والإمارات الكوردية في العهد الإسلامي، الجزء الثاني محمد أمين زكي بك، ترجمة محمد علي عوني.

3ـ كوردەكـانى ئيمبراتـوريتي عوسمـاني (كـرد الامبراطورية العثمانية)، الدكتور جليلي جليل، ترجمه عن الروسية قدم له وعلق عليه الدكتور كاوس قفتان (باللغة الكردية).

4 - ميـزوي ميراني سوران — تاريخ امـراء سوران، للمؤرخ الكبير حسين حزني الموكرياني (باللغة الكردية).

5 - تـاريخ العـراق بـين أحـتلالين، الجـزء السـابع، المحامي عباس العزاوي.

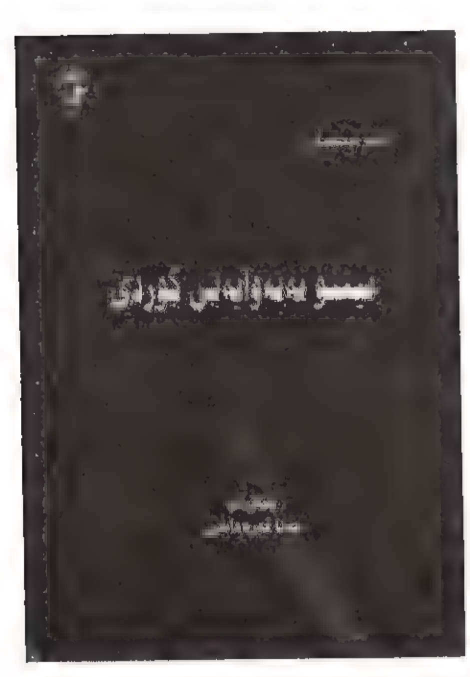
6 - مجلة كاروان - المسيرة العـددان 52 و 53 سنة 1987 عـن الأمانـة العامـة للثقافـة الشـباب بـاللغتين الكوردية والعربية.

7 - له بەر وشەكاني زيان - من هموم الحياة، للمفكر الكوردي المعروف مسعود محمد.

* كاتب كوردي، مقيم في السويد



كردستان في عهد الدولة العثمانية
تاليف: د. عبدالله محمد علياوايي
من منشورات مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية
السليمانية – 2005



النزعة القومية الكردية
تاليف: نادر انتصار
ترجمة من الانجليزية: عطا قرداغي
السليمانية – 2005

كوردستان في السياسة البريطانية-التركية 3-3

بيار مصطفى سيف الدين

كلية الآداب – جامعة دهوك

ويشير مؤلف كتاب (الرجل الصنم كمال اتاتورك) إلى ان الإنكليز انتظروا بصبر قيام مصطفى كمال بالإقدام على إلغاء الخلافة، وكان على الأتراك، ولكي يحصلوا على اعتراف باستقلالهم، أن يضحوا بالخلافة، " والا فان الصلح لن يتم وسوف تدفع بريطانيا العظمى اليونان المثخنة بالجراح إلى جولة أخرى من معركة الثأر ثم تظهر هي بجيوشها وراء اليونان "ويرجع هذا المؤلف سبب الإصرار البريطاني إلى ان تلك المؤسسة تحمل على الدوام احتمال الظهور مجدداثم احتمال التأثير على المسلمين الموجودين في المستعمرات الإنجليزية"[1].

وفي الواقع فإن هذه الادعاءات لم تلق تأييدا من اغلب الباحثين الأكاديميين والمختصين، بدليل عدم إشارتهم إلى وجود هكذا صفقة، كما أن محاضر مؤتمر لوزان لا تحتوي على أية إشارة تدعم هذا الزعم، وكذلك الوثائق البريطانية والمذكرات المتبادلة بين الدبلوماسيين البريطانيين العاملين في مجال المسألة التركية آنذاك. وكما يبدو فإن المؤلفين المار ذكرهم قد عالجوا الموضوع من وجهة نظر عاطفية. إلا ان ذلك لا يعني أن بريطانيا لم تستفد من القرار ولم ترتح لهوان لم تعلن ذلك بصورة رسمية، حفاظا على هدوء سكان مستعمراتها في العالم الإسلامي بدءا بالهند والى مصر والبلدان العربية. وما يعزز هذا الراي هو ما ذكره سي. جي. ادموندز تعليقاً على قرار الحكومة، الذي وصفه "بالقانون الباغت للمجلس الوطني الكبير التركي" والذي "لم نصدقه"، ومضى في تعليقه: "كانت دعاية الترك، التي ابقت كوردستان في غليان البركان الثائر، قد اعتمدت أساساً على احترام الكورد إمام دينهم، ولا شك ان الترك قد اوقعوا انفسهم في ورطة بهذا القرار الذي بدا يفوق اقصى آمالنا..."[2].

وكما يبدو فإن مصطفى كمال اراد بهذا الإجراء توجيه رسالة غير مباشرة إلى بريطانيا بصورة خاصة والدول الأوروبية الأخرى، تعطي انطباعاً وتأكيداً على توجه تركيا الجديد صوب الغرب[3]، املاً منه في الحصول على الدعم والساعدات لإعادة بناء واعمار تركيا، ولغرض إبداء بريطانيا بعض المرونة في مسألة الموصل.

إلا أن نتائج ذلك الإجراء جاءت عكسية بالنسبة لمشكلة الموصل وعلى صعيد الوضع الداخلي لتركيا، فقد كان اغلب الكورد من سكان الولاية والى الشمال منها -كوردستان الشمالية-ينظرون إلى تلك المؤسسة بعين من الاحترام والتقدير. فبإجرائها ذاك تكون انقرة قد فقدت تعاطف الأكثرية الكوردية التي تقطن الولاية المتنازع عليها" التي كانت مشدودة بعاطفة دينية إلى الخلافة كرمز وحيد يجمعهم ويربطهم بالاتراك"[4].

فقد كان لقيام انتفاضة الكورد في شباط وآذار 1925 اثر كبير في تشويه صورة تركيا وسمعتها، إذ كان احد الشعارات المهمة التي رفعها قادة الانتفاضة"اعادة الخلافة"[5] وقامت الانتفاضة أثناء وجود لجنة تقصي الحقائق في ولاية الموصل، التي وصلتها بسرعة أخبار القسوة الشديدة التي قمعت بها الانتفاضة والإعدامات الكثيرة التي طالت المشاركين فيها[6].كما كان المئات من اللاجئين الكورد الذين عبروا آنذاك الحدود من تركيا إلى داخل العراق كانوا يحملون معهم روايات عن فظاعة الأتراك في تعاملهم معهم ووحشيتهم ضدهم[7].

وكان هذا بحد ذاته ضربة شديدة لسمعة تركيا بين اوساط الكورد في الولاية[8]. وقد علق توينبي على قمع الانتفاضة الكوردية قائلاً :"إن الحكومة التركية أحبطت الثورة الكوردية بقوة وذكاء، لكن هذه الكفاءة العسكرية لم تنم عن حكمه سياسية. فبينما تم بنجاح اعدام قادة الثورة إلا أن هذا الإجراء كان غير مبرر وأخرق لا ينم عن حكمة. فإن الثورة نفسها نبهت بأن هناك شيئاً ما خطأ في سياسة الحكومة..."[9]. وقد تنبه الباحث التركي ميم كمال أوكه *Mim.K.Oke* إلى تلك النقطة عندما ذكر بأن " إلغاء الخلافة الحق ضرراً بالغاً بموقف تركيا،... فقد استفادت الحكومة الإنكليزية من انتفاضة الشيخ سعيد إلى ابعد الحدود، من ناحيتين: فمن جهة تعرضت تركيا،جراء الانتفاضة، إلى حرب داخلية منعتها من القيام بأية مناورة في شمال الولاية المتنازع عليها، ومن جهة ثانية فان الاشتباك التركي- الكوردي الجديد كان كافيا لإبطال مفعول الأطروحة التركية القائمة على مبدأ الأخوة... وهكذا فقد عجزت تركيا عن القيام بأي تحرك على الصعيدين الدبلوماسي والعسكري، تجاه مشكلة الموصل..."[10]. وقد دلت النتائج التي توصلت إليها اللجنة الدولية، وتوصياتها النهائية، مبلغ إضعاف الثورة الكوردية للأطروحة التركية أمام عصبة الأمم، المرتكزة أصلاً على الأخوة التركية الكوردية، والتي استندت اليها تركيا في مطالبتها بضم الولاية الكوردية إلى الوطن الام تركيا بناء على رغبة سكانها[11]، وحددت تلك التوصيات موقع قضية الكورد في النزاع على الولاية، وثقلهم[12].

إن رفض تركيا لتقرير لجنة تقصي الحقائق المقدم إلى عصبة الأمم في 16 تموز 1925 كان متوقعا، لهذا لم يكن رد فعلها ليتأخر كثيرا، فقامت باتخاذ إجراءات عبرت من خلالها عن معارضتها الشديدة لمقترحات وتوصيات اللجنة المذكورة.

واتخذت تلك الإجراءات أشكالا مختلفة. فعلى الصعيد الدبلوماسي وفي 23 تموز رفعت تركيا تقريرا إلى عصبة الأمم اتهمت فيه مسؤولي الإدارة العربية في ولاية الموصل بالوقوف ضد التوصل إلى رأي عام حقيقي في الولاية[13].

وبموازاة تحركها الدبلوماسي، قامت بتحركات عسكرية في المناطق المتاخمة للحدود الشمالية لولاية الموصل[14]، وحشدت اكثر من 50.000 جندي في الولايات الشرقية[15]. كما نقلت الصحافة التركية نداءات الحكومة باستدعاء الجنود المسرحين إلى الخدمة ثانية في الولايات الشرقية[16].

ويبدو ان هدف الحكومة التركية من إجراءاتها الأخيرة كان محاولة يائسة للتأثير في التطورات الأخيرة التي وصلتها مشكلة الموصل، وهو ما دفع المسؤولين البريطانيين في تركيا إلى مطالبة حكومتهم، من خلال تقاريرهم السرية، الحصول على ضمانات قوية من الأتراك بعدم القيام بمهاجمة الموصل[17].

ومن اجل تصعيد موقفها اكثر، قدمت الحكومة التركية في الأيام 15و26 و28 من شهر آب وعلى التوالي شكاوى إلى سكرتير عصبة الأمم من خروقات بريطانية على خط الحدود ـ (خط بروكسل) وتحليق طائراتها فوق المنطقة الواقعة شمال خط بروكسل، إضافة إلى رصد تحركات الأسطول البريطاني بمحاذاة الساحل التركي في بحر إيجة، وكذلك اتهمت فيها الحكومة البريطانية بأنها تهدف من وراء ذلك التأثير في قرار مجلس العصبة عن مشكلة الموصل[18].

ومن جانبها، بدأت لندن هجوماً دبلوماسياً في 27 آب 1925 برفعها شكوى إلى سكرتير مجلس عصبة الأمم ضد تركيا، ردت فيها على المزاعم التركية، واتهمت أيضا تركيا بترحيل النساطرة- الآثوريين- شمال خط بروكسل إلى جنوبه، كما تطرقت إلى انتفاضة الشيخ سعيد (انتفاضة 1925 الكوردية)، وهي مسائل تحرج تركيا[19].

بحلول 3 ايلول 1925، دعا اوستن اوندن ـ وهو رئيس احدى اللجان المشكلة لحل مشكلة الموصل ـ كلاً من توفيق رشدي بك ومنير بك ـ كممثلين عن تركيا إلى اجتماع مجلس العصبة لمناقشة مشكلة الموصل ودراسة شكاوى الطرفين[20].وفي أثناء الاجتماع، وبحضور جميع اعضاء مجلس العصبة، تبادل كل من أيمري، المندوب البريطاني في العصبة، وتوفيق رشدي بك، خلال مذكراتهما وتقريريهما الاتهامات بعد أن اقترح عليهما أوستن اوندن ابداء وجهتي نظر حكوماتهم.وبادر أيمري بتوضيح وجهة نظر حكومته من مشكلة الموصل، فقام في البداية بتذكير المجلس بالتعهدات التي قطعتها على نفسها مقدما كل من حكومتي لندن وأنقرة إلى مجلس العصبة في أيلول 1924، والقاضية بالقبول ـ

ومقدماً ـ بأي قرار يصدره مجلس العصبة بشأن مستقبل ولاية الموصل، وصرح بأن حكومته تقبل مخلصة اي قرار يتخذه المجلس[21]. وأوضح بأن تقرير لجنة تقصي الحقائق سجلت رأيها باعتبار المنطقة المتنازع عليها تركية قانوناً إلى أن تتنازل تركيا عن حقوقها فيها، ولكنه أضاف بأن الحكومة التركية وافقت مقدماً في المادة 3 من معاهدة لوزان وبالتصريح الرسمي لممثلها أمام المجلس على التنازل عن سيادتها في كل المنطقة الواقعة جنوبي الخط الذي يقرره المجلس كخط للحدود، وأشار ايمري إلى المبررات التي جعلت الاستفتاء متعذراً في الولاية ومستشهداً بتقرير اللجنة (لجنة تقصي الحقائق). وفي استعراضه لأهم استنتاجات تقرير اللجنة قدم ايمري توضيحات كثيرة حول مسألة الانتداب والعلاقة مع حكومة العراق، وبخصوص الشرط الثاني الذي ذكرته لجنة تقصي الحقائق في تقريرها وهو الاهتمام برغبات الكورد، فقال" إن حكومته تؤكد أن النظام الإداري الحالي، الذي يحقق توصيات اللجنة، سيستمر ويتطور"[22] ومن ناحية أخرى استنكر ايمري أية محاولة لتهديد "وحدة مناطق العراق خلف خط بروكسل"، وحذر من " عواقب وخيمة ونتائج كارثية ناجمة عن هكذا مشاريع وحلول" [23]. وكان ايمري يشير بكلامه إلى المقترح البديل الذي اقترحته لجنة تقصي الحقائق في تقريرها، والقاضي بتقسيم منطقة النزاع على طول نهر الزاب الأسفل. مضيفاً بأن ذلك التقسيم سيكون فوق طاقة العراق كلياً، وبأنه لو اضعف العراق، فلن يستطيع الدفاع عن نفسه، ولن تتوقع عصبة الأمم من الحكومة البريطانية أو من دافعي الضريبة البريطانية ان يتحملوا المسؤولية[24].

ثم ختم ايمري كلامه، بتكرار حجج بلاده في المطالبة بالخط الواقع شمال خط بروكسل، وطالب بدراسته حسبما يستحق الأهمية، وأوضح ان مشكلة موضوع البحث هي" تعيين خط بين حدود تركيا والعراق" لا تقرير مصير ومستقبل ولاية الموصل، كما تصر الحكومة التركية، وتطرق أيضاً إلى موضوع الآثوريين مدافعاً عن عصيانهم على الحكومة التركية في سنوات الحرب العالمية الأولى[25].

وبالنسبة للمندوب التركي، توفيق رشدي بك، فقد عقب على ايمري بالكلام مقدماً وجهة نظر حكومته، فذكر بأنه قسم التقرير الذي أعدته لجنة تقصي الحقائق إلى ثلاثة اقسام أساسية: وهي الحقائق التي لاحظتها اللجنة، ووضع الولاية القانوني، وأخيرا النتائج، وذكر بأنه يرغب في الحديث عن كل قسم على حدة[26].

وبخصوص النقطة الأولى، زعم رشدي بك بأن الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والعسكرية والاقتصادية هي في صالح تركيا، حسبما ورد في التقرير، وبأنها لا يمكن أن تكون عوامل حاسمة في تقرير مصير بلد من البلدان، وعلى العكس من ذلك فإن الاعتبارات السياسية ورغبات السكان ووضع الولاية القانوني وعدم استقرار السياسة الداخلية للعراق، كما ذكر التقرير، واختلاف العادات والعقائد السياسية والدينية بين الكورد والأتراك والعرب

السنة والعرب الشيعة في الجنوب لهي أمور مهمة في الدرجة الأولى. واضاف، بأنه وبالرغم من تأكيد اللجنة على الاعتبارات الاقتصادية، فإنه يقترح لمعالجة الوضع الاقتصادي في المستقبل، عقد اتفاقيات إقليمية. وفي معرض حديثه عن الناحية السياسية للتقرير، زعم بأن الحقائق المذكورة في تقرير اللجنة تظهر مدى رغبة السكان في الولاية بالبقاء تحت السيادة التركية، ولأجل تأييد استنتاجه المذكور، استشهد ببعض الحوادث التي ذكرت في التقرير، مثل حادثة 27 كانون الثاني 1925 في ولاية الموصل والتي رواها تلكي والتي تتحدث عن احاطة الجماهير بجواد باشا المساعد التركي وتقبيلهم يديه. وكذلك تحدث عن مسألة وضع اعضاء اللجنة تحت مراقبة شرطة الموصل. كما استعرض مقتطفات من تقرير اعده جواد باشا، مساعد اللجنة التركي، تتحدث عن حوادث مشابهة[27].

ثم استعان المندوب التركي بمقتطفات من التقرير لاستعراض رغبات لواء أربيل والسليمانية وما يخص آراء المسيحيين واليهود، وزعم بأن الكورد موجودون في تركيا وإيران فقط ولا يوجد اي منهم في العراق، كما ان اكثرية سكان ولاية الموصل هم من السنة مثل سكان تركيا وأكثرية سكان العراق من الشيعة مثل سكان ايران، ولهذا فإنه يرى ضرورة إرجاع الولاية إلى تركيا[28].

وأثار رشدي بك مسألة حساسة وهي الانتداب متهماً بريطانيا بأنها كانت تقدم ادعاءاتها ضد تركيا من وقت لآخر، ابتداء بمعاهدة سايكس- بيكو السرية التي عقدت سنة 1916. وقد رفض المندوب التركي ان يلتزم بالتعهد الذي قدمه فتحي بك " في ان يوافق مسبقاً على قرار مجلس عصبة" متخذاً موقفاً آخر قال فيه بأن مجلس عصبة الأمم، لم يكن مؤهلاً لضم ولاية الموصل إلى العراق، على شرط ان تمدد مدة الانتداب الى خمس وعشرين سنة، ذلك لان تركيا لم تعترف بنظام الانتداب إطلاقاً[29]. وأضاف " لقد رفضت تركيا، بصفة قاطعة، تقبل المواد 94-99 من معاهدة سيفر فيما يخص الانتداب ... وان معاهدة لوزان لم تلمح إلى الانتداب بأية صورة كانت"[30].

وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة، وهي النتائج التي اوصى بها التقرير، ذكر بأن هناك فكرة أخرى في نتائج اللجنة، وهي أن تركيا اكثر تقدماً واستقراراً من العراق، وانه إذا كان الاختيار محصوراً بينهما فيجب اعطاء الأراضي المتنازع عليها إلى تركيا، وأما إذا كان الاختيار على اساس ان إنكلترا اكثر تقدماً من تركيا فيجب أن تعطى الولاية لإنكلترا، وقال من الصعب ان نقدر إلى اي مدى سوف تؤدي هذه النظرية وأية أخطاء تتضمنها، فإذا طبقت على الدول الصغيرة او على الدول الكبيرة أيضاً يصبح العالم صغيراً جداً بالنسبة للدول التي تعد أكثر تقدماً، ولم تطالب تركيا بالموصل على أساس تقدمها بل على أساس ان الولاية جزء من بلادها وان سكانها يرغبون بالعودة إلى تركيا[31].

لقد كان رشدي بك يرى بأن عصبة الأمم في هذه الحالة، تبدو متشكية ومنحازة، وليست

وسيطة، ورأى بأنه يتوجب على مجلس عصبة الأمم أن يحضر دراسته للقضية المطروحة امامه "ضمن حدود المعاهدات القائمة"[32]. ويتضح من كلام المندوب التركي، بأنه رفض نتائج التقرير الذي اعدته بعثة تقصي الحقائق، وعليه فانه "لن يقبل أي قرار صادر عن مجلس عصبة الأمم يرتكز على نتائج تقرير بعثة تقصي الحقائق"[33].

وختم المندوب التركي كلامه بالطلب من مجلس العصبة بان يدرس الناحية السياسية والقانونية منفصلة عن قضية الانتداب، وعبر عن امله في أن يؤيد المجلس رأي اللجنة القانوني باستمرار السيادة التركية على ولاية الموصل وهذا في رأيه كان "الحل الوحيد المطالب للعدالة والإنصاف"[34].

وفي 4 أيلول، تناول ايمري خطاب رشدي بك ورد عليه نقطة نقطة، واستشهد هو الاخر، بمقتطفات من تقرير لجنة تقصي الحقائق لدحض استنتاجات رشدي بك، واتهم ايمري المندوب التركي بالانتقائية في عرض الحقائق، ثم عالج الاعتبارات السياسية والعنصرية والاقتصادية، وقال بأن البيانات التركية أكدت بصورة خاصة من أوله إلى آخره على الفرضية القائلة بأنه مادام هناك عدد كبير من الكورد في تركيا، فيجب اعتبار كورد العراق راغبين بالعودة إلى تركيا، ورجا المندوب البريطاني، المجلس بأن يقدر ما إذا كانت الثورة الكوردية يقصد انتفاضة عام 1925 في تركيا تشجع الكورد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي وعلى إبداء عواطفهم مع الحكومة التركية ضد شعب من جنسهم الخاص[35].

وطالب ايمري مجدداً بالخط المقترح الذي يضم جزءاً من ولاية هكاري التركية، كما طلب من المندوب التركي أن يؤكد لمجلس العصبة عن استعداد تركيا لقبول أي قرار يقره مجلس عصبة الأمم عن مشكلة الموصل[36].

ولإحراج المندوب التركي أكثر، ربط ايمري بين الحقوق الكوردية ومسألة الانتداب، عندما قال بأن اللجنة لم توص بإدخال نظام الانتداب إلى العراق، كما ذكر المندوب التركي، وإنما اقترحت استمرار علاقات التحالف بين العراق وبريطانيا مع حكم ذاتي للكورد. وتساءل" ما إذا كانت تركيا مستعدة لإعطاء كورد تركيا وكورد العراق، إذا ما ضموا إليها، الامتيازات نفسها التي أعطيت لهم في العراق؟..."[37].

وختم ايمري كلامه بتذكير المجلس بأن مشكلة موضوع البحث، تقتصر على رسم الحدود، وليست على تقرير مصير الولاية، ورجا المجلس أن يمنع تركيا من تمزيق أراضي العراق[38].

لم يعط المندوب التركي أية ضمانات بأن حكومته ستقبل مقدماً قرار المجلس، وبخصوص الكورد، فانه تكلم عن وعود وحقوق مبهمة اعطيت لهم من قبل تركيا، وذكر "بان الكورد يمتلكون كل ما يمتلكه الأتراك من الحقوق"[39]. وعلق رشدي بك بخصوص ثورة الكورد لعام 1925، قائلا: "اعتقد أن المندوب البريطاني لا يوافق على موقف الشيخ سعيد الكوردي ـ الشيخ سعيد بيران. وأتباعه في ثورتهم ضد النظام التركي المستند الى السيادة

الشعبية وحرية الضمير. انه يعجز عن فهم الغاية من تجزئة الكورد بحجة حمايتهم. اني لأتساءل: هل تريد بريطانيا ان تبقي تحت سيطرتها جزءاً من الكورد لاستخدامهم ضد تركيا التي تضم اكبر مجموع لنفوس الكورد؟!"[40].

يتضح من كلام رشدي بك، بأن تركيا كانت ترى في ولاية الموصل تهديداً على امنها ووحدة اراضيها كدولة، ولم تكن مطالبتها بها على اساس اهميتها من الناحية الستراتيجية او احتوائها على البترول فحسب، فوقوع ولاية الموصل بكوردها البالغ عددهم اكثر من نصف مليون نسمة[41] في قلب المناطق التي يعيش الكورد فيها، وبسبب الامكانات النفطية والزراعية والتجارية والاقتصادية الأخرى التي تتمتع بها المنطقة، فإن هذه المنطقة قد تميل في المستقبل إلى ان تسحب الكورد المحيطين بولاية الموصل إلى الدخول في وحدة الموصل الاقتصادية. وفي رأي الأتراك ان فصل الولاية يعكر الوحدة السياسية لتركيا ويعرض سلامتها للخطر[42].

وفي غضون ذلك اتهم المندوب التركي مجدداً الطيارين الانكليز بخرق خط بروكسل وبانتهاك الأجواء التركية. ورد عليهم الإنكليز برفع شكاوى إلى مجلس عصبة الأمم في يومي 15و16 ايلول مبينين فيها تهجير المسيحيين والكورد الطويان[43] من شمال خط بروكسل إلى جنوبه. وفي 21 ايلول رجا ايمري في رسالة إلى عصبة الأمم الاجتماع بأقصى وقت ممكن للنظر في امر تشريد المسيحيين[44]. ومن اجل وضع حد لتلك الحوادث التي تؤثر في سير المفاوضات، اقترح ايمري على رئيس مجلس العصبة اوندن *Unden*، إرسال ممثل او ممثلين عنه إلى خط بروكسل، فتبنى الأخير المقترح. ولم يعارض فتحي بك[45].

ومع ان تركيا لم تعارض ارسال بعثة خاصة لتقصي الحقائق عن تلك الانتهاكات، إلا ان المندوب التركي لم يوافق على السماح بإجراء تحقيق إلى الشمال من خط بروكسل، او ان يمتد اي نشاط للبعثة هناك، زاعماً بعدم وجود خلاف فيما وراء خط بروكسل، مضيفاً بأن مسالة الأقليات التي سوف يشملها التحقيق، بعيدة كل البعد عن مشكلة الموصل[46]. مذكرا في الوقت نفسه، اعضاء المجلس، بتصرفات النسطوريين-الآثوريين- الخيانية، ضد بلادهم تركيا اثناء الحرب العالمية الأولى[47].

كلف مجلس عصبة الأمم الجنرال الاستوني المتقاعد ورئيس الأركان السابق، ف. ليدونر *F.laidoner* بالتحري عن الوضع في نطاق الخط المؤقت للحدود، وليطلع المجلس على الحوادث الجارية هناك، ويساعده في مهمته كل من رودلف يال *R.Jacl* ـ من بلجيكا، اورتيكا *Ortiga* من السلك الدبلوماسي الاسباني، واي شارير *E.Sharer* ـ الفرنسي، ممثلاً عن سكرتير مجلس العصبة[48]. وكان تعيينهم في يوم 23 ايلول 1925، ووصلوا إلى بغداد في 26 تشرين الأول، وبعد تسلمهم فيها الوثائق والمراسلات الخاصة بالمشكلة من المندوب السامي البريطاني، اتجهوا نحو ولاية الموصل ليقوم الوفد بتحرياته فيها[49]. في تلك الأثناء، رأى مقرر

مجلس العصبة، أن يعيد تشكيل لجنة فرعية ثلاثية، من ممثلي أسبانيا والاورغواي[50]. وقد كلفت اللجنة المذكورة بدراسة المشكلة وتفحص جميع الوثائق، على أن يعاونها في ذلك طرفا النزاع في حل أي استفسار تعتبره ضروريا في سبيل الوصول إلى حل سلمي وعادل[51].

ومن جانبها فقد أبدت بريطانيا استعدادها لمساعدة اللجنة والتعاون معها،وكذلك فعلت تركيا، غير أنها اشترطت تضمين تقرير اللجنة الفرعية بعض الحقائق التي لاحظتها لجنة التحقيق ولكن لم تكتبها في تقريرها، ورحب رئيس مجلس العصبة بالطلب التركي[52].

وبعد ان درست اللجنة الثلاثية المذكورة المشكلة من جميع جوانبها، قدمت مقترحاتها إلى مجلس العصبة. فاجتمع المجلس اثر ذلك في 19 ايلول وقرا مقررها تقرير اللجنة الفرعية[53] وقال: إن لجنة المجلس درست بعض المسائل الاولية منها أثنتان مهمتان:

1-ماهي صفة القرار الذي سيصدره المجلس بموجب الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان؟ أهو قرار تحكيم؟ أم توصية؟ أم مجرد وساطة ؟.

2-هل يجب ان يكون القرار الذي سيتخذه مجلس العصبة بالاجماع أم بالأكثرية؟ وهل يحق لممثلي الطرفين المشاركة في التصويت؟[54].

وبما أن لهذين السؤالين طابعا قانونيا، رات اللجنة ان واجبها يملي عليها الاقتراح على مجلس العصبة إحالة الموضوع إلى محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي للحصول على رأيها الاستشاري. ومن جانبه قبل مجلس العصبة بالاقتراح، واحال الامر مع التقرير والأوراق والمستندات والمدعيات المتبادلة والردود المتفاعلة إلى محكمة العدل الدولية طالباً رأيها، تطبيقا للمادة الرابعة من ميثاق العصبة[55].

ابدى أمري أسفه للتأجيل الحاصل، قائلاً:" إن مهمة مجلس العصبة كانت مهمة من يريد ان يصدر قراراً حاسماً يقوم على اساس المؤهلات الواسعة للقضية..."[56]ولكنه مع ذلك وافق في النهاية على ذلك الاجراء [57].

أما رشدي بك، فقال: " ان الاجراء الوحيد المحتمل هو التوصل إلى حل يرضي الطرفين عن طريق الدوائر الجيدة لمجلس عصبة الامم... وليس بقرار يمنح من المجلس دون رضا الطرفين ". ولدعم طرحه هذا أشار إلى بيان اللورد كرزن الذي القاه في مؤتمر لوزان في يوم 23 تموز 1923 والذي قال فيه " بان لامجال إلى اصدار قرار دون ان ترضى به تركيا"[58]. واضاف بأن فكرة المحكمة لن تؤثر في حقوق تركيا. والتي منحت لها بضوء معاهدة لوزان وتحت اية ظروف[59]. واوضح بأن تركيا ترى بأن المسألة ذات طابع سياسي لا قضائي لتعرض على محكمة لاهاي[60]. واحتجاجاً على القرار، قام رشدي بك بمغادرة جنيف، مقرراً عدم حضور تركيا لجلسات تلك المحكمة[61].

وفي محاولة اخيرة من الوفد التركي اقترح اتفاقاً مباشراً مع بريطانيا، خارج إطار عصبة الأمم، على أساس تنازل تركيا لمنطقة ديالى إلى العراق لضرورتها في حل مشكلة الري، ولتهدئة مخاوف بريطانيا حول امن العراق الإستراتيجي، اقترح ميثاق او حلف ضمان رباعي يتضمن العراق ـ تركيا ـ بريطانيا، إيران[62].

ولكن كان أمرا بديهيا أن لا تلقى المقترحات التركية آذانا صاغية من الجانب البريطاني، الذي كان يعارض بشدة أي اقتراح او مشروع يرمي إلى " قطع الطفل نصفين "[63]. وبدلاً من قبول المقترح فإن ايمري حذر الوفد التركي بأنه "مالم تجدد الحكومة التركية عهودها بوضوح وبدقة بقبول قرار المجلس مقدماً، فإن تعهدات وتأكيدات الحكومة التركية مع الحكومة البريطانية تنتهي ولا يبقى لها تأثير"[64].

ومهما يكن من امر، فقد تلقت محكمة العدل الدولية في لاهاي تلغرافاً من الحكومة التركية في 8 تشرين الثاني 1925، تخبرها فيه بعدم حضورها لجلسات المحكمة، وعدم المشاركة في قراراتها[65]. الا ان ذلك لم يمنعها من أن تبعث إلى المحكمة "بالمجموعات الكاملة للقوانين والوثائق التي تخص مؤتمرات لوزان والقسطنطينية، وكذلك مجاميع الوثائق التي تتعلق بما عرف باسم مشكلة الموصل"، كما انها اجابت عن بعض الأسئلة المحددة التي طرحتها محكمة العدل الدولية[66]. اما بريطانيا، فانها من جانبها أوفدت المدعي العام للدولة السير دوكلاس هاك *D. Hack*، ليمثلها امام المحكمة[67].

ان عدم ارسال الاتراك لممثل عنهم ليدافع عن قضيتهم أمام محكمة العدل الدولية، اضر بموقفهم الضعيف اصلاً، امام بقية الدول الاوربية الاعضاء في المجلس والمحكمة، فقد فوتوا فرصة اخرى كان بامكانهم فيها عرض وجهة نظرهم والدفاع عن قضيتهم امام ذلك المحفل الدولي، وكانت تلك الخطوة من جانب الاتراك رسالة خاطئة إلى اعضاء المجلس الذين فسروها بعدم استجابة الاتراك لمجلس عصبة الامم وعدم اعترافها به. وفي الوقت نفسه فقد اظهرت بريطانيا حكمة في التعامل مع الموقف،وذلك بإيفادها شخصية مهمة ومتخصصة في المجال القضائي،هو مدعي عام الدولة، ورات في ذلك التمثيل فرصة مهمة لكسب المزيد من المؤيدين داخل المجلس، باعتبارها دولة قوية لاتقارن بتركيا، فكيف بتركيا ذات الامكانات المحدودة ان تتحدى مجلس العصبة.

المهم في الامر هو ان محكمة لاهاي أصدرت استنتاجاتها بخصوص الاسئلة التي قدمتها عصبة الامم في 21 تشرين الثاني، وجاء فيها:

1-ان القرار الذي يصدره مجلس عصبة الامم في قضية الموصل ملزم لكلا الطرفين، ويكون تحديداً نهائياً لخط الحدود بين تركيا والعراق. ويجب ان يكون هذا القرار جماعياً.

2-ولممثلي الجانبين المتنازعين الحق في الاشتراك في التصويت في مجلس العصبة، على أن لا يؤخذ صوتهما بالحسبان في حالة تعارضهما مع آراء اعضاء المجلس الاخرين[68].

في 8 كانون الاول 1925، ناقش منير بك - الممثل التركي- وأيمري القرار الاستشاري الذي قالت به الحكمة في لاهاي، وقد وجد الممثل البريطاني القرار تأكيداً لوجهة نظره التي سبق له ان اعرب عنها قبلاً، والقائلة بأن الالتزام الحقيقي الذي فرض على الطرفين، قد تم احتواؤه، ليس عن " أية تأكيدات او تصريحات من لدن أي من الطرفين، وإنما حسب منطوق المادة الثالثة من معاهدة لوزان"[69].

غير ان منير بك، قال بأنه لايقبل اي تفسير للمادة(3) الفقرة(2) من معاهدة لوزان غير الذي قد أعطي إلى المجلس الوطني الكبير عند مصادقته على تلك المعاهدة[70]. والذي بدوره فهم من ذلك بأنه لايجوز "ان تترك سائر المنطقة المتنازع عليها إلى رحمة التحكيم"[71]. ثم طلب منير بك من المجلس أن يلعب دور الوسيط والموقف الذي خولته إياه معاهدة لوزان وميثاق العصبة، وصرح بأنه ولأجل أن يكون التصويت فعالاً، يجب أن يكون "اجماعيا" بما في ذلك صوتا بريطانيا وتركيا، ولكن مقرر المجلس حكم بعدم إدخال صوتي بريطانيا وتركيا، وسط معارضة شديدة من منير بك[72].

وخلال الاجتماع الذي عقد في جنيف، مقر مجلس العصبة في 10 كانون الاول، والذي قاطعته تركيا، عرضت رسالة بعث بها توفيق رشدي بك وزير الخارجية التركي إلى المجتمعين، اشار فيها إلى "أن المندوب التركي قد صوت ضد قبول القرار الجديد... وأن الموافقة على رأي المحكمة الاستشاري بآراء أعضاء المجلس الاخرين لاتشكل قراراً وفقا للميثاق"[73]. واكد مجدداً في رسالته "بأن حقوق السيادة لدولة ما على اقليم ما لايمكن أن تنتهي الا برضا تلك الدولة، وعلى هذا فإن حقوق سيادتنا على ولاية الموصل برمتها تظل سالمة"[74].

إن إصرار وتشبث الأتراك بالموصل يبدو واضحا من خلال رسالة رشدي بك إلى مجلس العصبة، إلا إن تلك الرسالة وكما يبدو، كانت محاولة يائسة لدفع بريطانيا إلى التراجع عن موقفها أمام مجلس العصبة. ولم يلمس اي تأثير لها في مجلس العصبة.

وخلال اليوم نفسه، 10 كانون الاول، استمع مجلس العصبة إلى تقرير الجنرال ليدونر، العائد من جنوب خط بروكسل، وقد وصف الباحثون تلك الجلسة، بـ"الاجتماع الحاسم". لما كان له من تاثير على مجلس العصبة عند اتخاذه القرار النهائي[75]. نظراً لما أورده التقرير من حوادث واستنتاجات[76]، حتى زعم الاتراك بأن البريطانيين هم الذين عملوا على تقديم هذا التقرير. بالنظر إلى تأثيره المؤلم في إثارة التعصب الديني ضدهم[77].

لقد اظهر الأتراك تصلباً أكثر كلما اتخذ المجلس اجراءً جديداً، ففي الوقت الذي قاطع مندوبوها جلسات محكمة العدل الدولية وجلسة الاستماع إلى تقرير الجنرال ليدونر، صرح مصطفى كمال قائلاً: " بأن الموصل تركية ولا يمكن لأي شيء، حتى الحرب أن تغير ذلك. إننا نريد كل ولاية الموصل السابقة على جانبي نهر دجلة، كليهما، وسواء كانت تحت الانتداب ام لم تكن، ليس لذلك أهمية. إننا لن نتخلى أبداً عن وجهة النظر هذه ... " [78].

ورافقت تلك التصريحات اخبار عن دعوة المجندين وعن تحركات وتحشدات تقوم بها القوات التركية، وبث الألغام في الموانئ[79]. ونقلت تقارير المخابرات البريطانية لشهر تشرين الأول من عام 1925، تحشيد الأتراك لقوة مؤلفة من 13.000 مشاة و 5.000 من الفرسان في كوردستان على مقربة من الحدود الشمالية لولاية لموصل (خط بروكسل)، وانتشرت ايضا على طول المنطقة إلى نصيبين *Nisibin* على الحدود التركية-السورية [80].

ويبدو ان الحكومة العراقية، ومن خلفها السلطات الإدارية البريطانية، اخذت تهديدات الأتراك من تصريحات وتحركات عسكرية على محمل الجد، فقد اعلن الملك فيصل في خطاب له في لندن في 9 تشرين الأول 1925 بأن " اقتطاع الموصل سيكون ضربة هائلة بل ربما قاتلة... ان ذلك سيؤدي إلى مصاريف لاحقة على الاستعدادات العسكرية ".واعلن فور رجوعه إلى بغداد بأن عدد افراد الجيش النظامي العراقي الذي يجري التخطيط له سيزداد إلى 12.000 شخص[81].

لم تمنع تلك التطورات، مجلس العصبة من متابعة اعماله بشأن حل المسألة، إذ صرح السيد اوندن - مقرر المجلس - بأن لجنة المجلس توصلت إلى ان هناك حلين ممكنين للمشكلة[82]:

1-الحاق كل المنطقة الواقعة جنوبي خط بروكسل بالعراق.

2-تقسيم المنطقة التنازع عليها، بخط يمتد في الغالب مع مجرى نهر الزاب الصغير. وأنه بسبب تعقد المشكلة الشديد وبسبب مسؤوليات العصبة الخاصة فقد استشار اعضاء اللجنة زملاءهم، فظهر لهم بأن الحل الأول أفضل.

كان يوم 16 كانون الأول 1925 حاسماً في تحديد مصير ولاية الموصل، فقد شهد ذلك اليوم وضع حد لما عرف بمشكلة الموصل، إذ قرر المجلس فيه، وخلال الاجتماع الذي قاطعه الوفد التركي الذي بعث برسالة إلى المجلس يستنكر فيها حق المجلس في إصدار قرارات فاصلة[83]، مايلي:

1-يكون " خط بروكسل " خطاً للحدود بين العراق وتركيا.

2-تجب دعوة الحكومة البريطانية لتقدم للمجلس معاهدة جديدة مع العراق تضمن استمرار نظام الانتداب لمدة خمس وعشرين سنة، تؤكد استمرار الخمس والعشرين سنة من نظام الانتداب الذي حددته معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق.

3-ان بريطانيا، كقوة انتداب، مدعوة لتضع أمام المجلس الإجراءات الإدارية والتي سوف يتم اتخاذها والتي تضمن للسكان الكورد حقوقهم التي ذكرت في تقرير لجنة التحقيق في استنتاجاتها النهائية.

4-تجب دعوة الحكومة البريطانية لأن تطبق توصيات اللجنة الخاصة[84].

واعلن مجلس العصبة بأن القرار لكي يصبح ساري المفعول ويطبق بشكل صحيح، فإن الحل النهائي القضائي لم ينه الصراع ما لم يتبع حكم المجلس أتفاق ودي اختياري بين الحكومة البريطانية وتركيا[85].

لقد كان قرار محكمة العدل الدولية بحسم مشكلة الموصل لصالح البريطانيين وبالتالي العراقيين، ثمرة التنسيق العالي والجهود الكبيرة للدوائر السياسية البريطانية، سواء لدى حكومتها بلندن، أو دبلوماسييها في جنيف وادارييها في ولاية الموصل خاصة والعراق بصورة عامة، فقد تظافرت جهود هؤلاء وتناسقت خططهم، منذ ان احتلت جيوشها الولاية في تشرين الأول 1918 وقابل كل ذلك الأتراك بمزيد من التخبط وعدم التخطيط لدى دوائرهم السياسية، فلم تقدر حنكة عصمت باشا في لوزان ولا تصلب فتحي بك في مؤتمر القسطنطينية، أو حتى حزم وتعصب توفيق رشدي بك ومساعده منير بك في جنيف، من جعل البريطانيين يتراجعون، ولو خطوة صغيرة إلى الوراء في موقفهم القوي تجاه الولاية، مثلما لم تفلح حملاتهم العسكرية وتدخلاتهم واتصالاتهم في داخل الولاية من إفشال الإدارة والخطط البريطانية فيها. ويعزى جزء كبير من فشل الأتراك في كسب معركة الموصل إلى إساءة تعاملها مع الكورد من مواطني تركيا نفسها اثناء وبعد انتفاضتهم عام 1925، فخسرت جراء ذلك تأييد أكثرية سكان الولاية المؤلف أساسا من الكورد[86]. ومثل ذلك تعاملها مع المسيحيين النساطرة-الآثوريين- أثناء المناقشات في مجلس العصبة، وتواجد الجنرال ليدونر ولجنته في منطقة الموصل، والذي قدم تقريراً عن الحوادث التي كانت تجري على جانبي خط بروكسل،مما أثار الرأي العام في أوربا[87]، وانعكس سلبا على موقفها أمام مجلس عصبة الأمم، وقد وفر ذلك حججا قوية لبريطانيا، عززت بها موقفها من جهة، ودحضت بها أسس مطالبة الأتراك بإرجاع الولاية إلى تركيا تلبية لمطلب ورغبة سكانها وذلك بأجراء استفتاء من جهة ثانية.

كما أن ايمري المندوب البريطاني تعرف على نقاط ضعف الأتراك منذ بداية المناقشات حول المشكلة، وتمكن من استغلالها إلى أبعد الحدود، فقد كان دائم السؤال عن حقوق الكورد في تركيا وعن مصيرهم مع كورد ولاية الموصل في حال ضمهم إلى تركيا. بسؤاله هذا وضع، ولأكثر من مرة، توفيق رشدي بك في وضع محرج، إذ كان يتجنب الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بحقوق الكورد قدر المستطاع[88].

أسدلت مقررات مجلس العصبة الأخيرة الستار على أهم صفحة من صفحات مشكلة الموصل، وانهت مرحلة مهمة من العلاقات البريطانية - التركية، فمن جانبها سعت بريطانيا مجدداً إلى التقارب مع تركيا، لمواجهة التحدي الجديد القادم من روسيا السوفيتية من جهة، ولضمان وسلامة طرق مواصلات مستعمراتها، ولتأمين أمن ومستقبل العراق، الدولة التي أوجدتها حديثا، خصوصا انها بضم الموصل للعراق حصلت على مبتغاها، من جهة ثانية، ومن جانبها فان ساسة تركيا، تيقنوا بأن الولاية قد ضاعت، وآن الأوان للبدء والتفرغ للمشروع التحديثي، وكان ذلك يحتاج إلى استقرار في علاقاتها مع الغرب للحصول على أموال لتمويل مشروعها المذكور.

إن قرار مجلس عصبة الأمم في 16 كانون الأول 1925، بجعل خط بروكسل حداً نهائياً للحدود بين تركيا والعراق،قد أنهى الصراع نظرياً فقط. لان تركيا، احد طرفي النزاع، رفضت القرار المذكور[89]، وبصورة رسمية وشعبية، وقد قوبل بهجمات قاسية في الصحافة التركية[90]، بل ان مصطفى كمال نفسه لم يتردد من ان يشخص ذلك، اذ ان مجلسه الحربي الاعلى، لم يتجاهل فكرة نشوب الحرب بين بريطانيا وتركيا، عندما اجتمع غداة عيد الميلاد وعقب صدور القرار[91].

إلا أن اغلب الباحثين يعدون الاتفاقية السوفيتية ـ التركية، المنعقدة في باريس في 17 كانون الأول 1925، ردة الفعل الأسرع والاهم التي ابداها الأتراك رداً على قرار العصبة، باعتبارها عقدت بعد يوم فقط من صدور قرار مجلس عصبة الأمم بخصوص مشكلة الموصل[92].

وفي الواقع فإن روسيا السوفيتية كانت الدولة الوحيدة التي عبرت صراحة عن مساندتها لتركيا، وقد عكس تصريح جيجرن وزير الخارجية السوفيتي ذلك الدعم عندما دافع عن موقف الأتراك قائلاً: "إن الأتراك في الوقت الذي لا يريدون فيه الحرب، فإنهم على استعداد لأية تضحية في سبيل قضية الموصل الحيوية، لأنه وبدلاً من حل نزاع، فإن عصبة الأمم قد خلقت أزمة جديدة ..."[93].

وبالرغم من ذلك فإن مصطفى كمال كان على بينة من مخاطر الاستعانة بالسوفيت وطلب المساعدة منهم، وقد ظهر ذلك الحذر في 25 كانون الأول 1925، عندما دعا مصطفى كمال مجلسه العسكري للاجتماع، وعندما عرضت سبل التعامل مع مشكلة الموصل وعلاقات تركيا مع روسيا السوفيتية، تبنى المجلس وجهة نظر مصطفى كمال القاضية بعدم طلب المساعدة من روسيا " لان ذلك يؤدي إلى دخول الجيوش الروسية الى تركيا، ومن الصعوبة تعويض روسيا السوفيتية عن مساعدتها "[94]، كما تبنى المجلس الوطني التركي الكبير قراراً بعدم استخدام القوة في حل مشكلة الموصل[95]، ويبدو ان هذا ما يعزز ما ذهب إليه توينبي عندما ذكر "بأنه حتى المعاهدة الجديدة ـ معاهدة الصداقة والحياد ـ لم تغو مصطفى كمال وزملاءه بتحدي قرار عصبة الأمم بقوة السلاح، فقبل نهاية كانون الأول 1925 ناقشت الحكومة التركية إمكانية استخدام القوة في حل قضية الموصل، إلا أنها تخلت عن الفكرة واستبعدتها كلياً من خططها، لمخاطرها الكبيرة"[96].

اما بالنسبة لبريطانيا، الطرف الرابح في الصراع، فكان من الطبيعي ان ترحب بالقرار وتعده إجراء عادلاً وصائباً اتخذته العصبة، ففي الوقت الذي شكر فيه جمبرلن وزير الخارجية البريطانية رئيس ومجلس عصبة الأمم، تكلم باسم الحكومة البريطانية قائلاً:" بأن حكومته ليست لديها الرغبة في ان تتخذ موقفاً متصلباً وغير متوازن تجاه تركيا ... بل انها ستكون مستعدة وبكل سرور للتحاور مع تركيا، وبحث اي اقتراح تتقدم به الحكومة التركية ... ولكي تجني سوية ثمرات قرار المجلس، فإن الحكومة البريطانية تصر على جلب الحكومة التركية إلى اتفاق..."[97].

وبعيداً عن تصريحات جمبرلن في جنيف الداعية إلى مواصلة الحوار مع الأتراك، كانت مختلف الدوائر السياسية والحكومية البريطانية تتابع مواقف وردود فعل الحكومة التركية بترقب وحذر شديدين، ومنذ وقت مبكر، إضافة إلى دوائر الخارجية. فعلى سبيل المثال، كانت احتمالات قيام الأتراك بعمل عسكري لاستعادة ولاية الموصل موضع بحث ومناقشة في اجتماع عقده مجلس الدفاع الملكي البريطاني بجلسة انعقدت في منتصف تشرين الأول 1925، وقد تحولت في الاجتماع فكرة جلب القوات من الهند الى ولاية الموصل، لمواجهة أي هجوم تركي محتمل، الى خطة، نوقشت تفاصيلها وكيفية إعدادها[98]. وبالرغم من ان تشرشل ومسؤولين بريطانيين آخرين لم يكونوا مع فكرة الاشتباك مع الأتراك، او مزيد من الالتزامات العسكرية والمالية للدفاع عن العراق[99]، الا انه دعا قوات البحرية البريطانية الى " الاستعداد تحسباً لاي ظرف طارئ ... بحيث اذا ما فشلت القوة الجوية - سلاح الجو - في مكان ما، تؤدي القوات البحرية واجبها "[100]، كما كلف لندساي - سفير بريطانيا لدى تركيا- بجمع المعلومات، بصورة سرية، حول التحركات التركية[101].

وفي 4 كانون الاول 1925، واثناء لقاء جمبرلن بالسفير التركي احمد فريد بك في لندن، اعرب جمبرلن عن انزعاج بريطانيا من " الجدل العنيف الذي انغمست فيه الصحافة التركية، وحتى خطابات بعض الشخصيات الرسمية في تركيا "، وحذر السفير التركي من اية تحشدات لقوات تركية متمركزة على الحدود مع ولاية الموصل، وذكر ايضا بأنه " وفي الوقت الذي يرفض اي شكل من إشكال التهديد ....، فأنه لا يعتقد بأن الحكومة التركية قد تخطو بخطوة بحيث لن تعتبر انتهاكاً فاضحاً للاتفاق الذي تعهدت به عصبة الأمم حسب، وإنما ستتسبب بدخول الدولة الفتية - ويقصد تركيا - في صراع مباشر مع العصبة ومع كل الذين تمثلهم العصبة "[102]. واوضح جمبرلن لضيفه التركي وجهة نظر حكومته قائلاً " بأن بلاده ترغب في استعادة علاقات الصداقة مع الجمهورية التركية، والتي كانت عريقة ... فان الدم البريطاني قد اريق دفاعاً عن تركيا، والمرة الوحيدة الذي حدث خصام بيننا وبينكم، عندما انضمت تركيا إلى اعدائنا في الحرب الأخيرة "[103].

الهوامش

1-ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال اتاتورك، ط 5، بيروت، 1994، ص 265-266.

2-ينظر مؤلفه: كرد ....، ص342.

3-للمزيد عن توجهات واصلاحات مصطفى كمال الغربية، ينظر:

-K.Karpat, Turkey's Politics, New Jersey, 1959.

*4-Mim.K.Oke,A Chronology...,P.61;*ف*Israfil Kurtephe (University of Akdeniz),Mousul Conflict in Turkish Foreign Policy in Times of ATAT.RK,www.STRADIGMA.com.*

5-للتفاصيل عن اسباب ودوافع الثورة ينظر:خليل علي مراد، القضية الكردية في تركيا1919-1925، في:خليل علي مراد وآخرون، القضية الكوردية في تركيا وتأثيرها على دول الجوار، مركز الدراسات التركية، جامعة الموصل، التداول محدود، 1994، ص27-29.

6-ينظر: ژيانهوه، جريدة السليمانية،العدد (19)،2آذار 1925،والعدد (20)، 9آذار1925.والعدد (21)،19 آذار 1925. في : ژيانهوه وشويني ... .

7-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.510.

8-في الواقع ان غالبية الكورد حاربوا مع الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وبدوافع دينية، بخلاف غالبية شعوب الدولة العثمانية المسلمة من غير الأتراك، و هي الدوافع نفسها التي جعلتهم يشاركون بنشاط وإخلاص في حرب التحرير التركية التي استمرت الى نهاية سنة 1922.ينظر:كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، ط2، بغداد، 1984، ص 152 وما بعدها.

9-ينظر مؤلفه:

-Survey...,P.510.

10-ينظر مؤلفه:

-A Chronology... , PP.57-62.

11-Israfil Kurtcphe, Op.Cit.,P.4.

12-للتفاصيل عن الانتفاضة الكوردية لعام 1925 ينظر : كمال مظهر احمد، انتفاضة 1925 في كُردستان تركيا، بيروت، 2001.

13-Mim K.Oke,A Chronology...,P. 62.

14-Peter.J.Beck,Op.Cit.,P.268.

15-Hoare to Chamberlain, Therapia, 30 Jun 1925, Ingliz Belelerile Türkey'de Kürt..., No. 19, P.65.

وقدرت تقارير بريطانية أخرى تلك القوات على النحو الآتي: 1750 من حملة السيوف و 49000 من حملة البنادق، و 108 مدافع.ينظر:

-Major Harenc to Hoare, Therapia, 25 Jun 1925, Ingliz Belelerile Türkey'de Kürt..., Enclosure 1 in: No. 19,P.66.

16-Hoare to chamberlain, Therapia, 30 Jun 1925, Ingliz Belelerile Türkey'de Kürt..., No.19, P.65.

17-Ibid,PP. 66-67.

18-للإطلاع على تفاصيل المذكرات التركية الواردة أعلاه، ينظر: فاضل حسين، المصدر السابق، ص 133 –134؛

- Mim.K.Oke,A Chronology..., PP.62-63.

19-Mim K.Oke,A Chronology..., PP.63-64.

20-فاضل حسين، المصدر السابق، ص ص 141-142.

21-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.511.

22-للتفاصيل، ينظر:

-A.J.Toynbee,Op.Cit.,PP. 511-512 ;

-فاضل حسين، المصدر السابق، ص ص 142-143 .

23-A.J.Toynbee, Op.Cit.,P.513.

24-Ibid, P.513.

25-ژيانهوه، جريدة السليمانية، العدد (40)، 17 أيلول 1925. في: ژيانهوه وشويني... فاضل حسين، المصدر السابق، ص ص 142-143.

26-فاضل حسين، المصدر السابق،ص 145.

27-فاضل حسين، المصدر السابق، ص 145-148؛ جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 675-676.

28-فاضل حسين، المصدر السابق،ص ص 148-150.

29-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 270؛

- A.J.Toynbee, Op.Cit.,P.513.

30-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 270.

31-فاضل حسين، المصدر السابق، ص 151-152.

32-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 270.

33-روبرت اولسن، انتفاضة الشيخ سعيد بيران، ترجمة الى الكردية: ابوبكر خوشناو/ الطبعة الثانية/ السليمانية/ 1999، ل 216.

34-فاضل حسين، المصدر السابق، ص 152.

35-المصدر نفسه، ص 155.

36-ژيانةوة جريدة السليمانية، العدد (40)، 17 ايلول 1925. في: ژيانهوه وشويني... فاضل حسين، مشكلة...، ص 156.

37-فاضل حسين، المصدر السابق،ص 156.

38-Peter.J.Beck,Op.Cit.,P.668;

-فاضل حسين، مشكلة...، ص 157.

39-مقتبس من: جرجيس فتح الله، يقظة ...؛ ص 676.

40-مقتبس من: جرجيس فتح الله، المصدر نفسه، ص 676.

41-قدرت الاحصاءات التركية في لوزان عدد الكورد بحوالي263,380 نسمة، والضباط البريطانيون قدرتهم في

سنة 1921 بحوالي 24,720 نسمة، اما تقديرات النفوس الاخيرة التي اجرتها السلطات العراقية لسنة 1922-1924 فقدرت نفوسهم بحوالي 494,007 نسمة. وهو الاقرب زمنيا الا انه يجب التعامل بحذر مع جميع هذه الاحصاءات لان كل طرف من هؤلاء اراد ان يقدم ارقاما بالشكل الذي يدعم موقفه وحججه،فالاتراك كانوا يزيدون من عدد اتراك الولاية على حساب الكورد والعرب،والعراقيون والبريطانيون ارادو زيادة نفوس العرب والتقليل من نفوس الاتراك والكرد. ولا توجد احصائية محايدة يطمئن اليها ترجع الى تلك الفترة. للتفاصيل عن تلك الإحصائيات ينظر :

-League of Nations, Questions...,P.31.

42-Memoranda Respecting the Iraq Frontier Dispute, Foreign Office, 23-10-1925, BDFP, No.534, Al.Sir,Vol. I,P.766;

-هنري فوستر،المصدر السابق، ص 280.

43-جاء تهجير الكورد من عشائر الطوبان - وهي عشائر كبيرة موزعة الآن بين تركيا والعراق - على يد الاتراك لعدة اسباب: اهمها طلب بعضهم من لجنة تقصي الحقائق اثناء تواجدها في الموصل الانضمام إلى مجال النفوذ البريطاني، واسفر عن طلبهم ذلك، خوض معارك مع القوات التركية في حزيران 1925، تفرقوا على اثرها إلى حدود ولاية الموصل وسوريا، اضافة إلى مدن ماردين ودياربكر. جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 307. ويقدم توينبي تفسيرا آخر لبيان سبب تصرف الاتراك وطردهم، وهو رفض زعماء الطوبان ذبح مواطنيهم من المسيحيين بناءً على طلب من المسؤولين الاتراك، وهذا ما دفع السلطات التركية،بسبب عصيانهم لاوامرها، إلى قتل من استطاعت قتله، وفرار من استطاع الفرار إلى العراق، الذي استقبلتهم فيها كلاجئين.ينظر:

-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.517.

44-فاضل حسين، المصدر السابق،ص 138.

45-Mim K.Oke,Op.Cit.,PP. 65-66.

46-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 373.

46-فاضل حسين، المصدر السابق،ص ص 139-140.

48-Mim K.Oke, Op.Cit.,P.65;

-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 274.

49-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.511.

50-وهي عين اللجنة نفسها التي سبق ان رسمت خط بروكسل في اكتوبر 1924 وبنفس اعضائها عدا تعيين م.م. كوينون دلوى *M.M.K* بدل السيو برانتينك كممثل عن السويد في المجلس.ينظر:جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 150.

51-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.513.

52-Ibid,P.513

53-جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 676.

54-Mehmet Gonlubol,A.G.E,S.76 ;A.J.Toynbee, Op.Cit., P.514; Vladimer F.Minorsky, A.G.E, SS.48-49.

55-جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 676-677.

56-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 270.

57-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.514.

58-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 270-271.

59-اصغر جعفري ولداني،مصدر ثيشين،ل 68 ؛

-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.514.

60-Mehmet Gonlubol,A.G.E, S.76;

- البرت م. منتشا شفيلي العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، بغداد، 1978،ص 263.

61-Mim K.Oke,A Chronology...,P.67.

62-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.515.

63-مقتبس من: سي-جي-أدموندز، المصدر السابق، ص 384.

64-مقتبس من: فاضل حسين، المصدر السابق،ص 161.

65-Mehmet Gonlubol,A.G.E, S.76;

- أصغر جعفري ولداني،مصدر ثيشين،ل 68.

66-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 272.

67-اصغر جعفري، ولداني، المصدر السابق، ص 68.

68-سي-جي-أدموندز، المصدر السابق، ص 383؛البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 264؛ جرجيس فتح الله، يقظة ...، ص 677.

69-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 276؛

- A.J.Toynbee,Op.Cit.,P. 519.

70-Mehmet Gonlubol,A.G.E, S.76; A.J.Toynbee,Op.Cit.,P. 519.

71-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 276.

72-Mehmet Gonlubol,A.G.E, S.76.

73-A.J.Toynbee,Op.Cit,P.519.

74-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 277.

75-البرت م. منتشاشفيلي، العراق المصدر السابق، ص 264؛ هنري فوستر، المصدر السابق، ص 275.

- *A.J.Toynbee,Op.Cit., 520; S.H. Longrigge,Op.Cit.,P.155;*

76-اظهر تقرير ليدونر بان معظم حوادث خرق الحدود التي وقعت هناك كانت من الحوادث العرضية والاعتيادية، اما في شمالي الخط فقد تحقق حدوث المخالفات الواسعة التي اقترفها الجنود الاتراك، والتي صاحبها واعقبها، طرد للقرويين من المسيحيين الذين دفع ألوف منهم الى داخل حدود العراق. للاطلاع على اعمال لجنة ليدونر ينظر: صورة كتاب قائممقام زاخو، رقم 14؛3569-10-1925. الحكومة العراقية، وزارة الداخلية. شعبة الحدود، وثائق رسمية لعام 1925. في مريم عزيز فتاح، المصدر السابق، ص 113-127.

77-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 275.

78-مقتبس من: البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 265؛ هنري فوستر، المصدر السابق، ص 281.

79-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 281.

80-*Peter.J.Beck,Op.Cit.,P. 268.*

81-البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 265، هنري فوستر، المصدر السابق، ص ص 280-281.

82-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.520.

83-البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 265.

84-A.J.Toynbee,Op.Cit., PP.520-521؛

-هنري فوستر، المصدر السابق، ص ص 277-278. فاضل حسين، المصدر السابق،ص ص 173- 174.

85-A.J.Toynbee,Op.Cit.,P.521.

86-عن انعكاسات انتفاضة الكورد لعام 1925 على سياسة الأتراك تجاه مشكلة الموصل ينظر: بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا و أثرها في كوردستان الشمالية 1923-1926،رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب- جامعة دهوك،2004،ص 254 وما بعدها.

87-يعتقد روبرت اولسن بأن تعامل الأتراك مع النساطرة-الأثوريين- أثناء مناقشات مشكلة الموصل، أفقدهم كل عطف في مجلس العصبة من جانب الدول الأوروبية، الذين وقفوا مع بريطانيا ودعموا موقفها.ينظر:روبرت اولسن، المصدر السابق، ص 217، ويذكر توينبي، بأنه حتى تلك اللحظة التي سبقت قراءة تقرير الجنرال ليدونر، كان اوندن مقرر مجلس العصبة يعتمد تسوية توافقية للمشكلة، ترضي الطرفين، ولكن بعد استماعه لتقرير ليدونر، المليء بالحوادث المؤلمة، بدا تأثيره فيه واضحاً، بشكل جعله يتخلى عن طرحه السابق، ويتخذ موقفاً حازماً من المشكلة.ينظر مؤلفه:

-Survey ...,P.520.

88-Peter .J. Beck. Op.Cit.,P.267.

89-Mehmet Gonlubol,A.G.E, S.79.

90-لقد غلبت الصفة الحربية على الصحافة التركية حينذاك، فقد ذكرت صحيفة (جمهوريت) التي تصدر في استانبول، بأن "قرار عصبة الامم برهن مرة أخرى على ان عصبة الأمم انما تخدم الدول الأقوى، وعلى الأخص بريطانيا ... واننا لم نواجه، إلا في القرون الوسطى، بمثل هذه القرارات الجائرة الظالمة ...، إننا نعرف جيداً كيف نستعيد بأيدينا (الموصل التركية) التي اعطتها عصبة الأمم لبريطانيا، تماماً مثلما أنقذنا ادنه وبروسا وازمير واستانبول ..." .ينظر: البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 266.

91-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 281؛

-S.H. Longrigge,Op.Cit.,P. 156.

92-وقع المعاهدة عن تركيا توفيق رشدي بك ـ وزير خارجيتها وكبير مفاوضيها في جنيف، وعن السوفيت جيجرن، وزير خارجيتها، واطلق عليها (معاهدة الصداقة والحياد)، وعدت من أهم المواثيق المبرمة بين تركيا والسوفيت، ونجاحا دبلوماسيا لجيجرن، ومن أهم بنودها: تعهد المتعاقدان بتجنب اية حركة ضد بعضيهما، وإذا قامت دولة ثالثة بحركة عسكرية ضد أية من الدولتين فإن الأخرى تلتزم الحياد، وان لا تشترك أية منهما في معاهدة او حلف او تفاهم سياسي موجه ضد الأخرى... للتفاصيل عن تلك المعاهدة وبنودها، ينظر: صبحي ناظم توفيق، تركيا والتحالفات السياسية، ميثاق سعد آباد، معاهدة الصداقة

السوفيتية في وثائق المثليات العراقية في استانبول وانقرة 1930-1953، بغداد، 2002، ص 31؛

- *A.J.Toynbee, Op. Cit.,P. 520.*

93-مقتبس من: هنري فوستر، المصدر السابق، ص 282.

94-هنري فوستر، المصدر السابق، ص 281-282، فاضل حسين، مشكلة...، ص 182.

95-البرت م. منتشاشفيلي، المصدر السابق، ص 265.

96-ينظر مؤلفه:

- *Survey ..., P. 525.*

97-مقتبس من:

- *A.J.Toynbee, Op. Cit.,PP.521-522.*

98-Mim K.Oke,A Chronology...,P. 68.

99-في تلك الفترة بالذات ارتفعت الأصوات داخل الحكومة البريطانية، وخارجها، تطالب بخفض النفقات العسكرية في المستعمرات عامة والعراق بشكل خاص. للتفاصيل، ينظر:

- *Peter. J. Beck,Op.Cit.,P. 268.*

100-كانت الخطة البريطانية تقوم على أساس احتلال الجزر التركية الواقعة في أيجة والدردنيل،لمحاصرة استانبول، وفضلاً عن استخدام سلاح الجو الملكي البريطاني، اقترحت الخطة الاستعانة بقوات من الهند، وباشرت لجنة الدفاع في وزارة الحربية البريطانية - برئاسة اللورد بلفور، عملها لتطبيق الخطة،ينظر:

- *Mim K.Oke,A Chronology...,P. 68; Tyrrell to Mr. London (Geneva), Foreign Office, 11-12-1925, BDFP, IA. Sir, VOL. I, No. 546,PP. 788-789; Peter. J.Beck,Op.Cit., PP, 268-269.*

101-Mim K.Oke,A Chronology...,P.69.

102-Chamberlain to Lindsay, Foreign Office, 4-12-1925, BDFP, IA.Sir, Vol.I, No. 544, PP.784-785.

103-Ibid, P. 784.

الوضع النسوي في كردستان

بحث اجتماعي سياسي اقتصادي

حول وضع المرأة في كردستان

تاليف وتحليل: سوران قادر كوسته

مدير برنامج احياء القرى والتنمية الاجتماعية

في منظمة NPA النرويجية

صدر عن منظمة NPA بمساعدة حكومة اقليم

كردستان ومختلف المنظمات النسوية في كردستان

طبع الكتاب في مجلدين بـ 1544 صفحة

رفد الكتاب جهود عدد غير قليل من الباحثين الكرد في جامعات كردستان اضافة ثلاث وعشرين منظمة غير حكومية وخمس وزارات لحكومة اقليم. تم انجاز هذا العمل خلال شهرين وهو ثمرة عمل استغرق اربع سنوات، اول عمل من نوعه في عموم العراق وكوردستان.

السليمانية – 2004



الأدب المقارن ومساهمته في حوار الثقافات

شاهو سعيد

لاشك أن الأدب المقارن حقل من حقول المعرفة البشرية و العلوم الانسانية التي تسير و تتطور مع الزمن، وكغيره من تلك العلوم لاتعد دراساته واطروحاته ثابتة أو نهائية.. بل تتوسع لتنصب في مجرى التطورات العالمية في بعض الأحيان، و تنكمش لتنحصر في تحديد العلاقة بين كيانات أدبية وقومية وحتى محلية ضيقة في أحيان اخرى. وقد شهد الأدب المقارن منذ نشوئه و خلال تأريخ تطوره تحولات و تقلبات حسب الظروف و السياقات التي واجهها، و بذلك كانت اطروحاته في حركة مد وجزر مستمرين.

وبما ان الأدب المقارن يهتم بدراسة النصوص والظواهر الأدبية عبر ثقافات مختلفة، فلابد ان يهتم ايضا بأنماط الأواصر و العلاقات بين تلك النصوص و الظواهر عبر المكان و الزمان. و اذا كان المقصود بالبعد المكاني للأدب ذلك الوجه القومي أو الوطني او المحلي الذي يتحدد جغرافياً في مكان ما، فإننا نقصد ببعده الزماني ذلك التطور الدائم لمسيرة النصوص و الآداب التي تتزامن و تتفاعل مع بعضها ضمن تطور التأريخ البشري بشكل عام دون ان تتحدد قومياً أو وطنياً او محلياً، و خارج نطاق جغرافي محدد.

يلاحظ ان كل حقبة تأريخية من حقب تطور الأدب لديها سؤالها الخاص حول جدوى الأدب المقارن و اهميته و أهدافه. و كلما اتجهت الأنظار نحو عالمية الأدب و الثقافة الانسانية او ما يسمى بحوار الحضارات و التفاعل بين الهويات الثقافية المختلفة، كلما برزت اهمية الأدب المقارن باعتباره جسراً من جسور ذلك التفاعل. من هذا المنطلق نحاول في هذا البحث القاء الضوء على الدور الذي يمكن ان يضطلع

به الأدب المقارن خصوصاً في عصرنا الراهن الذي بدأت فيه المعرفة الانسانية تدخل مرحلة من الاندماج العالمي الأعمق بفضل الشبكات الكونية للاتصالات و الاعلام و العلاقات الاقتصادية والتفاعلات الحضارية و الاجتماعية بين الشعوب والثقافات، و التي تندرج في بعض الجوانب ضمن ظاهرة العولمة و اثارها على المستويات المختلفة. ولكن قبل التطرق الى هذه القضية نحاول ان نقف بشكل سريع عند جوهر الرسالة الانسانية التي ولد الأدب المقارن في الاصل من اجل ادائها، و الذي ادى الى بروز تساؤلات حول الوجه العالمي للابداعات الأدبية المنصبة في خدمة الانسانية جمعاء، و توثيق اواصر الحوار المشترك بين شعوبها و ثقافاتها.

الأدب المقارن ورسالته الانسانية

كانت البدايات الأولى لظهور الأدب المقارن مصاحبة لأحداث و تطورات هامة شهدتها القارة الأوروبية في نهايات القرن الثامن عشر و بدايات القرن التاسع عشر.. حيث برزت في تلك الفترة تقلبات و تحولات عديدة في الفكر و الأدب، و بدات مظاهر التأثير و التأثر بين الكتاب في القوميات والبلدان المختلفة بالظهور، الى ان ادت الى تفعيل حقل من حقول الأدب سمي بالأدب المقارن[1]. وقد ساعدت تلك الفترة بنزعاته الكوسموبوليتية[2] Cosmopolitan Outlook على زيادة الاهتمام بآداب الشعوب الأخرى والى وضع اعمال شاملة في الآداب الأوروبية[3]. كما بدأت آثار الأفكار التي دعا اليها الكتاب و المنظرون في ذلك العصر نحو الحداثة و التجديد و نبذ التعصب و الأحقاد القومية والمذهبية تظهر على المستويات السياسية والإجتماعية و الثقافية.. و بذلك يمكننا القول بأن تلك الفترة كانت بمثابة انعطافة في تأريخ اوروبا والعالم بشكل عام، هيأت الأجواء المناسبة لبروز حقل جديد من الدراسات الأدبية اخترق حاجز الأدب القومي بهدف ايجاد العلائق و الأواصر بين تلك الآداب التي تشارك في اداء رسالة انسانية شاملة لا يمكن حصرها في دائرة الآداب المحلية او القومية.

ان متابعة الأعمال الأدبية العالمية التي تعود الى تلك الفترة تستوجب على القارئ ان يتحرك عبر حدود البلدان المختلفة و يخلق ارتباطات و علاقات ليس داخل اطار ادب واحد، بل خلال المساحات الواسعة بمفهومه الأشمل و الذي اطلق عليه (غوته) مصطلح الأدب العالمي World Literature، و قد ذكر غوته انه كان يجب ان يطل على معرفة واتصال بما ينشر من اعمال اجنبية كما انه نصح الآخرين بالعمل ذاته، و قال "ان الشعر ملكية عامة للبشر كافة، و هذا ما يبدو لي اكثر وضوحا يوما بعد يوم"[4]. و هذا الشعور ادى به الى دراسة الآداب العالمية بشكل عام، ولم تنحصر اهتماماته في الآداب الغربية فحسب بل تخطت حدود اوروبا و اصبح من المتأثرين بالآداب الشرقية و بالأدب الفارسي خصوصا[5]. و بذلك اتسعت رقعة التأثير و التأثر بين الآداب المختلفة، و أصبحت احدى مهام الأدب المقارن الوقوف عند الخط الانساني المشترك بين

الآداب القومية المختلفة. و في عام 1835 حاول فيلاريت جارلز Filarete Charles ان يحدد الأهداف الانسانية السامية للادب المقارن بقوله "دعونا نحسب تأثير الفكر على الفكر، دعونا نحسب الطريقة التي يحدث بها تحول متبادل في البشر، ما يعطيه وما يكتسبه كل فرد منهم، دعونا نحسب الطريقة التي يحدث بها تحول متبادل في البشر، ما يعطيه وما يكتسبه كل فرد منهم، دعونا ايضا نحسب تأثير هذا التبادل الدائم على كافة امة بمفردها، و كيف سمحت روح الشمال التي طالت عزلتها لروح الجنوب ان تخترقها في نهاية الأمر؟ وما هي قوة الجذب التي شدت فرنسا الى بريطانيا وجذبت بريطانيا نحو فرنسا؟ (...) وكيف التحمت الظلال الدافئة للجنوب و اختلطت بالتحليل العميق لشكسبير؟"(6).

و يذكر ان الكلمة الأساسية في هذا النص هي "المؤثرات"، وفي الحقيقة ان دراسة المؤثرات تحتل دائما مكانة مهمة في الأدب المقارن، كما هناك اشارة الى روح الأمة، يليها اقتراح مفاده أن من الممكن اقتفاء تأثير تلك الروح في اديب ينتمي الى ثقافة اخرى، كما يرسم صورة مثالية للتآلف الأدبي الدولي(7).

عدا ذلك فإن الأبحاث التي قام بها المستشرقون في القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين للتعرف على الاداب و الثقافات الشرقية، و تحليلها من منظور غربي ادت الى توسيع الافاق الفكرية للدارسين في حقل الادب المقارن وخصوصاً فيما يتعلق بدراسة مواطن الاختلاف و الائتلاف بين الاداب الشرقية و الغربية. ورغم وجود باحثين انتقدوا نظرية الاستشراق و اعتبروها وجهاً اخر للحملات الاستعمارية و امتداداً لها في احسن الأحوال(8). غير ان هناك باحثين آخرين يرون وجهاً معرفياً و انسانياً لها باتجاه التفاعل الحضاري بين الثقافات المختلفة. فمن هذا الهدف المعرفي السلمي ان قام المستشرقون بتحقيق جوانب كثيرة من التراث الشرقي و الاسلامي و ترجمتها و التعريف بها(9). كما قاموا بترجمة النصوص الأدبية و التاريخية الايرانية و تحقيقها و دراستها ضمن حقل (الايرانيات)(10). وعلى ضوء تلك الدراسات والترجمات تعرف الغربيون على الاداب الشرقية، وتمكنوا من رصد جوانب الاختلاف و الاشتراك بين ادابهم و تلك الاداب، وبالتالي تجلى امام انظارهم البعد الانساني للاداب التي تختلف مع ادابهم من حيث اللغة، لكنها تشترك معها من حيث المضمون الانساني.

وفي المقابل بدأ عدد من الباحثين الشرقيين يعيدون النظر الى انفسهم من منظور الاخر – الغربي جاهدين التغلب على الانحيازات العرقية والدينية و الحضارية، حتى ان احد الباحثين العرب اعترف بـ"ان المستشرقين هم الذين علمونا –نحن العرب- مناهج البحث العلمي في العصر الحاضر، وهم الذين علمونا في العصر الحاضر ايضاً فن تحقيق النصوص.."(11).

وعلى الرغم من ان هذه الدعوات الانسانية نحو ايجاد الخيوط الانسانية المشتركة بين الاداب

والثقافات قد اعترضتها اطروحات معاكسة نابعة من التعصب للاداب القومية او المقاييس العرقية او الدينية المتشددة، غير ان الدراسات الادبية المقارنة قد تواصلت و فتحت افاقاً هائلة نحو تحقيق اهدافها السامية. فعلى سبيل المثال لا الحصر انتقد العديد من الدارسين وفي شتى بقاع العالم انتقدوا النموذج الغربي لتقسيم العصور الثقافية و المستند الى المركزية الغربية.. حيث يرى (اريك فروم) مثلاً ان النزعة الانسانية في الفكر و الادب Humanism ليست وليدة النهضة و الحداثة الغربيتين، بل ان لها جذوراً في الاداب الشرقية، وفي معرض مقارنته بين النزعة الانسانية الغربية و النزعة الصوفية الشرقية – الاسلامية يؤكد بأن الشاعر الايراني جلال الدين الرومي سبق الغربيين في التأكيد على النزعة الانسانية القائمة على المجاهدة و الصبر، و ان اعماله الشعرية تشبه ابداعات اراسموس و نيكولا دوسكا، و قبل ان تولد النزعة الانسانية التي دعا اليها فلاسفة الأنوار تمظهرت تلك النزعة لدى جلال الدين الرومي شعراً، و ذلك في زمن سبق النهضة الاوروبية بمئتي سنة[12].وفي المضمار ذاته نرى مقاومة لنموذج تقسيم العصور الاوروبي، لأنها قائمة على افتراضات تتجاهل الواقع الانساني غير الأوروبي، "وعلماء المقارنة من الصين و الهند و افريقيا و امريكا اللاتينية متحدون في رفضهم للنموذج الأوروبي لتقسيم العصور وفي محاولتهم لايجاد نماذج بديلة، هذه الحركة هي مثال اخر للطريقة التي يتم بها تحدي الأفكار القديمة حول عالمية الادب و عالمية التاريخ الادبي"[13]. وقد شارك تطور علم الانسان Anthropology كحقل من علم الاجتماع المقارن في زيادة الاهتمام بالرموز الادبية المقارنة للحضارات القديمة وحتى المجتمعات البدائية، و ان التطور الذي شهدته التيارات النقدية في القرن العشرين كان متأثراً بذلك العلم وخصوصاً من حيث الاهتمام بطبيعة العمل الادبي وبنيته[14]. و بالرغم من ان تلك التيارات لاتندرج ضمن الادب المقارن، الا ان علم الانسان المعاصر اعتمد على مقارنة الثقافات القديمة و خصوصاً في "الدراسات الانثروبولوجية حول ثقافة المجتمعات البدائية"[15]، و ايجاد مواطن الاختلاف و الائتلاف بين تلك الثقافات و اثارها في الوقت الحاضر.

ولئن كانت التحولات التأريخية التي شهدتها اوروبا و العالم بشكل عام منذ القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين قد ادت الى انتعاش الدراسات الادبية المقارنة، فان الحربين العالميتين الاولى و الثانية اللتين مزقتا اجساد اوروبا و هددتا الحضارة البشرية بالفناء، ومن ثم الحرب الباردة التي نشبت بين القطب الراسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية و القطب الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق.. ادت الى بروز ايديولوجيات شمولية حملت بذور الشك تجاه الرسالة الانسانية للادب بشكل عام و الدراسات المقارنة على وجه الخصوص، ناهيك عن شيوع الطابع المسرف لقراءات احادية النظر و نوازع قومية ضيقة حول قضايا التاثر و الاقتباس بين اداب الشعوب، كل ذلك كان

بمثابة انحسار للدور الانساني و العالمي الذي ابتغى الأدب المقارن ان يؤديه، مما ادى بالعديد من الكتاب الى نقد ذلك النمط من الدراسات المقارنة ومن بينهم رينيه ويلك الذي كتب دراسة بعنوان "ازمة الأدب المقارن" عام 1958 منوهاً بتلك الاشكالية[16]. و بذلك واجهت الأهداف السامية التي انطوت عليها الرؤيا المعروفة للأدب المقارن معضلة تخللها قيام موجات من الفكر النقدي تلاحقت واحدة تلو اخرى كالبنيوية و السيميائيات والتحليل النفسي و التفكيكية" قامت بتحويل الأنظار بعيداً عن عملية مقارنة النصوص و اقتفاء اشكال التأثير و التأثر بين الكتاب"[17].

ولكن حتى في الوقت الذي بدات الدراسات المقارنة تتجه نحو الانحسار في الغرب، ذاع صيت الأدب المقارن في بقية العالم.. حيث بدأت برامج دراسية جديدة في الأدب المقارن في الصين و تايوان واليابان و الهند و دول اخرى في العالم. غير ان تلك البرامج الدراسية اتجهت نحو تأكيد الخصوصية القومية للأدب، كرد فعل على الأطروحات التي كانت تنصب في تكريس مفاهيم و مصطلحات، كالآداب العظيمة و اداب الأغلبية — في اشارة الى الاداب الغربية[18]. و هذا معناه ان ذلك التمسك بالهوية القومية للأدب كان تعبيراً غير مباشر عن التمسك بهويته الانسانية و العالمية، لأن البعد القومي او المحلي للأدب لا يلغي بعده الانساني او العالمي.. وان كل ماهو عالمي قد بدا محليا وقوميا للوهلة الاولى. وبذلك يمكننا القول بان الادب المقارن يحمل في ثناياه رسالة انسانية هدفها التأكيد على ان الابداعات الفنية وامال الانسانية والامها وحدة متكاملة لا انفصام بين اجزائها، وان الكونية هي الصفة المشتركة لجميع الأعمال الادبية الخالدة.

دور الدراسات المقارنة في عصر العولمة

بما ان كل حقبة تأريخية من حقب التطور البشري لديها سؤالها الخاص بشأن الاداب و الفنون بشقيها القومي و العالمي، فلا مفر من ان يكون لدى عصرنا الراهن ايضاً، الذي يعرف بعصر العولمة، سؤاله او بالأحرى اسئلته الخاصة بشأن مستقبل الاداب عموماً واواصر العلاقة بين تلك الاداب بشكل خاص. ويلاحظ ان من مميزات عصرنا انه عصر يختزل التاريخ مكثفاً، بحيث لايمكن اللحاق بتطوراته و احداثه السريعة المتعاقبة. ولاشك ان تطورات العصر الراهن تحمل معها بذور تفاعلات ثقافية و حضارية بين الشعوب و المجتمعات المختلفة، وفي طريقها الى ان تصبح مظهراً بارزاً من مظاهر العولمة.. اذن، فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هو الدور الذي يمكن ان يضطلع به الادب المقارن في العصر الراهن؟!

يثير موضوع العولمة حالياً نقاشات حادة وواسعة، حتى اضحى حديث الساعة على المستويات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية على حد سواء. وقد ارتبط ذكر العولمة بذكر المستقبل واصبح النقاش حولها يتضمن طروحات ومشاريع لانارة المستقبل ومواجهة تحدياته المرتقبة.. فهناك

من يرحب بالعولمة و يعتبرها ظاهرة تبشر بمرحلة راقية من مراحل التطور البشري، في حين هناك من يعدها تجسيداً لنوع من الهيمنة تستوجب غلق الأبواب و المنافذ بوجهها. لكن ومهما تعددت الآراء حول العولمة و اثارها و تجلياتها في العالم، فإن هذا لا يلغي كونها مرحلة يجب اخذها بنظر الاعتبار والاستعداد لولوجها بإرادة حرة و خطط مسبقة. عليه فمن المستحسن صياغة فروض حول مستقبل الحقول الثقافية و الادبية في ظل العولمة، ومستقبل الدراسات المقارنة التي تقف عند الوجهين القومي والعالمي لتلك الحقول.

سبق وان تطرقنا في المبحث السابق الى النزعة العالمية للادب، تلك النزعة التي منها انبثقت غاية الأدب المقارن.. غير ان مانعيشه اليوم يسمى بـ(العولمة) التي تختلف مع (العالمية)، لأن "العالمية مصطلحاً و مضموناً ارتبطت بالأرض و الانسان، اما العولمة مصطلحاً و مضموناً فقد ارتبطت بالكونية و انظمة الانسان المتنوعة سواء في الارض او الفضاء"[19]. ورغم ان العولمة ارتبطت في الطور الاول من ظهورها بعالم الاقتصاد بشكل خاص، فإن الميل يزداد الان في الأوساط الثقافية والدولية المعنية الى طرح قضية العولمة في عالم الثقافة[20].

كان العقد الأخير من القرن العشرين حافلاً بالحديث عن العولمة و التوقعات حول مستقبل العلاقة بين الثقافات و الحضارات في ظل التطورات التي بدأت جلية للعيان منذ تلك الفترة بالذات.. و يلاحظ ان نهايات القرن العشرين قد حملت معها ايضاً تساؤلات حول مكانة الادب المقارن في تجسيد تلك العلاقة بين الثقافات المختلفة. ففي باريس مثلاً انعقد مؤتمر دولي نظمته الجمعية الدولية للأدب المقارن، وكان الموضوع الرئيسي للمؤتمر "حوار الثقافات.. الأدب المقارن و الأدب العالمي، نظرية الأدب، علم السرد، بزوغ اعمال ادبية جديدة، الأدب المكتوب و الأدب المنطوق.."[21]. و جرى التأكيد في المؤتمر المذكور على ضرورة اجراء حوار خلاق بين التيارات العالمية في اطار تعدد المناهج، و "توحيد المصطلحات التي يستخدمها المتخصصون في الأدب المقارن، و توحيد صيغة منهجية تكون بمثابة التأليف بين القومية والعالمية"[22]. غير ان الامال التي عقدها ذلك المؤتمر على الأدب المقارن لم تتحقق، او بالأحرى قد تأجلت، بسبب التطورات المتلاحقة و السريعة التي عصفت بالخارطة السياسية و الاقتصادية و التكنولوجية للعالم منذ نهاية الثمانينيات و ما بعدها. و يلاحظ بأننا و منذ تلك الفترة قد دخلنا مرحلة جديدة من مراحل التأريخ المضطرب للأدب المقارن.. ويتمثل هذا الاضطراب في ظاهرتين رئيستين:

أ-ان الدول المتقدمة تكنولوجياً بدأت تجتاز رويداً رويداً مرحلة الدولة القومية، و بدأ الاهتمام في هذه الدول ينصب على البعد الكوني للثقافة. و في مقابل ذلك نجد انحساراً لدور الدراسات الأدبية المقارنة بين اداب الدول المتقدمة من جهة و اداب الدول المتخلفة اقتصاديا و حضاريا و ثقافياً من جهة اخرى، حيث اصبحت العلاقة غير متكافئة

تشبه العلاقة بين الادب المهيمن و الادب المقلد، او ادب الأغلبية و ادب الاقلية. و هناك علامات تؤكد ان الأدب المقارن فقد طريقه الصحيح في بعض تلك البلدان من خلال تناقص اعداد الطلاب المهتمين به، و الضيق الذي يشعر به المهتمون بالدراسات المقارنة، و تظهر هذه الازمة بوضوح في "استمرار الفكرة القديمة للأدب المقارن كدراسة ثنائية، اي كدراسة تعنى بمناقشة كاتبين او نصين ينتميان الى نظامين مختلفتين"[23].

2-في مقابل هذا التراجع لدور الأدب المقارن نجد ان الاهتمام يتزايد به في الدول و الاقاليم التي اجتازت حديثاً مرحلة تجميد النزعات القومية، كدول اوروبا الشرقية و اسيا الوسطى الحديثة الاستقلال. و هذه الدول دخلت مرحلة جديدة تقوم على الخصوصية القومية و الهوية الثقافية المستقلة، و تؤكد الباحثة سوزان باسنيت "ان تلك الدول – دول اوروبا الشرقية – تقوم باعادة النظر في مقرراتها الدراسية؛ حيث انها تعيش مراحل القومية التي اختلفت منذ زمن طويل في الدول الغربية الراسمالية"[24]، و تضيف "ان دراسة الادب المقارن تنمو و تتطور في مناطق عديدة من العالم، حيث ترتبط بطريقة واضحة بقضايا الثقافة الوطنية و الهوية القومية، فالأدب المقارن في تطوره خارج اوروبا و الولايات المتحدة يفتح مجالات جديدة، و يمكننا بلاشك الاستفادة من متابعة هذا التطور.."[25].

و تتزامن هذه التقييمات المتناقضة لدور الادب المقارن في الساحة الثقافية الراهنة مع نقاشات و صراعات فكرية حادة تجري في اروقة المؤتمرات وعلى صفحات الكتب والمجلات حول مستقبل العلاقة بين الثقافات في الحضارات المختلفة، و يمكننا اختزال تلك الخلافات في رأيين رئيسيين:

الراي الأول: يدعو الى الانفتاح بوجه الثقافات الأجنبية و ينوه بضرورة تطعيم الثقافة القومية وحقولها في الاداب و الفنون المحلية بالثقافة العالمية، ويؤكد هذا الراي على ان الكونية (او العالمية) تمثل البعد الرئيسي للثقافة الانسانية، ولاشك ان هذا الراي يتوافق مع رأي الداعين الى بلورة منهج نقدي جديد في الأدب المقارن يرمي الى توثيق الاواصر بين الاداب المختلفة.

الراي الثاني: يدعو، بشكل مباشر او غير مباشر، الى تهميش البعد العالمي و الانساني الواسع للثقافة وابراز وجهها المحلي او القومي، لانه "ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات.."[26]، وان التطورات التي تحملها العولمة معها هي "ايديولوجيا تعكس ارادة الهيمنة على العالم (...) و نظام يعمل على افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى.."[27]، وبذلك لا يشجع هذا الراي عملية البحث عن الاواصر المشتركة بين الاداب المختلفة ويدعو الى نوع من الانعزال القومي والتقوقع المحلي، وهذا يتناقض مع جوهر الرسالة التي يبتغي الادب المقارن اداءها.

يعتمد الراي الاول على جملة دلائل لاثبات ان العالمية سوف تصبح الوجه المميز للثقافة في السنوات

القادمة، و يؤكد ان وعياً انسانياً سوف يتبلور باتجاه العالمية، وان البنية التحتية لهذا الوعي هي سمات مجتمع المعلومات الكوني، و هناك حجج لهذا الافتراض، نورد هنا حجتين منها:

الاولى: هناك فجوة ثقافية و اقتصادية خطيرة بين البلدان المتقدمة و البلدان النامية في افريقيا واسيا و امريكا اللاتينية.[28]. وان وجود تلك الفجوة يستوجب بذل جهود حثيثة باتجاه التقريب بين الرؤى الثقافية المختلفة، و بإمكان الادب المقارن ان يضطلع بدوره الهام في هذا المضمار.

الثانية: ان تطور شبكة المعلومات الكونية، بما فيها استخدام الاقمار الصناعية في مجال الاتصالات والحسابات الالكترونية، سيساعد على تبادل المعلومات و تعميق التفاهم الذي سيلغي المصالح الوطنية و الثقافية المتباينة[29]. و تدعم هذه النقطة ايضاً مهمة الادب المقارن الذي يهمه التكافؤ بين الثقافات والغاء الفوارق العنصرية التي تؤدي الى هيمنة ثقافة معينة على ثقافة اخرى.

اما الرأي الثاني ورغم كونه لا يرفض الادب المقارن بصورة مباشرة، الا انه يفرغه من محتواه، خصوصاً وان الادب المقارن يولي اهتماماً كبيراً بمستويات التأثير و التأثر بين الثقافات و الاداب المختلفة، عليه يمكننا القول بأن الراي الثاني لا ينصب في مجرى الاهتمام بالدراسات المقارنة نحو التقريب بين الحضارات، وانه في احسن الأحوال لا ينتج سوى ادب مقارن ذي نوازع ضيقة حول قضايا التأثير و التأثر.

كيف يمكن للأدب المقارن ان يساهم في حوار الحضارات في العصر الراهن؟

تجري النقاشات على امتداد العالم في الوقت الحاضر حول قضية الحوار من جانب و قضية الصراع من جانب اخر بين الحضارات و الثقافات، و تتم هذه النقاشات عادة ضمن الاستعدادات الجارية لاستقبال السنوات و العقود المقبلة من القرن الحادي و العشرين. فهناك من يبشر بانتهاء الصراعات و بدأ مرحلة جديدة من التفاهم المشترك بين الامم و الحضارات قائمة على تطبيق الليبرالية الديمقراطية باعتبارها اخر نموذج للنظام السياسي في التاريخ. وهناك من يتنبأ بحدوث صراع بين الحضارات المختلفة بسبب التباين بينهما في قبول نوعية النظام الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي[30]. وقد طرحت حتى الان العديد من الاقتراحات و الافكار و المشاريع للحيلولة دون صدام بين الحضارات، و في هذه الاثناء بدا النقاد و دارسو الادب "يصارعون نفس السؤال الذي طرح منذ اكثر من قرن مضى: ما هدف الدراسة في الأدب المقارن؟"[31].. للاجابة عن هذا السؤال نقترح جملة من المهام التي يمكن ان يضطلع بها الادب المقارن في العصر الراهن و ذلك في مجالات عدة يمكن الاشارة الى اهمها على النحو الاتي:

1-الحوار: يمكن للادب المقارن ان يمثل جسراً للحوار بين الثقافات المختلفة من خلال ايجاد مواطن التأثير و التأثر بين النصوص الابداعية لتلك الثقافات و تشخيص نقاط الاختلاف و الائتلاف بين الانظمة الثقافية و الادبية المختلفة.

2-التركيز على البعد الانساني للادب : وذلك من خلال ابراز التقارب بين الغايات القصوى التي ترمي اليها الاداب القومية المختلفة، و التي قد تتباين من حيث وسائل التعبير و اللغة، لكنها تتالف من حيث الغاية.

3-الترجمة: اذ يرى العديد من الباحثين ان هناك ارتباطا وثيقا بين مستقبل الادب المقارن وازدهار الترجمة في العديد من بقاع العالم، "فدراسات الترجمة تنبع من الدراسات اللغوية والادبية و التاريخية و الانثروبولوجية و النفسية والاجتماعية و العرقية و غيرها، و دراسات الترجمة تقوم على افتراض اساسي وهو ان الترجمة ليست نشاطا هامشيا، ولكنها كانت وماتزال قوة تغيير قادرة على تشكيل تأريخ الثقافة، لقد اعتبر الادب المقارن الترجمة فرعا صغيرا من فروعه، ولكن هذا الافتراض يثير الان تساؤلات كثيرة.. لأن ما قام به بعض العلماء يوضح (..) ان الترجمة تكون على درجة كبيرة من الاهمية في اوقات التحولات الثقافية العظيمة"[32]. كما ان الترجمة تعد عملية بحث دائم عن الجوانب اللغوية و الدلالية بين لغتين او اكثر لتحديد الارتباطات اللغوية بين النتاجات المختلفة[33].. وبالتالي يمكن للترجمة ان تجد الاواصر المشتركة بين اللغات المختلفة التي قد تبدو متباينة من حيث النطق و قواعد اللغة، لكنها تشترك في تجسيد الحالات النفسية و الاجتماعية التي تنبع من احاسيس و مشاعر انسانية مشتركة.

4-التكافؤ الثقافي: و يتحقق من خلال ردم الهوة بين الثقافات المتباينة و رفع الغبن التأريخي الذي لحق ببعض الثقافات، لأن التأريخ لم يشهد تساوياً وتكافؤاً كاملاً في مستوى تطور الحضارات، بل جعل ثقافات بعض الشعوب ثقافات مهيمنة و مسيطرة فيما جعل بعض الثقافات ثقافات مقلدة او مهمشة. عليه فإن مهمة الادب المقارن هي خلق حالة من التوازن و التكافؤ بين الاداب و الثقافات المختلفة.

استنتاج

تبين مما سبق ان هناك صلة تاريخية وثيقة بين الغاية التي تأسس الأدب المقارن من اجلها والنزعة الانسانية الداعية الى التركيز على البعد الكوني للأدب.. ذلك البعد الذي يرمي في النهاية الى بلورة ادب عالمي معبر عن امال الانسان و آلامه وهواجسه الفكرية و الجمالية. الا ان هذه النزعة الانسانية اصطدمت في العديد من المراحل التاريخية بمشاكل و معوقات عويصة غيرت مسار الادب المقارن و شوهت طبيعة رسالته الانسانية. و يمكن تلخيص تلك المعوقات في اشكاليتن رئيسيتين:

اشكالية حضارية: والتي ولدت تفاوتاً بين الثقافات و الاداب القومية وادى الى نشوء اداب مهيمنة تأخذ زمام المبادرة في الانتاج والابداع من جهة، و ادب مهمشة تقوم بالتقليد و الاتباع او التقوقع في احسن الأحوال. ويذكر ان هذه الاشكالية حديثة الى حد ما تعود الى عصر النهضة الاوربية والعصور التي تلته وما رافقها من حملات استعمارية

و تطورات ادت الى نشوء نوع من المركزية الغربية.
و في ظل هذه الاشكالية نجد ان الموازنة بين الاداب تقوم غالباً على اساس مقارنة الاداب المهيمنة بالاداب المقلدة والتي توسع مساحة الهوة بين الانظمة الثقافية المختلفة.

اشكالية عنصرية: و تنبع من موقف بعض الدارسين في حقل الادب المقارن، الذين يسخرون ذلك الحقل من اجل ابراز نقاط القوة في ادابهم القومية وتهميش دور الاداب الأخرى. وهذه الاشكالية تناقض تماما الغاية التي تأسس الأدب المقارن من اجلها.

ان هاتين الاشكاليتين قد صاحبتا الدراسات المقارنة منذ البدايات الاولى لظهور الادب المقارن وحتى نهايات القرن العشرين، ولها امتدادات وتداعيات في هذا العصر وحيث دخلت البشرية الالفية الثالثة والقرن الواحد والعشرين، والذي يحمل معه تطورات كثيرة وتقلبات في خارطة العلاقة بين الثقافات و الاداب المختلفة تستوجب اعادة النظر في مقررات الادب المقارن في الجامعات والمراكز الثقافية.. عليه بإمكان الباحثين ان يقدموا اقتراحات و توصيات بهذا الشأن، نلخصها من جانبنا على هذا النحو:

-التوفيق بين البعدين العالمي و القومي للنصوص الادبية المقارنة و ابراز العلاقة الجدلية بينهما، من خلال رصد و تشخيص اوجه الائتلاف بين النصوص التي قد تختلف من حيث لغة التعبير، لكنها تشترك من حيث انبثاقها من منطلق انساني واحد.

نبذ ذلك النهج من الادب المقارن الذي يسخر لتمجيد ادب قومي معين عند مقارنة نقاط قوته بصورة انتقائية بنقاط ضعف الاداب القومية الاخرى.

-التأكيد على ان التشابه بين النصوص و الاداب المختلفة لا ينبع بالضرورة من قضايا التأثير والتاثر بين النصوص و الانظمة الثقافية المختلفة، بل ينشأ في العديد من الاحيان من السياقات الاجتماعية والثقافية او حتى الشخصية المتشابهة.

-تسخير الادب المقارن في خدمة حوار مشترك بين الثقافات التي بعدت المسافات بينها بسبب خلافات سياسية او دينية او عنصرية.

-رفع الغبن التاريخي الذي لحق ببعض الاداب القومية التي انتجتها الاقليات او الاقوام المضطهدة والمهمشة في التأريخ، و التأكيد على ان النصوص الخلاقة لا تنتمي بالضرورة الى الاداب القومية الخلاقة.

-التأكيد على ان الادب المقارن و ترجمة النصوص الادبية حقلان مكملان للبعض لا انفصام بين حقولهما و اهدافهما، و يشاركان البعض في تعريف الثقافات و الاداب القومية المختلفة ببعض. عليه فإن تفعيل الادب المقارن بحاجة ماسة الى تفعيل دور الترجم.

-محاولة ايجاد الخيوط التي تربط الاجناس الادبية بالأجناس الفنية، و اجراء دراسات مقارنة بين تلك الاجناس لاظهار اواصر العلاقة بين الجمال الادبي و الجمال الفني، مع الأخذ بنظر الاعتبار او وسيلة التعبير في الادب هي لغة قومية بينما في الفن هي لغة عالمية تفوق تلك اللغة.

-تطعيم المناهج التقليدية للأدب المقارن بمناهج النقد الحديثة التي تعطي حرية اكبر للناقد او المتلقي لقراءة النصوص.

-اشراك الأدب و الدراسات النقدية المقارنة في حوار الثقافات من منطلق ان الحوار هو استعداد ثقافي قبل ان يكون سياسياً او ايديولوجياً، وان اي حوار بين الثقافات يكون اجوف ما لم يستند الى استعداد فكري وثقافي، ذلك الاستعداد الذي يمكن للأدب المقارن ان يلعب دوراً كبيراً في اغنائه و توسيع افاقه.

الهوامش:

1-يرى بعض الكتاب ان الأدب المقارن اكتسب اسمه للمرة الاولى من سلسلة مقتطفات ادبية فرنسية كانت تستخدم في تدريس الاداب، و نشرت عام 1812 تحت عنوان مقرر في الأدب المقارن. حول هذا الموضوع ينظر: سوزان باسنيت، الادب المقارن مقدمة نقدية، المجلس الأعلى للثقافة – 1999، ص 17. و هناك اخرون يؤكدون على ان تطور علم الادب المقارن قد بدا بالذات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينظر: مبادئ علم الأدب المقارن، الكساندر ديما، دار الشؤون الثقافية العامة، 1987، ص 25.

2-تعني الكوسموبوليتية Cosmoplitan Outlook النزعة العالمية الخالية من التعصب او الاحقاد القومية. و هناك تعريف في القاموس الدولي للانكليزية لذلك المصطلح يتلاءم مع مهام الأدب المقارن مفاده ان الكوسموبوليتية عبارة عن نزعة ترتكز على الاحاطة بتجارب الشعوب و العادات التي تعود الى مختلف بقاع العالم. ينظر: International Dictionary of English, Cambridge University Press, 1995. P. 309.

3-الكساندر ديما، مبادئ علم الأدب المقارن، ص 26.

4-سوزان باسنيت، الادب المقارن مقدمة نقدية...، ص6.

5-خصص غوته كتاباً بهذا الشأن تحت عنوان (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، ت: د. عبدالرحمن بدوي، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1980.

6-سوزان باسنيت، مرجع سبق ذكره، ص 17-18.

7-المصدر ذاته، ص18.

8-في طليعة هؤلاء الباحثين الذين انتقدوا الاستشراق (ادوارد سعيد) الذي الف كتاباً هاماً باللغة الانكليزية في هذا المضمار يحمل عنوان Orientalism – الاستشراق، و ترجم الى اللغة العربية ينظر: ادوارد سعيد، الاستشراق، ت: كمال ابوديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، 1984.

9-ينظر: محمد حسين الأعرجي، اهداف الاستشراق مالها وما عليها. المدى، السنة التاسعة (1) – 2001، ص 17.

10-الايرانيات او علم دراسة الشؤون المتعلقة بايران والايرانيين، عبارة عن حقل من حقول الاستشراق. ينظر بهذا الشأن الملف الذي خصصته مجلة (بخارا) الايرانية تحت عنوان (ايرانشناسی – الايرانيات)، 15-1379 (2000)، 36-68.

11-ورد هذا التأكيد في معرض كلمة للدكتور محمد حسين الأعرجي اعدت لمؤتمر الاستشراق، و الذي انعقد في شهر نيسان 2000 بجامعة وهران الجزائرية. ينظر: اهداف الاستشراق مالها وما عليها، مرجع سبق ذكره، ص 18.

12-ينظر: ايريك فروم، تجديد حياة مولانا. ت: د. سعيد علوی نائينی. همشهری، 1838، خرداد 1378 (1999)، ص 11.

13-سوزان باسنيت، مرجع سبق ذكره، ص89.

14-ينظر:

David Daiches, Critical Approaches to Literature. Second endition. Longman. London. & Newyork, 1985, p.19.

15-*Ibid, p.19*.

16-ينظر: د. ضياء خضير، مكانة المتلقي في منهج الأدب المقارن. الموقف الثقافي، بغداد، 19-1999. ص 65.

17-سوزان باسنيت، الأدب المقارن مقدمة نقدية...، ص 8-9.

18-لمزيد من الاطلاع ينظر: المرجع السابق، ص 9-10.

19-سيار جميل، تعقيب على ورقة سيد ياسين "في مفهوم العولمة" الى ندوة العرب و العولمة. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1998. ص 42.

20-د. برهان غليون، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة، دار الفكر. ط1، 1999، دمشق. ص 11.

21-د. منى ابو سنة، المؤتمر الدولي الحادي عشر للجمعية الدولية للأدب المقارن. المنار، 16-1986، ص 170.

22-المصدر نفسه، ص 17.

23-سوزان باسنيت، الادب المقارن، ص 13.

24-المصدر نفسه، ص 13.

25-المصدر نفسه، ص 14.

26-ينظر بهذا الصدد: محمد عابد الجابري، "العولمة والهوية الثقافية: عشر اطروحات"، ضمن كتاب "العرب والعولمة، مرجع سبق ذكره، ص 279".

27-المصدر السابق، ص 300-301.

28-للاطلاع على هذا الموضوع ينظر على سبيل المثال اراء ى. ماسورا، اعادها سيد ياسين في "حوار الحضارات في عالم متغير" ضمن كتاب (صراع الحضارات ام حوار الثقافات). القاهرة: مطبوعات التضامن، 1998، ص 45.

29-المصدر نفسه، ص 45.

30-حول قضية الحوار والصراع بين الحضارات في مشارف القرن الحادي والعشرين، ينظر: (صراع الحضارات ام حوار الثقافات). و خصوصا (أطروحة نهاية التأريخ وصدام الحضارات)، ص 148-160.

31-سوزان باسنيت، مرجع سبق ذكره، ص6.

32-المرجع ذاته، ص 15.

33-لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع ينظر:

Peter Newmark, Approachesto Translation. First Published 1988 by prentice Hall international – UK. P. 166.

الصورة في الشعر الكوردي المعاصر*

دانا احمد

المقدمة:

قد لا يستطيع الباحث الحصول على تعريف دقيق لمفهوم الصورة الشعرية، اذ ان الشعر عموما غير خاضع تماما للبحث الاكاديمي، ولكن يمكن الاستناد الى اكثر التعاريف شيوعا الا وهو الخروج عن المنطق المألوف اثناء عرض الأفكار واللجوء بدلا منه الى الخيال غير المروض، فالخيال هو الذي يخلق الصور الشعرية ويجسدها[1]، بل ان امتلاك الشاعر لخيال واسع وفكر متقد وملاحظة دقيقة وحس مرهف هو من الشروط الاساسية الواجب توافرها لخلق الصور الشعرية المتينة والمؤثرة[2].

كلمة الصورة الشعرية مقتبسة من كلمة (Image) الانكليزية القريبة لفظا ومعنى من كلمة (Imagination) والتي تعني الخيال[3]، والمقصود منها تصوير ليس الاشياء وحسب، بل الحالات والافكار والهواجس ايضا، اي تلك الاشياء التي لا يمكن تصويرها عبر عدسة آلة التصوير الفوتوغرافية..

والصورة الشعرية تعتبر حسب رأي معظم النقاد الركن الاساسي لبناء الشعر ولاسيما الشعر المعاصر، فهي جوهر الشعر وروحه وجسده في آن معا[4]، لذا لا يمكن دراسة أي نص شعري ونقده دون الوقوف على الصورة او الصور الشعرية التي اعتمدت لبنائه، ولكن بما ان المادة المستخدمة في صناعة الصورة الشعرية هي اللغة، ولكل لغة خصوصياتها، فمن الصعب جدا فهم الصور الشعرية الخاصة بشعر شعب معين من قبل غيرهم، ومن هنا اعتبر بعض النقاد ترجمة النصوص الشعرية نوعا من الاجرام، على اساس ان من لا يفهم الصور الشعرية لا يمكنه فهم النص الشعري اساسا وتكون ترجمة النص الشعري في هذه الحالة هدرا للوقت.

كما تجدر الاشارة الى انه وبالرغم من ان الكثير من النقاد قد ذهبوا الى تسمية اربعة مكونات للشعر، هي: اللغة الشعرية والموسيقى والصورة الشعرية

والمضمون[5]، مؤكدين على ان النص الادبي لا يمكن اعتباره شعرا في غياب احد هذه المكونات، ولكن الحقيقة التي يجاهر بها هؤلاء النقاد في الوقت ذاته هي ان من الصعوبة، وربما من الاستحالة، تشريح الشعر الحديث وتناول مكوناته كل على حدة، وذلك لشدة الترابط والتشابك بين تلك المكونات، اذ ان النص الشعري الحديث يشكل في مجمله وحدة متماسكة متداخلة في بعضها، ومثال ذلك العلاقة المتينة التي تربط الموسيقى باللغة الشعرية واللغة بالصورة الشعرية والصورة بمضمون النص وهكذا.

وهنا بالذات تكمن صعوبة بحثنا الخاص بالصورة الشعرية في الشعر الكوردي المعاصر، وكذلك اهميته، فالصعوبة تكمن في استحالة تشريح الشعر وتناول احد مكوناته على انفراد، وكذلك في صعوبة جعل المتلقي غير الكوردي والذي لا يجيد اللغة الكوردية ان يفهم او يدرك الصور الشعرية الواردة في الشعر الكوردي، والاهمية ايضا تكمن في ان المتلقي غير الكوردي والذي يرغب في الاطلاع على الشعر الكوردي يحتاج الى الالمام بالصورة الشعرية الكوردية.

الصورة المفردة والصورة الاجمالية في الشعر الكوردي

لقد سبق لنا القول ان الصورة الشعرية تشكل عنصرا اساسيا من عناصر الشعر[6]، اذ لولاها لما ميّزنا بين لغة التخاطب العادية وبين ما نسميه لغة الشعر، فالمعروف هو ان الكلمات والالفاظ التي يستخدمها الناس عادة في تخاطبهم اليومي العادي هي نفسها المستخدمة كمادة خام في بناء الشعر، اما ما يحوّل تلك الكلمات الى لغة شعرية انيقة وجذابة فهو الصورة الشعرية التي نحن بصددها، فنحن جميعا نعرف القمر والجبل والنهر والطريق، كما نعرف البكاء والضحك والنشيد والألم، كل تلك مفردات نستخدمها في العادة لتسمية الاشياء والظواهر المحيطة بنا، ولكن الشاعر حينما يحدثنا عن بكاء القمر وقهقهة الجبل ونشيد النهر والم الطريق، انما يقدم لنا صورا شعرية لم يسبق لنا ان عرفناها وبالكلمات ذاتها التي نستخدمها، وكذلك الحال بالنسبة لموضوع النص الذي سيكون اشبه بمقال او تقرير عادي في حال غياب الصورة واللغة الشعريتين، ما معناه ان كل ما يقال من خلال نص شعري وعلى حد تعبير مالارميه هو مجرد دردشة عادية لولا الصورة التي يطرح من خلالها[7] والتي تحول تلك الدردشة العادية الى شعر بهي له وقعه الخاص في الآذان والنفوس.

على هذا الاساس يمكن التأكيد على ان الصورة الشعرية هي ملازمة للشعر منذ الازل، اي لا شعر بدون صورة شعرية مهما كانت تلك الصورة بسيطة وبدائية، وهذا القول ينطبق على الشعر الكوردي ايضا.

ولكن للصورة الداخلة في النص الشعري وخصوصا في النص الشعري المعاصر، وظيفتان بدلا من الوظيفة الواحدة، فهي اولا صورة مفردة يتم

من خلالها التعريف بشيء معين، وثانيا تدخل في البناء العام للنص وتخدم الفكرة الاجمالية التي يحاول الشاعر ان يدلنا اليها، ولكن هذا القول لا ينفي ان تكتفي الصورة في بعض الاحيان بأداء وظيفته الاساسية فحسب ولا تخدم اي شيء فيما يخص الصورة الاجمالية، وهذه الحالة نراها اكثر في الشعر الكلاسيكي الكوردي، حيث يعمد الشاعر في الغالب الى توظيف كل صورة ضمن بيت شعري واحد مستقل عن مجمل القصيدة، أي يمكننا قراءة كل بيت على حدة وفهم فحواها.

اولا : الصورة المفردة:

الصورة المبنية على الادراك الحسي:

والمقصود هنا الاخذ بالصور التي يمكن تحسسها بواسطة حواس الانسان الظاهرة، كأن يمكن رؤيتها او شمها او تذوقها او لمسها او ما الى ذلك..

لقد تأثر الشاعر الكوردي كغيره من شعراء الامم الاخرى بصور الطبيعة قبل كل شيء، لذا كان تقليد الطبيعة حاضرا في شعره على الدوام، ويتجلى هذا الحضور في الصور المأخوذة من الطبيعة كما هي والتي يمكن تحسسها، انما ليس للحديث عن الصور نفسها، بل لوصف اشياء وحالات وهواجس معينة تشارك تلك الصور الطبيعية شيئا من الخصال كما اسلفنا الذكر، واستخدام الصورة الشعرية بهذا المنحى هو استخدام قديم يعود الى اوائل ظهور الشعر، فالتراث الفولكلوري الكوردي وكذلك الأدب الكلاسيكي زاخران بالأمثلة في هذا الصدد، كتسمية صدر الفتاة ببستان الرمان او التفاح او ما شابه، وتسمية عين الفتاة بنبع الماء وخدها بأوراق الورود وما الى ذلك:

بالأمس ومن خلال زر الصدر،
اثناء صلاة المغرب
بان فجر بستان التفاح
"للشاعر الكلاسيكي نالي"

ولكن الامر لا يتوقف عند وصف الاشياء فقط بمثيلاتها المعروفات في الطبيعة، بل يروق دائما للشاعر البحث عن العلاقات الخفية غير المرئية وغير المحسوسة، ذلك لأنه وبطبعه يرى بواطن الأشياء، فيرى الوجه القبيح للأشياء التي تبدو خلابة بنظرة سطحية، وكذلك يرى الجانب الجميل للأشياء التي تبدو مشمئزة:

يكشف لنا شيركو بيكس على سبيل المثال بواطن الاشياء الجميلة ظاهريا:

انا المح ربما من هنا وهو في ذلك الجبل
ضمآن.. ضمآن..
يتوجه صوب نبع ماء في السهل
انا المح من هنا
فخا وشركا في ذاك السهل
وعلى الطريق المكشوف
او يقول:
انا من هنا ارى حصانا ابيض
مربوطا على مدخل القرية
يصهل ويرمي بأطرافه
وانا ارى من هنا حنشا

يزحف من تحت صدر الحصان

متربصا به ليلدغه

اي ان الريم الذي يسير صوب النبع والذي يلهمنا هو في الحقيقة ذاهب ليلقى حتفه، والحصان الذي يصهل ويرفع صدره ليس مثالا للقوة والكبرياء كما يصوره الشعراء في العادة، انما قد يكون حصانا مذعورا يستنجد بنا، ونفس الامر بالنسبة للذي نراه قبيحا مثيرا للازدراء، كفاروق رفيق حين يمدح الزوبعة التي يكرهها الآخرون في العادة بقوله:

الزوبعة لا موطن لها

تعيش في المنفى كما انا

ووصولا الى

الزوبعة تعتصم

تعبس وجهها

لا تدع المشردين المتحلين بألوان الموتى

ان ينصبوا الخيام في ديار الجامدين

فهو هنا يجد ميزة جيدة للزوبعة، وهي انها تقضي على امل المشردين في بناء الخيام (المنازل الهشة) لهم في ارض الغربة، ويدفعهم الى العودة مضطرين الى منازلهم الرصينة في اوطانهم.

وحتى لو كان للأشياء الوجوه ذاتها، اما قبيحة او جميلة، فليس بالضرورة ان يتفق الشعراء فيما بينهم حول طبيعة الاشياء وخصالها، بل ان كل شاعر له وجهة نظره ورؤيته الخاصة، والمسألة لا تتعلق فقط بالجمال، بل بالوظائف ايضا، كامران موكري مثلا يصنع الاسوارات من الجمر والقلادات من اللهيب، ويصل به الأمر ان يقول:

ان الدخان المنبعث من الصدر ومن النهود

صار محرما شفافا

او هناك قصيدة شعرية لشيركو بيكس يصف فيها بلده قائلا:

تتولد الصحيفة في بلدي

وهو أخرس

ويتولد المذياع في بلدي

وهو اجرب

ويتولد التلفزيون في بلدي

وهو اعمى

فنرى كل تلك الاشياء في شعره تحمل عكس الخصال التي تحملها في الحقيقة.

ويمتاز الشعر الكوردي المعاصر بالنماذج التي يعمد الشاعر من خلالها قلب الامور واعطاء وظائف غريبة وربما غير منطقية للأشياء، وربما لهذه الحالة علاقة مباشرة بالاوضاع السياسية التي سادت كوردستان، بسبب اندلاع الثورة المسلحة والاجراءات التعسفية التي اتبعتها الحكومات المسيطرة على ارض كوردستان لمحاربة تلك الثورة وكل من يبدر منه انه يتعاطف معها، من هنا لجأ الشعراء اولا الى استخدام نوع من الصور المبهمة غير المفهومة لتلافي غضب الحكومات، وثانيا صارت لغة التشاؤم تسود خطاباتهم الشعرية وما قلب وظائف الاشياء الموجودة في الطبيعة الا من نتاج ذلك التشاؤم.

وقد اصبح استخدام الصور المبهمة ملازما للشعر الكوردي حتى بعد شبه الانفراج الذي جاء الى الوجود عقب تحرر جزء هام ومركزي من

كوردستان هو كوردستان العراق، وكأني بمجموعة صاروا يتقنون هذا الضرب من الفن وصار يروقهم التفنن بها، والأمر لا يختصر على الذين ادمنوا الضرب، بل تعداهم الى الجيل التالي الذي لم يضطر يوما الى اخفاء نواياه وافكاره بما انه بدأ كتابة الشعر بعد حلول عهد الانفتاح، فها هو ادريس علي الشاب يقول في قصيدة له تحت عنوان (سأموت انا في ذات مساء):

رأيت من هوناك

خلف سياج تأملات امرأة

طفلا يبكي الجزء الاخضر من الشعر

وعند الجانب المبلل من الاغنية

جنديا يملأ زمزميته دما

وهكذا اصبح اللجوء الى الرموز الشعرية المبهمة سمة بارزة من سمات الشعر الكوردي المعاصر، ولكن عموما وكما اسلفنا الذكر، يبدأ عهد الرمزية هذه من المراحل السابقة حيث قمع الحكومات واضطرار الشعراء الى اخفاء افكارهم خوفا من البطش.

الصور غير المبنية على الادراك الحسي

ليس من الضروري ان يبني الشاعر صوره على الاشياء التي يمكن تحسسها او لمسها، بل يذهب الى ابعد من ذلك فيصف الحالات الداخلية والهواجس والمخاوف ويبني صوره الشعرية عليها، يقول عبدالله بشيو مثلا:

احبك واحبها ايضا

انا اعبد شعاع الشمس

واعبد وميض القمر كذلك

وهكذا نراه في هذه القطعة قد وظف حالة حب الانسان لشيئين مختلفين وربما متناقضين بعض الشيء في آن معا، وهي على العموم حالة غير مرئية وغير محسوسة، بل شعور داخلي، ولو انه ينتاب البشر اجمالا وهم يضطرون الى اخفائه لأسباب تتعلق بطبيعة العلاقات الانسانية والقيم السائدة وما الى ذلك، فأراد ثقشيو من خلال تقديم الصورة ان يقول لحبيبته انه امر طبيعي ان يحبها ويحب غيرها في الوقت ذاته وعليها الا تستغرب الأمر، انه يقرأ ذلك الحب الذي يكنه لغير حبيبته على خلاف ما نراه نحن او الاصح على خلاف ما نصفه نحن من باب النفاق ويلجأ الى تلك الصورة المقتبسة من حالة وجدانية غير محسوسة.

ويمكن للشاعر ان يخلط بين هذه وتلك في صور شعرية رائعة، كأن يمنح وظيفة مادية محسوسة لشيء غير مادي وغير محسوس، يقول دلاور قرةداغي على سبيل المثال:

خلف تجمد الثورة

وغنج التأريخ

بقليل

ومع مشية المساءات الرمادية

للسيف

وتغوّط

الحروب

فالمساءات الرمادية التي لا يمكن لمسها او تحسسها تتمشى عند دلاور والتاريخ يتغنج والحرب تغوط

وهكذا.. او يمنح وظيفة غير مادية لشيء غير مادي هو الآخر كما يقول رفيق صابر في قصيدة له تحت عنوان (ميديتاسيون):

في وحدتي تعتقني شجوني

كلماتي رموز

وحدتي: حرية التأمل والسؤال

وقد يؤدي الشيء الموجود وظيفة معاكسة تماما لوظيفته الطبيعية، فالصراخ مثلا يُسمع، ولكن جمال غمبار يقول:

حين بلغتم انتم المكان

كان الصحراء يقول لصرخاته

تأملوا في هذه الازهار..

هكذا نرى الصحراء يكلم صرخاته، والصرخات التي لا يمكنها ان تسمع، بل للآخرين ان يسمعوها دائما، هنا عليها ان تسمع ما يقوله الصحراء.

عموما تكون الوظيفة التي تؤديها الصورة هنا، أي في الصورة المفردة، هي الكشف عن افكار الشاعر ورؤيته الخاصة التي يفترض انه يتميز بها عن غيره[8]، فيستخدم اشكال الطبيعة المتوفرة لطرح او عرض شيء معين من وجهة نظره الخاصة لا غير، وهذه ليست الوظيفة الاولى والاخيرة للصورة، بل للصورة الشعرية التي تدخل في سياق اي نص شعري وظيفتان مختلفتان ومرتبطتان ببعضهما في الوقت ذاته بخيط خفي قد لا يتحسسه الا الشاعر نفسه احيانا، فهي اولا صورة مفردة يراد منها طرح او عرض او شرح شيء محدد من وجهة نظر الشاعر وقد اسلفنا الحديث عن ذلك، اما الوظيفة الثانية للصورة فهي الوظيفة التي اكتسبتها بعد التطور الذي طرأ على مفهوم الشعر، الا وهي خدمة الصورة الاجمالية للنص الشعري التي باتت ميزة الشعر الحديث او احد اركانه، وهذا ما سنأتي على ذكره لاحقا.

الصورة الاجمالية:

على الصور الواردة في النص الشعري برمته تجسيد الفكرة العامة التي اراد الشاعر طرحها من خلال تجربته[9]، وبالتالي على المتلقي ان يتأمل في مجمل النص ويعامله كصورة واحدة متجانسة لفهم مفرداته، ولو انه حتى في هذه الحالة ليس بالضرورة ان يفهمه او ان يدرك بالضبط ما قصده الشاعر[10]، وبالذات في الشعر الكوردي المعاصر الذي تسوده الصور المبهمة كما شرحنا ذلك، وقد وظف كامران موكري الصورة بهذه الصيغة في قصيدة له بغاية الروعة والاتقان:

لاتظني انني النهر

وانت النبع..

(وصولا الى)

انت العش وانا الطائر

هنا نرى ان موكري يرفض تشبيه نفسه بالنهر وتشبيه حبيبته بالنبع ليترك المتلقي في دهشة لوهلة بما يعرفه من قصة غرام ازلي بين النهر والنبع، ولكنه يوضح في النهاية تلك العلاقة الموجودة بين النهر والنبع، حيث ان النهر حين يغادر نبعه لن يعود اليه وهو لا يريد فعل ذلك.

والحقيقة ان التقلبات التي تطرا على وظائف الاشياء الطبيعية والتي قلنا ان فهمها يصعب على المتلقي، او اداء الوظائف غير المنطقية من قبل بعض الاشياء، او اللجوء الى عرض اشياء غير محسوسة، كل ذلك يخدم الصورة الاجمالية التي يحاول الشاعر شرحه، وهكذا نرى ان المتلقي لشعر كوردي معاصر لا يفهم بيتا شعريا (بالمعنى المجازي للبيت بما ان الشعر المعاصر لا يمكن بناؤه على ابيات منفصلة)، تتوضح الصورة امام عينيه بعد ان يتمم قراءة النص بمجمله، فيرى من الوصف غير المنطقي صورة جميلة يراد منه التعبير عن شجون حقيقية.

ولكن يبقى التأكيد على ان الثورة المسلحة قد جعلت من الصورة الشعرية الرمزية غير المفهومة بسهولة السمة البارزة للشعر الكوردي المعاصر، فصارت الاشعار اشبه بألغاز ومتاهات تتعب المتلقي الباحث عن مخرج منها، وحتى بعض الشعراء الملتحقين بالثورة آنذاك قد طغى على نتاجاتهم الطابع البلاغي الثوري وبالتالي افتقرت نتاجاتهم الشعرية الى الصور الحقيقية التي تسرق فكر المتلقي وتأسر قلبه وتجعله يهرع لانهاء قراءة النص للوقوف على الصورة الاجمالية، اما بعض شعراء المهجر فقد اثرت فيهم الغربة بدورهم وصاروا ينشدون للعودة وحدها في اغلب الاحيان واصبح نتاجهم الشعري في الغالب عبارة عن رثاء للوطن الذي فارقوه مرغمين.

هذا لا يعني افتقار الشعر الكوردي المعاصر للصور الشعرية الرائعة، لاننا وكما اسلفنا الذكر، لا شعر بدون صورة شعرية، اي ان القول بعدم وجود صور شعرية يعني اعدام الشعر مباشرة ونفي وجوده وهذا حكم جائر، والدليل ظهور شعراء كورد نالوا الاحترام والتقدير على نتاجاتهم على المستوى العالمي حتى، ان جوائز ادبية عالية كثيرة موجودة في الوقت الحالي لدى شعراء مبدعين كورد مما يعني ازدهار الشعر الكوردي المعاصر لدرجة معينة، ولكي نعرف تقييم الشعر الكوردي المعاصر ونقف على الصورة الشعرية، ينبغي لنا ان نميز بين ثلاث فئات رئيسية من الشعراء والظروف المحيطة بكل فئة منها.

اولا: شعراء الساحة:

او كما كان يطلق عليهم في كوردستان حينها (شعراء الظل)، وهم الشعراء الذين آثروا البقاء في كوردستان رغم الظروف القاسية ورغم الخوف والذعر اللذين كان وجود الانظمة الاستبدادية يمثلهما لهم.

ان شعراء هذه الفئة هم اكثر الشعراء لجوءا الى الالغاز والرموز المبهمة، والسبب واضح وبسيط، وهو انهم كانوا يعيشون في كنف السلطات ويحاولون الابداع وهم تحت مراقبة الاجهزة القمعية لتلك السلطات، وفي الحقيقة لم يعانِ هؤلاء الشعراء من بطش الحكومات وحدها، بل من بطش الجماهير ايضا، وما دفع هؤلاء الى هذه الالغاز هو ان العديد منهم قد اتهم بالولاء لتلك الحكومات والوقوف معها في مواجهة التطلعات الشعبية العامة، فاضطر الباقون الى اظهار افكارهم ورغباتهم الحقيقية للمتلقي عسى ان يفهم ما يقولون، وفي الوقت ذاته كان عليهم ان يحترسوا من الرقيب

الفكري الذي كان الحكام يسلطونه على كل ابداع فكري، ولا مناص من اللجوء الى الرموز للتوفيق بين طرفي هذه المعادلة الدقيقة والحساسة.

في الوقت ذاته استفاد هؤلاء الشعراء من بعض الامور، اهمها مسألة الانتشار بما ان الصحف والمجلات والنشرات الادبية الصادرة كانت تساعدهم على نشر نتاجاتهم، فباتوا معروفين لدى المتلقي المحلي اكثر من غيرهم وصارت نتاجاتهم اكثر تداولا من قبل الناقد الادبي الذي له دور مهم في تطور الشعر..

ثانيا: شعراء الثورة:

وكان يطلق عليهم ايضا (شعراء الجبل) وهم مجموعة الشعراء الذين التحقوا بصفوف الثورة المسلحة وصاروا ينشدون لها..

هؤلاء لم يعانوا ما عاناه شعراء الظل من حيث كره الجماهير، بل صاروا بمثابة اناس مقدسين بما انهم رفضوا حسب ظن المتلقي حياة الذل والهوان وآثروا العيش في شعاب الجبال على قبول الذل، كما انهم تحرروا من الرقيب الفكري وصاروا يكتبون ويقولون ما يروق لهم دون خوف او ذعر، ولكنهم عانوا في المقابل من امور اخرى قد اطرت ابداعاتهم ايضا، ويمكن تلخيص اهم تلك الامور في حالتين:

1-محدودية الانتشار حيث الظروف الصعبة التي كانت تحيط باعلام الثورة والافتقار الى الاجهزة الخاصة بالطبع والنشر، فلم تصل نتاجات هؤلاء الشعراء الى اوساط المتلقين الحقيقيين والى ايدي النقاد ايضا على صعيد واسع، وبالتالي كانت نتاجاتهم محصورة في اوساط ضيقة ويتناولها القراء بسرية تامة كما يتناولون المناشير الحزبية.

2-طغيان لغة العنف التي تتميز بها الثورات في اشعارهم والابتعاد عن الخيال الرقيق والمرهف الذي يخص الشعراء، هذه الحالة حولت معظم شعراء الجبل الى سياسيين ثوريين يروجون للقتل والانتقام والعنف، وحتى صورهم الشعرية نراها مقتبسة من الظواهر الخاصة بالحروب والمواجهات، فنرى كلمة الدخان مثلا هي اكثر الكلمات الموجودة في شعر شيركو بيكس على سبيل المثال، ونرى التشبيه بين حب المتيم لحبيبته بحب الجندي لبندقيته و..هكذا.

ثالثاً: شعراء المهجر:

يبدو من الوهلة الاولى ان شعراء المهجر لابد ان يكونوا قد تحرروا من مشاكل كل الفئتين السابقتين، وفعلا تلك المشاكل لم يعد لها وجود في نتاجات هؤلاء الشعراء الذين تركوا اوطانهم واقاموا في ارض الغربة، فلا رقيب ولا ثورة، بل والاضافة الى ذلك الاحتكاك المباشر بالادب العالمي والوقوف على آخر التطورات الطارئة على مفهوم الشعر، فصاروا يستفيدون من درايتهم بالآداب العالمية.

ولكن لم يكن شعراء المهجر بمنأى عن مشاكل متعلقة بنتاجهم الشعري، فهم قبل كل شيء قد تركوا اوطانهم ويمكن معرفة صعوبة فراق الوطن والعيش في بيئة غريبة بكل ما للكلمة من معنى، من هنا طغى على نتاج هؤلاء الشعراء لغة الرثاء

للوطن المهجور، فكان الحزن هو السمة البارزة لشعر المهجر.

وهكذا نرى ان الظروف السياسية قد اثرت سلبا في الشعر الكوردي المعاصر وادت الى عدم تبلور حركة شعرية حقيقية معاصرة تواكب حركة الشعر العالمي.

الهوامش

*الفصل الاول من البحث الذي القي في مهرجان (العراق الحضارة) في دبي، وقد نال المرتبة الاولى.

1-سي. دي. لويس، الصورة الشعرية، ترجمة احمد نصيف الجنابي وآخرين، دار الرشيد، بغداد، 1982، ص102.

2-باقر جاسم، عين الشعر وعدسة الكاميرا، دراسة في الصورة الشعرية، جريدة الثورة، العدد الصادر في 1987/12/15.

3-ادونيس، سياسة الشعر، الطبعة الاولى، دار الآداب، بيروت، 1985، ص50.

4-د.نصرت عبدالرحمن، في النقد الحديث، عمان، 1979، ص26.

5-حاتم الصكر، ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص48.

6-صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الادبي، الطبعة الثانية، دار شؤون الثقافة، بغداد، 1897، ص467.

7-محمد رضا مبارك، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار سراس للنشر، 1985، ص155.

8-س.دي، لويس، الصورة الشعرية، ص20.

9-محمد غنيمي هلال، النقد الادبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ص447.

10-خوشخوني علاءالدين سجادي بغداد 1978، ص64

الفيدرالية مشروع وحدة وليس مشروع تفتت ابدا، وتدل على ذلك كل تجارب دول العالم الفيدرالية، وان من يتحدث عن مخاطر تقسيم العراق، انما يدلل على جهله بواقع العراق الاجتماعي والسياسي والجغرافي، وان من يدلل على طموحات الكرد في الانفصال، انما يسعى للتصيد بالماء العكر.

نزار حيدر

كاتب ومحلل سياسي عربي من العراق

مدير مركز الاعلام العراقي في واشنطن

كـــــردٌ رُحـــّـــلٌ

انور الغساني

(الى زهـــدي الداوودي)

فراشٌ سَهلٌ
جبـالٌ تحاذي الرعــبَ
بالزرقة معتفـرة
بين القمة والهاوية
بين الـشوك
والـسهل المرقط بالخراف
بين الـسهل والـسهل
لن يناموا في طفل العـشيّ
سـيغادرون ولن يلمـسوا
كِسـرَ الكلس الوفير
يمضون فرحين
بصلادة الأرض وبالصخور النواتـــي
والصخـور، بثقت الماء
والماء، قبلهم، هنـاء كـان
الأفواه تـستطعم الحليب
الأقدام تأرق
الأرض تـستهلك دماء الـسيقان
لكنهم يشدون الصـراخ
منتظرين التلامـس في الليل
الصباح ينزع الخمـود عن الـسماء
يمـلـد الأرض بضـوء غازيّ
فيتوقـون الى الطـرق
التـسامية عليهم
المستنيمـة للأقـدام
يخلفون الأرض المكتـشفة
فتضمحلّ المسافة ويظل المجهول
خرشفة في حناجـرهم
وكلماتهم تتصادم كالجذوع
بأصـواتهم يفصحـون الأحجار
وبأجسـادهم يفلتــون
ليظهـروا من وراء الجلاميـد
وقد نقاهم العـشب من الأوضــار
يصلون وقد هـشموا كريـستال الماء
فيجدون الهواء المرفق للماء يـسيل
من أجل هذا انفقوا الـسنين
حتى نـسيت وجوههم زرقة الـشعر
وابيَضّ تقرن الجلود.

يحلون حيث الربيع

فتتابع شفاههم الأحاديث

تأخذ لفظاً مطوفاً هنا

ولفظاً من هناك

وإذ يرون أن الوفرة والدسم

سيكونان في الأشياء

وان غيابهم بالتتابع أكيد

يحنون الى الأرض

حيث يقفون ويسقطون.

"ثم تصيح إمرأة" : غداً ، غداً

فيتلقون بدناً يحمونه بالزفير

وياكفهم التي متنت الخيام

اكف كالطيور ، منثوثة بالتراب

وإذ يفهمون انها تذكت بالأحداث

وان نسج الأكسية كان راحتها

يتنازلون عن بعض طاقتهم للجبال

للكوت التوت والجوز والبلوط

هم أنقياء من الصدى الفائض

وهم الظل الأبقى والألعاب

والحصى والنوى

صبغ اذهانهم المستنطقة للأرض.

ينتقون بعض الخضرة

تاركين الفضاء الأزرق ببزغ.

يثبتون زمناً إختاروه

ليعرضوا تلاقيهم تحت نجمة الشمس

وهم سيظلون هنا

الى أن تشب النيران على القمم

فيستمرون مع العشب

مضيفين الى اعمارهم عاماً جديداً

26 - 1 - 1992

الشيخ محمود الحفيد

في منفاه بسرنديب

"ابيت في غربةٍ ، لا النفسُ راضيةٌ   بها، ولا الملتقى من شيعتي كثَبُ

فلا رفيقٌ تسرُّ النفسَ طلعتُهُ   ولا صديقٌ يرى ما بي فيكتئبُ

(...)

اثريتُ مجداً ، فلم أعبأ بما سلبت   أيدي الحوادثِ منيَ فهوَ مكتسبُ

"محمود سامي البارودي من منفاه في سرنديب

تأني إذ دخل
المطرُ أفنى نفسه
والصاعقةُ أظهرت في النهار نهارا
الببغاوات صامتات والشمس تغرُبُ
والليلُ الى الروح مُقبلُ
يعلمُ الا نورَ هنا
وفي السماء تبيضات تتبدد
يتمسكُ بالحروف
يقتسرُ في الألفاظ
مخزونه
من أصواتِ كُردستان
ملكوتِ السكونِ
فيه تحوم رُوحُهُ

حلمه
حلم المتكلمين
نيران الطابخين
الثلج يسخن ثم يذوب
في الوجوه نورٌ
يقول
مغمض العينين سأظل
حتى عائداً الى الجبلِ أرانيي
1994/3/7

"هذه القصيدة مقطع من "ثورة العشرين" في ديوان
"سفر العراق"

غابة الكتب

شعر: كريم دشتي

ترجمة: عبدالرحمن فرهادي

1-كتاب الماء

وسط ضجة الانهار في خراب الارض
نحتت للمطر تمثالا من العشب
و قبالته صرخت: ايتها الامواه.. ايتها الامواه
رغم انك رمز للحكمة وزرقة السماء
الا اننا نشربك
و نغسل قذارة اعماقنا بأطهر قطراتك

2-كتاب الفراق

قصب اخضر ملؤه النوى
في منفى نائياً و باكياً
ابدا تتمزق صفحاتها في مهب الريح
كل واحدة منها تعود الى وطن ما
وكل حرف الى اعماق انسان ما

3-كتاب النادلة

كؤوس كثيرة فوق كفها

كأنها كأس خلف ستائر الجمال

ملؤها الشراب و بخور السماء

وهي تدخل على حشد من السكارى

4-كتاب نيتشه

كلنا ربطنا خاصرتنا بحزام (زردشت)

وتوجهنا نحو فتاة الشمس في المياه المقدسة

انهال علينا ليل طويل اغرقنا من الابد

ومازلنا حتى اللحظة لا نهتدي على اكواخنا

جائلا في برية الوجود دون ان نصل

ولن نصل ابدا

5-كتاب الملكوت

عندما تهب الريح تمتزج بدمائنا عصبا عصبا

نشعر بسطورك و حروفك المجهولة

اين انت، حيث توحدنا بهداة الارض

و تأخذنا الى الوحدة

و تحولنا الى العشب و كومة من العظام الوهنة

اين انت يا اجمل شاه الملكوت

6-كتاب الناي

في تلك الليلة

كانت ريح قاتلة ترش الجبال حزنا

قالعة الاشجار المعمرة نحو العدم

حيث اضرمت النوى

مزلزلة ارواح البشر

ومن الليلة هذه المتلئة بالخوف و الجلال

اتت نوى الغربة جيلا بعد جيل

لتختلط بروح الانسان

7-كتاب الشراب

عقدا مقدسا مع الشيطان كان

مثل جمرات فاوستية

اصبح فضة ذهن الانسان

اضحى شوقا في قلب الكون و صباحات الفكر

وها الف سنة و نحن نقلب

صفحات الخمر في الكتاب هذا

لم نستطع ان نقرأ سطراً واحدا

نشربه و يشربنا كصديقين لدودين

دون ان نلتقي او نتفاهم

و دون ان ننفصل

8-كتاب الزعيم

مازال الزعيم في بيوتنا جميعا

يخرج من اذهاننا ليدخل قلوبنا

و عندما يخرج من القلب يدخل رؤسنا

صورة الزعيم باقية في دفاترنا جميعا

ظل الزعيم ابديا في مدينتنا

صعب ان ينسى بالسهولة هذه

منذ زمان مات الزعيم

لكننا نعتقد بأنه مازال حيا

9-كتاب الاموات

ننظر ابدا الى القمر من فوق القلعة
معتقدين بأنه نهاية الكون
حيث بهاء القمر اسطع
دون ان ندرى بأن افق المستقبل
حبلى بالاقمار الجميلة
فات الاوان حتى و ان ننزل من القلعة الان
فان القمر هذا يعيش في دمائنا و وجودنا..
حتى لو نتوجه نحو المستقبل
فان القمر معنا ايضا
و مازالت مائدة الماضي اجمل لنا

10-كتاب الوسوسة

منتصف ليلة ما حدقت
الى المراة صرعتني خواطر زليخا
اقتربت اكثر و زليخا اختفت
و عندما دققت النظر
صورت نفسي، انا و زليخا معا
منذ ذلك الوقت فانا يوسف النرسوس.

11-كتاب البكاء

كانت يدا مشتبكة حول الركبة ابدا
و قلبا مملوء بالاحزان
وصدرا من الحسرات
آه يا امي كم اشتاق اليك!

12-كتاب المنارة:

خصت كل اعمارها للسقوط و التداعي
وكل لبنتها للانكسار و كل نظراتها للزوال
كفتاة عانس
مازالت تعيش اول حبها
لا ان تنتهي ولا ان تسمو الى السماء..

13-كتاب عازف الناي

عندما هبت الريح
بحثنا كثيراً عن الناي ليهدينا
ولكن عندما عاد الناي بثيابه الخريفية
كنا نحن للتو نعود من دفن عازف الناي.

14-كتاب السيدات

عندما يمتلىء بالدم يعبدنه
و يجعلنه طوطماً لهن
و بهذا الدم هن يعدن الى حدائق ابيقور
لكي ترتوي ورده اجسادهن الحمراء
عليهن بتفريغ الطوطم في ارواحهن.

15-كتاب الكهف

هناك صوت ينادي ابدا و صدى يعود
الصخور تنادي و الصدى يعود
ترقص العشب و الصدى يعود
هذا غرق ابدي و قدري
في ان يسمع الانسان صداه فقط..

16-كتاب السحر

عندما ينفتح

بودلير- رامبو- برهان جاهد كلهم

يسقطون من بين اصابعه

و الدنيا تمتليء بالسحر و جمال البخور

وعندما ينغلق تتساقط اوراق الظلام

كنا نضرم البخور بين الأنين و دفوف الأعماق

و نرحل معهم لنذهب نحو الفناء.

17-كتاب الروح

انكسرت قبل الاف السنين

و تبعثرت قطعها في جسدها

والان عندما يصرخ الانسان

هناك انكسار يرن

يشبه كسر العظام

يشبه انكسار السنبلة

التي تهب عليها الرياح

و لهذا فعندما يبكي الانسان

يعود الى اصله

18-كتاب السكر

هذا الطير الذي حط على الروح

امتص دم الروح

و كان سكيراً عندما يزقزق..

زقزقة ملؤها البكاء

ليست هي اغنية بل انين

تغني تعب الانسان

ودونما جدوى ينهى ذاته ليسقينا..

19-كتاب القمر

في اعلى السماء

يشبه الخاتم في اصابع الملائك

وعندما سرقوه

تحطمت السماء

وهطلت امطار كالقطران

ولهذا سوداء اعماق بعض الانسان

20-كتاب العميان

في خلسة يقرأ دعاء

يشق السماء و يقلع الأعمدة

فهو اعتراض الروح من الكون..

وهم يعرفون من الذي حرمهم من الرؤية

ولهذا فان معاركهم عصيبة

مع احد لاسيماء له و لا وجود

يعتقدون

بأنهم شجرة مقطوعة في كتاب الألم..

21-كتاب القلعة

كان برقاً في سيف اسكندر المكسور

و شوقاً في خوذة زينفون

و مرآة الحوريات..

و كأساً في يد الملكة ميديا

عندما تذكرت هذه الأشياء

كان الربيع في باكورة انبلاجه سفح القلعة

و تحت لبناتها المتداعية يخرج برأسه

تنفست عميقاً

ثم رحلت الى مقبرة (جراغ)[1]

22-(قرني جميل)[2]

كنا معاً حافي القدمين، حيث نلبس سروالاً رثاً

وكنا نعود الى زقاق التأريخ

وهي من اقذر زقاق الدنيا

اسلمنا طفولتنا الى القدر و بحثنا عن الزرازير

وكنا نفتخر بقتل السنونو

وهو بفرشته و رسم السماء

انا بالشعر و ضباب الجبل

كنا في حرب مع ذواتنا

23-كتاب العمر

بوابة صغيرة وهي خزانة اللذة و النسل

نحو بوابة اخرى

بثياب ابيض.. اقل

بين البابين هذين

كم تعب انت ايها الانسان

حيث لاتدري ان تقرا ذاتك

24-كتاب دانتي

رحلة نحو سراديب هاديس

رحلة نحو فاطمة الشرق

رحلة نحو قبب بياتريس نور الانوار

ونهاية الاسفار كلها

كومة عظام و دموع

فوق الطبقات السبع للسماء

25-كتاب الشك

جاء الصبح كنا نشك من الشمس

لئلا نغرق من النار

جاء الربيع كنا نشك من العشب

لئلا يقلنا الهسيس

جاء الشتاء كنا نشك من المطر

خوفا من عدم نمو السنابل

جاء الخريف كنا نشك من سقوط الاوراق

خوفا من الحزن

وعندما سقطنا تبددت الشكوك

وها الان نشك ان نموت في اليقين

الهوامش

1/ جراغ: مقبرة كبيرة في اربيل

2/ فنان تشكيلي كبير في كردستان

القصيدة منشورة في جريدة (خبات) بتأريخ 2004/1/11

كريم دشتي/ شاعر من مواليد 1955 – اربيل/ اكمل دراسته الجامعية في بغداد.

له من الدواوين المطبوعة: -الشرى و الصقر. -ضباب الروح البيض. -وريقات. -بيانو الشرق. -شجرة الحكمة. اضافة الى مجموعة من الكتب الترجمة عن الفارسية/ هرمان هيسه، اليكس هيلي.

يوتوبيا من سراب

انور رشي عولا

ترجمة: عبدالله سراج

لأجل جندي مجهول للبيداء

كان الراحلون

ينحتون من ابنوس السراب

باقة ورد مجدولة من غبار

يضعونها تحت قدميه

لوكنا ايروسيين

لكان بمقدورنا، في فيء السراب السحري

ان نتلذذ من رفرفة طيور الرمل الصفراء،

و من لعبة الخانات المسائية لهضاب

توردت وجناتها

و من نساء حبلى ذات اثداء ناهدة،

ايتها البيداء

لا تتفوهي عن ماجريات هيامك الابد

المشاتي و الشمس

فأقارب الشمس ذوو الشوارب الكثة

قد اهدوك عروس السراب

فيا سدنة الجحيم، دعوا زهور

السراب الكريستالية التي لا تذبل

فقط في جنائن اليباب

ايها السراب، يا موطن الشعراء

ما اشد حرقة هذا الهاجس

الاغترابي الذي حول يسوع

قصائدنا الى ارمدة

على صليب بيدائك؟

اذا نويت التجانس مع الايات السرابية

دع عنك غرور قلبك للحالة الغيبانية

.. للاغتراب

و اجعل روحك كاهناً

لمعابد الصحراء المتوهجة بالأنوار!

ان اسحر مشهداً للوجود

لوحة سرابية شفيفة

نقشها الغروب

لمعارض البيداء الرائعة، ليس الا

متاع الاسفار لزمن متناءٍ

اقراص محمرة لتلك السرايات

خبزت في تنانير البيداء

سراب، سراب، سراب

اقطف لي اضمامة سراب شذية

من دوالي الصحراء

مزهرية الشمس اهديها لك

ان كان هذا الوجود طلسمة اخر للصحراء

ففي اية نجمةٍ اكون، لا ازال سراباً.

"انشودة تاناتوسية"

سراب، سراب، سراب

الصحراء طنبورة[1]
اوتارها السراب.
تعزف عليها ارض الغربة
من اجل اله المغتربين
قصائد الصحراء السحرية
هي سفر التائهين صوب السراب.
فإملاء السراب تقرأ
في قرطاس الصحراء لا غير
حينها تفيض بالمعاني
سراب، سراب، سراب
حين كنت يافعا
كظلال المرابع السكرى
فاحماً كان شعري
و ها اناذا كهل اشتعل شعري
ابيض ابيض كسراب الصحراء
السراب يوتوبيا لا افقهه
السراب امبراطورية لا تفقهني
سراب، سراب، سراب.
في حانات السراب، يجرع الكأس اخي
في منتزه السراب، كانت تتمرجح اختي
في بركة السراب الراكدة غرقت امي
في مقبرة السراب سوف يدفنون ابي
و في السراب، ابدع القصائد ينظم زميلي المسافر
سراب، سراب، سراب
في خرائب السراب الاول: فليدم السراب
و في سراديب اكاسرة السراب الاول:
لينطمر السراب

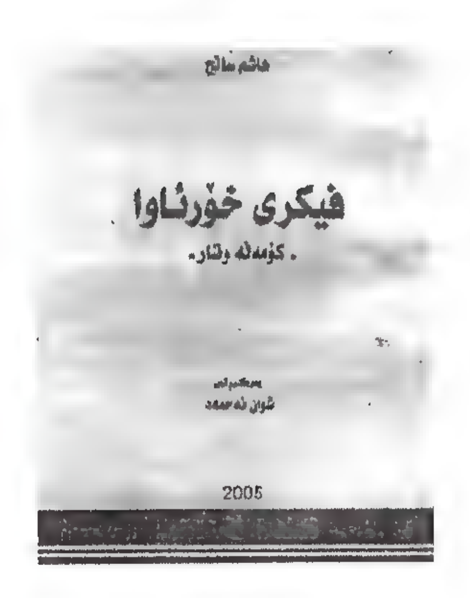
السراب.. ان كانت عين الشمس عليه، فهو رق
و ان كانت عين الليل عليها، فهو حر
السراب في العبودية، يولد
و السراب في الحرية، يفنى
حبيبتي كانت تقول دوماً:
و ان كنا بقعتين لموجتين من السراب
.. في صحاري الاله.
بيد اننا في روح ارواحنا متماثلان
سراب، سراب، سراب
لك ان تتمرد على شرائع السراب
شريطة الا تقتحم الكآبة و الحسرات
مكمن روحك
البيداء من فرط التوحد و الضباب
تمتلئ عيونها دوما بالسراب
السراب اميرة
في الهودج الذهبي للبيداء
عليك ان تسلك سبعة جبال شامخة (وعرة)
و ان تبلي من اجلها سبعة احذية
كيما تبلغ قصرها،
و بامكانك حينذاك تقبيلها
السراب، اشعاعات متألقة مسحوقة
هجر فردوس السماء القارسة
جاعلاً من ادعية البيداء النزيهة،
موطناً له.
وطن يطفئ
بندى بسمته الطرية
جمرة بكاء بكائهم

و ريشة الطمأنينة تلبس
.. مروج الارواح الذابلة
حلة خضراء ناضرة.
الشمس.. نحلة ذات لون شرابي
.. تنقل لقاح السراب
الى الزهور الصفراء للبيداء
انذاك تقول: ها اناذا موجود
السراب، سجادة الشمس
و البيداء كعبتها
الصحراء ندية
السراب مهبط المطر المدرار
فأن (اثمل)
من شعر هذه العريشة الظليلة
لأنها كوخ التلاقي
و مرقص رطب لكل الفصول
السراب تابوت
يحتضن حرقة الدمعة اللاموعودة،
و الويلات المفاجئة للتنفس
زفرة مفاجئة تعتري
.. دواخل بؤساء
لا هوية لهم و لا تماز
فقط في احضان الصحراء الدافئة
يستكينون
انهيار تلك الاجساد المقرورة المضنية
السراب هو ظل الصحراء الابيض
ندي في السفر و الرقص و الرقاد
سراب، سراب، سراب

فأن لم تكن بصيرتنا عمياء
بامكاننا، خلال نوافذ السراب،
ان نبصر جروح البيداء، اللامضمدة!
جروح الانفراد
جروح الانتظار
جروح الغربة
جروح اللعنة
اه.. لأنامل اشعار بلورية
تمرجح بحنان
جراح كل الجروح
العمد برتقالة، السراب قشرتها
و اليباب ذات القلب اليانع
يشم جلدها البلوري
و شهوة ابطها
السراب، اطفال البيداء المغتربون
يتلهون وراء الكثبان الرملية
باقذار بعضهم البعض
في لعبة الغميضة.
السراب القلعة الابوية لأبي
و نحن السراب.. ابناؤه
السراب، نطفة الشمس في رحم البيداء
طفل ذو روح بلا جسد هو "انا"
و ها انا
في غربة هذه البيداء القاصلة،
الشلالات الهادرة هي ملاذي لاغير..
فلتنهمر صوب اودية روحي و اعماقها
انا سراب هامد — مطرود من رحم الشمس

لا جدوى من العودة و الارتماء،
في احضان امي و حنانها:
عبثاً موسوسا، اخاف الا
اموت في منفى كلمات البيداء
موته شاعري

سراب، سراب، سراب
الى ان يدركني الموت
ارحل الى منازل الصحراء.
و ارقص لمهرجانات السراب
سراب، سراب، سراب.



الفكر الغربي
مجموعة مقالات
بقلم هاشم صالح
ترجمة: شوان احمد
من منشورات مكتب الفكر والتوعية
سليمانية- 2005



ثمان وثمانون (هەشتاو هەشت)
مجلة فكرية فصلية تعنى
بالدراسات والبحوث حول مأساة حلبجة
العدد الثالث
شتاء 2005

شيزوفرينيا

قصة: د. فرهاد بيربال

ترجمة: د. عاد كرمياني

(1)

وقف بختيار كالأسير امام الضابط الذي كان المسؤول الأول عن التحقيق في ملف بختيار، خاطب الضابط مترجم بختيار و قال له:

Il Faudrais qui I aille a L Hopital psycarique

كان المترجم شابا كرديا من لبنان، و بنبرة حزينة ترجم هذا القول لبختيار، ثم قال له:- اعتقد يا أخي سيرسلونك لفترة من الزمن الى مستشفى الشماعية

*ان اردت معرفة من هو بختيار، انظر المربع رقم (11)

*ان وددت معرفة ماذا جرى لبختيار، انظر المربع رقم (5)

(2)

تذهب ام بختيار كل صباح بالباص من قريتها الى المدينة حتى تخدم بيوت الأغنياء، و هناك تقوم بغسل ملابسهم و تنظيف باحة دورهم و غرفهم. و تذهب في ايام الثلاثاء و الاربعاء و الخميس من كل اسبوع الى مستشفى المجاذيب (الشماعية) في اربيل، لكونها تعمل معينة (فراشة) فيها.. تأسر والد بختيار في الجولة الأولى من قتال الأخوة.. لم يكن بختيار يعلم بذلك لغاية ذلك اليوم الذي وصلته رسالة و قرأ هذا الخبر فيه..

*ان اردت معرفة ماذا كان موقف بختيار بعد سماع هذا الخبر، انظر المربع رقم (7)

*ان وددت معرفة ماذا كانت تقول اسرة بختيار عنه، انظر المربع رقم (8)

(3)

دروني لدار الشارزور و برده

كفرميسك كرم الى او سرده

*ان اردت معرفة معنى هذا البيت الشعري، انظر المربع رقم (13)

*ان وددت معرفة لم يقرا صديق بختيار هذا البيت الشعري انظر المربع، رقم (14)

(4)

ينتظر بختيار في ذلك المعسكر منذ عامين و ثلاثة اشهر و اربعة عشر يوماً. استيقظ بلا وعي في احدى الليالي — بعد وصول الرفض للمرة الثانية من شرطة اللاجئين — و كان الوقت الساعة الثالثة صباحاً، ثم ذهب لخارج منزله.. امطر ما هناك من زجاج المحلات و المعارض بوابل من الحجارة، و حطم غالبيتها بقضيب حديدي طويل، و حين فتح عينيه صباحاً في مركز الشرطة عندها كان يقول: "انا لم افعل شيئاً من هذا القبيل.. لا علم لي بأي شيء.."

*ان اردت معرفة قرار الشرطة بهذا الصدد، انظر المربع رقم (1)

*ان اردت الاطلاع على مشهد بختيار في المستشفى، انظر المربع رقم (9)

(5)

حين سمع بختيار الكلام تسمر في مكانه، و اراد الهروب..

*ان اردت معرفة معنى لماذا استدعي بختيار الى مركز الشرطة، انظر المربع رقم (14)

*ان اردت معرفة: هل ارسل بختيار الى مستشفى الشماعية ام لا انظر المربع رقم (7)

(6)

-لو شفيت.. هل تود العودة الى بلدك؟

اجاب قائلاً: بكل سرور اود العودة الى احضان امي..

*ان اردت الاطلاع اكثر على حياة ام بختيار، انظر المربع رقم (2)

*ان اردت قراءة بيت شعري بهذا الصدد انظر المربع رقم (3)



(7)

كان بختيار قلقاً جداً، و لم يحلق ذقنه منذ خمسة ايام.. حين عاد بانزعاج الى معسكره التقى باحد اصدقائه امام المعسكر، و كان هو الاخر ايضاً كرديا يقيم معه هناك كلاجئ.. قال صديقه:

-ها.. بختيار؟

كان بختيار غضباناً، و كأنه يكلم نفسه، قال:

-يكاد قلبي يتقطر.. سأعود..

-الى اين؟

-الى كردستان..

-لماذا؟

-اما ان اعود، و اما ان اذهب الى الشماعية..

*ان اردت معرفة شيئ عن ماضي بختيار انظر المربع رقم (12)

*ان اردت معرفة من هو بختيار، انظر المربع رقم (11)

(8)

ام بختيار، و شقيقاته، و شقيقيه، و خالاته، و عوائل خواله.. كلهم يحسدون بختيار، و يقولون: "يا لفرحة بختيار! لقد وصل اوروبا!".. في احد الأيام عانقت ام بختيار مريضا في الشماعية.. كانت تسقي ذلك المريض ماءً.. كان شاباً عربياً من اهالي الديوانية هرب الى كردستان و لا يستطيع العودة لذويه.. كانت ام بختيار تعطف على ذلك الشاب، و كانت تعلم بأنه بدأ يشفى.. سألته:

*ان اردت معرفة ماذا سألت ام بختيار ذلك الشاب العربي، انظر المربع رقم (6)

*ان اردت معرفة تفاصيل حلم ام بختيار حول بختيار، انظر المربع رقم (4)

(9)

"هنا ليست الشماعية.. حسناً، انها مستشفى الاشراف على هؤلاء الأشخاص الذين لديهم امراض نفسية.. لقد افهمني المترجم اللبناني ذلك خطأ.."..

كان بختيار يخاطب نفسه بسرور و هو متمدد على سريره مرتديا دشداشة مخططة، و كانت هناك امرأة فرنسية عجوز تعمل ممرضة في ذلك المستشفى، و تعطف من الأعماق على بختيار. عانقته في احدى الأماسي في لحظة تقديمها وجبة العشاء و وضع البرتقالة و التفاحة امامه، و سألته:

*ان اردت معرفة ماذا سألت العجوزة بختيار، انظر المربع رقم (6)

*ان اردت معرفة لماذا سألت العجوزة بختيار هذا السؤال، انظر المربع رقم (14)

(10)

منذ مدة وهم عن طريق بختيار و زملاؤه يقومون بتنظيف المقبرة من مجاميع الأوساخ و الأوراق المتساقطة على المقبرة و الممرات، و كان بختيار يقول: "لقد اصبحت كناسا"، و كانوا يأخذونهم لكنس داخل الأنفاق، و بسبب عدم امتلاكه للأموال لذا لم يكن بإمكانه الخروج من مساحة الألف متر مربع لمعسكرهم.. كان زملاءه من الفلسطينيين و السريلانكيين و اللبنانيين يذهبون الى سرقة القماصل و الملابس من المحلات و يبيوعونها بثمن بخس ليعيشوا بها، و كان مثل هذا العمل غير محبذ لديه..

*ان اردت معرفة كيف و متى عرفت شرطة اللاجئين بأن بختيار قد اصيب بهذا المرض، انظر المربع رقم (4)

*ان اردت معرفة بعض المعلومات الأخرى عن الحياة الراهنة لبختيار، انظر المربع رقم (15)

(11)

كان بختيار لاجئا كرديا عراقيا، و من اهالي قرية "كومه سبان"، و عمره واحد و عشرين عاماً، و قد تخرج في اربيل من اعدادية الزراعة..

*ان اردت معرفة في أي بلاد و مدينة يعيش بختيار، انظر المربع رقم (15)

*ان اردت معرفة من هم عائلة بختيار و كيف يعيشون؟ انظر المربع رقم (2)

(12)

حين وصل بختيار الى فرنسا كان سالما معافى و ليس به أي مرض، و كان زملاؤه اللاجئون في المعسكر يقولون: "هذا الانتظار لثلاث سنوات هو الذي جعل حال بختيار هكذا"..

حين وصل بختيار الى فرنسا رغب في الذهاب الى كلية الهندسة ليدرس فيها، و في ذات الوقت و بين الحين و الاخر يرسل بعض الدولارات الى امه..

*ان اردت معرفة ماذا حل بمصير بختيار، انظر المربع رقم (7)

*ان اردت معرفة كيف هي معيشة عائلة بختيار. انظر المربع رقم (2)

(13)

هناك فقط تحليلان لهذا البيت الشعري:

*تحليل شرقي، انظر المربع رقم (8)
*تحليل اوربي، انظر المربع رقم (9)

(14)

للأسباب التالية اصيب بختيار بمرض الشيزوفرينيا:

1-ينهض بختيار في الليالي، و يذهب لتحطيم الواجهة الزجاجية لدكاكين و محلات السوق.

2-يشعر بختيار بغربة شديدة و مؤثرة تجاه امه، و يبكي..

3-يلعن بختيار باستمرار احزاب كردستان، و يقول: "هم سبب مصيري هنا"، و الأنكى من ذلك كان يشتم اهل فرنسا و حكومة فرنسا بشكل بذئ..

*ان اردت معرفة بعض الأشياء الأخرى عن حياة الغربة لبختيار، انظر المربع رقم (10)
*ان اردت معرفة شيئا عن ماضي بختيار، انظر المربع رقم (12)

(15)

يعيش بختيار داخل معسكر يتكون من احد عشر طابقا في قرية تقع في جنوب باريس، و ينتظر منذ ثلاث سنوات منحه الاقامة كلاجئ.. صحيح انهم يعطونه الطعام صباحا و ظهراً و مساءً، و لكن عدا هذا لا يعطونه مبلغاً من المال لشراء السكائر و تذاكر الذهاب و المجئ.

كل حياته كان هو الأنتظار في كيلو متر مربع واحد.. و متى ستصدر بطاقة اقامته؟!.. كان لبختيار صديقا كرديا في ذات المعسكر يقول عن نفسه: "انا شاعر".. و كان في كل مساء يقرأ قصيدة للشاعر الكردي "نالي" تبدأ بهذا البيت الشعري:

*ان وددت قراءة البيت الشعري، انظر المربع رقم (3)
*ان اردت الاطلاع اكثر على حياة بختيار في غربته، انظر المربع رقم (10)

*هذه القصة "شيزوفرينيا" نشرت لأول مرة في مجلة "رامان" التي تصدر في اربيل، ثم اعاد نشرها ضمن مجموعته القصصية الموسومة بـ"اكلو البطاطا" الصادرة عام 2000 عن منشورات شرفخان البدليسي في اربيل.

الغرفة التي انتحر فيها صديقي

قصة: سيامند هادي

ترجمة: تارا شيخ عثمان

عندما كنت مدليا حقيبتي على كتفي، لم استطع ان التفت الى تلك الغرفة التي كنت اعتقد بأن الدم يفور منها نحو السماء.

كان صديقي دائما يقول (عند السفر لا تلتفت الى المكان الذي تغادره كي لا تضيع تواضع ذكرياتك في نقطة واحدة). في اخر مشاهدتي للغرفة التي مضت ثلاثة ايام على وفاة صديقي بقيت فيها نصف ساعة لجمع امتعتي، ترك عندي الذكريات وحسرات نصف قرن. بعد اربع ساعات على موت صديقي في ذلك اليوم انا ومجموعة من الاصدقاء في آخر المساء شيعنا جثمانه ونقلناه الى المقبرة التي كانت تقع في مدخل المدينة. (هذه المدينة تؤنسك بالموت منذ البداية). هذه كانت من اشهر مقولات صديقي التي كان يرددها دوما عند عودتنا الى المدينة.

دفن صديقي ومساء كانت نفس الامسيات التي كان صديقي يحب ان تكون كل ايام السنة مثلها. امسية غطى ضباب كثيف سماء المدينة. كان صديقي يقول (ان هذه الامسيات تصيب الانسان بالتأمل ويذوب في ذاته ولا تمر أي من ذكرياته الماضية ولا تعبر اية امل في المستقبل عبر خيط من الخيال). في غسق ذلك المساء وحينما غطوا جثمان صديقي بالتراب في ثراه، سمعت الخباز القصير القامة الذي كان دكانه على مقربة من غرفتنا وكنا نسلم عليه اربع مرات في اليوم، سمعته يقول للرجل الذي كان واقفا بجانبه (رايته بالامس،

وكان بمفرده ومر امام المخبز سلم علينا وعندما رد رايته حزينا وكان شاحبا ولون الموت كان واضحا على ملامحه).

في تلك الامسية طلبت من الحاضرين ان يسمحوا لي لأبقى مع جثمان صديقي حتى الصباح، لكنهم لم يوافقوا وكانوا يقولون (خير لميت ان يدفن سريعا) بعد انتهاء مراسيم العزاء تبين لي لماذا كانوا على عجلة من امر دفن صديقي لان موته لم يغير شيئا في حياتهم ما عدا مراسيم تشييع الجثمان ودفنه. مع انني قد حضرت عدة مراسيم للدفن لكنني لم احدق في السماء والارض والناس والقبر مثل هذه المرة. احسست ان هذا المساء الضبابي سيصبح ذكرى وكل الامسيات القادمة المماثلة ستكون بمثابة الاعلان عن موت صديقي كنت قد شاهدت العديد من الناس في حشود مراسيم الدفن لكنهم لم يكونوا مثل الذين رأيتهم في مراسيم دفن صديقي. كنت اتخيل على وجودهم سمات الميت وفي رؤيتهم كنت اتذكر موت صديقي. شاهدت القبور في مراسيم حاشدة لدفن الموتى، لكن لم يهزني اي قبر مثلما هزني قبر صديقي. كنت احس ان المقبرة اصبحت اعلى بكثير مما كانت عليه وكنت اعتقد انني كيفما اقف في شوارع وازقة هذه المدينة ستكون المقبرة امام انظاري واستطيع ان اراها بسهولة. عند دفن صديقي كنت افكر في كيفية دفن الاموات احيانا تكون على شاكلة اوسع مما عليه الان قد يضعونه على جبل عال او يرمونه في قاع البحر او يحرقون الجثة، هذا يخلق احساسا واسعا يتعقب الجثة عند الذكرى. لكن هنا نحمل الذكرى بشكل ثابت في لحد ضيق.

في اول ليلة عقب موت صديقي بقيت في بيت احد اصدقائي المعلمين لم اتناول شيئا حينما وقعت انظاري على (السكينة) التي كانت موضوعة على صحن على صحن مليء بالخيار تذكرت تلك السكينة التي كان صديقي مشغولا بشحذها قبل ثلاثة ايام من موته. وتلك السكينة التي وضعتها والدة صديقي في امتعته حين اتينا الى هذه المدينة. كانت السكينة من (الستيل) وطولها عشرون سنتيمترا وعرضها ثلاثة سنتيمترات وكانت لها قبضة سوداء ثبتت عليها ثلاثة مسامير صفراء. لم اكن اتصور ان نحتاج الى تلك السكينة ابدا وفي الليلة الثالثة حين كان صديقي مشغولا بشحذ السكينة، كنت احذره ان لا يشحذها كثيرا خوفا من ان تجرح يد احدنا. ولكنه اجابني (ان السكينة التي لا تقطع لحما ليست بسكينة). والمعلم الذي قد بقيت عنده عدة ليال في بيته كان يحاول ان يقلل من حزني وكان يقول لي بأن كل انسان لابد له من ان يموت يوما واحيانا كان يذكرني باحداث طريفة او كئيبة قد حدثت لصديقي المتوفى. وفي تلك العودة الى الذكريات تحدث صدفة عن يوم مجيئنا لتلك المدينة.

كان صديقي مثلي معلما وقد تم تعييننا في هذه المدينة وسكننا معا في تلك الغرفة. الغرفة التي كانت مليئة بالذكريات وكانت تبدو لي مثل صرة مليئة بالحوارات والتأملات. الغرفة التي كانت تغطي سقفها الخضر حين كنا نحلل فيها اعمدة ظواهر الفراغ وجدرانها من الزجاج ومن خلالها كنا نرى افق الحوادث

اليومية. وارضها شفافة كعيون سرطان، كنا دائما نتأمل من ظلالها اسرار الارض. وكانت شبابيكها مستطيلات من النور تشع نورا وتنير النظر. كان باب المدخل خياليا حريريا في دخولنا وخروجنا لم نكن نحس بالعبور.

في تلك الليلة وبينما كان صديقي المعلم يسرد لي قصة ايامنا الاول لمجيئنا كنت انا اتذكر الليالي التي قضيتها مع صديقي المتوفى نسكب احاديثنا في الغرفة لم تكن هناك في احاديث صديقي فرصة لمعانقة الحياة. كان يلقي بكل الامال والطموحات الى الهاوية وكان يعتقد بان تفائل المرء خداع لنفسه وعن الموت كان يقول (كان يجب على المرء ان لا يعرف بانه سيموت لانك ستموت يوما فكلما قربت من الموت قصر خيط الخوف والتشاؤم). وكان يرى العالم ويقول (عندما اكون موجودا فان العالم يكون موجودا وكل شيء يكون طبيعيا لكنني حين اموت فليس للعالم معنى ولاوجود). حينما كنت اصنف راس السنة والمناسبات والذكريات في التقويم وكنت احسب بان يوم الثلاثاء هو يوم مشؤوم بالنسبة لي كان يقول (كل ايام السنة سواسية حتى يوم رأس السنة وتغير القرن والالفيات وايام المناسبات كلها مثل الايام الاعتيادية ليست هنالك اية اختلافات فيما بينها بل نحن نراها مختلفة عن بعضها).

وكان صديقي يسخر من ايام الاعياد والمناسبات لانه كان يقول (نحن نستذكر احداثا وافعالا حدثت في الماضي ولم نقم بها نحن، لذلك فالافتخار بشيء ليس من فعلك ليس له معنى). في تلك الليلة احس صديقي المعلم بانني شارد الذهن ولم اسمع اية كلمة مما قاله لي.

في الليلة الاولي من بعد مقتل صديقي، لم انم في بيت صديقي بل كانت ذكريات الايام التي قضيتها معه تمر من امامي وكأنها شريط فيلم سينمائي. ويوم ترك تلك المدينة، كان ذلك اليوم الذي ذهبت الى غرفتي لمدة نصف ساعة لجمع امتعتي فيها عندما فتحت الباب كأنني افتح بابا من الآلام على مصراعيه. نتيجة فتح الباب سمعت صوتاً غريباً، وبعد ان فتحت الباب بصعوبة بدأت بجمع اغراضي ولوهلة تأملت الغرفة. في حينها أحسست ان لاشيء يربطني بتلك الغرفة. لذلك كنت احب ان اترك الغرفة باقصى سرعة. كان سقف الغرفة يميل الى السواد ويخفي عني كل الاسرار الفراغ وجدرانها كانت تتقلص شيئا فشيئا وكانت تبعدني عن محيطي، وارض الغرفة باتت لينة واحسست بانها ستبلعني الى العمق والشبابيك مستطيلات ضبابية تمتص الظلام من الخارج وتقذفها الى داخل الغرفة وبعدها بسبب بلل قدمي رست عيناي فجأ على بقعة من الدم في وسط الغرفة وكانت تلك البقعة تفور وتكبر شيئا فشيئا. وعندما نظرت الى الجانب الايسر من الغرفة رأيت بقعا من الدم كانت قد تبعثر على الجدران. تفصل بين كل بقعة وبقعة من الدم ثلاث اصابع وكل مانظرت الى اعلى الجدار كانت بقع تصغر اكثر فاكثر الى ان تتلاشى النظر من السقف وفجأة انتبهت والتفت لصوت قطرات من الدم وعندما نظرت جيدا شاهدت مظلة صديقي المتوفى كانت يتقطر منها الدم هي الاخرى.

وصوت قطرة اخرى في الجانب الايسر من الغرفة نبهني الى التحول للنظر اليها شاهدت احد قمصان صديقي المعلقة تتقطر منه الدماء نحو ارض الغرفة، ملئت من المشاهد المخيفة في الزاوية اليسرى من الغرفة حيث غيرت اتجاه نظري وحتى تلك اللحظة لم اكن انظر الى الجانب الايمن. وفي اول التفاتة استقر نظري على فراش صديقي وجدت جمجمة مطروحة بشكل مائل على السرير يفور منها الدم. لم استطع الاستمرار في النظر الى الجمجمة، ولهذا اجبرت النظر الى اسفل الغرفة فرأيت قدمي صديقي متروكتين في حذائه وكانتا تذوبان كشمعة ويتقطر منهما الدم. وغيرت التفاتتي الى اعلى الغرفة فرأيت دفتر درجات امتحانات صديقي مغطى بالدم وفوقه اربع اصابع من اليد اليمنى لصديقي. وحين خطوت خطوة مليئة بالخوف الى الوراء اجبرتني نبضات الى انحناء راسي، وبعدها رأيت قطعة من اللحم الاحمر في وسط الغرفة وكانت مع كل نبضة تقذف قطرات من الدم.

كانت الشبابيك مظلمة يغطيها شبح الدماء ورائحة الدم تملأ الغرفة وقد جف حلقي اكثر وثقل جسمي اكثر ولكي تعود الطراوة الى حلقي مددت يدي الى القدح وعندما اردت ان اشربه نظرت بداخله فوجدته مملوءا بالدم فوقع القدح من يدي وكسر وتناثر الدم في كل انحاء الغرفة، فلم استطع ان اتنفس جيدا واصبح جسدي ثقيلا تماما واحسست بان جسدي تجمع فيه الدم ويحاول الخروج منه. فجمعت امتعتي بسرعة ووصلت الى باب وعند محاولة فتح الباب رأيت اربع اصابع من اليد اليسرى لصديقي متروكة على الباب وبسرعة وبقدمي اليمنى حاولت توسيع فتحة الباب ونجوت بنفسي بنفس متقطع وجسد ثقيل.

وفي ليلة ثانية من بقائي في البيت صديقي المعلم، دفن جراد ميت من قبل ابن المعلم اعادني مرة اخرى الى لحظات دفن صديقي في المقبرة وبذلك الكفن او تلك الاحجار والتراب الذي دفنوا به صديقي، كنت اعتقدت انهم يريدون اخفاء وجود صديقي من العالم وعدم ابقاء دليل صغير لاثبات وجوده قبل موته لان موت صديقي لم يعن لهم شيئاً ولم يغير شيئا ولم يضف شيئا للحياة. كان صديقي يعرف ذلك قبل مماته وكان قد حضركل شيء في تلك الظهيرة من اجل ذلك وبعد دفن صديقي تصورت ان شاهدة القبر تلك هي رمز للموت اما احياء وبلا استثناء ذلك فانهم لا يعنون شيئا والهدوء الذي خيم على المقبرة بعد دفن صديقي ترك عندي حسرة كبيرة لان صديقي كما كان هادئا في حياته كان هادئا في موته ايضا، مات هادئا كهدوء احتراق سيجارة مرمية من قبل احد المارة، هادئاً مثل ضياع قطرة على العشب. حين مات صديقي تجاهل الجميع موته وكانوا متسارعين لدفن جثمانه.

وفي اخر ليلة من بقائي في بيت صديقي المعلم وعند ذبح دجاجة في تلك الليلة تذكرت يوم موت صديقي ومر امامي ذلك اليوم كفيلم قصير في ظهيرة الثلاثاء وعندما كنت عائدا من المدرسة كان ثمة ضباب كثيف يغطي سماء المدينة، وفي طريقي كنت احس بحزن عميق وكنت قلقا ومسرعا لكي اصل الى الغرفة

واخبر صديقي عن السيدة التي احرقت نفسها قرب مدرستنا بعدما تشاجرت مع زوجها ليلة امس لان صديقي كان يحب سماع تلك الاخبار. وعندما كنت في طريقي لاحظت غرابا يحوم فوق سطح الغرفة وانتبهت له، لذلك اسرعت بخطواتي حتى وصلت امام الغرفة وفتحت الباب، وعندما دخلت رأيت جثة صديقي وسط الغرفة واقفت كل الماضي عندي، اسرعت الى الجثة الباردة التي فارق صاحبها الحياة منذ لحظات ومازالت تنزف دما. كانت في يده اليمنى قطعة ورقة كتب عليها بخط عريض سطران فقط ولكن لمعان عيني في تلك اللحظة منعني من قراءة السطرين، وخطر ببالي ان ابحث عن سبب تلك الحالة وتفحصت بنظرات دقيقة الغرفة بكاملها ولكنني لم اجد شيئا يذكر ويثيرني، وفي النهاية رست عيناي على جثة صديقي فرأيت سكينة كبيرة ذات قبضة سوداء وفيها ثلاثة مسامير صفراء وكانت مزروعة في قلب صديقي وفي ذلك الحين ندمت على مزاح صديقي، كان يحدثني عن الانتحار..

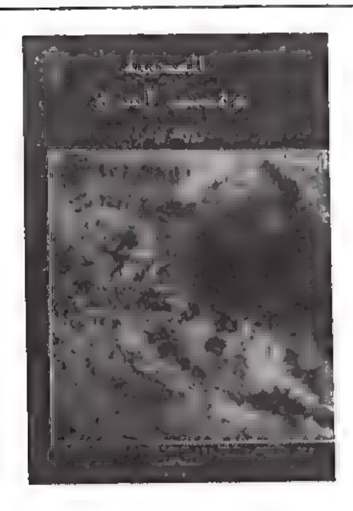
ومات صديقي بهدوء ولم يترك سوى سطرين مكتوبين على تلك الورقة السطران اللذان قرأتهما طوال الليالي الثلاث التي قضيتها في بيت صديقي المعلم. وكانت مكتوبة:

(لا اتحدث عن محنة وامراض نفسي/ لأن صدري غارق حتى شفتي من دماء قلبي الحزين)*

لهذا لم استطع ان ابقى في تلك المدينة بعد وفاة صديقي، كما لم استطع ان ابقى في تلك الغرفة دون ان التفت واترك المدينة الى الابد!.

*القطعة الشعرية للشاعر الكلاسيكي المتصوف (محوي 1836-1906)

*القصة نالت الجائزة الاولى في مهرجان (كلاويز) الذي يديره منتدى كلاويز الأدبي والثقافي في مدينة السليمانية



المدينة وقصص اخرى

للقاص: رؤوف بيكرد

مديرية دار الترجمة

وزارة الثقافة لحكومة اقليم كردستان

السليمانية – الطبعة الثانية – 2004

مسرحية

الحب في بلاد مؤنفلة

[أو حب مؤنفل]

فاروق داودي

(هذه المسرحية لا تقترب من العلاقة الجوهرية والمتجذرة بين الشعبين الكردي والعربي لكنها توثيق وصرخة ادانة للحظة تأريخية وجريمة مروعة ارتكبها النظام الصدامي - العفلقي ولم ينفذها الجيش العراقي المكون من العرب فحسب بل ساهم في تنفيذها الجحوش الكرد ايضاً الذين مازالوا طلقاء لم يقدموا للمحاكمة بل لم تتوجه اليهم اصبع ادانة)

الكاتب

(المشهد الاول)

المكان: قرية كردية

(ترفع الستارة.. الظلام يلف المسرح.. اصوات سرفات الدبابات ومحركات المدرعات وصرخات النساء والاطفال والشيوخ باللغة الكردية تختلط مع اصوات التدمير والهدم ونباح الكلاب وأصوات الشياه والدجاج وغير ذلك.. لا شيء غير الظلام والرعب الذي تحدثه تلك الاصوات.. ثم بعد دقائق صمت)

ضابط (بغضب): اصعدوهم في المركبات.. اصعدوهم جميعاً واحذروا ان تفقدوا منهم احداً.

(اصوات البكاء النسائية الخافتة تستمر بينما اصوات شيوخ تدعو الله بيأس.. يضاء المسرح.. نساء واطفال وشيوخ كرد في هيئة رثة متكومون على انفسهم في مركبة عسكرية.. تخرج شابة من بين الجمع بهدوء وصمت وبما يوحي ان من خرجت مازالت في مكانها وان الواقفة على الخشبة هي ذاكرتها وما سيدور من احداث هو ذكرياتها)

الشابة (وكأنها تناجي نفسها ملهوفة): آه.. أين يمكن أن تكون الآن.. اي حجر تتوسد في هذه

اللحظة.. لقد قلت انك ستحضر حالما تشعر ان الخطر يقترب مني.. قلت انك تحضر وتحضنني.. تحضنني كي تجعل من جسدك درعاً يقيني.. أين انت الآن ياحبيبي.. لم لا ارى أي درع يحيط بي ويمنع عني هذا الخوف الاسود الذي ينسكب في داخلي قطرة فقطرة.. ينسكب وينسكب حتى يغرقني ويشل حركتي.. (تصيح) اين انت يا حبيبي لم لا يحضنني سوى الظلام؟!.

(المشهد الثاني)

(المنظر: قرية كردية جميلة.. المكان يضيء رويداً رويداً، حيث تسمع الأصوات التي يمكن ان تسمع في اية قرية جبلية من اصوات عصافير وحيوانات اليفة.. والفتاة التي كانت في المشهد الأول تظهر مرتدية ثياباً زاهية وهي تحمل كوزاً على كتفها وتمشي نحو بئر الماء.. في الخلفية صوت اغنية حسن زيرەك "كيژان دەچنە.." ولكن بشكل خافت.. شاب وسيم يتابع الفتاة باهتمام)

الشاب (بوجل): انا عطشان.. (يكرر بخفوت) انا عطشان (يكرر بصوت أعلى وبنبرة ملحة) انا عطشان.

الفتاة (وهي تعلم أن الكلام موجه لها.. بدلال): وماذا افعل لك؟

الشاب: ماذا تفعلين؟!.. ترويين ظمأي طبعاً!

الفتاة (مازالت تتكلم بدلال): اذهب من هنا.. انت لا تحتاج لماء.. (بنبرة خافتة) انت تحتاج لصفعة!

الشاب (فرحا): اقبل.. والله اقبل.. (موجها خده) هاك اصفعيه بأقوى ماتستطيعين!

الفتاة (تتصنع العصبية): اذهب.. قلت لك اذهب من هنا.. ماذا لو يرانا اهل القرية.. ماذا سيتصورون؟!

الشاب: أريد ان اعرف اسمك.

الفتاة: وماذا تفعل باسمي؟

الشاب: اعلقه على حائط بيتنا!!.. ماذا افعل به؟.. سأبلغه لوالدتي طبعاً.. ستفرح لذلك كثيراً.

الفتاة (تتصنع الاستغراب): بأي شيء ستفرح؟!

الشاب: تفرح لأن ولدها قد صار رجلاً.. وانه صار يبحث عن زوجة.

الفتاة: ومن قال انني سأقبل بك انت زوجاً؟

الشاب: انظري في عيني.. وسأرشدك لمن قال لي ذلك.

الفتاة (بدلال اكثر): اذهب.. اذهب.. والا سأسكب كل ماء هذه البئر على راسك.

الشاب: ولم لاتطلبين مني بدل ذلك أن ارمي بنفسي في البئر.. فذلك اسهل لك.. وفي الأقل سأكون قد قدمت الدليل على انني قد وقعت في حبك فعلاً.. واني مستعد للموت في سبيلك.

الفتاة: كم انت جريء!!.. ومادمت لا تذهب عني.. فأنا من ستمضي بعيداً.

المشهد الثالث

(اصوات قصف مدافع ومحركات طائرات هليكوبتر تتداخل مع اصوات مخاوف النساء والأطفال ودعوات الشيوخ الى الله مع صوت اغنية صدامية حماسية عن الحرب والقتل) اضاءة خافتة.. المكان منطقة جبلية نائية وكهوف.. تظهر الفتاة خائفة بينما الشاب قلقاً حائراً.

الفتاة: بايز.. عدني انه اذاما متنا والتقينا في العالم الاخر ان تحبني هناك ايضا كما تحبني هنا.

بايز (مداعبا): يا خفيفة العقل.. وهل تعتقدين انني يمكن ان اجد هناك من هو اجمل منك.

الفتاة (جادة): حين ترى الحوريات ستنسى حتى الليالي التي حلمت بها بشيرين.

بايز: شيرين.. كما انت متفائلة.. وما ادراك اننا سندخل الجنة.

شيرين (وقد تأثرت بالكلام): ابدا.. لابد ان الجنة من نصيبنا.. ومن تعتقده يستحقها؟ ..هل هم هؤلاء الجنود الذين يسحقون ببساطيلهم القذرة جنتنا الارضية هذه؟ ام القتلة في تلك الهليكوبترات التي تحيل حياتنا، في الصباح والمساء، الى جحيم خانق فلا نعود نشعر سوى بالكراهية.. الكراهية لكل شيء.. (ثم بخفوت وبرود) ترى.. لماذا يفعلون بنا ذلك؟ .. نحن لم نخرج خارج كردستان لنطلق عليهم رصاصة واحدة بل قل شتيمة واحدة؟ ..لماذا يفعلون ذلك؟ .. (تمسك بياقته) ارجوك اجبني: لماذا؟ .. لماذا؟

بايز: كفاك شيرين.. وهل هم انفسهم يعلمون لماذا؟ ..حتى امتلك انا الجواب.. ليس ذاك الذي يطلق الرصاصة بل ربما حتى ذاك الذي يأمره لا يعرف الجواب..

..إن المهم هو ان يقتلوا هذا الجمال الذي يستشعرونه يشع من كل انسان على هذه الارض ومن كل حجر.. وكل خرير ماء.. وكل زقزقة عصفور.

شيرين: عصفور؟ .. هل انت تمزح؟!.. لقد انقرضت في هذه الانحاء حتى الذئاب.

بايز: هذا لأن الوحشية التي يتعاملون بها مع هذه الارض ومن عليها هي اكثر بكثير من ان تستطيع عقول الذئاب تحملها.

شيرين: لكني اريد منك.. مهما حصل ان لا تتخلىعن تذكر شيرين.

بايز: لهذا يا شيرين.. لن اعيش في القرية مجرد عاشق يحلم بليلة امنة مع حبيبته.. سوف ترينني منذ الان عاشقا لكل هذه القرية.. لكل فتيات القرية .. لكل نسائها واطفالها وشيوخها.. بل لكل هذه الارض.

(يبدأ بالإرتفاع رويداً رويداً صوت نشيد وطني باللغة الكردية عن البيشمركة والدفاع عن الوطن).

(المشهد الرابع)

المكان: القرية نفسها

الوقت: نهاراً

(صوت عزف ناي مختلط مع غناء هدهدة أم كردية في نبرة حزينة واضحة.. ينكشف المشهد عن شيرين وهي تؤرجح مهد طفلها).

شيرين (في غناء حزين لطفلها): لاي لاية

رؤلەی شیرینم

لای لایە

بنوو رؤلەی شیرینم بنوو

گورگ لە کەلە وخەوی نایە

بنوو رؤلەی شیرینم بنوو

كورد كەسی نییە و

دوژمنیش لە دەوری دایە

بنوو لاي لایە بنوو

باوکت لە شاخە و

دڵمانی لایە

بنوو رۆڵەی شیرینم بنوو

بنوو لای لایە بنوو)

(هنا يظهر بايز في زي رجال البيشمركة وسلاحه في كتفه)

بايز: شيرين.. هزي المهد هزي.. كأني عدت طفلا أحنو لصدر امي.

شيرين: (سعيدة لرؤيتها زوجها): بايز.. كنت اعلم انك قربي دوماً.. ولما كنت اسمع صوت رصاصة بعيدة كنت اشعر بأنفاسك الحارة تدفئ وجهي.

بايز: بل كلما حدقت في وجه طفلنا ستريني ابتسم لك.. كطفل ينتظر من والدته قبلة.

شيرين: سنظل جميعاً، انت وانت وكل الاخرين، اطفالاً صغاراً مادامت قلوبنا تنبض بالحب.

بايز (بخيبة امل): مادامت.. نعم مادامت.. لكنهم لا يبقون لنا سوى الكراهية.. انهم يريدون ان يقنعونا ان حب هذه الجبال والانهر وهذه السماء الصافية.. وقلوبنا الملأى بالأطفال، جريمة لابد لهم أن يعاقبونا عليها.

شيرين: لكني لا اريدك ان تتعلم الكراهية.. لو تعلمت الكراهية ضد اي كان حتى لو كان جنديا يخرب قريتنا.. يعني ذلك انك لم تعد تحبني يا بايز.

بايز: كيف تقولين ذلك؟ .. أنا احبك.. واحب طفلنا.. واحب قريتنا واهلها.. ولهذا وحده حملت السلاح.

شيرين: انا لا امنعك عن حمل السلاح لتدافع عن حبنا.. لكني اطلب منك ان لا تتعلم منهم الكراهية فيكونوا هم ايضاً مجبرين عليها.

بايز: هذا لا يستقيم.. هذا لا يستقيم.. انا لم اذهب لبلاد اخرى للقتال.. تعلمين نحن هنا في ارضنا.. والرصاصة الاولى لا تنطلق ابداً من فوهات بنادقنا.

شيرين (بالحاح): بايز.. عدني ان لا تكره.

بايز: وهل تعتقدين انه يمكن لي ان اعيد رصاصاتهم بالقبلات.. انهم يريدون ان يخرجونا من ديارنا كي يخربوها.. وربما كي يجعلوها اسطبلات لهم.

شيرين (تدعو الله): يا إلهي.. يا رب السماء والأرض.. أنت وحدك من يمكن ان يحمينا من الخراب.. ومما يمكن أن تأتي بها الكراهية لنا.

بايز: شيرين.. ارجوك لا اريد ان اسمع منك لهجة القنوط والخوف من المجهول.. ارجوك انا وجميع الرجال لن نسمح لهذا الجمال الذي يشع من كل مكانٍ حولنا ان يخبو او ينطفئ.

شيرين: وهل تستطيع أن تقول لي متى لم نكن نخاف من الغد المجهول؟!.. وهل تستطيع أن تقول لي: متى جاءت لنا الأيام بالبهجة؟!

بايز: ارجوك.. انك تمزقين قلبي.

شيرين: عدني.. يا بايز.. عدني ان اظل انا وطفلنا في قلبك.. عدني أن تحملنا في قلبك حتى وانت تجري بين الصخور او تكمن بين الأحشاش.

بايز: بل انتم الخبز اليابس الذي احتفظ به على ظهري لأيام وأيام.. بل انتم الانفاس الساخنة التي اهمسها في ليالي التوجس والارتجاف.. بل انتم الصيحات التي اطلقها حينما احمل على العدو.. بل انتم رصاصات الغضب التي أصوبها الى اولئك الذين ينشدون الخراب واطفاء جمال حياتنا.

(ينتهي المشهد بنشيد وطني كردي)

(المشهد الخامس)

(تظهر الفتاة في الثياب الرثة نفسها التي ظهرت بها في المشهد الأول.. ويبدو الشاب ايضاً محبطاً ومهزوماً.. وتظهر القرية خراباً وانقاضاً.. وفي هذا المشهد يتحاور بايز وشيرين وكأن كلاً منهما في عالم اخر ولا تجمعهما سوى المأساة اي انهما لا يتحاوران مع بعض بل تبدو الحوارات وكأنها تصدر عن اعماقهما الداخلية من دون وجود الاخر)

شيرين: آه.. اين يمكن ان تكون الآن؟!.. اي حجر تتوسد في هذه اللحظة؟.. لقد قلت انك ستحضر حالما تشعر ان الخطر يقترب مني.. فهل من لحظة في الكون اخطر مما انا فيه الآن.. ترى اين انت الان؟.. هل استطاعوا ان يحشروك انت ايضاً في يوم القيامة الأرضي هذه.. يوم القيامة من صنع بشر لا يملكون من البشر شيئاً سوى الشكل.

بايز (متكوماً قرب البئر المردومة): اين اخذوك يا شيرين؟.. اين؟.. بين يدي اي شيطان رجيم وقع مصيرك يا ارق من نسيم الصباح؟.. هل بقي شئ من الرقة في حياتك الان؟.. اي وحش بشري يمكنه ان ينشر كل هذا الدمار ويهطل كل هذه السموم؟.. كيف تستطيع يا إلهي أن تصبر الى هذا الحد بينما تبصر كل هذا الذي يجري بحق شعب لم يكف يوماً عن الصلاة لك؟.. يا إلهي هذا البلاء ثقيل.. ثقيل اثقل من ان يتحمله بشر.

شيرين: اعجب لنفسي.. اعجب لهؤلاء الناس.. كيف نساق هكذا من دون مقاومة؟.. أيعقل أن نستسلم للموت لأننا نخشى الموت؟!.. أيعقل ان يصل الخوف بالانسان الى درجة ان يقبل بالخضوع للموت؟.. أليس الموت خاتمة الأشياء كلها؟.. أليس الموت كارثة الكوارث؟! ..فما لنا اذن لا ننتفض على هؤلاء الوحوش الذين يسوقوننا نحو الموت المجهول فنختار موتنا المعلوم هاهنا وامام انظارنا وبإرادتنا وباختيارنا؟.. يا إلهي.. هذه الوحوش اشر من الموت وأبشع ولهذا نستسلم للموت.

بايز: كيف وصلنا الى هذا الحد فنقبل لهذه الوحوش أن تختار لنا موتاً بشعاً معتماً غير معروف بدل أن نختار نحن الموت مجبرين.. ولكن موتاً شامخاً، موتاً صاخباً، موتاً لاسكينة ولا اسلام فيه؟!

شيرين: ترى.. هل يرانا الله؟! هل يرانا الله؟

بايز: لماذا يا رب خلقتنا اية في الجمال؟.. لماذا يا ربي خلقت بلادنا على شاكلة الجنة التي لديك؟.. يبدو انه كي يسمحوا لنا بالعيش لابد ان نكون قبيحين مثلهم.. فهل القبح يستحق الحياة بينما الجمال لابد أن يموت بطريقة بشعة تناسب مستوى جماله؟!

شيرين: لماذا يا رب اوجدتنا؟.. الكي توفر لهؤلاء الوحوش ما يسلون به انفسهم كي يمتلئوا غروراً

لأنهم يمتلكون حياتنا؟!.. لو كنت تركت لنا الخيار يا ربي لما اخترنا حياة يوجد فيها مثل هؤلاء.

بايز: حتى البشر ردموها يا شيرين؟.. لو كانوا تركوها كما هي لوعدتهم أن لا اشرب منها.. كنت سأتفرج عليها فقط علني ارى صورتك على سطح مائها.. او.. او.. كنت سأبكي عندها (يبكي).. او.. او.. كنت سأتذكر تعارفنا عندها واعيد تمثيل المشهد من جديد.. اعيد تلك اللحظة الخارجية من الزمن وكأنك موجودة فعلاً بقربي (يحاول اعادة تمثيل مشهد التعارف).. او.. او كنت سألقي بنفسي فيها.

شيرين: اواه.. لو كنت استطيع ان احمل معي جزءاً من هذا العالم كلما انتقلت.. لو كنت استطيع لكنت الان احمل معي قريتنا الى حيث يرسلنا هؤلاء الوحوش.. فبينما كانوا يدفنوني كنت احتضن القرية في صدري حتى ينسكب ماء البئر على جسدي وانا اختفي رويداً رويداً في اعماق الظلام المبتل بالدم.

(يسمع بايز صوت بكاء طفل رضيع فيقوم مسرعاً يبحث في انقاض القرية فيجد مهد الطفل مكسوراً).

بايز (يصيح): طفلنا.. طفلنا.. اين صار بايز الصغير؟! .. (متذكراً) الذين رأوا شيرين يقودها الجنود مع اهل القرية نحو المركبات لم يذكروا شيئاً عن بايز.. (يبدأ البحث من جديد في ارجاء القرية. المهدمة عن ابنه وهو يصيح) بايز.. بايز.. بايز.

(ثم نشاهد شيرين وهي تعود مثل الطيف الى مكانها في العربة العسكرية التي تضم الناس المساقين نحو الموت.. ويمكن هنا اخفاء المركبة في العمق المظلم لخشبة المسرح.. وحين تعود شيرين لمكانها يعم الظلام المسرح.. ثم نسمع اوامر الضابط).

صوت امر: ف.....ف.

الصوت نفسه (بعد برهة): هل الحفر جاهز.

صوت جندي: نعم.. سيدي.

صوت الضابط: شغلوا محركات جميع المركبات والشفلات وارجلكم على دواسة البنزين واصابعكم على الصفارات.

(نسمع هذه الأصوات)

الضابط (بلهجة آمرة وقوية): ارم

(نسمع فجأة داخل الأصوات السابقة اصوات الطلقات وعويل وبكاء النساء والأطفال وبعض دعوات الشيوخ باللغة الكردية).

انتهت



حوار مع مريوان وريا قانع

ترجمة: نوزاد احمد

مريوان وريا قانع كاتب ومفكر كردي يقيم في هولندا، يكتب باللغتين الكردية والهولندية، من مؤسسي مجلة (رهند) التي تعنى بالفكر والثقافة الكردية وتحليل المجتمع الكردي بالمناهج العلمية الحديثة، اصدر باللغة الكردية الكتب الآتية: (السلطة والاختلاف)، (الفلسفة والاسلام والتنوير)، (السعادة والصمت)، (الهوية وتعقيداتها). اجري الحوار سنة 2001.

★ ماهي الخلفية التاريخية والايديولوجية التي كانت وراء عملية الانفال؟ ماذا كان يريد النظام ان يمرره من تشوهات في بنية المجتمع الكردي؟

مريوان: لم تكن عملية الانفال بالنسبة للنظام العراقي حدثا مباغتا وعفويا، لم تكن حدثا اقر به في لحظة الغضب والانفعال، والتي قد يمكن الانسحاب منه في لحظة التهدئة. كانت عملية الانفال قرارا استراتيجيا مرتبطا -بصورة مباشرة- بتركيبة تلك السلطة وشكلها واسلوبها التي اسميتها في احدى كتاباتي بـ"نظام الإبادة الجماعية".

واذا ما كان لأية سلطة ان يتسم نظامها بالإبادة الجماعية لايمكن لها ان تعمل حسب القرارات العفوية وان تديرها نفسية الديكتاتور ورغبة نخبة سياسية معينة. بل على العكس من ذلك فإن سلطة الابادة الجماعية هي سلطة بيروقراطية وسلطة منظمة حسب خطط مسبقة تمارس عملها بشكل يومي، بمعنى ان قراراتها نتاج دراسة دقيقة ومسبقة وحسابات معمقة، وهي بيروقراطية بمعنى ان الذين يشاركون في اصدار هذه القرارات وتنفيذها، لايعملون بصورة عفوية وذاتية بل ينفذونها في ظل قوانين آلة بيروقراطية ضخمة. على سبيل المثال يسوغون ارتكاب جرائمهم على انهم ليسوا مسؤولين عنها بل ادوا الواجب الذي فرض عليهم كأوامر من الفوق. وهي سلطة يومية بمعنى ان المؤسسات التي اقرت مثل هذه الجرائم ونفذتها، عبارة عن عدة مؤسسات مهمتها ادارة امور حياتنا اليومية.

اذن ليس هناك مبرر ايديولوجي من وراء الانفال بقدر ما تعرف السلطة من خلالها نفسها وتظهر نواياها، كانت تريد اثبات وتبرير كنيتها القاتلة امام ذاتها وامام المجتمع الذي تديره. الانفال من هذه الناحية كانت رسالة واضحة الى المجتمع العراقي بشكل عام والى المجتمع الكردي بصورة خاصة. ان مغزى الرسالة هو كالاتي: ليست ثمة قوة بإمكانها التساؤل عن شرعية وبقاء سلطة البعث بعد انتهاء الحرب العراقية الايرانية. واذا ما تجرأت قوة ما وغامرت على طرح مثل هذه الاسئلة، فسوف يكون مصيرها الدمار والابادة الشاملة.. وكما ترى فإنني اتحدث عن فترة مابعد الحرب، الفترة التي كانت اسس شرعية السلطة في العراق تتجه نحو الاضمحلال. لكن ماذا نقصد بقولنا ان "اسس شرعية السلطة" في العراق كانت تعيش لحظة الاضمحلال في حين كلنا نعلم ان سلطة البعث في العراق لم تملك الشرعية يوما؟ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي النظر الى لحظات عملية الانفال والظروف التي سبقتها و رافقتها. في نظري ان لحظات حدوث الانفال هي لحظة الازمة الكبرى لسلطة البعث منذ مجيئها الى الحكم حتى لحظات البدء بعملية الانفال.كانت الحرب العراقية الايرانية اقتربت من نهايتها دون ان يستطيع البعث المغالاة في حكاية انتصاره في هذه الحرب الدموية. لقد عاثت الحرب في البلد دمارا، فالوضع الاقتصادي في العراق كان في ادنى مستوياته. وقبل ان تضع الحرب اوزارها كان عدد المسلحين يقارب من اربعة الى خمسة ملايين مسلح. بعد الحرب وعلى حين غرة، وجد هؤلاء المسلحون انفسهم في مواجهة البطالة والافاق المسدودة داخل المجتمع العراقي. كانت النخبة البيروقراطية في الدولة مشغولة ببيع القطاع الاقتصادي العام، وكانت تخسر كل يوم جزءا من قدراتها الاقتصادية الضئيلة اصلا. ثمة جزء كبير من الرأسمال العراقي الذي صرف في مجال الصناعات العسكرية، اصبح عديم القيمة بعد الحرب، حيث اصبحت الدولة مفلسة، بالاضافة الى ان المجتمع العراقي واثناء الحرب التي دامت ثماني سنوات، وجد نفسه امام مشاكل اجتماعية وثقافية ونفسية مختلفة وهائلة.

ان الحقيقة التي كانت حاضرة خلف هذا المنظر القاتم، هي ان دولة البعث كانت ومنذ ايامها الاولى قد بنت "شرعية" سياساتها على ايجاد جملة "انجازات" وتحقيق الحد الادنى من مستلزمات الحياة اليومية للمجتمع العراقي، اي ماكان يطلقون عليه "منجزات الثورة". كان البعث في الحقيقة قوة غير شرعية، لم يختره احد، جاء الى الحكم على ظهر عدة دبابات، كان يخفي عدم شرعيته تحت ستار تقديم الحد الادنى من حاجات المجتمع العراقي المسماة "منجزات الثورة". وفجأة، فقدوا هذه المبررات لشرعنة سلطتهم، لم تكن الدولة بمستطاعها تقديم "منجزات" اخرى، لم تكن باستطاعتها الإدامة بما فعلتها ايام السبعينيات والثمانينيات، لم تكن لها القدرة الكافية لإعالة المجتمع العراقي ككل وتحقيق الحد الادنى من حاجياته الضرورية

ومستلزماته اليومية. ولعدم قدرتها السير على ما سارت عليه سابقا، واجهت اول ما واجهته التساؤل عن شرعيتها وشرعية النخبة التي كانت تدير دفة الحكم. في الحقيقة كانت هذه الظروف التي اعقبت الانفال، هي التي مهدت السبيل الى اجتياح دولة الكويت والى المصير الذي نعرفه جميعا.

عند نهايات الحرب العراقية الايرانية وفي ظروف متأزمة كهذه، كان البعث في العراق امام خيارين: إما ان يفتح ابواب المشاركة السياسية والاجتماعية وان تتحول الدولة من دولة شمولية وعائلوية الى دولة منفتحة تجاه المجتمع العراقي وان تتخذ ملامح الديمقراطية ويتم تقسيم "الفقر" الذي كان واقفا امام الابواب على الجميع بصورة عادلة حيث وكما يقال لو لم يكن ثمة خبز ينبغي اتاحة المجال للحرية وحق الكلام. و إما ان يظهر اسلوبه العنيف ونيته في الابادة الجماعية للمجتمع وان يبرهن ان على العراقيين قبول الصمت الى جانب قبول حالة الفقر.

لم يكن في نية البعث تحقيق النقطة الاولى او الخيار الاول كما لم يكن بإمكانه تنفيذ ذلك. لكنه استطاع تنفيذ الخيار الثاني بسهولة. كانت عملية الانفال من هذه الناحية ردا جينوسايديا لأي قوة في العراق تنوي عدم قبول "دولة العائلة" لصدام وابنائه. اعتقد ان اهمية الانفال على صعيد العراق كانت تكمن في ابلاغ تلك الرسالة التي ذكرتها، حيث اثبتت هذه الرسالة عدم اخفاء حملات الانفال والحديث عنها علانية في وسائل الاعلام والامسيات والندوات، في حين اتخذت السلطة استراتيجية الصمت والاهمال على طول تاريخها حيال اخبار الثورة الكردية ونشاطاتها وانتفاضة كردستان.

حققت عملية الانفال، على صعيد كردستان، اهدافا اخرى. فمن المعلوم ان الهدف الرئيس لعملية الانفال هو التدمير الكامل لقرى كردستان، وجميعنا نعلم ان القرى في المجتمع الكردي تعتبر من اكثر المناطق استقلالية، كانت القرى مكتفية بذاتها بل كانت ترفد المدينة في بعض الاحيان بمواردها. اي كانت بمقدورها سد حاجياتها بنفسها وسد حاجيات جزء اخر من سكان مدن كردستان ايضاً، اضافة الى انها كانت مأوى ومخبأ للحركات الكردية المتتالية التي كان لها حضور دائم، كما كانت بمثابة جغرافيا ملائمة لاية قوة معارضة تنشأ في المستقبل والتي كان من المكن وبعد انتهاء الحرب وانفجار الازمات، ان تظهر. من هنا كان تدمير قرى كردستان يهدف الى تدمير احتمالات العيش هناك للحيلولة دون نشوء القوى المعارضة الغاضبة التي تنتجها الازمات الخانقة لظروف ما بعد الحرب. بهذا المعنى كانت عملية الانفال بمثابة تدمير اخر معقل لأية قوة سياسية او اجتماعية او عسكرية قد تظهر وتحلم خارج مخططات البعث حاملة معها حلم الاستقلال السياسي والاجتماعي. هذا اضافة الى انها كانت بمثابة تدمير أواصر العلاقة الوثيقة التي كانت موجودة بين قرى كردستان ومدنها.

أما الترحيل القسري لأهالي قرى كردستان وتجميعهم في المعسكرات القسرية او المجمعات

القسرية القريبة من مدن كردستان هو في الكثير من الاوجه تدمير لذلك التوازن الخاص الذي اسسه تاريخنا بين القرى والمدن. برزت عن هذه العملية نتائج سلبية واضحة خصوصا بعد الانتفاضة، حيث بإمكاننا تسميتها بـ"قرينة المدن" الكردستانية. ان الفضاء المحافظ الذي نجده اليوم في الكثير من مدن كردستان مقارنة بفضاء السبعينيات والثمانينيات، وليد هذه العملية الواسعة التي اسميتها بقرينة المدن، في الكثير من اوجهها. بإختصار كانت عملية الانفال بمثابة الخطوة الاولى للسيطرة الكاملة على مجتمعنا. اما عملية تدمير قرى كردستان التي كانت ضمن استراتيجيات عملية الانفال كانت تهدف الى تدمير قدرة مجتمعنا في المقاومة والاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس في معاشها اليومي. وكانت عملية تجميع السكان – حسب عقلية البعث ومخططها- في ثلاث مدن كبيرة وعدة معسكرات قسرية تضمن مشروع إستسلام المجتمع الكردي الى حد إبادته الجماعية. لولا حرب الخليج وما نتج عنها، اتجرأ اقول بأن المجتمع الكردي كان امام تهديد الابادة الكلية. كانت الانفال مفتاحا لفتح ابواب هذا التهديد علينا جميعا.

*** اي تأثير وضعته الانفال على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية والنفسية للمجتمع الكردي؟**

مريوان: اعتقد انني اجبت، في ردي على السؤال الاول، على بعض جوانب هذا التأثير وعلى نتائجه، ومن اهم تلك النتائج مسألة القضاء على أسس الاكتفاء الذاتي واستقلالية المجتمع الكردي. ومن نتائجها من الناحية الاقتصادية خلق مجتمع يضطر ان يلتجيء الى الدولة لسد ابسط حاجياته الاقتصادية اليومية. اما من الوجهة الاجتماعية فقد انتجت حوالي مليوني "لاجيء داخلي" واناس كانوا يعيشون خارج ابسط شروط الاستقلالية الاجتماعية.

من الصعب القول ان المجتمع الكردي مابعد الانفال هو مجتمع طبيعي او سوي، ومن الصعوبة بمكان ان نطلق عليه "مجتمع" بمعنى التقاء مجموعة اشخاص في مكان تربط بينهم علاقات حرة. بعد الانفال كانت العلاقة بين المكونات المختلفة لمجتمعنا تمر عبر قنوات الدولة، تسللت الدولة الى داخل كل تلك العلاقات التي تربط القوى والفئات الاجتماعية المختلفة بعضها ببعض. كانت درجة السيطرة على هذا المجتمع وصلت حداً استطيع القول معه انه اصبح بمثابة لوحة ترسمها انامل البعث كما يشاء او كما يحلو له. اي كان مجتمعا مفتقرا الى القدرة على الاستقلالية الاجتماعية.

تحدثت قبل قليل عن عملية سيطرة القرية علىالمدينة اي "قرينة المدن" او "ترييف المدن"، واعتقد ان الانفال في هذا الاجانب خلقت مشاكل جمة للمجتمع الكردي بحيث يحتاج ايجاد الحلول لها الى العمل المنظم الدؤوب ولعشرات السنين من اجل استعادة تلك العلاقات الى سابق عهدها والى ماقبل الانفال بكل إشكالياتها وازماتها إبان تلك المرحلة.

في اعتقادي ان الانفال، من الناحية السايكولوجية، خلقت وبكل تأكيد مشاكل عديدة وكبيرة للانسان الكردي وللجماعات المختلفة داخل المجتمع الكردي، لكن المستوى الضعيف او بالاحرى الفقر الموجود في مجال الدراسات السايكولوجية عندنا وعدم وجود خبراء في هذا الحقل المهم وعدم وجود مراكز او مؤسسات سايكولوجية خاصة في كردستان، ادت الى عدم رؤيتنا لهذه المشاكل النفسية، حتى ان جامعاتنا في كردستان لم تحاول ولو محاولات اولية وبسيطة قراءة هذا العالم السايكولوجي المظلم للانسان الكردي مابعد الانفال، بحيث اهملت هذه المساحة المهمة من حياتنا المعاصرة.

قد تتجسد احدى النتائج الصعبة للانفال في تبعاتها الاخلاقية. لقد خلقت الانفال من الناحية الاخلاقية لمجتمعنا مشاكل جمة. إن مشاركة بعض الكرد في عملية الانفال مشاركة لاريب فيها، ولكن هذه الجريمة وهذا الاستحياء لم يؤديا لحد الان الى طرح اسئلة اخلاقية حول مسائل مهمة كالشعور بالمسؤولية ، والصفح (او العفو) وعدم الصفح والشعور بالذنب. اعتقد ان الانفال خلقت عدة مشاكل وجودية دون ان يخوض احد في قراءة ابسط مظاهرها. نحن نتنفس الان داخل بيئة يعيش فيها ضحايا الانفال ومرتكبوها جنبا الى جنب دون ان يتجرأ المجتمع على الإشارة الى هذه الحقيقة المؤلمة او ان يضع اصابع الاتهام على مجرمي هذه العملية الجينوسايدية.

بالعكس من هذا، فإننا نرى ان العديد من مجرمي الانفال ومن المشاركين فيها يقفون في اول الصف امام الرجال "السادة" و "الكبار" و "النزيهين" في مجتمعنا. للاسف بعد 14 سنة من هذه العملية الاجرامية وبعد اكثر من عقد من الحرية، لم تصبح الانفال موضوعة تجعلنا نراجع الثقافة السياسية والتركيبات الاخلاقية لهذا المجتمع الذي اشترك جزء منه وبصورة مباشرة في تدمير جزئه الاخر.

صحيح ان الاحزاب السياسية في كردستان سامحت مجرمي الانفال في ظروف خاصة ومن اجل اغراض سياسية معينة. لكن الصفح السياسي(العفو السياسي) لايعني العفو الاخلاقي، لايتم العفو الاخلاقي الا بعد استنطاق مجرمي الانفال وطلب المعذرة والاستغفار من ضحاياها. العفو الاخلاقي مقرون بـ"الوجدان الجمعي" للمجتمع، مقرون بفهم الانسان الكردي بأن هناك حدودا انسانية واخلاقية لايمكن تجاوزها، واذا ما تم تجاوز هذه الحدود بحيث يؤدي الى ايذاء الاخرين، حينذاك فإن طلب المعذرة هو اقل شيء يمكن ان يقال.

تكمن المشكلة الكبرى -في اعتقادي- في عدم معرفة المجتمع ولحد اليوم اسباب ارتكاب هذه الجريمة، اي لايعرف قسم منه لماذا ارتكب القسم الاخر هذه الجريمة؟ وماذا فعل بالضبط؟ كيف فعل؟ ماهي الدوافع التي ادت الى مشاركة الالاف من الكرد في حملات الانفال؟ وما هو تبرير المشاركين لمشاركتهم تلك؟ وماذا تعني الانفال عندهم؟

خلال السنوات العشر الماضية لم نجد في وسائل الاعلام الكردي حوارا واحدا مع احد من الذين شاركوا في فاجعة الانفال. يكمن الذنب الكبير حيال ضحايا الانفال وحيال مجتمعنا في التساوي بين العفو السياسي والعفو الاخلاقي، هذا التساوي سد الطريق امام ظهور "وجدان اخلاقي" انتقادي وانساني، ذلك الوجدان الذي يحتاجه اي مجتمع ينوي الحفاظ على الحد الادنى من انسانيته.

*** لماذا لم يبد المجتمع الدولي اي رد فعل تجاه تلك الجريمة؟**

مريوان: ارى ان الصمت الذي لازمه المجتمع الدولي تجاه جريمة الانفال مقرون الى حد ما ببنية النظام الدولي والثقافي والسياسي التي كانت مهيمنة ايام الحرب الباردة. دولة العراق كانت احدى الدول الديكتاتورية التي لعبت بدقة على بنية معادلات ايام الحرب الباردة. لحسن الحظ انتهت اليوم تلك المعادلات واصبح مبدأ السيادة الوطنية -التي كانت احد اهم المبادىء السياسية في تلك الفترة- موضع شك ولم تبق لها الاهمية التي كانت موجودة انذاك.

ان الظروف الحالية في كردستان لهي دليل واضح على هشاشة هذا المبدأ. ان مبدأ السيادة الوطنية لهو من اخطر مبادىء الفلسفة السياسية خلال القرون الثلاثة الماضية المتزامنة مع تطور الحداثة. تحت ذريعة الحفاظ على هذا المبدأ، بدأت الكثير من الدول في الابادة الجماعية للجماعات الاثنية والدينية والثقافية والاجتماعية التي لم تكن تقع ضمن الهندسة الاجتماعية والمخيلة السياسية للدولة. كانت السيادة الوطنية في معظم الحالات تعني لزوم الصمت من قبل العالم والمجتمع الدولي حيال تلك "الجرائم الداخلية" المرتكبة من قبل الدول بحق الجماعات المعارضة والمسماة بالخائنة.

باستثناء هذه الحالة، ان العراق دولة مهمة من الناحية الاقتصادية وتملك مخزونا هائلا من النفط، فإن إرضاء السلطات التي تدير الدولة متوقف على الربح المتزايد والمكسب الاقتصادي الخاص، لذلك ما نحتاجه اليوم في العراق وفي كردستان هو تأسيس عدة مؤسسات خاصة بإمكانها مراقبة ومساءلة السلطات. من دون مراقبة السلطات ومن دون تحديد قدرات الدولة والاحزاب السياسية ذات السيادة وكذلك من دون وجود وعي مراقب، تبقى مخاطر الابادة الجماعية قائمة، لا بل من الممكن ظهورها من جديد. نجد اليوم ومن حسن الحظ ان المجتمع الدولي لايتألف من الشركات الضخمة والمؤسسات الدولية الرسمية فحسب، بل تشاركه عدة قوى وجماعات مدنية غير حكومية ومستقلة تملك القدرة على ايصال صوت الانسان المنكوب والجماعات الصغيرة والخائفة التي تقبع في زوايا العالم المظلمة، الى العالم الخارجي. رغم ضئالة هذه القوى لكنها تقدر ان تنجز اعمالا كبيرة. اذن هناك فرق كبير بين "المجتمع الدولي" الحالي وما كان موجودا إبان مرحلة الحرب الباردة.

*** كيف تصدت القوى السياسية الكردية لفاجعة الانفال وماذا فعلت؟ ماذا لديهم اليوم في هذا المجال؟**

مريوان: ما أنجز لحد الان من اجل الانفال شيء قليل، بل قليل جدا. صحيح ثمة اجراءات اولية

نفذت كالمحاولات التي جرت من اجل إحصاء عدد ضحايا الانفال وتوثيقه، اصدار قرار خاص بإنهاء قضية المفقودين، كذلك تخصيص راتب شهري للعوائل المتبقية من الانفال وذوي ضحاياها. لكن هذه الاجراءات رغم ايجابياتها قليلة ومازالت في بداياتها. الانفال هي الابادة الجماعية وان إبعاد المجتمع من احتمال تكرارها لايتم عبر عملية الاحصاء وتخصيص الراتب الشهري ومساعدة عوائل الضحايا.

من هنا فإن قراءة الابعاد المختلفة للمجتمع والدولة اللذين انتجا الجينوسايد، عمل في غاية الاهمية، لكن تطهير المجتمع من الابعاد الجينوسايدية للسلطة يحتاج الى اعمال واجراءات دقيقة جداً. في هذا السبيل ينبغي ان تقوم الاوساط الثقافية بصورة عامة والجامعات بصورة خاصة بمشروع كبير لقراءة المجتمع والسلطة والاخلاقيات والعقلية التي انتجت مأساة الانفال. مثلاً: ما هو كنه الثقافة والعقلية السياسية والاخلاق الاجتماعية والاساليب السلطوية والبنية الاقتصادية والانظمة الادارية للدولة التي تقف وراء فاجعة الانفال؟ للاجابة عن هذه الاسئلة نحتاج الى عشرات المحاضرات والندوات الخاصة في المجالات العلمية المختلفة، كذلك نحتاج الى تعددية في ابداء وجهات النظر والمناهج العلمية من اجل إضاءة الجوانب المظلمة لهذه الجريمة الشنيعة. ينبغي ان تتم قراءة طبيعة تلك السلطة والثقافة والمخيلة والعقلية التي انتجت الانفال، وان ينظر الى تلك المراكز الاجتماعية والثقافية والسايكولوجية التي تنتج كارثة ومأساة بحجم الانفال، بالاحرى يجب النظر الى الانفال بصفتها عملية مستمرة قد تحدث مرة اخرى، بإعتبارها احتمالا من الاحتمالات الديناميكية الحية لتلك المكونات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نعيش فيها اليوم. هل الانفال هي مشهد اصبح وراءنا أم هي احتمال امامنا؟ هل هي حدث مضى وانقضى أم هي ظلام نتجه صوبه؟ لاأخفي عليكم ان اعتقادي هو كالاتي: ان مجتمعنا ليس مجتمع "مابعد الانفال" بل هو مجتمع "ما قبل الانفال" بكل مخاطر حدوثها. ان الانفال في نظري ليست مجرد كارثة حدثت مرة واحدة وانتهت. ان المجتمع الذي خلق الانفال، والاساليب السلطوية التي انتجت الانفال، والثقافة السياسية التي كانت تقف وراء تلك الجريمة الكبرى، مازالت قائمة، اي ان الجزء الكبير من الاسباب التي ادت الى حدوث الانفال مازال قائما كما هو، وليست ثمة خطوات جدية من اجل تغييرها او مسحها.

اما على صعيد القراءة العلمية والمتأنية الجادة فينبغي تأسيس عدة فرق للدراسات العلمية من اجل قراءة الاستنتاجات السياسية المختلفة لعملية الانفال، كذلك قراءة النتائج الثقافية والمكونات الاجتماعية والخيالية والسايكولوجية وافاق الانتظار عند الانسان والجماعات المختلفة في مجتمعنا.

في الواقع انني مقتنع تماما بأننا من دون استنطاق مجرمي الانفال ومن دون الإستماع الى روايات الشاركين، لايمكن فهم العديد من ابعاد المجتمع

والحركة القومية الكردية إضافة الى ثقافة الانسان الكردي وسايكولوجيته. قد نستمع منهم الى اشياء مهمة حول معاني الكينونة الكردية ومعاني كردستان كوطن ومعاني الثورة، إضافة الى مفاهيم اخرى.

من هنا فإن إنشاء محاكم خاصة او مراكز خاصة يحكي فيها مشاركو الانفال ما حدث، والاستماع الى رواياتهم وحكاياتهم وتقديم اعتذارهم للضحايا، مسألة في غاية الاهمية. لايمكن ان نتخلص من هذه المسألة في وضع خطة لإعتقال أو قتل او خطف الذين شاركوا فيها، بل بالعكس ينبغي ان تؤدي هذه المسألة الى فتح الابواب امام الصفح او العفو الاخلاقي الكبير وبناء وجدان جماعي صحيح، وان تؤدي الى تفعيل الاسس الاولية لإجتثاث تلك الجذور الثقافية والسايكولوجية والاخلاقية التي انتجت الانفال.

* اجرت صحيفة (ريكاي كوردستان) هذا الحوار وقد نشر سنة 2001.

وثائق

سياسة الدولة العثمانية تجاه العشائر الكردية في كركوك واطرافها

من عام 1887 حتى عام 1909

دراسة وثائقية تحليلية

الدكتور/ عبدالله محمد علي العلياوي

استاذ التاريخ الحديث المساعد

في جامعة صلاح الدين — اربيل

المقدمة

ليست من السهل كتابة تاريخ الشعوب الخاضعة للاحتلال بسبب ندرة المعلومات وتشويه الحقائق، والشعب الكردي احد هذه الشعوب التي لا يزال يعاني من الاحتلال والظلم ولاسيما من الاحتلال الفارسي والتركي.. لذلك يلاقي الباحثون صعوبات جمة في كتابة تاريخ الكرد. ولكن هذا لا يعني ان نيأس ونتوقف عن البحث من اجل الوصول الى الحقائق التاريخية للشعب الكردي.

ان الدولة العثمانية حكمت كردستان قرابة اربعة قرون ومارست جميع اشكال الظلم والعدوان خاصة في القرن التاسع عشر واخفت الحقائق التاريخية. لقد اصدرت الحكومة التركية في اوائل العقد التاسع من القرن العشرين مجموعات مهمة من الوثائق التابعة للدولة العثمانية، منها الوثائق المتعلقة بالموصل وكركوك من عام 1525-1919م[1].

وقد اعتمد الباحث على مصادر علمية في هذا البحث، فضلا عن التحليلات الشخصية التي قد

تكون نافعة، وقابلة للجدل. واخترنا موضوع العشائر الكردية في كركوك واطرافها، نظرا لأهمية المنطقة استراتيجيا ايام الحكم العثماني وبعدها كذلك. وكانت منطقة صراع دوما بين حكام بلاد فارس والعثمانيين فضلا عن وقوع هذه العشائر تحت الظلم والطغيان والتهجير القسري من قبل الدولة "هذا لا يعني ان العشائر العربية لم تتعرض الى ظلم العثمانيين وبطشهم"[2].

ونتطرق في هذا البحث الى ذكر بعض العشائر الكردية التي كان لها دور فعال في مقارعة الحكم العثماني وعدم اطاعة الأوامر التي تصدر عن العثمانيين.

التمهيد

يصعب الخوض في مسألة هل الدولة العثمانية تعد دولة محتلة ام لا؟ وذلك لعدم اعتراف الكثير من الباحثين والمهتمين بشؤون التاريخ بذلك، لتعصبهم الديني البعيد عن جوهر الاسلام رغم ان تعريف الاستعمار واضح لا يحتاج الى شرح فكل دولة تحكم دولة او شعبا اخر وتسيطر عليه، وتفرض لغتها وحضارتها وتقاليدها عليها، وتنهب ثرواتها.. تعد من الدولة الاستعمارية[3].

وفيما يخص الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية — ومكملة للخلافة الراشدية والأموية والعباسية -كما كانت تدعى — نحن نتساءل هل الدولة العثمانية طبقت الشريعة الاسلامية في جميع مراحلها؟ وهل منحت الشعوب غير التركية حق ممارسة الحكم اللامركزي؟ او كما هو معروف عند الاسلام بحكم الولايات او الأقاليم.. وهذا يقودنا الى تساؤلات اخرى، ألم تقم الشعوب العربية بثورات ضد ظلم الدولة العثمانية"[4] وبطشها نتيجة ممارساتها البعيدة عن جوهر الاسلام ولاسيما في القرن الأخير من حكمها؟ وما اكثر هذه الثورات والانتفاضات في نهاية الحكم العثماني. وربما يكون الجواب: ان الدولة العثمانية في بدايتها كانت دولة ملتزمة بالشريعة الاسلامية، وتحارب من اجل نشر الاسلام.. لكن نتساءل: هل بقت الدولة العثمانية على حالها كما كانت؟ والجواب عن ذلك يكون بالنفي، لان الدولة العثمانية ومنذ عهد السلطان محمود الثاني (1808-1838).. بدأت بارجاع السلطة المركزية وعدم فسح المجال لاقاليم والولايات بالتمتع بالحكم اللامركزي الممنوح للشعوب.وما ظهور الجمعيات والاحزاب العربية[5] والكردية[6] الا دليل آخر على رفض هذين الشعبين لسياسة العثمانيين لفرض لغتهم ونهب ثروات هذين الشعبين وزجهما في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

سياسة الدولة العثمانية تجاه العشائر الكردية

ينقسم المجتمع الكردي الى عشائر كثيرة وكان لهم زعماء وامراء يمارسون سلطتهم على العشائر[7]. عندما حدثت اول معركة بين الدولتين الصفوية والعثمانية باسم معركة (جالديران)[8] عام (1514) (وهي معركة كبيرة وليست حاسمة بل هي فاتحة حروب بين الدولتين قرابة اربعة قرون)

انضمت الامراء والعشائر الكردية الى جانب العثمانيين عن طريق (ادريس البدليسي) بموجب اتفاق بين الطرفين[9]، ولم تستمر هذه الاتفاقية طويلا لان السلطان سليمان القانوني (1520-1566) خرقها في وقت مبكر[10]، واستمرت هذه السياسة، ولكن بصورة غير منتظمة الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث ازداد ظلم العثمانيين وبطشهم للعشائر الكردية وبداوا باسقاط الامارات الكردية الواحدة تلو الاخرى[11]. ويمكن استخلاص سياسة الدولة العثمانية تجاه العشائر عامة والكردية خاصة بما يأتي:

اولا: جذب العشائر سواء العربية او الكردية الى جانبها عن طريق الترغيب او الترهيب، وفرض ادارتها عليها.

ثانيا: ملاطفة العشائر في وقت الأزمات والحروب لزجها فيها واستغلال الدين لهذا الغرض، كما حصل في حروبهم مع الروس والايرانيين.

ثالثا: بعد انتهاء الحروب تلجأ الدولة الى زيادة الضرائب على العشائر ووفقا لذلك تعد سياسة الدولتين العثمانية والفارسية مشجعة ومدعمة لصراعات العشائر الكردية[12] وكانت الدولة العثمانية تحاول تجريد العشائر من نفوذها[13]، تلجأ غالبا الى استخدام سياسة: (فرق تسد) على العشائر الكردية[14]، وتثير المشاكل بينها، وابرز مثال على ذلك: تحريض عشائر شكاك ومكري وباموري الكردية ضد عشيرة ميلان من اجل طردهم من كردستان العثمانية[15].

كما قد تعرضت العشائر الكردية في كركوك واطرافها الى الكثير من الاضطهاد لسبب عدم اطاعتها للاوامر الحكومية في كثير من الأوقات، ولكن رغم ذلك استطاعت الدولة العثمانية بإثارة العواطف الدينية جذب عشائر هماوند[16] واخريات الى المشاركة في حروب القرم (1853-1856) والحرب الروسية – العثمانية (1877-1878) وبدل ان تكافىء الدولة عشيرة هماوند على دورها نراها لجأت الى تحريض عشائر زنكنه وجاف ضد هماوند من اجل طردها من كركوك واطرافها ودعمت الحكومة العشيرتين المذكورتين بكل الوسائل، حتى استطاعتا ملاحقة عشيرة هماوند هذه فلجأت الى الاراضي الفارسية، وقد تم طردها من هناك كذلك بموجب الاتفاقيات المعقودة بين الدولتين[17]، ولم تقف الحكومة العثمانية عند هذا الحد بل نفت الكثير من افراد عشيرة هماوند الى ليبيا وانقرة وسيواس ودياربكر والموصل[18]. ولكن رغم كل ذلك تمكن كثير من افراد وقادة العشيرة من العودة الى موطنهم الأصلي في كردستان بدعم من عشيرة شوان الكردية.

محاكمة بعض من افراد عشيرتي الطالبانية والبرزنجية عام (1887)م

بموجب الوثيقة المرقمة: (29 في 1887/5/3)[19] والموقعة من قبل اسماعيل حقي مسؤول كركوك، تمت محاكمة بعض افراد عشيرتي البرزنجية والطالبانية، ومعاقبتهم بسبب قيامهم

باعمال الشغب ضد المؤسسات الحكومية، وان استخدام كلمة: "القيام باعمال الشغب" كان حجة تلجأ اليه الحكومة لمحاسبة هؤلاء، والا فان كلمة: الشغب تعني عدم اطاعة الاوامر الحكومية، والامتناع عن دفع الضرائب، وعدم دخولهم او انخراطهم في سلك الجيش، ومن هذا يتبين لنا ان الحكومة لم تتوان عن محاكمة من يقف ضدها ومعاقبتهم.

قيام الحكومة العثمانية بتامين الارزاق لبعض افراد هماوند وتعيينهم في سلك الجيش

بموجب الوثيقة المرقمة (37 في 1890/3/9)[20] قررت الحكومة العثمانية تأمين الارزاق للهمونديين العائدين الى منطقة كركوك، وتم التأكيد على المسؤولين في كركوك بتطبيق ذلك في 1890/6/9، كما تم تعيين عشرة من افراد هذه العشيرة في سلك الجيش مع صرف (1000) غروش لستة من رؤسائها.

وان دل هذا على شيء فيدل على تشجيع الهماوند للتخلي عن العصيان واطاعة القوانين، والقصد من تعيين هؤلاء العشرة هو تشجيع العشيرة على الاستقرار وعدم اثارة القلاقل ضد السلطات.

عودة اسم كركوك في المراسلات الحكومية بدل اسم شهرزور عام 1893

كان العراق مقسما الى ولايات (21) منها ولاية شهرزور (مركزها مدينة كركوك)[22] وقد عين عليها شخص من زعماء اردلان اسمه (بيكه بك)[23] عندما قام والي بغداد عبدالله باشا بعزل عبدالرحمن باشا البابان عام 1812 "عن الوية كويه وحرير بعد ان كان حرمه من العام السابق (1811) من منصب ليوا بابان. وعندما زحف والي بغداد بجيشه الى كركوك وجد ان جميع رؤساء المدينة واطرافها وعشائرها يتعاونون سراً مع عبدالرحمن باشا"[24]. وقد حدد الباحث خليل علي مراد[25] حدود ايالة شهرزور بما يأتي:

من الجنوب ايالة بغداد، ومن الغرب ايالة الموصل وحكومة العمادية، ومن الشمال حكاري واذربيجان، ومن الشرق بلاد فارس. كما تم الاعتراف الفارسي بعائدية ايالة شهرزور الى الدولة العثمانية عام 1590[26].

وفي عام 1879 حلت الموصل مركزاً للولاية بدل شهرزور نهائياً[27] وفي عام 1893 قررت الحكومة العثمانية حذف اسم شهرزور واعادة اسم كركوك في المراسلات الحكومية، اذ بموجب كتاب رئاسة الصادرة المرقم (2270)[28] والموقع من قبل الصدر الأعظم جواد والمؤيد من قبل وزارة الداخلية يعاد اسم كركوك بدل شهرزور وحجتهم في ذلك ان بريد ولاية ديرالزور يختلط مع بريد شهرزور، وغالباً ما تذهب الكتب الرسمية الى دير الزور بدل شهرزور والعكس صحيح، وتم اجراء ذلك كله بموجب مضبطة شورى وزارة الداخلية المرقمة (2886) في 1893/3/13 [29]، ويتبين بموجب الوثيقة المرقمة (46) في 1893/3/15 [30] ان

السلطان عبدالحميد الثاني (1876-1909) وافق على تبديل اسم شهرزور الى كركوك. ولم يرد بعد هذا التاريخ ذكر اسم شهرزور في المراسلات العثمانية الرسمية.

الصراع بين عشيرتي هماوند وشوان الكرديتين عام 1898

يظهر في احد التقارير المرسلة من قائد الجيش العثماني "رضا" الى السلطان عبدالحميد في 1898/8/8 [31]، ان عشيرة هماوند المشهورة بعدم اطاعة الاوامر الحكومية، واثارتهم القلاقل في منطقة كركوك. قد قاموا بالهجوم على عشيرة شوان[32] المتعاونة مع الحكومة. وجاء في سياق التقرير: ان المسؤولين في ولاية الموصل مستاؤون من تصرفات هذه العشيرة لذلك يطلب قائد الجيش السادس ان يسمح بمعاقبتهم، ويقترح ان يشارك من كل عشيرة كردية في منطقة زيبار[33] بعشرة مقاتلين، مع 400 الى 500 محارب من جيش بغداد برئاسة القائد بكر بك آمر المدفعية الذي له مشاركات سابقة في معاقبة الهمونديين، فضلاً عن معرفته بجغرافية المنطقة.. كما طالب التقرير بتشديد الحراسة على طريق كفري لمنع تجاوزات هذه العشيرة في تلك النواحي. وفي نهاية التقرير يطالب السلطان بالموافقة على معاقبة افراد هذه العشيرة.

واذا دققنا النظر في هذا التقرير فنلاحظ:

اولاً: ان سياسة (فرق تسد) قد فعلت فعلتها، حيث ان العلاقة بين العشيرتين كانت جيدة سابقاً، وقد ساعدت عشيرة شوان عشيرة هموند عندما عادت الاخيرة الى كردستان من ليبيا.

ثانياً: ان مشاركة عشرة افراد من كل عشيرة تعني زج عشائر بهدينان في حروب مع اخوانهم في منطقة سوران، وهذه خطوة شيطانية لسد الطريق امام توحيد العشائر الكردية مستقبلاً، حيث استغلت الدولة العثمانية تباين اللهجة بين المنطقتين.

ثالثاً: لم تكن الحكومة العثمانية بحاجة الى مشاركة افراد العشائر نظراً لما تملكها من قوة تفوق بكثير قوة العشائر. ويتبين ان السلطان لم يجب عن التقرير الاول لذلك نلحظ ان القائد "رضا" كتب تقريراً آخر الى السلطان في 1898/9/17، اكد فيه ضرورة ضرب الهماوند، وبموجب برقية متصرف السليمانية يظهر ان عشيرة هماوند قد تعرضت لهجوم من قبل عشيرتي: شوان وشيخ بزيني[34].

ثم جهزت هماوند 200 من فرسانها لضرب مناطق شوان وزيبار، حيث ان قسماً من عشيرة شيخ بزيني كانوا يسكنون في قضاء زيبار[35].

ورغم كل هذه الأسباب فان السلطان عبدالحميد لم يستجب لتلك التقارير. وان تحريض العسكر-الحكومة بضرب الهماوند يعود، برأي الباحث، الى عدم دخول هؤلاء في قوات الفرسان الحميدية التي كانت قد تشكلت حديثاً[36].

المصالحة بين عشائر هماوند وشوان وشيخ بزيني

يلحظ الباحث ان الحرب لم تشن على عشيرة هماوند لعدم موافقة السلطان عليها، لذا قامت هيئة

الصلح في كركوك والسليمانية بالمصالحة بين الاطراف المتنازعة، ويظهر ذلك في الوثيقة المرقمة 55 في 1898/9/27[37]، والتي جاء فيها: ان كبار رجالات العشائر اجتمعوا في محكمة صلح كركوك والسليمانية لغرض عقد الصلح، واتفقوا على ان يسترجع عشيرة هماوند 100 بندقية واربعة احصنة الى عشيرة شوان خلال 21 يوما، وتم اقرار الصلح حسب الشروط الآتية:

اولا: تجاوز كل ما يتعلق بالماضي.

ثانيا: يجب عدم خرق شروط الصلح.

ثالثا: عدم القيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطرق من قبل الجانبين.

رابعا: يعاقب المخالف لشروط الصلح بشدة. وقد وقع على الصلح الكثير من الوجهاء.

بعد اتمام الصلح رفع الى والي موصل تقرير من قبل مفتي كركوك "حسن سامح" وعضو ادارة كركوك "احمد رفعت" في اوائل تشرين الاول 1898[38]، سجلا في التقرير ملاحظاتهما حول الصلح، وطالبا بنقل قائممقام بازيان: "عزتلو عبد القادر" وتعيين احد العسكريين فيها، مع منحه صلاحيات واسعة، حتى تخويله حق استخدام السلاح في وقت الحاجة، ويكون تحت امرته 100 مسلح. وطالبا كذلك باعادة "يوزباشي" هماوند دولت بار الى وظيفته في الجيش، ونقله الى خارج منطقة كركوك، وذكر انه في حالة قبول تقريرهم يسود الامن والهدوء في منطقة كركوك. ويظهر ان مفتي كركوك لم يؤيد الصلح، بدليل انه طالب بتعيين احد العسكريين في وظيفة مدنية (قائممقامية بازيان)، ومطالبته بنقل يوزباشي هماوند وآخرين، الذين هم في سلك الجيش الى السليمانية، لكي يكونوا بعيدين عن عشيرتهم، ولا يساندوها في حالة وقوع الاضطرابات.

بعد وصول هذه التقارير الى والي الموصل سيد محمد عارف، ارسل هو بدوره مجمل التقارير بالكتاب المرقم 120 في منتصف شهر تشرين الاول 1898 [39] الى وزارة الداخلية، وايد مطالب حسن سامح واحمد رافع، كما طالب بابقاء طابور عسكري في جمجمال بعلم الجيش السادس. كما ارسل والي الموصل في منتصف شهر تشرين الاول من عام 1898 كتابا آخر رقمه 124[40] الى وزير الداخلية، بين فيه انه ارسل بعض الوجهاء الى جمجمال لتثبيت الصلح، وهؤلاء الوجهاء هم: رئيس عشيرة الجاف، وقائممقام قضاء كلعنبر عثمان باشا وسيد مصطفى نقيب السليمانية، وآخرون.

بعد وصول هؤلاء الوجهاء الى قصبة جمجمال اصبح الصلح واقعا ملموسا ولم تحدث اية مشاكل بين الاطراف المتنازعة. وبعد وصول هذه التقارير الى وزير الداخلية السيد محمد ممدوح، يرفع هو بدوره هذه التقارير الى الصدر الاعظم بكتابه المرقم 3389 في 1898/11/7[41]. وهكذا تم اقرار الصلح وتثبيته.

نفي الوجهاء الكرد

بعد ذهاب الوجهاء الكرد لتثبيت الصلح نلحظ ان الحكومة العثمانية قامت بنفي هؤلاء الى خارج

منطقة كركوك بدل مكافأتهم، اذ اصدرت دائرة الأركان العامة – الشعبة الرابعة – بكتابها المرقم 1577 في 1898/11/20 [42] وبتوقيع قائد الجيش رضا، يطلب فيه اعادة النظر في التقارير الواردة من ولاية الموصل ويظهر بعد اعادة النظر في التقارير ان كتابا صدر عن الباب العالي – المجلس المخصوص – برقم 10 [43] موقعا من قبل الصدر الأعظم، ووزارة الخارجية، ووزارة الداخلية، وشيخ الاسلام، ووزارة البحرية، سر عسكر، وزارة العدل.. يقرون بنقل كل من السيد مصطفى النقيب والشيخ معروف من السليمانية الى بغداد، والمفتي سيد محمد افندي مع رئيس بلدية كركوك محمد افندي، ومحمود باشا رئيس عشائر الجاف الى طرابلس الغرب، وعزت باشا قائممقام كلعنبر الى قونيه مع الاحتفاظ بوظيفته كما تم نفي آخرين الى الشام. كل هذا جاء نتيجة تدخلات العسكر في الموضوع، لان الهدوء ليس من مصلحتهم بل ان وجود الحروب وعدم الاستقرار من مصلحة قواد الجيش، ولايزال يلعب العسكر في تركيا دوراً كبيراً في التغييرات السياسية[44]. وفي بداية عام 1899م ارسل محمد مدحت وزير الداخلية كتابا الى الصدر الأعظم برقم 4220[45] يشكو فيه ان واردات الحكومة تتقلص من سنة لأخرى بسبب النازعات العشائرية والتي تمتنع من دفع الضرائب للدولة، انهم لا يستطيعون اخذ الضرائب من العشائر في كثير من الحالات بسبب امتلاك هذه العشائر السلاح، وخاصة عشيرة هماوند، ويؤكد الوزير ان هذه الأسلحة تأتي اليهم من داخل الموصل بوساطة المهربين، ويقترح الوزير تعيين ولاة امور اكفاء لجمع الضرائب ومعاقبة المخالفين.

جولة نائب القنصل الانكليزي في الموصل ويلكي في منطقة كركوك وغيرها

ترجع بداية النشاط الانكليزي بكثافة في الدولة العثمانية عامة والعراق خاصة الى مابعد الحرب الروسية العثمانية 1877-1878 وعودة التهديد الروسي وظهور الخطر الالماني في بغداد، فقد قام العقيد مايلز بجولات بين العشائر في اطراف الموصل ثم قام خلفه بلودان برحلة الى اطراف كركوك والسليمانية واربيل حتى عام 1881م[46]. لقد رافق قيام الاتحاديين بالانقلاب ضد السلطان عبد الحميد عام (1908)[47] اضطرابات في الدولة العثمانية شملت المناطق الكردية والعربية، وظهرت اصوات تنادي بالحصول على الحقوق القومية، كصوت الشيخ عبدالسلام البارزاني[48]. وحركة العشائر الكردية في مناطق كركوك والسليمانية كتحركات الهماوند ومحاولات الشيخ محمود لايصال صوته الى الانكليز بوساطة القنصلية الانكليزية في كرماشان 1910، كما جاء ذلك في وثيقة بريطانية[49] ان جولات ويلكي في منطقة كركوك واتصاله بالهماونديين، ثم زيارته الى السليمانية ومناطق بانه وسردشت في كردستان ايران اثارت زوبعة من قبل العثمانيين، ظهر ذلك جلياً في الوثيقة المرقمة: 69 المرسلة من ولاية الموصل في

اواخر شهر ايلول عام 1909[50] الى الوزارة الداخلية، وجاء في الوثيقة انه تم الاستيلاء على رسالة مرسلة من قبل الشيخ عبدالسلام الى ويلكي، والتي تحتوي على مطالبة الشيخ من الانكليز ان يمدوا له العون ضد الحكومة العثمانية، كما تم اعتقال احد الأفراد التابعين للشيخ عبدالسلام، والذي اعترف بوجود علاقة متينة بين الشيخ وويلكي نائب القنصل في الموصل.

بعد ان تم ابلاغ وزارة الداخلية بخبر الجولة قامت الوزارة بابلاغ الوزارة الخارجية العثمانية بكتابها المرقم: 756[51] ويطالب فيه بوضع حد لتصرفات ويلكي في السفارة الانكليزية في استانة، وفعلاً اتصلت وزارة الخارجية بالسفارة الانكليزية وابلغتها بوضع حد لاتصالات نائب القنصل بالعشائر الكردية، وطالبت بنقله من الموصل، وقد اجابت السفارة وزارة الخارجية بانهم حاسبوا ويلكي، ونقلوه الى مكان آخر.

من خلال مراجعة الوثائق والاتصالات يلحظ الباحث ما يأتي:

اولاً: ادرك الانكليز ان الدولة العثمانية دخلت مرحلة الضعف، وصارت تبحث عن اصدقاء تعتمد عليهم في المستقبل لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية.

ثانيا: كانت العشائر الكردية في كردستان العراق خاصة، في حالة تحركات ضد سياسة الدولة العثمانية، وادرك افرادها انهم لوحدهم لا يستطيعون بلوغ مرامهم لذلك لجأوا الى الاتصال بالانكليز ومراسلتهم بغية مساعدتهم.

ثالثا: كان الانكليز يريدون اثارة العشائر الكردية ضد الدولة العثمانية لتحقيق مصالحهم.

رابعا: ربما كان الانكليز ارادوا توحيد العشائر الكردية ولو بصورة مؤقتة لتوحيد جهودهم ضد العثمانيين، وما اتصال نائب القنصل البريطاني في الموصل بالهماونديين والبارزانيين المتمثلين بالقيادة الحكيمة للشيخ عبدالسلام البارزاني الا دليل واضح على ذلك.

ملخص البحث

ان الدولة العثمانية التي حكمت الكثير من الشعوب الاسلامية وغير الاسلامية لقرون عدة كانت دولة عظيمة ومثلت الاسلام بأحسن صورها في البداية فمنحت الشعوب الاسلامية حق التمتع باستقلالية الحكم المحلي لقاء دفع اموال سنوية، وذكر اسم السلطان في خطب ايام الجمعة دليل على التبعية لحكم السلطان.

لكن هذه السياسة لم تستمر طويلا فبدات تتغير شيئا فشيئا ابتداء من عهد السلطان سليمان القانوني 1520-1566، اذ عين اول والٍ تركي على كردستان بعد ان كان الامراء الكرد يتوارثون الحكم في مناطقهم او اماراتهم ابا عن جد.

واعلن السلطان محمود الثاني 1808-1838 اعادة السلطة المركزية وفرضها على الأقاليم العثمانية سواء العربية ام الكردية، ومن اجل تطبيق ذلك حاربت الامارات الكردية الواحدة تلو الاخرى، الى ان سقطت اخر امارة كردية عام

1851. تعد ولاية شهرزور احد مكونات الادارة الجديدة في العراق بعد استيلاء السلطان سليمان القانوني على بغداد عام 1534، حيث قسم العراق الى اربع ولايات هي: الموصل وبغداد والبصرة وشهرزور وكانت مدينة كركوك مركز ولاية شهرزور الى ان ازيلت الولاية عام 1879 نهائيا وحلت الموصل محلها. لم تكن ساسية الدولة العثمانية تمر على وتيرة واحدة تجاه العشائر الكردية في كركوك واطرافها، بل كانت تمر حسب ظروفها العامة وشخصية الولاة وهم الموصل وبغداد، حيث حاولت زج العشائر الكردية في حروبها خارج العراق ولاسيما الحروب الروسية العثمانية 1853-1856، 1877-1878. لكن العشائر الكردية كانت لا تستجيب لنداءات السلطات العثمانية، بل على العكس من ذلك كانت تهاجم القوافل الحكومية ومخافرها. وقد فكرت السلطات العثمانية في جلب العشائر الكوردية الى جانبها بوسائل الاغراء، حيث شكلت الدولة الفرسان الحميدية لزجها في حروبها مع الروس والدولة القاجارية، لكن اكثرية العشائر الكوردية رفضت الانضمام الى تشكيلات الفرسان الحميدية. ثم حاولت الدولة فتح مدارس لابناء العشائر الكردية والعربية، ولم تنجح في هذا كذلك. وبعد فشل الدولة جلب العشائر الكردية الى جانبها عملت على ايجاد بعض العملاء من اجل احداث شرخ لضرب الكرد بالكرد ولم تتوان الدولة على تنفيذ سياسة "فرق تسد" بين الكرد، وبما ان ولاية شهرزور كانت تتاخم حدود الدولة القاجارية، فان تلك الدولة كانت تعمل على التدخل في شؤون الكرد الداخلية، وتحرضهم على الدولة العثمانية لخلق مشاكل للدولة، ومقابل ذلك تحاول الدولة العثمانية بكل الوسائل على:

1-امالة او كسب العشائر وضمان دفعهم الضرائب للدولة.

2-في حالة عدم نجاح الخطوة الاولى تعمل الدولة على اثارة الفتن والحروب الداخلية بين العشائر.

3-وفي حالة عدم نجاح الخطتين السابقتين عملت الدولة على نفي بعض العشائر الكردية في كركوك الى خارج العراق، والى ليبيا، مثلما حدث لعشيرة هماوند. وتطرقنا في بحثنا الى قيام نائب القنصل البريطاني في الموصل "ويلكي" بزيارة سرية الى كركوك والسليمانية وبانه والتقائه بالعشائر الكردية خاصة الهماوند الذين كانوا في حالة عصيان ضد الدولة العثمانية، وكذلك علاقته بالشيخ عبدالسلام البارزاني. وما اثارت هذه الجولة من مناقشات في وزارة الخارجية العثمانية، ومفاتحتها السفارة البريطانية باستيائه وتحدثنا عن عشائر منطقة بشدر ودورها تجاه الجيش الروسي، ثم اساءة الدولة العثمانية لها وقد استند الباحث فيما توصل اليه من معلومات الى الوثائق العثمانية، والى تعليلاته وتحليلاته خدمة للحركة العلمية التي يشهدها عراقنا الجديد.

***القي هذا البحث في المؤتمر العلمي لجامعة الموصل للفترة من 12-14 تشرين الاول عام 2004.**

قائمة الهوامش والمصادر

1-توجد نسخة من هذا الكتاب في مركز الوثائق لجامعة الموصل، والمترجم من قبل الاستاذين الدكتور خليل علي مراد والدكتور علي شاكر (غير مطبوعة): *Musul – kerkuk ilegili, Arsive Belgeleri (1525-1919) Ankra. 1993.*

2-يعيش التركمان الى جانب الكرد والعرب الاصليين في كركوك، وطوائف مسيحية مثل الكلد وآشوريين.

3-احمد عطية الله، القاموس السياسي، لبنان، 1968، ص 58.

4-قامت العشائر العربية في منطقة الكرك بسوريا بثورة عام 1892 ضد المسؤولين العثمانيين، هذا دليل واضح على رفض العشائر العربية للحكم العثماني. للمزيد ينظر: عبدالعزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914، مصر 1969، ص294.

5-للمزيد ينظر: جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين اسد ود. احسان عباس، بيروت، ط 6، 1980، ص149-175.

6-للمزيد ينظر: د. عبدالستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والاحزاب الكردية في نصف قرن، 1908-1958، ط1، بغداد، 1989، ص 11-46.

7-خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني 1638-1750، ر. م. غ، جامعة بغداد، 1975، ص 67.

8-للمزيد من المعلومات حول معركة جالديران ينظر: محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علـــــي عـــــوني، ج1، ط2، 1961، ص 164-165؛ د.عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، ط1، بيروت، ص 43-44.

9-للمزيد ينظر: عبدالرحمن قاسملو، المصدر السابق، ص 46.

10-المرجع السابق نفسه، ص 46.

11-للمزيد ينظر: عبدالله محمد علي، كردستان في عهد الدولة العثمانية من منصف القرن التاسع عشر الى بدء الحرب العالمية الاولى، ر.د.غ، جامعة صلاح الدين/ اربيل، 1998، ص 44-46.

12-مارك سايكس، القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية، ترجمة: هةوراز سوار علي، تقديم ومراجعة د. عبدالفتاح علي، دهوك، 2002، ص7.

13-للمزيد ينظر: سامي شورش، تنوع الكرد في العراق (مدخل الى السياسة)، اربيل، 2000، ص 55-57.

14-د. ابراهيم الداقوقي، اكراد تركيا، ج1، دمشق، 2003، ص 143؛ د. احمد عثمان ابوبكر، اكراد الملي وابراهيم باشا، بغداد، 1973، ص 16.

15-د. احمد عثمان ابو بكر، المرجع السابق، ص 14-18.

16-للمزيد من المعلومات حول عشيرة هماوند ينظر: محمد امين زكي، تاريخ السليمانية، ترجمة ملا جميل الروزبياني، بغداد، 1951، ص187-188؛ عباس العزاوي، عشائر العراق، ج2، بغداد، 1947، ص 78.

17-عبدالله محمد علي، المصدر السابق، ص 95.

18-للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص 96-67.

19-انظر ملحق رقم (1).

20-انظر ملحق رقم (2).

21-ولاية بغداد والموصل وشهرزور والبصرة.

22-يقول د. كمال مظهر احمد: ان اسم كركوك بصيغته الحالية ظهر لاول مرة في العهد المغولي.. للمزيد ينظر: كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضمير، ج1، السليمانية، 2004، ص 24-27.

23-للمزيد ينظر: د. كمال مظهر، المصدر نفسه، ص 36-37.

24-عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (1726-1834)، النجف، 1975، ص 150.

25-تاريخ العراق الاداري والاقتصادي، المصدر السابق، ص 60.

26-شاكر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، بغداد، 1966، ص 21.

27-بهذا الصدد يقول الشاعر الكركوكي عطا ترزي باشي ما يلي:

موصل اولده ويلات نافع افندي والي

ويل لكم رعيه كول باشا شوه اهالي

كركوك شاعرلي، كركوك، 1969، ص 31.

28-انظر ملحق رقم (3).

29-انظر ملحق رقم (4).

30-انظر ملحق رقم (5).

31-انظر ملحق رقم (6).

32-لمزيد من المعلومات حول عشيرة شوان ينظر: د. رفيق شواني، مجلة (هاواري كاتركوك)، العدد 4، 1999، ص 35-47.

33-وهي مركز قضاء عقرة حاليا.

34-للمزيد ينظر، مارك سايكس، المصدر السابق، ص 34.

35-جمال بابان، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ج1، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1976، ص 260.

36-للمزيد حول ذلك ينظر: د. كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة محمد ملا كريم، ط2، بغداد، 1984، ص 148-155.

37-انظر ملحق رقم (7).

38-انظر ملحق رقم (8).

39-انظر ملحق رقم (9).

40-انظر ملحق رقم (10).

41-انظر ملحق رقم (11).

42-انظر ملحق رقم (12).

43-انظر ملحق رقم (13).

44-للمزيد حول ذلك ينظر: فيروز احمد، صنع تركيا الحديثة، ترجمة د.سلمان داود ود.حمدي حميد الدوري، بغداد، 2000، ص 272-476.

45-انظر ملحق رقم (14).

46-مارك سايكس، المصدر السابق، ص 19.

47-للمزيد ينظر: د. ارنست رامزو، تركيا الفتاة وثورة 1908، ترجمة صالح احمد العلي، بيروت، 1960؛ د. كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، المصدر السابق، الفصل الثاني، ص 80-130.

48-للمزيد ينظر: عبدالله محمد علي، المصدر السابق، ص 211-216.

49- *I.O.R.L/ P85/ 10/ 188, summary of events in Turkish Iraq, July. 1910. (NO. 1370).*

50-انظر ملحق رقم (15).

51-انظر ملحق رقم (16).

ملاحظة:

كل هذه الملاحق (الوثائق) مأخوذة من كتاب:
Musul – kerkuk ilegili, Arsive Belgeleri (1525-1919) Ankra, 1993.

في اعدادنا القادمة

ملف حول الفيدرالية في العراق

بمناسبة انتخابه رئيسا للعراق

الطالباني من جبال كردستان الى عاصمة الرشيد

ساهر عريبي

لم تكن رحلة الطالباني من جبال السليمانية وسفوحها الغناء الى عاصمة الرشيد التي كانت يجبى لها خراج السحاب اينما أمطرت، بالأمر اليسير والهين. بل إنها كانت رحلة الأهوال والأخطار التي لم يكف شبح الموت عن مرافقتها طيلة أعوام سيرها التي حفلت بالمآسي والأحزان. إلا أن إرادة رائدها كانت الأقوى إذ استطاعت تجاوز المحن واحدة تلو الأخرى، ولم تستطع عقود الظلم والإرهاب أن تفت في عضد هذا الرجل الذي لم يكن يطمح لتبوء هذا المنصب لولا حتمية التأريخ وسننه التي قضت بأن الأرض يرثها المظلومون والمستضعفون. ويبدو أن هذا العصر هو عصر الشعوب وان عصر الطغاة الى زوال.

فمن قبله تولى الحكم رجل كان سجينا ثلاثين عاما في سجون الفصل العنصري في جنوب افريقيا الا وهو المناضل نلسون مانديلا. والذي إستطاع ومن سجنه أن يسقط ذلك النظام العنصري البغيض متسلحا بالشعب وبالقيم الأنسانية.واليوم يعيد التأريخ نفسه ويتمكن هذا الثائر القادم من قمم الجبال أن يقارع ويهزم واحدا من أعتى الأنظمة في التأريخ البشري، والذي لم يتورع عن استخدام كل أنواع الأسلحة المحرمة وغير المحرمة في حربه الضروس ضد أبناء العراق. فكان نظامه نظام الفصل العنصري والطائفي والعشائري، الا أنه هوى أمام إرادة العراقيين المدعومة من كل قوى الحرية والديمقراطية.

فكانت نهايته عبرة لكل من له أذن واعية، وأما الذين لا يريدون الإتعاظ فما عليهم سوى الإنتظار لرؤية نهايتهم على يد شعوبهم عاجلا أم أجلا.

ولم يكن إنتخاب السيد الطالباني لهذا المنصب الا تتويجا لإرادة كل العراقيين الذين ناضلوا وضحوا بالغالي والنفيس لكي يتنفسوا نسائم الحرية الحمراء، وذلك حين أجمع ممثلو الشعب الشرعيون على منحه ثقتهم. وكان قبوله الترشح لهذا المنصب مؤشرا على عمق إندماجه بالعراق وحبه له، وليقطع دابر كل من لا يريد لهذا البلد خيرا ويسعى لتفتيته .

وفي هذا اليوم الأغر خسرت رهانات الخائبين، الذين منوا النفس بتعطل العملية السياسية وتوقفها، وراهنوا على تقطيع الجسد العراقي الى أوصال بأجساد الإرهابيين المعبأين بكل أحقاد التأريخ على هذا البلد المعطاء. وفي هذا اليوم رقصت نخيل البصرة الفيحاء لتتناغم مع دبكة جبال كردستان، وحتى قوافي الشعر قد رقصت في دواوين الجواهري الكبير وكأنه يخاطبك اليوم وبلسان كل عراقي:

أقصد (جلال) ولا تسرف وكن حكما عدلا يميز شريرا وقديسا

كن خيزرانا طريا لا لكاسره هش وليس خشيب العود مأيوسا

فهنيئا لك بهذا التكريم، وهنيئا لشعبنا الأبي بهذا الإختيار وعاش العراق حرا أبيا ومزدهرا.

7-4-2005- sailhms@yahoo.com

تراث

نماذج من الفولكلور الكردي

الدكتور نوري ياسين هرزاني

جامعة صلاح الدين- كلية الآداب

ان لكل شعب من الشعوب و كل امة من الامم تراثاً حضارياً و اجتماعياً معيناً خاصاً به، فالشعب الكردي كبقية الشعوب ذخيرة فولكلورية بعضها مدروسة و الاكثر منها غير مدروسة ومن خلال تأريخه تجمعت و تألفت لديه خبرات و عادات و تقاليد و اتجاهات عمل و اساليب تفكير و التي تشكل الاصالة لهذا الشعب. و ان هذا لا يعني انه لم يتأثر ولم يتفاعل مع التقدم والمعاصرة و التحديث لان العناصر الفولكلورية الاصيلة اخذت تتاثر بالموجودات او العناصر الحضارية وما طرا عليها من تبديل و تغيير و اخذت معاني مختلفة على امتداد الزمن والتاريخ. كما انها استخدمت استخدامات مختلفة في السياق الحضاري العام للقوى و التركيبات الاجتماعية السائدة فالفولكلور موجود مع عنصر التجديد و التحديث.

ففي الاسر الريفية التي تتأصل فيها العناصر الفولكلورية تتواجد فيها المواقد النارية بجانب المدافئ النفطية او الغازية و تحرث الارض بالمحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات بجانب مكائن الحرث – التراكتور – و المنجل بجانب الحاصدة و الحب بجانب الثلاجة كل هذا يدل على عدم زوال الفولكلور و العناصر الفولكلورية بل دخل عليها عنصر التحديث و التجديد.

فالشعب الكردي كما اشرنا له تراث فولكلوري كبير و متنوع، فالذي ساعد على تكوين هذا التراث الضخم و نموه و انتقاله من جيل الى جيل اخر هو الموقع الجغرافي الذي سلكه هذا الشعب من جبال وانهار و عيون دفاقة واراض خضراء و بساتين جميلة و هواء منعش. ان هذا الموقع الجبلي المنعزل بطبيعته عن اسباب الحضارة و مقوماتها ساعد من جانبه على ان يحتفظ الشعب بفولكلوره الاصيل(1).

لقد اهتم الباحثون و المستشرقون الذين زاروا كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى و الثانية

بالقضايا الفولكلورية للمجتمع الكردي و دونوا ما اتاحت لهم فرصة تدوينها. يقول -غوركي- (ان الفولكلور مادة خام كبيرة وهو مصدر ومعين لجميع الشعراء و الادباء و (الباحثين الفولكلوريين) و اذا فهمنا الماضي جيداً فسيكون نتاجنا الحالي رائعا جداً و سنفهم آنذاك بدقة اهمية الفولكلور ويقول المستشرق "ابو فيان" عن الفولكلور الكردي" ان الروح الشاعرية تكمن في اعماق كل كردي و حتى عند الشيوخ الأميين، فانهم جميعاً يمتلكون القدرة والموهبة في الغناء، وهم يغنون ببساطة و هدوء، يغنون لوديانهم و جبالهم و شلالاتهم و انهرهم و دورهم واسلحتهم و افرستهم، وهم يغنون للشجاعة ولجمال بناتهم و نسائهم وكل ذلك يتدفق في اعماق مشاعرهم وانفسهم"[2] دون ان يبالغوا في ذلك، ويقول المستشرق -مينورسكي- "ان الغناء الكردي ورواية القصص الكردية قد اصبح عادة عامة عند الاثوريين الذين يعيشون في المناطق الجبلية في كردستان[3]. ويقول -باسيل نيكتين-" ان الادب الكردي هو الفولكلور الكردي في الدرجة الاولى واننا لا نجد في ذلك الفولكلور بقايا وتراث الاجيال والاجداد في الماضي فحسب، بل ان ذلك الفولكلور يبرهن القدرة على الحياة التي تزيد يوما بعد يوم ذلك النتاج غني و تمنحه الطراوة والسعة وليس في النادر ان نجد عناصر نتاج الشعوب الجارة تصب وتغني في قالب كردي"[4].

ان هذا التراث الضخم الذي يمتلكه الشعب الكردي لم يدرس لحد الان دراسة ميدانية و علمية، ولم يتبع البحث والدراسات المكتوبة في هذا المجال المنهج العلمي الدقيق الذي يتطلب من الباحث الفولكلوري الميداني العلمي اساليب متعددة يستوجب اتباعه من اجل الوصول الى الجذور الاساسية لقضية الفولكلور، الا انهم اعتمدوا على معلوماتهم الشخصية و الاستفسار من بعض كبار السن دون اللجوء الى الاقامة في ميدان البحث. وفي جانب آخر ان معظم البحوث والدراسات التي اهتمت بالفولكلور الكردي ركزت على جانب واحد هو الادب والشعر واهمل الجوانب المادية الاخرى التي تشكل جزءاً مهما من تراثنا الشعبي و الحضاري الذي لا يمكن تركه او اهماله.

الغناء

لقد كانت الاداب و الفنون لدى مختلف الامم مرآة للامال العذبة التي ظلت تدور في ذاكرتها، والتي لاتجد امكانية تحقيقها و اخراجها الى الواقع فتغنت بها لعلها تخفف بها عن آلامها. ان الحقيقة في جنوح الشعوب نحو الاغاني هي لكي تظهر فيها الامها و مطامحها.

ففي الاغنية الفولكلورية الكردية ترى ان الانسان الكردي يعبر عن امنياته التي لا تختلف عن اماني الناس الذين يعيشون مرحلته الاجتماعية، هذه الاماني و الاحتجاجات – المنبعثة عن الحياة اليومية، والتي ضمنها الفرد الكردي اغانيه التي ينشدها في الوديان و الجبال كما يغنيها الشباب والشيوخ، يبدون فيها شيئاً من الهموم المخزونة في قلوبهم و يتمتعون بقليل من مسرات الدنيا[5].

فالشعب الكردي يمتلك تراثاً وفيراً من الاغاني الفولكلورية الذي تتفرع الى عدة فروع:

1-كوراني: وهي وحدات شعرية مستقلة لكل واحدة او اثنتين منها معنى كامل في مجال الحب والعشق.

2-بيت: وهو الغناء الحماسي الذي غالباً ما يغنى بين الفتى و الفتاة.

3-لاوك: وهو عبارة عن ملحمة، سواء كانت ملحمة غرامية او ملحمة بطولية.

4-ديلوك: وهو الغناء الذي خاص بالرقص.

5-لازه:وهو الترتيل الديني

6-حيران: عبارة عن كلمات منظمة بشكل نثر مسجوع لا تقل عن ثلاثة مقاطع موزونة في اخرها، يعبر فيها الفتى و الفتاة عن همومهما.

7-بريتي: هو النشيد الجماعي[6].

هذه نماذج من بعض اصناف الاغاني الكردية:

كوراني:

-رباه ما احلى قبلة الصباح

عندما ترجع الحبيبة من النبع

-رباه ما احلى القبلة على قارعة الطريق

والقلب يرتجف هلعاً من ان يمر عابر سبيل.

البيت:

الفتى: يا اخي ان راسي يؤلمني كثيراً، و الاوجاع تئن في فؤادي

ها ان الفتيات سلكن الطريق ذاهبات للاحتطاب

لقد اصابتني فتاة بحبها. انها..

انظروا اليها ما احلى رجليها يحيط بهما الخلخال

قلت لها، تعالي اطبع على خدك قبلة، يا ذات الانسان الزرمدية

تمنطقت بصف الرصاص، و مددت يدي الى بندقيتي..

اني اميز حبيبتي بين مئة الف من الفتيات

وضعت العتاد في الشاجور، و تهيأت لاطلاق النار

الفتاة: (تنادي من بعيد)

ما اشد غباءك ايها الفتى

لا تطلق النار يا فتى، فانت بمرآى من الناس.

حيران:

الفتى: "حيران.. يا خائب.. بعيداً عن العمران.. كم انادي انا صائحاً، آه، آه، آه، على آه، .. تعالوا انتم و امعنوا النظر في اسراب الفتيات.. ما اعذب في سمعي رنين الاسورة اذ يحتك ببعضها البعض عندما يجمعن التبن المتبقى بعد الحصاد في البيادر.

الفتاة: "حيران.. ايها الفتى.. يا عيني العزيزتين. عليك في الربيع القادم، اما ان تخطبني من والدي بمتاع الدنيا، او تبادلني من اخي بشقيقتك التي من امك و ابيك، او ان تنتزعني لك بحد الخناجر"[7].

لقد وجد رأيان مختلفان عن منشأ الغناء، فالرأي الاول يرى ان اغاني العمل اقدم انواع الغناء، و الرأي الثاني يعتقد بان الاغاني الدينية اقدم انواع الغناء في الفولكلور، الكردي يمتلك كلا النوعين من الغناء

فالاغاني من النوع الاول الذي لا تزال باقية مثل (اغاني الحصاد الجماعي، و اغاني الرعاة، اما النوع الثاني مثل – "هورات الدراويش")[8].

الملحمة -داستان-

الملحمة اصطلاح يطلق على نوع من الابداع الفني تأخذ مادتها بصورة مباشرة من دافع موضوعي و تعكس واقع الحياة عبر ضمير الفنان واعماقه.. و ترتبط اشد الارتباط بازدهار الشعب في تأريخه.. وهي لا تتطور عند جميع الشعوب كحدث تأريخي بنفس الوتيرة. و للملحمة مكانة خاصة في الادب العالمي وفي تأريخ تطور الادب. لقد اندمجت الملحمة الفولكلورية. في اداب الشعوب مع الملحمة المدونة من حيث الشكل و المضمون و هناك تشابه واضح بين الملحمة و الفولكلور و الادب المدون و هذه الحقيقة موجودة في الادب الكردي[9].

و الملحمة في مرحلتها الاولى تعتبر خلافاً للفن القديم صورة لابداع الشعب. ان الملحمة الشعبية قد ابدع من الاساس اغنية قومية وحدها المغني الشعبي مع اغانيه الجديدة و الملاحم الشعبية المكرسة لاحداث ضخمة تعتبر مرآة خاصة للاغنية، وان هذه المرآة تعكس صورة لتلك الاحداث الهامة التي كانت تثير الناس او كانت تعكس صورة لهولاء الذين خدموا الشعب و القوا باعمالهم الكبيرة و البطولية ذكرى و احتلوا اماكن بارزة في التاريخ وفي نفوس الناس. وهكذا في –الالياذة- في اليونان، و –رولاند- في فرنسا و (نيبيلونغ) في الالمان و –رامايانا- عند الهند و- ايكروروف عند الروس[10] وملحمة – قلعة دمدم- عند الكرد.

ان الملاحم الشعبية بنوعيها – العشق والبطولات- تنتقل من جيل الى جيل اخر، فكلما انتقلت من جيل الى جيل استبدلت جزءاً منها واضيف عليها جزءاً اخر. و بمعنى اخر ان الملاحم الشعبية لا تبقى على صورتها الاولية بل تحدث عليها تغييرات الا ان مضمونها يبقى كما هو. توصف بطولة بطل او عشق حبيبين.

ملحمة العشق و الغرام:

ان ملاحم العشق في الادب الكردي تصب دائماً جام الغضب على القيم الاجتماعية التي لا تؤمن بحق الانسان في ان يحب بحرية دون ان تتدخل فوارق المركز الاجتماعي و الدين ورضا الاهل و ما الى ذلك من الامر. بل تبيح او حتى تفرض حبك الحيل و الدسائس التي تضمن الانفصال الابدي بين المتحابين.

وهذه قصة لشاب مسلم احب فتاة مسيحية الا ان القيم الاجتماعية السائدة وقفت بينهما، و هنا يشكو كل منهما حاله للاخر. كانت مريم فتاة مسيحية جميلة و غنية من طبقة اجتماعية عالية احبت شاباً مسلماً فقيراً. رفض والد الفتاة من تزويج ابنته من الشاب المسلم و فرق بين قلبيهما رغم الحب الصادق بينهما ففي هذه الملحمة العشيقة يقول الشاب المسلم الفقير لحبيبته المسيحية الغنية.

"حبيبتي.. حبيبتي مريم.. دار والدها قصر عال جميل ابيض..

ليتني ذهبت لاخذ بيدها

و اهرب بها الى الجبال حيث

الثلوج البيضاء تغطي كل شيء".

و تجيب مريم

"اذا كان والداي لم يزوجاني من حبيبي، فاني ذاهبة لاجلب ثلة من الفرسان الشجعان ليحزوا راسيهما بالسيف..

انذاك اترك ديني لا عشق الاسلام، فهو دين الحق.."[11]

ومن الملاحم الكردية الاخرى (ملحمة شيرين وفرهاد) (خةج و سيامند).

الملحمة البطولية:

تعتبر ملحمة البطولة الكردية مادة غنية لمعرفة جوانب مختلفة من جوانب الحياة للمجتمع الكردي في الماضي والحاضر و الملاحم البطولية الكردية كما يراها الدكتور عزالدين مصطفى رسول تنقسم الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول/ الملاحم الشوبة بصور و مظاهر خيالية او يكون اساس البحث فيها الشجاعة والبطولة مثل ملحمة (رستم و زوراب).

ثانيا/ هناك نوع من الملاحم البطولية الكردية تروي فصولاً من بطولة و شجاعة كثيراً ما تكون الملحمة مختلفة. غير انها خالية من الاحداث غير المعقولة و الخارجة عن طاقة الانسان. وفي هذه الانواع من الملاحم كثيراً ما يكون ابطالها اناساً حقيقيين. مثل ملحمة "شريف هموند" — عمي كوزي وغيرهما من الملاحم الكثيرة.

ثالثا/ هذا النوع يصور الاحداث بصورة كاملة من الوجهة التاريخية مثل ملحمة (شريف هموند) فبجانب توفر صورة الشجاعة في هذه الملحمة الا انها تبرز فيها صفحات من تأريخ الشعب الكردي.

ان الملاحم الكردية بشكل عام لا تقف عن وصف البطل في الملحمة بل تقوم بتصوير لوحة كاملة عن سوح القتال و يبرز فيها تلاحم البطل مع فرسانه وتقوم بربط البطل بالارض و الوطن و الفداء من اجلهما.

فان اعظم ملحمة بطولية كردية بقيت لحد الان و التي تروي قصة ابطال هي ملحمة (قلعة دمدم) و التي تروي كفاح الشعب الكردي في اعوام (1608-1610) بقيادة اميرخان (ذي اليد الواحدة) ضد الشاه عباس الاول[12].

تحتل ملحمة قلعة دمدم في حياة الكرد وتأريخهم و ادابهم و فولكلورهم مكانة عظيمة وعريضة وواسعة، و مضمون الملحمة ان ابناء عشيرة كردية بنوا لانفسهم قلعة في زمن الشاه عباس الصفوي ليعيشوا فيها احراراً دون ان يكون هناك سلطان خارجي عليهم، و لما علم به الشاه امر جيشه بتهديم القلعة على ساكنيها.

شكل الشاه و بقيادته جيشاً جراراً و هاجم القلعة، الا ان ساكنيها و بقيادة بطل الملحمة "عمر ذو اليد الذهبية" و قطعوا على انفسهم عهداً بان يواصلوا مقاومتهم لجيش الشاه الغازي و دفاعهم عن قلعتهم حتى يموتوا عن اخرهم و نفذ جميعهم هذا العهد، وحين دخل جيش الاعداء القلعة لم

يجدوا فيها حتى جريحاً واحداً حيث قاوموا الغزاة حتى اخر قطرة دم مقاتل[13].

الرقص:

يعتبر الرقص لوناً من الوان الفنون الشعبية، ولعله من ابرزها لدى الشعوب التي يقترن فيها بطقس عقيدي او سلوك اجتماعي او ضرورة حياتية فالشعوب البدائية في افريقيا و امريكا اللاتينية تجد في الرقص تعبيراً لعبادة تتقرب بها للآلهة التي تمنحها المطر و النسل و الصحة و تبعده من المرض و الموت و الكوارث.

الا ان الشعوب التي اخذت نصيبها من التقدم فانها ارتقت بالرقص الشعبي الى مستوى قيمته الفنية فجعلت له اصولاً و قواعد و جمعت اشكاله عن طريق فئة من الدراسين و الباحثين الذين كرسوا بعض وقتهم بدراسة فنون الرقص عن طريق تدوينهم او تسجيلهم او تصويرهم لها. بحيث ترى من خلال ذلك القدرة الفنية التي استطاعها الرقص الشعبي لان تجسد هموم و الآم و افراح و ابتهاج فئة ما من شعب في مكان و زمان واحد[14].

يعتبر الرقص الشعبي من المظاهر البارزة في التراث الكردي و له اهميته الخاصة عن بقية الشعوب. و مما يميز الرقص الشعبي عن رقصات الشعوب و الامم الاخرى هو ان الرقص الكردي لا يرتبط بالاساطير و الخرافات كما هو الحال لدى بعض الشعوب و الامم في اسيا و افريقيا.

انواع الرقصات الشعبية:

يمتلك الشعب الكردي انواعاً كثيرة من الرقص الشعبي و هذا يعود الى ان لكل منطقة رقصاتها الخاصة، انتشرت بمرور الزمن الى مناطق اخرى، ينقسم الرقص الكردي من حيث الحركة الى نوعين:

أ-رقصات ذات حركة بطيئة

ب-رقصات ذات حركة سريعة

ولكل منهما اغانيها و انواعها الخاصة، كما ان الرقصات تشترك فيها الفتيات مع الفتيان، اي المختلطة –رقش بةلةك- تكون ذات حركة بطيئة ونادراً ما تدخل الفتيات في الرقصات سريعة الحركة.

ان تأدية الرقص لهي فرصة كبيرة للفتاة كي تظهر جمالها و خفتها، لذا نراها ترتدي اجمل ما تمتلك من الملابس و تكل عينها و تتقلد بالذهب.

اما من ناحية الاغاني فهي تتمشى مع حركة الرقصة والتي تمتاز بصفاء كلماتها و سهولة اسلوبها وقصر جملها و ايقاع اصواتها النابض و يعددها المستخلص من الوحدة الموضوعية التالية:

1-اغاني راقصة خاصة بالحب

2-اغاني راقصة خاصة بالوصف

أ-وصف حالة رجل ما وبؤسه و شقاؤه

ب-وصف مزايا فتاة، كجمالها

ج-وصف الطبيعة

3-اغاني راقصة خاصة بالحروب

4-اغاني راقصة حول الحياة العملية، كالرعي و الحصاد و البذر..

5-الغزل بين الفتى و الفتاة

6-اغانٍ خاصة بتوديع العروسة، و تعتبر هذه الاغاني كنوع من الدراما في حياة المراة الكردية لما فيها من اللحن الهادئ و الوصف الحزين و الكلمات المتوزعة بين جريحة في آن و مداوية في آن آخر.

ومن اشهر هذه الاغاني اغنية -نارين-

ناريش ئەم هاتين تەوو	-نارين- لقد جئناك
دەلالى وەم هاتين تەوو	يا جميلة لقد جئناك
دى توبكە كارى خەوو	و هيا هيئي مالك
كريى تەبى فەيدوو	فخسارة بكاؤك

ومما يذكر ان هذه الاغنية تغني فقط من قبل النساء و الفتيات المتجمعات حول العروسة وقت توديعها[15].

تنقسم الرقصات الشعبية الكردية "او الدبكات الكردية" الى:

اولاً- الرقصات الكرمانجية

ثانياً- الرقصات السورانية

ثالثاً- الرقصات الفيلية

وكل رقصة تنقسم الى رقصات فرعية وكل واحدة منها لها حركات و تشابك ايدٍ خاصة. وبشكل عام يمكن تقسيم وضع الاصابع و الاذرع اثناء الرقص الى ثلاثة اوضاع:

1-يشبك اصبع الخنصر من يد الراقص المعين مع اصبع الخنصر من اليد القريبة للراقص المجاور من الجانبين، و جعل العضد عمودياً على الزند عند تأدية حركة القدم و ارخاء الذراع الى الاسفل.

2-شبك اصابع الكيف من جهة راحة اليد للراقص مع اصابع كف الراقص المجاور و يلامس كتف الراقصين وزندهم بعضها البعض.

3-وضع الكتف للراقص المعين مع امتداد الذراع فوق كتف الراقص المجاور[16].

اولاً-الرقصات الكرمانجية:

تنقسم الى ما يلي:

1-كول شين: تنتمي هذه الرقصة الى النوع الاول من حيث تشابك الايدي، اما حركة القدم فتتم بتقديم خطوة للقدم اليسرى الى الامام ثم اعادتها وتقديم خطوة للقدم اليمنى و اعادتها الى وضعها السابق و بعد يتحرك الراقصون خطوتين نحو اليمين و هكذا. و هذه الرقصة هي من الرقصات الخفيفة التي تشترك فيها النساء.

2-يار كووزةل: تؤدي بشبك اصبع الخنصر و ارخاء الذراع على امتداد الجسم، اما حركة القدم فتتم بضرب الارض بالقدم اليسرى ثم يليها تحرك الراقصين نحو اليمين ثلاث خطوات و اعادة الكرة. تمتاز بسرعتها و خاصة حركة الاذرع.

3-بابله كان: هذا اللفظ مشتق من اسم رجل فقير و بائس، و تكون على شكل حوار بين سائل و مجيب. وهي من الرقصات الصعبة. يكون وضع الاصابع و الاذرع كما في الوضع الاول. اما حركة القدم فتتم بمد القدم اليسرى نحو الامام خطوة واحدة تليها القدم اليمنى بخطوة اكثر ثم تعقبها

القدم اليسرى الى الامام اي ثلاث خطوات و بعدها العودة الى المكان اثناء العودة و تتميز بسرعتها:

4-مام عباسي: تؤدي بشبك الخنصر، اما الاذرع فلا ترخى كالرقصات السابقة اما حركة القدم فتمتاز بثنية بسيطة عند بدء الرقصة و ضرب القدم على الارض دون تقدم القدمين او تاخيرهما.

5-شيخاني: وهي من الرقصات الشهورة، حركة الاصابع تنتمي الى الوضع الثاني اما حركة القدم فتبدأ بثلاث خطوات جانبية نحو اليمين ثم الاستدارة نحو اليسار مع جعل الاذرع تلامس بعضها، ثم تتقدم القدم اليسرى بخطوتين الى الامام تليها القدم اليمنى بخطوة ثم العودة و هكذا.

6-بەرويشت – الامام و الخلف – تشبه رقصة – شيخاني – الا ان الفرق بينهما في حالة الاستدارة لا يتقدم الراقصون ثلاث خطوات، بل يضربون بقدمهم اليمنى الارض ضربتين متتاليتين.

7-ملاني: الاسم مشتق من –مل- اي الكتف وهي رقصة محببة لدى النساء و الفتيات ذلك لخفة ادائها وبساطتها.

8-سي كاف: -ثلاث خطوات- تنتمي الى الوضع الثاني من حيث وضع الاصابع و الاذرع، اما حركة القدم فتكون بخطوتين من القدم اليسرى متتاليتين الى الامام و تليها خطوة ثالثة بالقدم اليمنى ثم العودة الى المكان الاول مع حركة بسيطة نحو اليمين.

9-زنكاني – نسائي- تنتمي حركة ووضع الاصابع و الاذرع الى الموضع الاول، اما حركة القدم فتكاد تكون ثابتة و ذلك لبطء الحركة، و هذه بسيطة بالاكتاف. وهي رقصة جميلة تؤديها النساء و يشاركهن الرجال. وهناك رقصات اخرى كثيرة بعضها موجود و بعضها الاخر غاب عن الاداء، كالرقصات – رەزايى بستانى- مەرجى، عەلبكى مەيمو، فان جميع هذه الرقصات توجد في منطقة دهوك.

ثانياً/ الرقصات السورانية:

و تنقسم الى:

1-سێ پێيى: يقوم الراقصون بشبك اصابع الكف من جهة راحة اليد للراقص المعين مع اصابع كف الراقص المجاور من الجانبين، و تكون اذرعهم ممتدة الى الاسفل بحيث تلامس كتف الراقصين بعضها البعض و كذلك الزند يلامس الزند[17] اما حركة القدم فهي ضرب الارض ثلاث مرات بالقدم اليمنى و بعدها يتحرك الراقصون الى جهة اليمين.

2-چەپى –يسارية- وهي شبيهة برقصة –سێ پێيى – عدا اختلاف ضرب القدم اليسرى على الارض و حركة الراقصين تكون بطيئة مقارنة بالرقصة السابقة.

3-سويسكەيى- جاءت تسمية هذه الرقصة من -سويسكة- وهي احد الطيور البرية التي تكثر في المنطقة الشمالية. وهي رقصة سريعة يتشابه وضع يد الراقصين مع الرقصات السابقة، اما حركة القدم فتتم بوضع القدم اليسرى الى الاعلى مع ميلانها ثم يليها رفع القدم اليمنى مع ميلانها و بعدها مد القدم اليسرى الى جهة اليمين مع الانحناء الواضح للراقصين.

4-ايشوكي –عائشة- اسم امراة وقد سميت الرقصة باسمها، يبدأ الراقصون بالدوران على خط دائري مع التصفيق و حركتهم نحو اليمين، وهي رقصة بطيئة و مختلطة.

5-روينة – وهي رقصة بطيئة بحيث تشبه السير الاعتيادي الهادئ[18]. وهي الرقصة التي تقدم عادة عند نقل العروس من بيت ابيها الى بيتها الجديد حيث يتبع الراقصون العروسين و يقدمون لهما هذه الرقصة.

وهناك انواع اخرى من الرقصات كالسوراني، فتاتياني، حوحاني، حيلاني و اخرى كثيرة.

ثالثاً/ الالات الموسيقية المستخدمة في الرقص:

ان الرقصات الكردية و بانواعها المختلفة تقدم على انغام الادوات الموسيقية الفولكلورية الاصيلة كما تقدم على اصوات المغنين و المطربين خاصة الاغاني التي كلماتها و الحانها فولكلورية قديمة نظمت لوصف جمال فتاة كردية و هناك الات موسيقية تستخدم عند تأدية الرقصة الشعبية الكردية منها:

1-الطبل –دهول- وهي كبيرة الحجم و مصنوعة من جلد رقيق مثبت على محيط دائرة خشبية من جهتيه، و يستخدم الطبال نوعين من الاعواد احدها رفيعة وعود غليظة، و الأخرة تنتهي براس ضخمة و متكور تقريباً، و عادة يكون طول كل عودة ما يقارب 40-50سم.

2-المزمار – زورنا- تأخذ شكلا مخروطيا دائرياً و مجوفاً تكون نهايتها العريضة معقوفة الى الوراء وهي بطول 30سم تقريباً، و تمتاز المزمار باخراج الحان موسيقية و حسب الاغنية و الرقصة.

3-مطبق- جوزلة او دوزلة – عبارة عن قصبتين مجوفتين تحملان عند سطحيهما العلويين عدة ثقوب مرتبة بشكل مزدوج تلصق القصبتان مع بعضهما عادة بالقير.

4-الناي – بلوير – هناك انواع مختلفة من الناي و هي تضع من الخشب الساج او من القصب او من الحديد – بوري – و يكون طول الناي (30)سم تقريباً عليها عدة ثقوب مرتبة و في طرفها الثاني ثقب واحد فقط.

ان الألتين الاخيرتين – مطبق و الناي – يستخدمهما بكثرة رعاة الاغنام حيث يعزفون بها اجمل الالحان الفولكلورية الاصيلة.

بالاضافة الى الادوات الموسيقية التي تستخدم لاداء الرقصة الشعبية هناك طرق اخرى منها الغناء الفردي المزدوج، حيث يقوم احد الراقصين بترديد اغنية شعبية و حسب نوع الرقصة و يقوم شخص آخر او الراقصون جميعاً بترديدها من وراء المغني، و طريقة اخرى هي ان يغني راقصان اغنية واحدة يرد احدهما على الاخر او يرد عليه آخرون من الراقصين. و غالبا ما يكون الراقص المغني في وسط حلقة الرقص. اما اذا كان هناك مغنيان حيث يقف احدهما في مقدمة الراقصين و الاخر في مؤخرة الرقص، حيث كلما ازداد حماس المغنين ازدادت معها حركة و حماس الراقصين و غالباً ما يزداد حماسهم حركة الشخص الذي يقف في مقدمة الراقصين و

يسمى (سةرجوبي) و هكذا تستمر الرقصة مع طول الاغنية و حماس المغنين[19].

مراسيم الزواج:

عندما لا يعرب الابن عن رغبته في الزواج بسبب خجله، و اذا تجاوز العمر المعقول و استمر على هذا السلوك و لم يظهر رغبته في الزواج بفتاة معينة، فان والده و والدته او احداً من اخوانه يفاتحونه بموضوع الزواج، اما اذا رغب بفتاة معينة فتذهب مجموعة من اقاربه "داخوازيكةران" طالبي الزواج – مثل والدته او اخواته .او قريباته – يقومون بمفاتحة اهل الفتاة "والدتها" بموضوع رغبتهم في التقارب. و العادة الجارية بان لا يعطي الجواب النهائي من قبل الام الا بعد استشارة والد الفتاة و اخوانها و الفتاة نفسها فضلاً عن موافقة ابناء عم الفتاة لان ابن العم هو اقرب الناس اليها (ناموزا بشته) ابن عمي ظهري.

بعد استشارة هؤلاء و انتهاء المدة المعقولة المحددة التي اعقبت المفاتحة الاولى، تذهب احدى قريبات الفتى لاخذ النتيجة "في بعض الحالات تذهب احدى قريبات الفتاة الى اهل الفتى و تخبرهم بالنتيجة" و بعد اخذ رأي جميع الاطراف و اظهار رغبتهم في التقارب، يتفق والد الفتى و اخوانه و بعض من وجهاء القرية على اتخاذ واحد منهم رئيساً للوفد (عادة يرأس الوفد – الملا – إمام الجامع) للذهاب الى بيت الفتاة لمفاتحة والدها رسمياً و عقد قرانهما.

يختلف مهر الفتاة طبقاً لطبيعة صلة القرابة بين العائلتين، يصرف جزء من المهر لشراء الذهب و الملابس و بعض ادوات الطبخ و الاثاث، غالباً ما يحتفظ والد الفتاة بقسم من مهر ابنتها، حيث يضاف الى مهر عروس ابنه اذا كان له ابن غير متزوج.

عندما يدخل الخاطبون من الرجال و النساء بيت والد الفتاة يعرف القصد من الزيارة، حيث يقوم بالترحيب بهم و بعد فترة من الحديث يفاتح رئيس الوفد (الملا) والد الفتاة الموضوع قائلا "ئەمانەوێ خزمایەتی لەگەڵ بکەی" اي نريد منك ان تتقرب من –فلان – والد الفتى – يرد عليهم والد الفتاة بعبارة "خزمایەتی لە ئێمەوە" اي القرابة من عندنا. او يقول الملا "ئەمانەوێ (اسم العريس) بکەی بە کوڕی خۆت" اي نريد منك ان تحسب العريس ابنا لك. يرد عليهم بعبارة "پیرۆز بیت کچ کچی خۆتانە" اي مبروك لست بصاحب الفتاة انتم صاحبها. و بعدها يقوم الفتى – العريس او احد من اخوانه بتقبيل يد والد الفتاة ثم ايادي الملا و الحاضرين، هذا في حالة اذا كان الطرفان ليسا اقارب عاصبين – من الدرجة الاول و الثانية.

اما اذا كان الطرفان من اقارب عاصبين اي من ابناء العم او عمه او خال لا يظهر دور النساء بشكل واضح بالوساطة، انما اول ما يظهر الفتى رغبته بالزواج بابنة عمه او عمته او خاله يقوم والده بمفاتحة والد الفتاة، و بعد موافقة هذا الاخير و

اخوانها و الفتاة نفسها تذهب مجموعة من وجهاء القرية بضمنهم الملا مع والد الفتى لعقد النكاح و تحديد المهر. عادة ان مهر ابنة العم او العمة يكون اقل بكثير من مهر فتاة خارج الجماعة القرابية. و العادة الجارية ان والد الفتاة يتنازل عن جزء من مهر ابنته احتراماً للملا و الحاضرين من وجهاء القرية.

وفي كلتا الحالتين — اقارب العاصبين و غير العاصبين- يقوم الملا بعقد قرانهما ومن ثم قراءة سورة الفاتحة من قبل الحاضرين ثم توزع الحلويات و الشربت و الشاي على الحاضرين.

ليلة الحنة "خەنەبەندان":

ليلة الحنة هي الليلة التي تسبق مباشرة يوم الزفاف. وهي ليلة حاسمة بالنسبة لكل عروس، لانها تكون اخر ليلة تقضيها في منزل ابيها، و لذلك تحتفل بها اسرة العروس، و تجعل منها ليلة الوداع. فتدعي النساء و الفتيات صديقات العروس و الاقارب و الجيران لاخذ نصيبهن من الحناء.

قبل الزفاف بيوم او اكثر يقوم العريس او احدى قريباته بارسال عدد من اكياس الحنة مع مبلغ من المال "حسب امكانيته المالية" الى بيت العروس. و في الليلة التي تسبق زفافها تجتمع النساء و الفتيات في بيت والدها لمشاركتها و الاحتفال بتوديعها، حيث تقوم احدى النساء بعجن الحنة و خلطها، اما ان تكون والدتها او "باخة سور" اي المراة التي ترافق العروس الى بيت العريس — و في تلك الاثناء يبدأ الغناء و الرقص من قبل النساء و الفتيات دون مشاركة الرجال، بعد الانتهاء من الرقص تجتمع صديقات العروس لوضع الحنة في كفيها و قدميها ثم تقوم النساء من بعد ذلك بوضع الحنة على اكفهن و اقدامهن ليشاركن فرح صديقتهن.

تستمر هذه الحفلة الى ساعات متأخرة من الليل، اما البقية من الحنة فتوزع على بيوت القرية.

تقوم اقرب صديقات العروس بغسلها، اما البقية فيقمن بتجهيز وجبة طعام عادة ما تكون الدولة يابراغ و تسمى تلك الليلة بليلة الحنة.

كيفية تجهيز العروس:

بعد خروج العروس من الحمام و تناول وجبة الطعام تقوم صديقاتها بتجهيزها و ارتدائها ملابس الزفاف. وفي بعض المناطق قبل ترك الفتاة بيت والدها يقوم احد من اخوانها "عادة اكبرهم" بربط حزام لها دلالة على ان للفتاة اخواناً فاذا ما تعرضت الى اهانة او ضرب فان لها من يساندها و يستجيب لندائها عندما يحل الموعد المتفق بين اهل العروس و العريس يذهب مجموعة من الرجال و النساء و في بعض الحالات يصحبهم العريس بجلب العروس الى بيتها الجديد.

عند خروج العروس من بيت والدها ترتفع الزغاريد ابتهاجاً بالفرحة و عند وصول الموكب الى بيت العريس تقوم النساء من قريباته بانزال العوس من السيارة (سابقاً و قبل حوالي خمسين سنة كان

تنتقل العروس بالفرس) و تؤدي اخريات رقصات امامها و تقوم واحدة منهن بحمل المرآة امامها (يعني ذلك يجب ان يكون قلبك نقياً بازاء هذا المكان الجديد الذي حللت به مثل صفاء هذه المرآة و نقاوتها) و تقوم الثانية بحمل ادوات الطبخ و الشاي مثل الملاعق و القوري – دلالة ان عروسهم هي ربة بيت جيدة، وان جميع الحاجيات الموجودة في البيت ستكون تحت تصرفها لانها اصبحت واحدة من اعضاء الاسرة – و ترقص النساء امامها الى ان يوصلنها الى بيتها الجديد، و قبل ان يصل الموكب امام البيت يصعد العريس او احدى اخواته على سطح الدار و يحمل معه كيساً او صحناً مليئاً بالحلويات و قطع من النقود و كمية من الحنطة و يقوم بنثرها فوق رأس العروس فيسارع الاطفال بجمع الحلويات و قطع النقود. ان سبب وضع الحنطة يعني جلب الخير و البركة للبيت التي حلت فيه. تؤخذ العروس الى غرفة خاصة و تجلس على مكان مرتفع خصص لها، و في هذه الاثناء تقوم والدة العريس او احدى اخواته او قريباته بوضع طفل في حضن العروس و ذلك لكي تتوجه نحو حب الاطفال و بان يكون لها اطفال في المستقبل، فتقوم العروس بتقبيله و اعطاء هدية – اما مبلغاً من المال او كيساً من الحلويات.

تجتمع النساء و الفتيات في ذلك البيت و يتقدمن وجبات لرؤيتها و ابداء آرائهن في جمالها، في بعض المناطق اول ما يدخل على العروس مباركتها هو والد و والدة العريس و يقدم لها هدية تسمى - شەرمەشكاندن- وفي هذه الاثناء تكون ايدي الشباب و الشابات قد تشابكت وهم يرقصون على انغام الطبل و المزمار (دەهۆڵ و زورنا) او على اصوات المغنين و هم يرقصون رقصة (رەش بەلەك) وهي الرقصة التي يشترك فيها الرجال و النساء.

بعد استراحة قصيرة تقوم احدى النساء بادخال العريس على عروسه فيمسك يدها و يدخلها الى حلقة الرقص، و عند حلولها ترتفع زغاريد النساء و يزداد حماس المغنين و الراقصين و تطلق العيارات النارية ابتهاجا بهما ثم تقوم مجموعة من النساء عادة ما تكون والدة العريس و اخواته بالرقص الانفرادي امام العريس و عروسه. يستمر الاحتفال بالزواج رقصاً و غناء لمدة ثلاثة ايام و في بعض الاحيان الى سبعة ايام (هذا حسب امكانية العريس المالية)، وفي اليوم الاخير تقدم وجبة غذاء كبيرة الى المدعوين.

في بعض المناطق يقدم المدعوون بعد تناول الغداء هدية – مبلغاً من المال- الى العريس او والده ليعوض شيئاً مما صرفه على مراسيم الزواج. في بعض المناطق يقوم اهل القرية ولمدة ثلاثة ايام متتالية و في بعض الاحيان لمدة اسبوع –طبقا كبيراً موضوعاً عليه الطعام و يغطى بقطعة من القماش يسمى بـ(كاسه و سفره) و العادة الجارية ان لا تعاد الصينية دون هدية من العروسين بعد انتهاء الاسبوع الاول من الزواج يقوم اهل القرية بزيارة العروس و تقديم هدايا لها و مباركتها و تسمى هذه المناسبة (هەفتانە) اي الاسبوعية.

الهوامش

1-محمد الملا عبد الكريم. في الغناء الكردي. مجلة التراث الشعبي العدد5/ ك2/ 1970. ص73.

2-د. عزالدين مصطفى رسول. مقدمة لدراسة الفولكلور الكردي. التراث الشعبي. العدد 4/ 1969، ص 53-54.

3-مينورسكي، الاكراد، ملاحظات و انطباعات، ترجمة: معروف خزندار، مطبعة النجوم، بغداد، 1968.

4-باسيل نيكيتين، الاكراد، دار الروائع، بيروت، دون سنة طبع، ص 231-233.

5-محمد الملا عبدالكريم، في الغناء الكردي، مجلة التراث الشعبي، العدد 5، 1970، ص 77.

6-المصدر نفسه، ص 74-75.

7- المصدر نفسه، ص 75-77.

8-د. عزالدين مصطفى رسول، دراسة في ادب الفولكلور الكردي، دار الحرية للطباعة و النشر، بغداد، 1987، ص 123-124.

9-د. عز الدين مصطفى رسول، الملحمة في الفولكلور الكردي، مجلة التراث الشعبي، العدد 5، ب2، 2-1971، ص 40-41.

10- المصدر نفسه، ص 43-44.

11-محمد الملا عبدالكريم، في الغناء الكردي، مصدر سابق، ص 79.

12-د. عز الدين مصطفى رسول، دراسة في ادب الفولكلور الكردي، المصدر السابق، ص 42-50.

13-لزيادة المعلومات عن الملحمة راجع –جاسم جليل- بطولة الكرد في ملحمة قلعة دمدم، ترجمة شكور مصطفى، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.

14-نايف النوايسة، رقصات شعبية في منطقة الكرك في الاردن، مجلة التراث الشعبي، العدد 12، سنة 1979، ص 113.

15-محمد توفيق وردي، نماذج من التراث الشعبي الكردي، نقلا من مجلة التراث الشعبي حسين جلبي سعد، الرقص الشعبي الكردي، العدد 12، 979، ص 162-165.

16-المصدر السابق نفسه، ص 163.

17- المصدر السابق نفسه، ص 163.

18- المصدر السابق نفسه، ص 171-172.

19- المصدر السابق نفسه، ص 173-175.

20-نوري ياسين هرزاني، الكاكائية، دراسة انثروبولوجية للحياة الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة وهي مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، 1985، ص 154-160.



رؤى الفن التشكيلي الكردي

تأليف بختيار سعيد

المديرية العامة للطباعة والنشر

وزارة الثقافة لحكومة اقليم كوردستان

سليمانية – 2004



شخصيات كردية

قاضي محمد

1901- 1947

الشهيد قاضي محمد ابن القاضي علي بن قاسم بن ميرزا احمد، ولد في مدينة مهاباد سنة 1901، كانت امه من عشيرة فيض الله بك، حيث كان لها صيت ذائع في مملكة موكريان. اذ اعدم بتاريخ 1947/3/31 على يد الايرانيين بمهاباد في ساحة (جوار جرا)، مع رفاقه، في سبيل المبدا الذي امتزج بدمه الزكي..

كان قاضي محمد رجلا ذا قامة طويلة، ولحية خفيفة، وكانت الابتسامة لا تفارقه، وتتسم شخصيته بالوقار... اتقن العلوم الاسلامية، ولم يقف في هذا الحد بل تطرق الى العلوم المعاصرة، حيث اتقن اللغتين: الانكليزية والروسية قراءة وكتابة.

وعندما افتتحت اول مدرسة في مهاباد، عين قاضي محمد كمسؤول ثقافي لهذه المنطقة دون ان يأخذ الراتب من الحكومة... ويشجع الناس لتعلم العلوم والفنون... عارض القبلية بشدة، لهذا كثيرا ما يواجه عدوانية الاقطاعيين، فكان سندا قويا للفلاحين والكادحين، وكان متأثرا بالافكار الديمقراطية والوطنية.

قبل بروز (عصبة احياء كوردستان –ز.ك-) في ساحة النضال، انضم قاضي محمد في ثلاثينيات القرن المنصرم الى حزب (خويبون)، والذي اعلن نضاله سنة 1927 بمعاونة احسان نوري باشا في كوردستان الشمالية. وعندما كان اعضاء حزب (ز.ك) اقل من عشرين عضوا التحقوا بقاضي محمد وهو بدوره التزم بمبادئهم فقاموا بنشر افكارهم وبرامجهم بين الناس.

وللغرض نفسه التحقوا بكوردستان تركيا والعراق، وقد ناقش السيد (محمد امين شريف) عضو الهيئة القيادية للحزب، هذا الامر مع الوطنيين الاثنين في كوردستان العراق، وقاموا بعقد مؤتمر ثلاثي بين الملا عبد الوهاب ممثل كورد تركيا والشيخ عبدالله ممثل كورد العراق وقاسم قادري العضو المؤسس لـ(ز.ك). وقد تم التوصل الى توقيع عدة قرارات مهمة، ابرزها هو مد يد العون الى الاخر والعمل كيد واحدة من اجل تحرير شعب كوردستان مستقبلا. وكذلك نيل تقرير مصيره.

لقد واصلت العصبة الديمقراطية جهودها في خدمة اهل المنطقة وتمشية امورهم، فشرع بقطع صلاتهم بطهران يوما بعد آخر الى ان حشد اناس جم في 1945/12/16 بساحة (جوار جرا) قاموا باحتفال كبير،

تفعمه السعادة والرفاه، فاعلن قاضي محمد في ذلك اليوم التاريخي انقطاع منطقة موكريان من حكومة طهران ، فنزلوا راية حكومة طهران من المؤسسات والمدارس واعلوا راية كوردستان بدلا منها، التي هي مكونة من الاعلى من لون احمر ووسطها ابيض، واسفلها اخضر. فالابيض منها يساوي اربعة اضعاف الالوان الاخرى، حيث يتوسط الابيض نصف كرة شمسية مع سنبلتين بجانبيها بلون اصفر واعلاها قلم، وكتب فوق جميعها (دولة جمهورية كوردستان).

بهذه المناسبة القى الضابط محمد قودسي كلمة بين حشد من الناس الحاضرين، حيث قال: سادتي: ايها الشعب الكرام والشرفاء، ايها العمال.. اشرقت شمس اليمن والبركة على الثورة الكردية ، هذا اليوم مبارك وميمون، لذلك نرى ان صناديد الكرد يرفعون العلم بايديهم المتبطشة.

اخوتي الاعزاء: بهذه المناسبة الميمونة اهنئ الشعب الكوردي في هذه البقعة، ثم استطرد بالقول: يا شعب كوردستان، هل تدرون الى ماذا تشير تلك الالوان في راية كوردستان؟ اللون الاحمر فيها علامة للثورة وكذلك شجاعة الشعب الكوردي، واللون الابيض فيها علامة النقاوة وصفاء قلب هذا الشعب. واللون الاخضر يشير الى ان ارض كوردستان ارض خصبة ومفعمة بالزراعة والاشجار كما تكمن فيها معادن كثيرة، وتصيح ان شمس استقلالنا اشرقت. والسنبلتان تناديان الفلاح الكوردي بان عليه ان يستثمر ارضه ويستفيد من اكلها. والقلمان يومئان الى ازدهار العلم بين افراد المجتمع.

يوم 2 من كانون الثاني عام 1946 عقد اجتماع كبير مؤلف من اكثر من عشرين الف شخص، حيث اعلنوا بالاجماع تأسيس جمهورية ديمقراطية في جزء من كوردستان برئاسة قاضي محمد، تهدف الى تأمين مستقبل زاهر للشعب الكوردي الذي منذ القدم ينتظر يوما كهذا.. وقد جرت تلك المراسيم في ساحة جوار جرا.

صعد قاضي محمد الى مكان عال حيث اعد لهذا الكرنفال على مرأى من الناس، مستقطبا بالورود وراية كوردستان وصور رئيس الجمهورية، اذ القى كلمة قال فيها: (اليوم استطاع الشعب الكوردي ان يؤسس جمهورية _من داخله ذاته، لكي يعيش كشعب مستقل في ارضه بحرية.

علينا ان نخطو نحو التعليم والصناعة و الزراعة، لنثري من خلالها شعبنا، لنستخرج تلك المعادن الماثلة داخل ارضنا، سنعمل كل ما فيه خير لشعبنا.. حتى تكون النتيجة لصالحنا، فاذا لم تكن المحصلة النهائية لصالحنا فاننا بلغنا رسالتنا وادينا واجبنا الذي وقع على عاتقنا. وينبغي ان لا نتشاءم ابدا..).

لقد تفتحت افئدة السامعين بكلماته الرنانة، بعد ذلك اعلن السيد محمد حسين سيفي القاضي الذي وقف بجانب القاضي محمد بزي سيادي (جنرالي)، انه سيكون قاضي محمد رئيسا للجمهورية وذلك نابع من رضا الناس بجميع شرائحه. ومن ثم شكر رئيس الجمهورية الحاضرين لاستعدادهم وحضورهم وكذلك انتخابهم اياه كرئيس الجمهورية ولا شك ان ذلك يدل على ثقة الناس بقاضي

محمد وهم واثقون من انه سيكون موقع الثقة والامانة. بعدها قام الطلاب باستعراض جميل ومن ثم انتهى الحفل.

بعد عملية انتخاب قاضي محمد رئيسا للجمهورية، شرع بمشاوره اعضاء العصبة الديمقراطية والوطنيين الاخرين لتشكيل الوزارات، وتم تشكيلها يوم 1946/2/11 بالشكل الاتي:

1-الحاج بابه شيخ رئيس الوزراء
2-محمد حسين سيف وكيل وزير الدفاع
3-مناف كريمي وكيل وزير التربية والعلوم (التعليم)
4-محمد امين معيني وزير الداخلية
5-عبدالرحمان اليخاني زاده وزير الخارجية
6-محمد ايوبيان وزير الصحة
7-محمود ولي زاده وزير الزراعة
8-خليل خوسروي وزير العمل
9-احمد الاهي وزير الاقتصاد
10-ملا حسين مجدي وزير العدل
11-مصطفى داودي وزير التجارة
12-صديقي حيدري وزير الارشاد
13-اسماعيل خاني وزير الري (الطرق)
14-كريم احمدي وزير المواصلات

كما هو سائد في جميع الدول، ينبغي للقائد او الرئيس الجديد، ان يؤدي اليمين القانوني لهذا الفرض امر قاضي محمد بحضور اعضاء الهيئة القيادية للعصبة الديمقراطية والوزراء لمراسيم اليمين الدستوري فامسك وزير العدل السيد ملا حسين مجيد راية كوردستان بيده، فسبقهم حتى ولجوا غرفة القاضي محمد، فقام قاضي محمد وقام الوزراء معه، فأدى قاضي محمد هذا القسم: (اقسم بالله وبالقران الكريم، وبالوطن وبكرامة شعب كوردستان ورايته التي نفتخر بها، ان اخدم واسعى الى آخر نفس حياتي، من اجل تحرير هذا الشعب واعلاء هذه الراية، كما افتخر بكوني اتسلم منصب رئاسة الجمهورية ووحدة الكورد مع اذربيجان واعمل ما بوسعي من اجل بقاء هذا الهدف المنشود).

بعد ذلك تعهد الوزراء واعضاء الهيئة القيادية للعصبة الديمقراطية، بنية خالصة ان يتجاوزوا جميع المعوقات التي تعرقل تسيير اعمالهم ويعملوا من اجل سعادة الشعب الكوردي، حيث انهم بانتظار هذا اليوم المبارك منذ القدم.



محطات ثقافية

قطع الرقاب ثقافة بعثية بإمتياز

د. جبار قادر

حاول العديد من الكتاب العراقيين من ذوي النوايا الحسنة ومن منطلق الوطنية العراقية وإبعاد الشبهة عن ابناء وطنهم، إتهام الأرهابيين العرب الوافدين لوحدهم بالقيام بعمليات نحر البشر التي تجري في أنحاء مختلفة من العراق. يبدو ان هؤلاء الكتاب لم يصدقوا ان يكون من بين ابناء بلدهم، الذين عرفوا عموما بطيبتهم، من وصل الى هذه الدرجة من الهمجية والتوحش. لقد نسي هؤلاء بسرعة ان النظام تمكن خلال العقود الماضية من نزع الآدمية عن فئة واسعة من انصاره وأزلامه في الحزب والجيش والمؤسسات القمعية المختلفة من خلال إشراكهم في (حفلات) الأعدام الجماعية للمعارضين السياسيين والهاربين من أو المتخلفين عن الخدمة العسكرية هذا فضلا عن حملات القمع وحروبه الظالمة في كوردستان والجنوب العراقي وعدوانه على إيران والكويت وما نجم عن ذلك من حصار وحروب مدمرة. وخلق بذلك فئة واسعة من كائنات خرافية لا علاقة لهم بالمجتمع الأنساني وقيمه.

تشهد حملات الأنفال الوحشية وقصف حلبجة وغيرها بالأسلحة الكيمياوية وتدمير أكثر من أربعة آلاف وخمسمئة قرية في كوردستان وتدمير الأهوار وقمع الأنتفاضة وإجراء التجارب الجرثومية والكيمياوية على الآلاف من السجناء ومن ضحايا حملات الأنفال وتهجير مئات الآلاف من الكرد الفيليين وغيرهم وتغيير التركيبة السكانية في مناطق كثيرة من كوردستان وإعدام مئات الآلاف من اعضاء وأنصار التنظيمات السياسية المختلفة وزرع أرض العراق بمئات المقابر الجماعية وغيرها من الجرائم الكبرى التي لا يتسع المجال لذكرها، تشهد كلها على همجية هذا النظام وغربته عن كل ما هو إنساني.

لقد وفرت تصرفات الكاوبوي الأمريكي وإنشغال القوى السياسية بالاحتفال المبكر بزوال البعث وتوزيع الكعكة والتعامل السطحي الفج مع فكرة

إجتثاث البعث والدعوات الساذجة الى المصالحة مع البعثيين وعودة الأخيرين الى مفاصل الدولة العراقية بدءاً من رئاسة الوزراء وإنتهاء بمراكز الشرطة مرورا بالأحزاب السياسية والاعلام تحت يافطات ومسميات جديدة وغيرها من الأخطاء القاتلة، وفرت جميعها فرصا ذهبية لأعداء البشرية هؤلاء لكي يعيدوا تنظيم شبكاتهم الاجرامية وينتقلوا الى مرحلة الهجوم وقطع رقاب كل من لا يجاريهم في طروحاتهم.

لقد وفرت ظروف الاحتلال الأجنبي والدعم الدولي المثل بمواقف فرنسا والمانيا وروسيا والعديد من الدول العربية والاسلامية فضلا عن القوميين العرب والسلفيين لفكرة مقاومة الأحتلال فرصة أخرى ليمارس البعثيون هوايتهم المفضلة في ذبح البشر ولكن تحت غطاء الوطنية ومقاومة المحتل هذه المرة. إن من قام بذبح أبناء جلدته ومواطني بلاده ودفنهم وهم أحياء وتدمير ممتلكاتهم ونهب ثرواتهم لمجرد أنهم عارضوه سياسيا أو لم يتوافقوا مع طروحاته أو حتى الشك في ذلك، لماذا لا يقوم بذبحهم والتمثيل بأجسادهم في ظل شعارات مقاومة المحتل الأجنبي وأذنابه؟.

يجب أن لا نشك بأن من يقوم بنحر البشر عراقيين كانوا أم اجانب هم البعثيون من فدائيي صدام ورجال الأمن والمخابرات والضباط ولدينا آلاف الشواهد التي تجعلنا نؤمن بأن هذا ديدن البعث في تعامله مع مخالفيه.

لقد نقلت وكالات الأنباء العالمية قبل سقوط النظام بعام أو عامين قيام البعثيين بذبح العشرات من النساء العراقيات بحجة محاربة الدعارة. الغريب أن رئيس النظام وابنائه واقربائه من الذين هتكوا أعراض الناس وداسوا على مقدساتهم وجسدوا التفسخ الخلقي بكل معانيه تحولوا فجأة الى دعاة للطهر ومحاربة الفساد. من المؤسف حقا أننا وبسبب القيم الأجتماعية المتخلفة السائدة في المجتمع العراقي لن نطلع على حقيقة ماجرى في تلك الأيام السوداء ولن نتعرف على ضحايا تلك المجزرة من النساء الفاضلات اللائي دفعن ثمن عدم إستسلامهن للرغبات الشاذة لعدي وأصدقائه الذين يظهرون دون أي إحساس بالندم أو الخجل على شاشات الفضائيات ليتحدثوا عن ذكرياتهم عن شخصية (الأستاذ) ليتحولوا بعده الى محللين سياسيين أو خبراء في الشؤون العراقية.

يمثل تاريخ البعث سفرا مليئا بالجرائم التي سجلت بإسمه حصرا كقطع الرقاب وتذويب البشر في أحواض السيانيد وقلع الأظافر وإجبار الناس على الجلوس على القناني وإدخال السمك في مؤخرة المعارضين وغيره . من هنا أعتقد بأن الذين يقومون الآن بقطع الرقاب هم من البعثيين حصرا ويجب أن يجري التركيز عليهم دون غيرهم . وكل كلام عن غير البعثيين هو صرف للأنظار عنهم.

نسمع هذه الأيام بصور غريبة من عمليات (المقاومة) البعثية. فإلى جانب تفخيخ السيارات وحتى الحيوانات وزرع الألغام على جانبي الطريق

وعمليات الأغتيال السياسي وغيره، يجري احيانا تفخيخ جثث بعض الضحايا كما حدث في تلعفر والذي أدى الى مقتل وجرح عدد من المدنيين الذي حاولوا نقل الجثة.

تذكرنا هذه الحادثة بحادثة تلغيم عدد من رجال الدين الذين أستعان بهم البعث للقيام بمهمة وساطة لدى الزعيم الكردي مصطفى البارزاني في ايلول عام 1971. لم يكن هؤلاء يعرفون بأن اجهزة التسجيل التي زودوا بها لتسجيل ما يقوله البارزاني لنقله حرفيا الى (القيادة) عبارة عن قنابل جرى تفجيرها في محاولة لاغتيال البارزاني الذي نجا منها بإعجوبة وتناثرت قطع العمائم وجثث العلماء الذين إعتقدوا انهم موفدون لغرض نبيل. ويقول السيد حسن العلوي في كتابه (دولة الأستعارة القومية) عن هذه الحادثة بأن قتل الشيخ الفقيه عبدالجبار الأعظمي إمام جامع الامام أبي حنيفة وثلاثة عشر من اصحابه العلماء عام 1970 (الصحيح أيلول عام 1971 ج . ق) تكفي وحدها لوضع السلطة القومية في العراق موضع الاتهام الأبدي والاساءة الى الحياة البشرية وتصفية طلبة العلم الشرعي بطريقة لم تتوصل اليها محاكم التفتيش الكنسي والتي إستقت منها اصلا موقف العداء لعلماء الأسلام). وكانت حكاية أبو طبر بمثابة رسالة بعثية الى المجتمع العراقي وتفاصيلها معروفة لدى العراقيين وبخاصة سكان بغداد.

وعن عمليات الذبح المبكرة التي كانت تقوم بها المخابرات العراقية حتى في خارج العراق يروي السيد العلوي في كتابه المشار اليه أعلاه قصة إختطاف الطالبين العراقيين نعمة مهدي محمد وسامي عبد مهدي الذين كانا يدرسان في كلية الهندسة التكنولوجية بجامعة كراجي في باكستان، حيث اختطفا بعد خروجهما من الامتحان النهائي للحصول على شهادة الماجستير واخذا الى السفارة العراقية وذبحا هناك بمنشار كهربائي وبعد يومين من البحث المتواصل عثرت الشرطة الباكستانية على جثتيهما في شارع قرب القنصلية العراقية في كراجي وهما بدون راسين ولم يعثر على رأسيهما أبدا. اضطرت الحكومة الباكستانية الى رفع الحصانة عن عدد من المجرمين العاملين في القنصلية العراقية .

وبمناسبة (عيد) الجيش العراقي الذي تحتفل به حكومة علاوي المؤقتة نشير الى حادثة تليق بذكرى هذا الجيش. اشارت برقية سرية تحمل الرقم 29722 مرسلة من مدير امن محافظة السليمانية الى أمن الحكم الذاتي/ فق 7 / م أ س س، بأن إحدى طائرات الهليكوبتر مرت فوق قرى (ناحية باوه نور التابعة لقضاء طوزخورماتو فشاهد الطيار أربعة مخربين مسلحين كانوا في سيارة أهلية نوع بيكب وقام بقصفهم مما أدى الى قتلهم جميعا ومعهم شخص آخر. بعدها نزل طاقم الطائرة وقاموا بأخذ أسلحتهم وهي ثلاث بنادق كلاشنكوف وبندقية برنو وكذلك أخذوا رؤوسهم الخمسة وتم جلبها الى مقر الفوج الرابع ل 90 سنكاو لغرض تشخيصهم . للتفضل بالمعلومات رجاء).

يبدو من مضمون هذا الكتاب السري ان قطع الرؤوس كان أمرا معمولا به في مؤسسات البعث الأمنية وجيشه العقائدي على نطاق واسع، هذا الجيش الذي لم نعرف عنه في تأريخه سوى قمع الكرد وتدمير قراهم ومزارعهم ونهب ممتلكاتهم والتصرف في كوردستان وفي جنوب العراق والأهوار كأسوأ جيش إحتلال في الوقت الذي ينهزم فيه أمام الجيوش الأجنبية كالفأر المذعور . ولن يكون الأصرار على الأحتفال بعيد تأسيس هذا الجيش سوى مسمار آخر يدق في نعش (الدولة العراقية الموحدة).
هناك آلاف القصص التي تؤكد على أن نحر البشر هو ثقافة بعثية بإمتياز ولن يتخلص المجتمع العراقي من أمراضه الاجتماعية ومشاكله إلا بإعلان أفكار البعث كالنازية والفاشية بإعتبارها ضد الانسانية تجب محاربتها وقلع جذورها من تربة العراق ومحاسبة كل من يدعوا إليها أو يعمل على تسويقها أو يطالب بإعادة تأهيلها . يدفع العراقيون اليوم ثمن تهاونهم في القضاء على حزب البعث بعد زوال النظام وفسح المجال أمام البعثيين للعودة الى الحياة العامة تحت يافطات جديدة والى التحكم بمفاصل مهمة في الدولة العراقية . لن تنتهي عمليات نحر البشر إلا بالقضاء على البعث وافكاره.

العرب الشيعة... الكورد.. كركوك

جلال جباري

للمرة الأولى أجد نفسي مضطرا للكتابة حول موضوع طالما تمنيت بل حاولت ايضاً ان اتجنب الخوض فيه، ولكن سير الأحداث، وتطوع بعض الأقلام المحسوبة على الشيعة والتي لاتزال تستلهم أفكارها المريضة من نفايات الفكر العروبي والعنصري المقيت ضد كل ما هو كوردي وكوردستاني، هي التي دفعتني للكتابة حول الموقف السلبي لبعض الشيعة العرب تجاه (اخوتهم) الكورد، شركاء المقابر الجماعية والمعتقلات البعثية الرهيبة والنفي والتهجير، والظاهر ان تلك الشراكة والمعاناة المشتركة أيام النضال ضد الطاغية، كانت شراكة طارئة ومؤقتة لم تستطع ولحد الآن ان تقنع (الأخوة) من العرب الشيعة بأن تلكم المعاناة الكوردية انما كانت نتيجة تمسك الكورد بمبادئ واهداف مقدسة في الحرية والحياة، والتي لاتزال هي نفسها، لم تتغير ولن تتغير حتى لو تغيرت ادوار ومواقع ومواقف الآخرين الذين يصرّون ان يلعبوا نفس أدوار النظام المباد، فكرا اليوم، وقد تتحول الى ممارسات غدا.

واني بالتأكيد لا أعني بالعرب الشيعة الأخوة الشرفاء من العرب الشيعة الذين مازالوا يرفعون اصواتهم الشريفة عالية، واكثر من أي وقت مضى لصد الهجمة الاعلامية الشرسة التي تستهدف الكورد وجودا وحقوقا وأهدافا مشروعة، الشعب الذي قدر له ان يحرم من حق الحياة والحرية، وقوبل كل نضالاته المشروعة دوما وعلى مرّ العقود بالحديد والنار، فدفاع هؤلاء الشرفاء من الشيعة العرب لم يكن يوما نابعا من موقف عاطفي طارئ، بقدر ما كان مبدئيا وواقعيا ونتيجة للفهم الصحيح لحقوق الانسان، وايماناً عميقا بحق الشعوب، كل الشعوب في تقرير المصير، والتطلع الى الحياة الحرة الكريمة بعيدا عن التسلط والوصاية والتعالي القومي، وتحت مختلف اليافطات، قومية كانت او دينية أو مذهبية، فالنتيجة بالنسبة لنا ككورد كانت واحدة، فكائنا من يكون حاملا للكرباج، فان ذلك لا يغير من وقعه المؤلم على جسد الضحية شيئاً.

وقد حاولت ان أتناول الموضوع من مختلف جوانبه، لتوضيح موقفهم تجاه اغلب الحقوق الكوردية وما يحيط بها، والتي يحلو للبعض تسميتها(بمطاليب تعجيزية)، بدءا من الفهم الخاطئ لمفهوم كوردستان ومرورا بالفيدرالية وقانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية، والى قضية كركوك،وانتهاءا بشكل الدولة العراقية ودستورها، وبالتالي مجمل الحياة المستقبلية للشعوب العراقية، ان اصراري على توضيح الأمر يأتي بالدرجة الاولى من باب الحرص على ان لا تتحول الصراع الشوفيني العروبي الاصل أو الكمالي الفاشي المنبع، الى صراع كوردي شيعي، وأن لا يتحول رفاق السجون والفياهب البعثية وأهالي مغيبي المقابر الجماعية الى الخنادق المتقابلة، تتحارب وتتقاتل فيما بينها، بينما القاتل الحقيقي لكليهما يفلت من عقاب التأريخ.

العرب الشيعة... ومفهوم كوردستان

نجد البعض من اخوتنا الشيعة اسوة بغيرهم من اعداء الكورد مع الاسف الشديد، عن قصد او جهل لا يزالون يرددون نفس النغمة التي اطلقها لاول مرة المقبور عبد السلام عارف والمقبور الطلفاح، حول الكورد وموطنهم كوردستان، والذين اصيبوا بفوبيا اسمه فوبيا (كوردستان)، ويستعملون بدلا منها كلمة الشمال او (شمالنا الحبيب)، كل ذلك لتفادي اطلاق التسمية الحقيقية على المسمى الحقيقي، أي حصر مفهوم شعب كامل، بل ثاني اكبر تكوين اثني وقومي في العراق في احد اضلاع الاتجاهات الجغرافية المعروفة (شرق وغرب وشمال وجنوب)، وكأن العراق مكون من قوميات تسمى بهذه المسميات، القومية الشرقية والقومية الغربية وهكذا، وكل ذلك لتفادي ذكر التسمية الحقيقية وهي كوردستان، وذهب البعض لتبرير اصابته بمرض فوبيا كوردستان بانكار وجود مكان باسم كوردستان أصلا، بل ادعى ان ذلك من اختراع مخيلة الكورد ليس الا.

مصيبتنا في العراق بشكل خاص هي جهل الكثيرين، وحتى اشباه الكتاب والمثقفين، بتأريخ

العراق الحديث وبتأريخ المنطقة عموماً، وقد يكون لنوعية وكيفية التلقين في المدارس والمناهج الدراسية، وحتى بعض الكتابات لأشباه المؤرخين من أبطال اعادة كتابة التأريخ تأثيرها المسوم في هذا المقام، فكثيرون منهم جهلاء حتى بتأريخ بلدهم لمئة عام مضت، ولم يقرؤا او يسمعوا غير ما كان ترددها على اسماعهم ابواق البعث وعباقرة القومجية من دعاة الامة العربية المجيدة، ذات الرسالة الخالدة.

فكوردستان تعني موطن الكورد ياسادة، ونحن الكورد لم نخترع اسم موطننا، بل شاء التأريخ وأحداثها ومجرياتها ان نعيش فيها مكانا وزمانا، لا نملك لا نحن ولا انتم القدرة على تغيير مجرياتها واحداثها (آه لو كنا نستطيع ذلك)، والتأريخ لم يشهد شعباً بدون أرض، عدا القبائل الغجرية المرتحلة في شمال ووسط اوروبا، والاقوام الغازية والهمجية، الغريب انه حتى الاقوام الغازية في المنطقة والمعروفة جيداً للجميع، بات لها وطن وتسمي (دولتها) باسم شعبها الغازي المجرد، ولكن لم نجد من يعترض عليهم، اي انه لايوجد في المنطقة مرض أسمه (تركيا) فوبيا، بالشكل التي استشرى مرض (كوردستان) فوبيا لتصيب الكثيرين من قصيري النظر او الحاقدين.

ان كلمة كوردستان ليست جديدة كما يظن او يحلو للبعض، فمن يتصفح أوراق التأريخ، سيجد ان لفظة كوردستان كانت رائجة منذ قرون، وكانت هنالك ولاية كبيرة اسسها السلطان سنجار، تشمل مناطق تمتد لتشمل اجزاء من (ايران وتركيا والعراق وسوريا والاتحاد السوفيتي السابق) وذلك قبل اكثر من ثمانية قرون باسم كوردستان، وحتى السلاجقة اطلقوا هذه التسمية على بلاد الكورد الواقعة الممتدة بين اذربايجان وتخوم نهر دجلة، ويرى المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي (ان الشعب الكوردي استوطن هذه المنطقة منذ فجر التأريخ)، وهو نفس الراي الذي يؤكد عليه المؤرخ سيدني سميث، ويذهب المؤرخ الامريكي وليام كلارك الى ابعد من ذلك بكثير، حيث يقول في كتابه (القبائل الكوردية في غرب اسيا) ان اجداد الكورد قد سكنوا في هذه المناطق منذ اكثر من ثماني آلاف سنة، وحتى ان الغرض من بناء جنائن بابل المعلقة انما كان نزولا عند رغبة الاميرة الميديون لرؤية مناظر قريبة من موطنها الجبلي، والميديين كانوا بحسب كل الدراسات التأريخية المحايدة من اسلاف الكورد، وهم الذين اسقطوا مع اقوام اخرى في المنطقة الامبراطورية الآشورية التي امعنت في الطغيان والاستبداد، ويصف القائد اليوناني زينزفون 400 سنة قبل الميلاد، شعب كوردستان (بالرجال الشجعان والاقوياء، ويبدي اعجابه بخصالهم وطريقة صنعهم للاقواس والنبال الكبيرة التي كانت تفوق اسلحة اليونانيين جودة وقوة اضعافاً مضاعفة، وان الكورد هم من هزموا هولاكو في تخوم مدينة اربيل عام 1281.

ان كلمة كوردستان مذكورة في كل الخرائط القديمة لبلاد الرافدين وبلاد فارس، وكل الرحالة

والمستشرقين والمؤرخين يذكرون بلاد الكورد بهذا الاسم، وكل من يريد ان يطلع على اي كتاب او مخطوطة عن المنطقة يجد ان اسم كوردستان كان مرادفاً للكورد دوماً، وهؤلاء لم يكونوا كورداً بأي حال من الاحوال.

ان شعباً بهكذا تواجد كثيف ومؤثر على أهم احداث التأريخ في المنطقة، لم ينزل الى هذه المنطقة من السماء، ولم يتكون هذا الشعب وبهذه الملايين الضخمة خلال عقود او حتى قرون كما يحلو للبعض ان يصورهم، بل ان هذا الشعب موجود على أرضه منذ آلاف السنين، واستطاع بكل شجاعة ان يصد كل الغزوات، ويبقى حياً ليومنا هذا، بينما اضمحل وتضاءل بعض من الشعوب والامبراطوريات التي عاصرتها، التي لم تصمد امام عوادي الزمن وكوارثها الطبيعية وغزواتها البشرية.

ان محاولات انكار حقيقة كوردستان ماهي الا غطاء وطوطئة لأنكار وجود شعب يسكن هذا الوطن، فمن يؤمن بوجود شعب اسمه الشعب الكوردي عليه ان يعرف ان وطن هذا الشعب هو كوردستان، وان محاولات انكار كوردستان والتعويض عنه بمسميات اخرى، خوفاً من (فوبيا كوردستان)، او تذكيراً بالظلم الذي لحق بالكورد من حرمانه من دولته القومية، او تستراً على حقوق هذا الشعب المظلوم، لم ولن يغير من الأمر شيئاً، فنحن ككورد نعيش تفاصيل هذا الظلم التأريخي كل يوم، ان تسمية كوردستان بالشمال او الشرق او الغرب او الجنوب لا يجعلنا ننسى مأساة تقسيم كوردستان، وكوننا جزءاً من كل اسمه كوردستان، ولا يثنينا من ان نحلم بأن نكون ضمن كل اسمه كوردستان، وليعلم من لا يعلم حتى الآن، أننا كرد كوردستانيون، قبل ان نكون زرادشتيين او حتى مسلمين، وحتى قبل ان نكون سنة او شيعة، وكنا كورداً وكورستانيين قبل ان يوجد بلد بأسم العراق، نعم فأنا مسلم ولكن هويتي كوردية وكوردستانية، وانا سني او شيعي ولكن هويتي كورديةوكوردستانية وانا عراقي ايضاً ولكن هويتي كوردية وكوردستانية، ولا يمكن ان اكون غير هذا، فاذا كان هنالك من يدعي بوجود تعارض بين هذا وتلك فهذا شأنه الخاص، فكل الذين تعاملوا معي ولا يزال ينظرون الى هويتي القومية قبل هويتي الوطنية او الدينية او المذهبية، المسلم السني قتلني وانفلني وسممني بدون رحمة رغم انني مسلم وسني مثله، والمسلم الشيعي ايضاً اضطهدني وحرمني حتى من حق العمل، رغم انني التجأت اليه مطروداً ومنفياً وطالباً من (جمهوريته الاسلامية) الحماية والملجأ.

انني حينما اشدد على انتمائي لقومي ووطني كوردستان، لا ادعي بأن شعبي هو خير أمة اخرجت للناس، وليست لامتي رسالة خالدة يريد ان يبشر بها للناس، بل انا جزء من شعب ظلم كثيراً، تارة باسم الدين الواحد، وتارة باسم المذهب الواحد، وتارة باسم الوطن الواحد، ولا اريد ان يستمر نفس هذا الظلم والى الابد.

فمن يريدني ان أعيش معه بسلام ووئام، عليه ان يقبلني كما انا، وليس كما يريد هو، فأنا كوردي،

كوردستاني، اخترت واختار التأريخ ان اعيش في العراق، وطرحت برنامجاً حضارياً على كل العراقيين، لاسلوب العيش المشترك (الفيدرالية)، وهي ترضي طموحي الآن كتعبير واقعي عن حقي الطبيعي في تقرير المصير، اما في المستقبل فلا استطيع ان اتنبأ به كيف سيكون، ولا حتى انت كعربي سنياً كنت ام شيعيا تستطيع ان تتنبأ بما يحمله المستقبل ومن مفاجآته السارة او غير السارة، ولكن للمستقبل القريب استطيع أن اتكهن، وبموجب فهمي المتواضع لحركة التأريخ، انه يمكن لشعوب مختلفة الأعراق والاديان والطوائف ان تتعايش وتستمر في الحياة المشتركة، اذا كان اتحادهم على اسس عادلة ومتكافئة ومنصفة.... فعلى حد علمي ان سكان مقاطعة كيوبك الكندية الفيدرالية صوتوا مؤخرا لصالح البقاء ضمن الاتحاد الكندي، رغم وجود كل ارضية ممكنة لديهم للاستقلال وتكوين دولة مستقلة ذات سيادة، وان كثيرا من الدول الاوروبية قد تنازلت عن جزء من سيادتها الوطنية للايفاء بشروط الانضمام الى الاتحاد الاوروبي. فيا اخي الشيعي لا تردد من الآن فصاعدا امامي كلمة (الشمال) بدلاً من كوردستان، كما يردده العنصريون من اعداء الكورد، فهؤلاء انفسهم يسمونك بالرافضي والشعوبي، ومن نفس منطلق الجغرافية يطلقون على قسم عزيز من سكنة الاهوار (بالشروقيين)، فهل ترضى انت بهذه التسميات الجغرافية والمغرضة والبعيدة عن الواقع والتأريخ والتحضر؟؟؟

الكرد في روسيا

عسكر بويك

الترجمة عن الكردية: فرهاد أحمد

توجد في تاريخ الشعوب ازمنة ذات تأثير كبير عليها، فأحياناً إنتاج سنة اوسنتين، يعادل ما أنتج خلال مئات السنين. يستطيع المرء أن يصف سنوات الإتحاد السوفياتي بهذا الشيء أيضاً، إذ شهد كرد أرمينيا نهضة أدبية تركت آثارها العميقة على مسيرة الأدب والحضارة الكرديتين.

بعد تأسيس الإتحاد السوفياتي، فتحت أمام الكرد، على غرار جميع شعوب وقوميات البلاد إمكانات ومجالات كبيرة للتطور. فتم في السنوات الأولى إيلاء الشعوب المتخلفة اهتماماً كبيراً، وتم العمل على محو الأمية بين صفوفها وتحضير الكوادر المتقدمة.

كانت الإمبراطورية الروسية التي أصبحت إرثا للسلطة الجديدة، بلاداً إقطاعية متخلفة، تركت للسلطة الجديدة عدداً ليس بقليل من المشاكل الإقتصادية والإجتماعية والعشائرية والدينية. كانت نسبة الأمية تصل في البلاد إلى حوالي 85 ـ90٪، لكن هذه النسبة كانت في المناطق البعيدة عن مراكز المدن والتي لا تصلها الطرق مثل مناطق آسيا الوسطى والقفقاز اكبر من ذلك بكثير. اما بين صفوف الأقليات القومية، مثلنا نحن الكرد، الذين كانوا لا يزالون يمارسون حياة الترحال ونصف الترحال، فإن المرء لم يكن ليجد بين كل الف شخص، اكثر من شخص واحد اواثنين يجيدون القراءة والكتابة، وذلك ليس بلغتهم الأم وإنما بالروسية. فنحن، ومثل العديد من القوميات الأخرى لم نكن نمتلك الفباء خاصة بنا. لكن، والحق يقال، فإنه وفي ظل الإمبراطورية الروسية، وبالرغم من أنها كانت تنتهج سياسة إستعمارية، فإنها كانت متقدمة في مجال الثقافة والإقتصاد وكذلك في حماية بعض حقوق الشعوب المضطهدة، فكانت أنظمتها وقوانينها اكثر عدالة من مثيلاتها في الإمبراطورية العثمانية وإيران.

بسبب استبداد الدولة العثمانية من جهة، وظلم بعض الأغوات والبكوات الكرد الرجعيين من جهة اخرى، تحولت حياة الإيزيديين إلى جحيم لا يطاق. لم يكن لهم في بلاد آبائهم واجدادهم كردستان اي مأوى، وكانوا اينما توجهوا عرضة للإبادة والاضطهاد الديني. لكن في روسيا لم يكن هناك من اضطهاد، ولم يكن من اثر لفرمانات القتل والسلب والإبادة، ولذلك التجأ الإيزيديون إلى هناك.

قبل قيام الإتحاد السوفياتي، وفي بدايات القرن العشرين 1900 ـ 1904، فتحت الإمبراطورية الروسية ثلاث مدارس في مناطق سكنى الكرد، ولكنها كانت مدارس بدائية، تتم الدراسة فيها باللغة الروسية، لذلك لم تترك هذه المدارس أي أثر يذكر في حياة كرد تلك المناطق.

كانت الأوضاع الإقتصادية للعشائر الكردية سيئة بدورها، وقد ساهم القتال والنزاع بين الأتراك والأرمن والروس تلك السنوات في تفاقم الأوضاع السيئة للكرد. كانت أوضاع الإيزيديين أسوأ من اوضاع بقية الكرد، فكان الكرد الإيزيديون من مناطق سورمليه وقرس ووان قد هربوا مثل الأرمن خوفا من الإبادة، وجاءوا إلى سهل روان، فأصبحوا فريسة للجوع والمرض. لقد قام الجنود الأتراك وبالتعاون مع الألوية الحميدية بالذهاب إلى مناطق جبل آلاغوز وقاموا بسلب ونهب قرى الكرد الإيزيديين وحرقها، وكذلك قتلوا وأسروا المئات من الرجال. لقد كانت سائر أطراف بلاد روسيا تعيش في حالة سيئة للغاية.

في هذه الظروف، قامت الحكومة السوفياتية الجديدة بأعمال جليلة لشعوب وقوميات البلاد في مجال التعليم والتطور، وهكذا فتحت المدارس حتى في أصغر وأبعد القرى والبلدات، وتم تحضير المدرسين، وطبعت الكتب الدراسية، وبذلك أسس نظام مدرسي وتربوي في كامل البلاد، وليس بلغة

القومية السائدة، بل بلغة كل شعب وقومية. كان الكرد يعيشون في ذلك الوقت في ارمينيا وجورجيا وأذربيجان، كما في آسيا الوسطى وتركمانستان. كان عدد الكرد في اذربيجان كبيراً، وفي سنة 1923، أسست هناك الجمهورية الكردية التي دعيت "كردستان الحمراء"، ولكن هذه الجمهورية وخلال سنوات بقائها التي بلغت 9 ـ 10 سنوات، وبسبب عنصرية الأذريين من جهة، والضغط الذي مارسته الدولة التركية على اشقائهم الأذريين من جهة أخرى، لم تستطع ممارسة الدور الذي كان يرجى منها في المجالات الثقافية والإجتماعية، وبذلك لم تترك اي شيء هام للتاريخ سوى إسمها.

جرت أكثر الأعمال اهمية في جمهورية ارمينيا التي أصبحت لسنوات طويلة مركزاً لتطور الثقافة والعلوم الكردية. يستطيع المرء أن يقسم حياة كرد الإتحاد السوفياتي (أرمينيا) الثقافية التي دامت حوالي 65 ـ 70 سنة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وتبدأ من سنة 1920، لتستمر حتى سنة 1937. تميزت هذه المرحلة بوفرة المجالات والإمكانيات، فالحكومة الشيوعية الجديدة أولت اهتماماً كبيراً بتطوير الشعوب المتأخرة وثقافاتها. لكن ساحة العمل كانت فارغة، فالكوادر المتعلمة كانت نادرة، وكان الكرد مهاجرين، قد انقطعوا عن جذورهم الروحية، فلم يكونوا على علم أو دراية بتاريخ شعبهم وأدبه وثقافته، ولم يكن هناك من شيء غير اللغة الشفاهية المتوفرة والقادرة على أن تكون أساساً لتطوير ثقافة وادب المجتمع الكردي. قام أبناء الشعب الأرمني بخدمات جليلة لشعبنا في هذا المجال، فنشط الكثير من المتعلمين الأرمن الذين كانوا يجيدون اللغة الكردية في هذا المضمار، حيث ذهبوا إلى القرى والمدارس المقيمة حديثاً، وقاموا بالتدريس فيها.

في 23 ـ آذار ـ 1921 اصدرت الحكومة الأرمنية قراراً يقضي بأن تكون الدراسة في المرحلتين الأوليتين من التعليم المدرسي باللغة الأم. ومن اجل أن تجري الدراسة في مدارس القرى الكردية باللغة الأم، أصدر في شهر تشرين الثاني من عام 1921 كتاباً باللغة الكردية لكن بالحروف الأرمنية. كان صاحب هذا الكتاب هو إبن الشعب الأرمني، وابن عم الشعب الكردي لازو (هاكوب خازاريان). بعد ذلك فتحت مراكز اعداد المعلمين، ليقوموا، وعلى ضوء هذا الكتاب بتعليم الأطفال الكرد الكتابة والقراءة، حيث ظل الأطفال الكرد في مدارس القرى الكردية، وكذلك في مدينة تبليس يتعلمون لغتهم الأم وفق هذا الكتاب حتى عام 1929.

الحقت سنوات الابادة بين عامي 1918 ـ 1920 ـ كما ذكرنا سابقاً ـ اضراراً جسيمة بكرد تلك المناطق، فكانت دور الأيتام في ارمينيا والملاجئ في المدن الجورجية: تبليس وتيلاف وباتم مليئة بأطفال الإيزيديين الأيتام. في عام 1922 وبمبادرة من احمد ميرازي ولازو وآخرين، فتحت لهؤلاء الأطفال في مدينة تبليس مدرسة 103 A،كان الأطفال يتعلمون فيها الكتابة والقراءة والعمل أيضاً، فضلاً عن انهم كانوا ينامون فيها. لقد اصبح طلبة

هذه المدارس فيما بعد من اشهر علماء الكرد من امثال: قناتي كوردو وجركز باكايف، وكذلك الكاتب واول مسؤول لجريدة Riya Teze، جردو كينجو، وأيضا بطل الإتحاد السوفياتي سمند سيابندوف وكثيرون غيرهم.

عقدت في تلك السنوات الكثير من الاجتماعات والكونفرانسات الخاصة بالكرد، حيث كان النقاش فيها يدور حول المسائل الحياتية والرئيسة للمجتمع، من قبيل مسألة القضاء على الأمية والعادات الإجتماعية السيئة، وأيضا مسألة التحول من حياة التنقل والترحال إلى حياة الاستيطان، وكذلك مسألة المرأة، ثم أصبح موضوع إيلاء الاهتمام بالقرى الكردية مداراً للنقاش في تلك الكونفرانسات التي برز من خلالها الطليعيون الأوائل من أمثال عرب شمو والمثقفة الكردية نوري بولاتبيكوفا والقائد الكردي الشهير شمو تيموروف وكثيرون غيرهم.

لم يحدث أي تطور ملحوظ في مجال الثقافة والأدب حتى سنة 1930. لكن يجدر بالذكر أنه في عام 1926 وعن قصة قصيرة لـ (لازو) وبمشاركة المثلين الأرمن الأكثر شهرة في ذلك الوقت تم انجاز فيلم "زه ره"، في عام 1928 وبدعم من الحكومة الأرمنية وضع عرب شمو وإسحاق ميرانغولوف الأبجدية الكردية بالأحرف اللاتينية، وفي نفس السنة صدر كتابهما المشترك لتعليم الكردية تحت عنوان: "تعلم الكردية ذاتيا / Ew bi xwe hînbûna kurmancî، وهو بذلك أول كتاب كردي يصدر بالأحرف اللاتينية. بعد ذلك بدأت الاصدارات للكتب التعليمية والأدبية والسياسية والترجمات، وصدرت كذلك صحيفة الطريق الجديد Riya teze، وأسس فرع الكتاب الكرد ضمن إتحاد كتاب أرمينيا، وبدأ راديو يريفان البث باللغة الكردية، ومن ثم باشر المركز الكردي لإعداد المعلمين عمله، وبكل ذلك انجزت الخطوات الأولى في مجال علم الدراسات الكردية.

كان اليتامى من أطفال الكرد، الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم في سنوات 1918 ـ 1920 وتربوا في ملاجئ الأيتام ودرسوا فيها حتى المرحلة المتوسطة، يشكلون الكوادر الكردية الأولى، وكان معظمهم قد نسي اللغة الكردية ويتكلم الأرمنية. يذكر المثقف الكردي الشهير حاجي جندي دائماً كيف أنه ذهب هو وصديقه اميني عفدال بعد خروجهم من دار الأيتام إلى قرى الكرد (قونده ساز وآلاغوز) ليتعلموا هناك لغتهم الأم مرة أخرى، وقاموا بالتدريس لمدة سنتين هناك، حيث يقول حاجي جندي عن ذلك: "كنا نُعلم الأطفال ونتعلم منهم اللغة الأم". أرسلت في تلك السنوات مجموعة من الطلبة الكرد إلى لينينغراد لمتابعة دراستهم العليا، حيث أصبح عدد منهم علماء كباراً وكتبوا اسمهم بأحرف من ذهب في تاريخ أدب وثقافة شعبهم. وهكذا أعدت الكوادر الأولى حيث انضم كل من: حاجي جندي، اميني عفدال، قناتي كوردو، جردو كينجو، وزير نادري، جاسم جليل، وعتاري شرو إلى عرب شمو وأحمد ميرازي.

من أجل طباعة الكتب الكردية، فتح في المطبعة الحكومية في أرمينيا قسم المطبوعات الكردية. وكان

أول كتاب أدبي يصدر في أرمينيا هو كتاب لازو الذي حمل عنوان حكاية جاسم Serhatiya Casim، وذلك في عام 1931. وفي عام 1932 صدر كتاب كان عبارة عن مختارات لنتاجات الكتاب الكرد الأوائل، وذلك تحت عنوان النتاجات الأولى Efrandine ewlin، حيث ضم نتاجات قصصية وشعرية لكل من حاجي جندي، أميني عفدال، عتاري شرو وغيرهم. صدر الكتاب الثاني من هذا النوع عام 1934 وفيه نصادف الأسماء التالية: جردو كينجو، حاجي جندي، أميني عفدال، احمد ميرازي، عتاري شرو. أما الكتاب الثالث فقد صدر عام 1935 متضمناً نتاجات كل من: عرب شمو، أميني عفدال، جردو كينجو، حاجي جندي، أحمد ميرازي، وزيري نادري وعتاري شرو. كانت هذه الكتب تتضمن أسماء أخرى ترك أصحابها ساحة الأدب والكتابة فيما بعد.

في عام 1932 أصدر حاجي جندي مسرحيته علبة دوائين Qutya dû dermana، ثم صدرت في عام 1935 وفي طبعات مستقلة كل من المسرحيات التالية: لغة الجبل Zimanê çiya لـ أحمد ميرازي، هروب المرأة Reva jinê لـ وزيري نادري، كما أصدر عرب شمو روايته الراعي الكردي Þivanê kurmanc، وعتاري شرو مجموعته الشعرية الإشعاع الأول Biriqandina ewlin وكذلك وزيري نادري مجموعته الشعرية الربيع الجديد Nûbar. في عام 1936 صدرت رواية عرب شمو أكراد آلاغوز Kurdên Elegezê، والكتاب الذائع الصيت فلكلور الكرد Folklora kurmanca، الذي أعده كل من حاجي جندي وأميني عفدال. عدا ذلك، صدر العديد من الكتب التعليمية والسياسية والاجتماعية، وكذلك صدر القاموس الأرمني ـ الكردي، الذي اعدده كل من: ف. بيتويان، أميني عفدال، حاجي جندي، وجردو كينجو.

الشيء الذي يميز المرحلة الأولى عن المراحل التي تليها هو إيلاء الحكومة السوفياتية اهتماما كبيراً لتعليم وتربية الأقليات القومية، ومن ضمنهم الكرد، فكانت المجالات متعددة، لكن الكوادر لم تكن متوفرة، وإن وجدت فهي لا تجيد لغتها الأم، وغير مطلعة على ثقافة وتاريخ شعبها. كانت كتابات جُلّ هؤلاء سواء من ناحية اللغة، أم من ناحية المحتوى وجمالية النص ضعيفة وبسيطة. لكن، وبعيداً عن كل هذا، وأياً كان مستوى هذه النتاجات، فقد أنجزت خطوات كبيرة في هذه المرحلة، ووضع حجر الأساس لخطوات أكبر في المستقبل، فلقد عرف الناس طعم العلم والتطور.

المرحلة الثانية، وتبدأ من سنة 1937، لتستمر حتى سنة 1955. في سنة 1937 بدا ظلم وجور الديكتاتورية الستالينية يعم سائر أرجاء الإتحاد السوفيتي. توقفت في هذا الوقت النشاطات الثقافية الكردية، وتم اعتقال الكثير من المثقفين، في حين نفي آخرون، وتم طرد قسم آخر من أعمالهم، فتم نفي عرب شمو إلى سيبيريا، واعتقل كل من حاجي جندي، وجردو كينجو، واحمد ميرازي، وتوقف التدريس بالكردية في المدارس. بعد فترة وبقرار من ستالين، تم استبدال الأحرف اللاتينية بالكريلية. في

عام 1941 اصدرت حكومة ارمينيا قراراً باستبدال الأبجدية الكردية ذات الأحرف اللاتينية بالأبجدية الكريلية، وكلف حاجي جندي بهذا العمل، حيث استطاع في فترة وجيزة ان ينجز لمدارس القرى الكردية الأبجدية الجديدة الكريلية. في عام 1946 تم طبع هذه الأبجدية، التي اعيد طبعها عشر مرات حتى عام 1990، وبقيت لأكثر من نصف قرن اساساً لتعليم أطفال الكرد الكتابة والقراءة بلغتهم الأم.

تعرض المجتمع الكردي إلى ضربات أليمة نتيجة ذلك الظلم الذي كان سائداً آنذاك. فتم نفي كرد منطقة ناخجيفان التابعة لجمهورية أذربيجان 1937، واكراد جورجيا 1944، وقسم من أكراد ارمينيا إلى جمهوريات آسيا الوسطى، فمات الكثير منهم في الطريق نتيجة البرد والجوع والأمراض التي فتكت بهم. امتلأت السجون بالمعتقلين، وأعدم الكثير منهم رمياً بالرصاص، فيما فقد آخرون، ولم يُعرف مصيرهم، وفنيت عائلات بأسرها.

في عام 1941 بدأت الحرب ضد ألمانيا الهتلرية. لقد ذاق الكرد ايضاً من ويلات هذه الحرب ومآسيها، فجُند الآلاف من الرجال إلى ساحات القتال، حيث لاقى اكثر من 70 ـ 80٪ منهم حتفهم. لكن الكثير من ابناء شعبنا حاربوا ببسالة، واستحقوا على ذلك أنواط ونياشين الدولة العليا تقديراً لهم، واحدهم سمند سيابندوف الذي نال لقب بطل الإتحاد السوفيتي.

توقفت النشاطات الثقافية في تلك الفترة، وبالرغم من ذلك، في عام 1937 تم إفتتاح المسرح الكردي التابع للدولة في قرية آلاغوز (ناحية آلاغوز). عندما تأسس هذا المسرح لم يكن هناك ممثلون مسرحيون مختصون مؤهلون، ولاصالات مسرحية لائقة، لذلك تم اختيار ممثلي المسرح الأوائل من بين شباب وفتيات القرى الكردية في ناحية آلاغوز. كانت الدولة تمول نشاطات المسرح وتصرف كذلك رواتب للممثلين، لكن المساعدة الرئيسة والأكبر جاءت من قبل المسرحيين والممثلين الأرمن. أصدر الكتاب والمسرحيون الأرمن في تلك السنوات الكثيرَ من المسرحيات التي أقتبست من حياة وتراث الكرد مثل، مم و زين (س. تارونسي)، الحمار والقصر، إبنة الأمراء، خجي وسيامند، الذئب حسو (س. جينوسيان)..إلخ. قدم هذا المسرح العديد من كلاسيكيات الأدب الأرمني والجيورجي والأذربيجاني والروسي، وحسب مصادر صحافة تلك الأيام، وصل ذلك المسرح إلى مراحل متقدمة. كان المسرح قد دخل حياة الشعب الكردي، ولم تعد صالة العرض تتسع للمشاهدين. لكن، وفي عام 1947 توقف المسرح عن العمل في ناحية آلاغوز، وبذلك انطفأت شعلة المسرح الكردي وهو في اوج تألقه. في مدة عشر سنوات رأت ثلاثون مسرحية النور، منها فقط اربع مسرحيات للكتاب الكرد، وهي: لور ده لور، التي كتبها المدير الأول لذلك المسرح جلات كوتو، ومسرحية (ميراز) لـ حاجي جندي، و(أخت الدكتور)، و(الأخوة) لـ جردو كينجو الذي تراس المسرح في سنوات الحرب. بعد ذلك دخل الكثير من ممثلي وموظفي المسرح في ميدان العمل الثقافي

والتعليمي، وهكذا أصبح الممثل المسرحي ميرو أسد بعد مزاولة العمل السياسي الرفيع مسؤولاً لجريدة ريا تازه Riya teze، وعمل جلات كوتو في مجال القانون بينما أصبح آخرون معلمين في المدارس.

باختصار، فإنه وإن أصاب الحياة الثقافية للكرد الجمود، وتوقفت تلك النشاطات المعهودة، فإن حركة ونشاط المرحلة الأولى والعمل المسرحي في حينه لم يذهب سدى، ولم تترك الفرصة للنار التي أشعلت، ان تخمد. بعد موت (والد الشعب) ستالين، طالب كرد الإتحاد السوفيتي بحقوقهم المصادرة، وبحث الرأي العام العالمي أيضاً قضية الكرد، وبدأت الحكومة السوفيتية تتذكر الكرد مجدداً.

المرحلة الثالثة: بدأت في منتصف الخمسينات أيام ازدهار وتقدم ثقافة أكراد الإتحاد السوفياتي (ارمينيا) تعود من جديد، فعادت جريدة Riya teze إلى الصدور مجدداً، وعادت إذاعة يريفان إلى بث البرامج باللغة الكردية، وفتح مركز اعداد المعلمين من جديد، واستأنف إتحاد الأدباء الكرد نشاطه ثانية، وتم إفتتاح قسم للدراسات الكردية في كل من أكاديمية العلوم الأرمنية ومعهد الإستشراق. لم تكن الساحة خالية هذه المرة من المختصين والقادرين على العمل، فازداد النشاط الإبداعي اكثر بعد عودة عرب شمو من المنفى. كان كل من: حاجي جندي، أميني عفدال، احمد ميرازي وجاسم جليل في افضل سنوات عطائهم وابداعهم، ولحق بهم كل من: قاجاغ مراد، يوسف بكو، علي عبد الرحمن، نادو ماخمودوف، ميرو أسد، خليل مرادوف، وآخرين، ممن كانوا في المرحلة الثانية ينشطون في المجالات السياسية المختلفة. بدأ عرب شمو يعود إلى نشاطه كما في فترة الثلاثينيات، فأصدر في عام 1959 روايته الجديدة الفجر Berbang، وفي نفس العام أصدر رواية الحياة السعيدة Jiyana bextew، ثم في عام 1965، دمدم Dimdim، ونشرت جميع هذه النتاجات في يريفان. في عام 1969 صدرت أعمال مختارة لـ عرب شمو في مجلد واحد، وكانت تلك الأعمال هي: رواية الحياة السعيدة، الفجر وهبو. ترجمت روايات عرب شمو إلى العديد من اللغات (ومنها العربية)، وأعيد طبعها بالكردية مرات عديدة، ويعتبر أول من كتب الرواية في تاريخ الأدب الكردي.

قام حاجي جندي بالاضافة إلى أعماله العلمية واللغوية وقيامه بالتدريس، بترجمة العديد من القصائد والملاحم والقصص من اللغات الأجنبية. لكن في رأيي تبقى رواية الصرخة Hewar التي ترجمت إلى العديد من اللغات، افضل أعماله على الاطلاق. تعالج هذه الرواية آلام ومآسي الشعب الكردي، وذلك من خلال معالجة الكاتب لحياة عشيرة إيزيدية (عشيرة سبكا)، فيبرز من خلال ذلك جميع التناقضات والاختلافات الموجودة بين الشعب، ويبين أسبابها وأسباب الظلم والاضطهاد.

الشاعر جاسم جليل صاحب العديد من المجموعات الشعرية والملاحم، على مدى سنوات عديدة صدرت له أعمال كثيرة مثل: آلاغوز Elegez، حكايات الحب لدى الكرد Beyt-Serhatyen Kurdan

ye evintye، ينبوع الأم Kanya deأغاني الجبال Kilamen çiy، مضافة الكرد Oda Kurda، الكردي العاشق Kurdê bengî. لقد شكل كتاب احمد ميرازي المذكرات Bîranîn، ملحمة اضيفت إلى الأدب الكردي في مجال الكتابة الحرة. إن هذا الكتاب من ناحية سلاسة اللغة وجمالية النص وكذلك من حيث المضمون، لأشبه بوردة جميلة الألوان وذات عطر خلاب في حديقة الأدب الكردي.

كان اميني عفدال عالما ومثقفا مرموقا، اصدر العديد من الأعمال الفلكلورية والشعرية والقصص القصيرة، فضلاً عن اعماله الأخرى في مجال الدراسات الكردية. حري بنا هنا أن نذكر ملحمته كوليزار Gulîzar، التي قدمت من خلال راديو يريفان بشكل ملحمة موسيقية ونالت حب واهتمام المستمعين.

يعدّ كل من قاجاغ مراد ويوسف بكو أصحاب العديد من المجموعات الشعرية، كما قدم كل من علي عبد الرحمن ونادو ماخمودوف وميروي أسد وخليل مرادوف أعمالاً قديرة في مجال الكتابة الحرة. شكلت كل هذه الأعمال الأساس والدافع لعلو شأن الأدب الأصيل بعد سنوات الستينات. بفضل أعمال كل من شكو حسن، عكيد شمسي، رزا رشيد، أورديخان جليل وباري بالا في مجال الشعر، وكل من وزير ايشو، أمريك سردار، عكيد خدو، أحمد حبو، سيما سمند وأحمد كوكي في مجال الكتابة الحرة، فتحت عوالم ومجالات جديدة في أدب هذا الجزء من شعبنا. أصبحت هذه العوالم اكثر غنى وتعدداً بفضل نتاجات كل من توسن رشيد، جركز رش، تليخان ممي، بابا كلش..

يجب أن نذكر هنا بأن صاحب كل اسم تم ذكره شخصية مستقلة بحد ذاتها، وقام كل واحد منهم بأعمال هامة، وابداعاتهم جديرة بأن تكون موادا لأبحاث ادبية لائقة. في عام 1961 نشرت مجموعة شعرية لـ شكو حسن بعنوان الوردة Alçîçek وكذلك لـ فريك يوسف بعنوان المصدر çevkanî، أصبح الشاعران فيما بعد مرغوبين جداً لدى القراء.

لم يستطع شكو حسن بسبب المشاكل الإقتصادية والوضع السيء أن يستغل كامل قدراته في خدمة تطوير ادب شعبه. مات شكو حسن وهو في الثامنة والأربعين، وذلك بعد ان اصدر مجموعتين شعريتين: طنبور الكرد Tenbûra Kurda، ومرام قلب الكرد Merme dilê Kurd، لقد كانت أعماله التي خلفها وراءه جليلة وقديرة.

كذلك ترك فريك يوسف ميراثا كبيراً وغنيا وراءه. مجموعاته الشعرية التي صدرت هي: وردة الاغوز 1964 Gula Elegeze، لركا 1967، النبي يوسف 1973 Usive Nebya، ناري 1977 Nare، دفتر الآلام 1984، في الربيع الجديد رقم 1"Hisretdefte، الحياة العزيزة 1987، في الربيع الجديد رقم 6 Dinya delal. كان فريك يوسف معلم الكلمة الجميلة، وقد ادخل بقصائده وملاحمه الفنية وبمضامين أعماله الجديدة الحداثة إلى الشعر الكردي. لم يبتعد عن الأسلوب الكلاسيكي، لكنه سلك طريقه الخاص الغني جداً، وقد أوجد لنفسه بذلك مكانا مرموقاً إلى جانب شعراء الكرد الخالدين. إن ملاحمه (النبي يوسف، حلم الأمير مح،

ريحانة رشو، الحسرة)...الخ، ليست مجرد نتاجات كبيرة لشخصه، بل يستطيع المرء أن يضعها إلى جانب أفضل ملاحمنا الكلاسيكية.

أدخل الشاعر المرهف والقدير ميكائيل رشيد مضامين جديدة إلى أدب كرد الإتحاد السوفيتي. أدخل الشعراء المحدثون: سمو شمو، سعيد إيبو، كارلين جاجاني، رزا رشيد، عكيد شمسي، توسن رشيد، جركز رش وثليخان ممي بعداً ولوناً جديدين إلى الأدب الكردي.

وفي مجال الكتابة الحرة، أنجز كل من: وزير إيشو، ئمريك سردار، سيما سمند، عكيد خدو، بابا كلش أعمالاً جديرة بالذكر، وأوصلوا الصحافة الكردية بالاشتراك مع كل من أحمد كوكي، تيمور خليل، حسن قشنك، ميراز عفدو، وباري محمود إلى مراتب متقدمة، وأنجزوا خطوات هامة في المجال المسرحي.

لا يمكن للمرء أن يتمكن في مقال واحد أن يعطي الأعمال التي أنجزت في 65 ـ 70 سنة حقها من الذكر والشرح. إن أدب كرد الإتحاد السوفياتي بجميع جوانبه ومضامينه يشكّل فرعاً من الأدب الكردي بشكل عام. صحيح أن هذا الأدب أنجز في بلاد الغربة، لكنه كان دائماً مرتبطاً بالوطن ارتباط الدم باللحم. لقد استمرت عملية تطور وانتاج الأدب والثقافة الكردية في أرمينيا حتى سنوات التسعينات، لكن مجد الثقافة الكردية انهار هناك، بعد ازدياد نفوذ القوميين الشوفينيين، وسقوط الإتحاد السوفيتي.

قامشلوكي

سليم بركات

"أسماعيلتين" اسمٌ لا يستقيم على نحتٍ لغوي، أو تصريفٍ، أو تثنيه. ولا يرقى، في القياس، إلى "حسنَين"، أو "محمدين". هو، في الأرجح، شغبٌ من هفوات الخيال البسيط حين يمزج علوم دينه البسيطة بمخرج الحروف على لسانه البسيط.

منذ تسلّم اسماعيل بن ابراهيم ـ الرافل في نعيم الحقائق الأولى طازجةً عن يد الوحي في أور ـ جسامة نقل العرب العاربة، من رحم زوجه جُرهم، إلى سدّة النسب الإلهيّ، لم يخطر بباله أن شخصاً أحمرَ البشرة، وأحمر الشاربين، سيعيد ترتيبَ اسمه على نَسَقِ التوسّل إلى الله توسُّلَ المُدِلّ بكرامة الأسماء، فيُضاعف الممكنات اللامحسوبة، لتستتبَّ لروحه الخالدة، وخيال جسده الفاني، شفاعةُ المعنى وشفاعة الحروف. سمّى نفسه "اسماعيلتين"؛ سمّاه أبوه الهواءُ اسماعيلتين.

ليس غريباً التمثل بجلال الكثرة، على نحو "كمالات" و"سعادات"؛ والتمثل بجلال المثنى كمقام يجاوزُ الكثرة، مثل "حسنين". لكن، كيف اتفق للأحمر الشاربين ان ينصب لمثنى المذكّر فخّ انقلابه إلى تأنيثٍ صاخب؟ لن يجزم أحد، عالم بأحوال الزَّفرفِ فوق ضفاف فروع جغجغ البائد ـ نهر اللاتعيين، أن

"اسماعيلتين" جازَف بعظامه كي يصحّح دورة العلم الكليّ الناهض على ستنين: خيالِ التذكير وخيال التأنيث. "اسمعيل" بقي على حالِ الأصل والمرجع، ذكراً مشمولاً بوعد النبوّه في كل إرث. وقد لحقته التثنيةُ على صيغة البناء (اسماعيلان)، ثم جُرِّد من صفةِ البناء (في مصطلح الإعراب) فأجيزَ منصوبا او مخفوضا ابديًا، ثم اكملت الدورةَ بتاء التأنيث، فحصل الإعجاز: "اسماعيلتين"، متحرِّراً من الإعراب العربي، لأن الأحمر الشاربين لم يعرف من العربية إلاّ السَّماع، في اسواق الماشية، التي دأب على حضورها ببقرته الوحيدة، يستعرضُ علومَ فقهاء الشرى. لكنه لا يبيع بقرته، ولا يشتري اخرى، كان يدرِّبها على لهجات المتكلمين في احوال الحيوان، وبراعاتِ الصخب في منطق الدلالين، كي تكون لها حظوةُ المخلوق العالم في اسواق السماء، حيث يشرفُ الحيوانُ وقد صار من اهل الشرى، على اسراب البشر في مقاودهم يُساقون - بعونِ قواعد الإعراب، أو من دونه - إلى زرائب خلودهم: مسالخِ الأبدية.

كان اسماعيلتين يسرُّ، إسراراً غيرَ معهود، انه كردي. يتكلم الكردية مع ملّةِ الشارع، لكنه يحادث ملّة بيته بالعربية على لهجة "المحلميِّين" المنقادة لشرارات غامضة من أنفاس اللغة الآرامية. (وهو زعمُ التخمين، لا التاريخ). أما الكرد فردّوا اسماعيلتين إلى بلاغةٍ هجينةٍ في اصول الأعراق: قطرات من دم تركي، في إنبيق عربي، على نار كردية (وتلك إضافةُ الحسنى إلى الجار). والأمر ليس كذلك، في الأرجح. لكن العلوم تزلُّ "عن صهوات" مناقيلها في الشمال السوري - شمال الجفاف العاقل، مدبِّر منهج الدولة في اختفاء الأنهار. ملّة "المحلميِّين" تتشرّف بانحدارها من السطر الثالث في "تغريبة بني هلال". هم بقيّةُ بني هلال المنظومةُ شعراً يتشاجر العَروض فيه شجاراً لا تنجو منه أبحُرُ الشعر، ولا سواقيه، ولا جداوله الطينية. المخطوط المتآكل في "دير زعفران"، بنواحي ماردين، يردّهم إلى فرعٍ سرياني. وتستفهم وثائق بريطانية تصنيفاً عليه توابلُ الكرد وملحُهم. اما أن يكون اسماعيلتين نظما في سلالة الهلاليين، مبنيًا على شطرين متقابلين من نحوٍ عربي، وصَرْفٍ كردي، فالأمر يحوجه "تعديل" جغرافيٌ في ميزان الجهات: بنو هلال من اهل نجد. هاجروا إلى صعيد مصر فلم يبارحوه. ويشهد لهم المعجم بالفصاحة. فكيف حلّت أرواحهم، بعد ذلك، في أرض "الأومريان" الممتدة تحت ظل طوروس، وباتوا "محلميين"، بتسبب إلى "محلّ المائة"؟ اما فصاحة "اسماعيلتين" العربية فهي تجريدٌ من مناسك الشحت، والمزج، والتركيب، و"حصحصةِ" الحروف: "في مَوْ في (لماذا ليس لماذا؟). في مَوْ تاكل (لماذا لا تاكل؟). اشوُم إتتْ (كيف انت؟). اتكرْ تاتروْح (اين تذهب؟). قمتوْ جبتوْ راس زبشْ وشقّيتو (قمت فجئت برأس بطيخة حمراء وشققته)... الخ".

سكن اسماعيلتين، بمصادفةٍ متناسبةِ الأجزاء كالقوس، في البرزخ الضيق بين الحيّ الغربي وقرية "هليليكي" الرهيفة الليل كشفرة تقطع أوردة الظلام، كل يوم، فيسيل دويُّ طلقاتِ البنادق في الشمال المقسوم بأسلاكٍ يتبادل خلفها الدركُ التركيُّ ومهربو التبغ، على الجهتين. حدود تختلط في الفراغ، الذي تطفو

على هبائه مدينة اسمها "قامشلي". حدودٌ تغدو شمالاً مرة، وجنوباً مرة أخرى، في التدوين الشفهي على ألسنة القرابات البشرية، التي فصلها الهواءُ المغلولُ بأسلاكٍ هي حدودُ العقل القوميّ في ابتكار خصائص فريدة للحقِّ في امتلاكِ الهواء.

هل "هليليكي"، المجاورة لدغل الصفصاف المفقود، بعضٌ من أنفاس بني هلال، في مخارج الحروف ومداخلها، لتؤكد للمحلميّ اسماعيلتين انه شديدُ السهو عن التاريخ الأرضيّ؟ بعشب هليليكي يترعرع خيالُ بقرته، فلماذا انتسابه إلى الكرد؟. إنه يملك "التغريبة" كلها. يملك الزاوية القابض بقراءته على مداخل التاريخ، إرثاً بعد إرثٍ. هذا ما قد تؤكده روح "دلشاد" له، بعد دورة خفيفة على معارج السماء، من "كوماجينا" إلى "سري كانيي"، ثم الهبوط في بساتين السريان، جنوب السراي القديم.

إن كانت اللغة السريانية تحفظ في خزائن مُهملةٍ من علومها عظاماً من الآرامية، مثلها مثل الكلدانية، فلا منجى من التأكيد أن "اسماعيلتين" قد ضلَّ الطريق، في عودته من أسواق الماشية، ليدخل سهواً إلى الفرسخ الأول من "فراسخ الخلود المهجورة"، التي تولى تدوينها، كسيرةٍ غامضة، كرديٌّ من قامشلي، مؤرِّخاً لترجمة الأرض إلى لغة السماء. لكنه عهد إلى احد الأسلاف بانتحال ذلك، عبر ترجمة لمخطوط سرياني صغير الجرم والحجم لم يُعثر على أصلٍ له إلا مانقله المترجم دلشاد إلى الكردية، في اثنين وخمسين مجلداً (!!!). "إقفيئسونب حشبُوتو دليتو" كان اسم المخطوط، بحسب ماترجمه أبٌ يسوعي إلى أصله السرياني عن خطاطةٍ بالعربية معناها "المختصرُ في حساب المجهول"، منقولةٍ عن العنوان بالكردية الكرمانجية على المجلدات المفقودة اليوم: kurtkiriyê di hejmartina nepeniyê de. أمرٌ ما أشبه بدورة اسم اسماعيليتين، من الخفض الدائم (الكسر) - مرفوعا او منصوباً او مجروراً - إلى التثنية، إلى التأنيث اللامعهود. لربما كان دلشاد، وحده، قادراً على تصحيح اسم اسماعيلتين بترجمته إلى "سمعُو" المنطوقة بالكردية عن أصلها "اشمايل"، وصوغه، من ثمَّ، كاملاً: "دُوْ سمعو بجار بيسيرا". (الإسماعيلان ذوا النهود الأربعة). لكن اسماعيلتين لم يلتق دلشاد، الذي جاوره على مبعدة فرسخ واحد (بحسب "فراسخ الخلود المهجورة") إلى الشرق من "هليليكي". ولو جاهد بروحه، وعقله، وخياله، معاً، لما التقاه. دلشاد انحدر، أعمقَ، مع ترجمة "المختصر في حساب المجهول" إلى تأريخ الروح كتجلٍّ مُطلقٍ للذُعر، وكخصومةٍ نهائية بين الحياةِ - مربّيةِ الإهانةِ الحنونِ، وبين المعنى المتعب من تحميل الموت ما لايعرفه الموت، فيما تولى العنصرُ الأصلُ في حقائق وجود اسماعيلتين توجيه خياله الى تأريخ العبث الخالد ناصعاً، نقياً، في "التغريبة" - حكايةِ أسلافه النازحين، بهزائم العقل كلها، إلى كهوف الهواء في الشمال الأفريقي وغربه، عبر المسارب ذاتها التي ستسلكها مللُ الدِّين، ومللُ الإعراب، إلى الأندلس - مبكى من لم تكن الأندلس لهم ملكا قط.

لايهمُّ ماذا جرى لدلشاد. لكن ماذا عن اسماعيلتين، المتردد، قليلاً بين زعم الكرديّة فيه، وحقيقةِ الهلاليةِ (بني هلال) فيه؟ قامشلي ستحلُّ المعضلة الصغيرة على

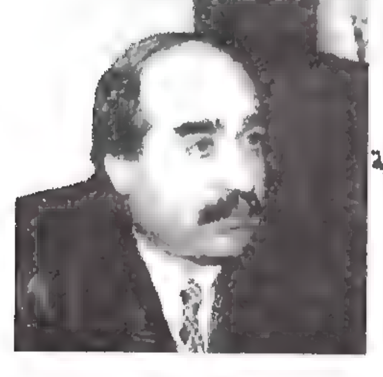
طريقتها القوية في التساهل، مذ لحق بها "ال" التعريف، بتبني "النسيان" كقانون يخصُ الأسماء، والدم، والهواء، والعقل. وهو نسيان فريد، على أية حال، يخرج ماشياً، بين حين وآخر، إلى السراي، بورقة "عرضحال" تخصُّه، مدّعياً أنه لايفهم الأعراض التي يمرُ بها، فيشرحون له، بحاشية مقتضبة على الورقة: النسيان انتماءٌ.

لم يتأخر اسماعيلتين مرة واحدة، بتعاقب عيد نوروز الربيعيّ على عمره، في تقديم ولائه للنسيان بتذكيره، عن لسان نار نوروز، أنه نسيان أبٍ؛ نسيان عائلة؛ نسيان حزب؛ نسيان دولة؛ نسيان شعب. بقرته، ايضاً، تولت ذلك، بلسان الحيوان الأعجم، للتأكيد ان النسيان انتماءٌ لا يخصُ الآدميّ وحده، بل كائنات المراتب المخفوضة بكسرة الإعراب الأبدية، أيضاً.

الوجود ـ في أصلِ اصله، وأرومته، وجذوره، وخليته الحمضية الأولى ـ نسيان. قامشلي تتدبر، بالولاء لهذا الوجود، تعيين خصائص جديدة لإسماعيلتين، ولبقرته، وللدساكر، والبلدات، والقرى، والكُور، والمدن المفقودة، والبساتين، والأنهار، وللوافدين في شاحنات الدولة من البادية، ولأغنامهم، وللأسماء العربية الغذاة بسماءٍ سخيٍ، ووفرةٍ من الماء؛ وللأسماء الكردية المنحوتة، من جديد، على حجر المعنى القادم من صحراء جَزهم.

القامشلي، بـ "ال" التعريف في عناية الدولة. قامشلو، في النطق الخاص بالمتدربين على هواء الجزيرة السورية. أما فصيحها الأعجميُ فهو: قامشلوكي، التي لن تغادرها روح اسماعيلتين، لا مغرّبةً، ولا مُجتَبةً. وستسمغ ثرثراتها بشفاعةِ الحروف المسكونةِ بقلقها الآراميّ.

دراسة كردية تحدد ملامح المرحلة السياسية القادمة في العراق



الباحث فريد اسسرد : هناك تحالف غريب بين الانظمة و الشعوب العربية لمعاداة الاصلاحات السياسية على رغم تناقض المصالح..

السليمانية/(12/شباط 2005)

خدمة وكالة (اكي) الايطالية للانباء

يعد الباحث الكردي فريد اسسرد مدير مركز كردستان للدراسات الستراتيجية بحثا حول الملامح السياسية للمرحلة المقبلة في العراق و الدور الكردي في اعادة بناء العراق و اولويات القيادة الكردية في مرحلة ما بعد الانتخابات البرلمانية التي جرت قبل اسبوعين، الى جانب التطرق الى الوضع العراقي في خضم الاحداث التي تجري على الساحة العربية..

التقت وكالة (اكي) بالباحث لاستقراء ملامح المرحلة القادمة في العراق على ضوء النتائج الاولية المرشحة عن الانتخابات الاخيرة.

يحدد الباحث الاولوية الاولى للكرد في المرحلة القادمة بالاستمرار في العمل من اجل ترسيخ اسس النظام الفيدرالي للدولة العراقية الجديدة، معتبراً المطلب الفيدرالي للكرد الحاجة الاكثر إلحاحاً منذ سقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين الى حين اجراء الانتخابات البرلمانية الاخيرة والتي جندت القيادة الكردية الممثلة داخل مجلس الحكم كل جهودها لترسيخها في قانون ادارة الدولة العراقية و كذلك سعيها لتثبيت هذا المطلب في الدستور القادم. اما الاولوية الثانية فهي مسألة معالجة مشكلة كركوك المتنازع عليها بين الكرد و التركمان و العرب، باعتبارها مسألة متفرعة عن الفدرالية، مشيرا الى ان الكرد يتهيئون من الان لخوض معركة شرسة حول هذه المسألة في الايام المقبلة لان القيادة الكردية غير مستعدة للتفريط بالهوية الكردية لمدينة كركوك، خاصة و انها استطاعت ان تحصل لاول مرة على وثيقة رسمية من دولتين عظميين هما امريكا و بريطانيا الى جانب الحكومة العراقية ممثلة برئيس الدولة و رئيس وزرائها، و هذه الوثيقة مهمة للغاية لانها ستترتب عنها التزامات قانونية و اخلاقية من القيادة العراقية مهما كانت انتماءاتها السياسية او الدينية. و يعتبر الباحث ان هذه الوثيقة ستدعم الى حد كبير الوضع التفاوضي للكرد حول مصير مدينة كركوك عند البدء بالمعالجات السياسية لقضيتها.

وحول النظام الفدرالي للعراق يرى الباحث فريد اسسرد ان هناك نقطتين مهمتين دعمتا جهود الكرد في تثبيت هذا النظام في العراق، الاولى محاولة ثلاث محافظات جنوبية في العراق لبناء اقليم فدرالي خاص بها و هي محافظات (العمارة و البصرة و الناصرية) و الثانية الحديث عن محاولة مماثلة لخمس محافظات شيعية اخرى لاقامة فدرالية تسمى بالفرات الاوسط و تضم المدينتين المقدستين (كربلاء و النجف الاشرف) الى جانب الديوانية و السماوة و الحلة.. و يعتقد الباحث ان هذه الجهود ستخلص الكرد من الجدل القائم حول شكل الفدرالية الذي يطالبون به وهو ان تكون على اساس الاقاليم وليست على اساس المحافظات، فالان اصبحت هناك اغلبية تتبنى قيام فدراليات على اساس الاقاليم وهي ثلاث محافظات كردية في كردستان و ثلاث في الجنوب و خمس محافظات في الوسط مما يعني ان 11 محافظة من اصل 18 تطالب حسم خيار الفدرالية بالاقاليم..

و يرى ان نشوء هذه الفدراليات سيدفع بالسنة الى اقامة فدرالية مماثلة لهم فهم لن يستطيعوا ان يبقوا معزولين عن النظام الجديد للعراق وان يبقوا مرتبطين بالمركز في بغداد لانهم بدورهم يريدون ان يحكموا انفسهم بعد خروج المحافظات الاخرى عن النظام المركزي..

وحول ما اذا كانت هناك مخاوف من قيام تحالف بين الفدراليات الشيعية و بين ايران، قال اسسرد: لاحظوا ان الاقليم المقترح انشاؤه في الجنوب و التي تضم (البصرة و العمارة و الناصرية) هو اقليم سيكون علمانيا وليس تابعا لنفوذ او ضغوط

المرجعية الدينية في كربلاء او النجف. اما اقليم الفرات الاوسط فيمكن ملاحظة انه ايضا ليس له حدود مع الخارج لان محافظة واسط (الكوت) تعزله عن الاتصال بالحدود الايرانية فالاقليم مغلق على نفسه من الداخل اللهم الا اذا انضمت اليه محافظة واسط و رغم ذلك فاعتقد بان الطابع الديني سيتغلب على الاقليم بحكم وجود المراقد المقدسة للشيعة فيه. اما النفوذ الايراني وسط الشيعة العراقيين فاعتقد انه سوف يبقى بحكم العراقات التاريخية القائمة بين الطرفين كانصار مذهب ديني واحد ولكن النفوذ الايراني سينحسر لصالح تعاظم دور رجال الدين الشيعة في العراق الذين حققوا اغلبية كبيرة في الانتخابات الاخيرة، فالشيعة كانوا يعتبرون ايران ملاذا و ملجأ لهم في ظل اضطهاد نظام الرئيس العراقي لهم، والان ليس هناك اي اضطهاد ضدهم ولم يعد الشيعة في العراق يحتاجون الى ايران كما في العقود السابقة، وبالتالي و بنتيجة فوزهم الساحق في الانتخابات البرلمانية الاخيرة فان المصالح الذاتية للدولة التي يحتلون اغلبية مقاعدها البرلمانية ستتغلب على مصالحهم المذهبية و غيرها، من الان فصاعدا ستلعب المتطلبات السياسية و الاقتصادية دورها في المعادلات القادمة وليست المتطلبات الدينية او المذهبية، و يجب ان لا ننسى الضغوطات الدولية في هذا المجال ايضا..

اما التحديات المستقبلية و العراقيون مقبلون على صياغة دستورهم الجديد، فقد حددها الباحث بالقول: "لن يكون التحدي الاكبر كتابة الدستور لانه ليست هناك خلافات كبيرة حول صياغتها، فالديمقراطية و الفدرالية و غيرها من الاسس التي يجب ان يتضمنها الدستور تتفق عليها معظم التكوينات السياسية العراقية التي دخلت الانتخابات، التحدي سيكون لجهة تحديد صلاحيات الاقاليم الفدرالية و حدودها فقط.

سألته الوكالة فيما اذا كانت قيام هذه الفدراليات لا تسبب معارضة من الدول الاقليمية التي طالما ابدت مخاوفها من انفصال او تقسيم العراق؟ اجاب الباحث: "النظام الفدرالي لا يهدف الى تقسيم الارض او تغيير الحدود الدولية مع دول الجوار، فليست هناك اية طموحات لدى اي طرف عراقي باتجاه التلاعب او تغيير الحدود الدولية للعراق، المعركة ستنحصر حول مسالة تغيير حدود بعض المحافظات بما ينسجم مع المادة 58 من قانون ادارة الدولة خاصة تلك المعروفة بالاراضي المتنازع عليها مثل كركوك و بعض المناطق الكردية الاخرى و هذه المسألة قد تكون معالجتها غير سهلة و تحتاج الى مناقشات كثيرة لايجاد التوافق حولها، و لكن حسم هذه المسألة سينتهي مرحلة مهمة جدا في تاريخ العراق وهي الصراع العربي الكردي حول الاراضي المتنازع عليها بشكل نهائي، فلم يعد بعد الحسم بامكان اي طرف ان يدعي حقه في اراضي الطرف الاخر، و هذا يعني انتهاء الصراع الى الابد بين قوميات العراق حول الارض، فالكرد و الشيعة سيشاركون لاول مرة في صياغة الدستور الجديد سيلبي الطموحات السياسية و القومية لكل الاطراف

و بالتالي سينهي مشاكل العراق القومية بعد اعادة رسم حدود المحافظات.

النقطة الثانية هي ان الكرد بفضل مشاركتهم في اعادة كتابة الدستور و الانخراط في العملية السياسية بالعراق ستتاح امامهم فرصة الاندماج بنظام الشرق الاوسط بعد ان استبعدوا منه لعقود و كانوا كالجسم الغريب او منبوذين عن المشاركة بالنظام السياسي في المنطقة، و هذا ايضا مكسب كبير للكرد في المرحلة المقبلة.

و في الختام يتحدث الباحث فريد اسسرد مدير مركز كردستان للدراسات الستراتيجية عن مخاوف القادة العرب من قيام نظام فدرالي في العراق قائلا: الانظمة العربية لا تتخوف من قيام نظام فدرالي في العراق بقدر ما تتخوف من قيام الديمقراطية في العراق، فليس في العالم نظام فدرالي غير ديمقراطي، وهم يعرفون ان قيام الفدرالية في العراق سيجر بدوره الديمقراطية الى البلد بالشكل الذي يقلل من سلطة المركز على الاقاليم الفدرالية التي ستكون لها سلطات واسعة في ادارة شؤونها، وهو نظام معمول به الى حد ما في دولة الامارات العربية المتحدة وهو في طور التشكيل في السودان ايضا بعد توقيع اتفاقية السلام، لذلك فهم يتخوفون من انتقال عدوى الديمقراطية الى بلدانهم، و ما يبعث على الاسف هو ان الشعوب العربية تشارك انظمتها في نفس تلك المخاوف وان انطلقوا اليها من غير وعي، فهم وتحت تأثير حكوماتهم يعتبرون كل تدخل خارجي لدعم الاصلاحات السياسية في الدول العربية تدخلا معاديا، و دخول اي فكر او ايديولوجية تشجع الديمقراطية يصورونه غزوا ثقافيا للمجتمعات العربية، لذلك فالانظمة العربية تشجع تفكير شعوبها بهذا الاتجاه للوقوف بوجه كل الاصلاحات السياسية و الديمقراطية القادمة من الخارج، و الشعوب العربية متحالفة من دون وعي مع حكوماتها بهذا الصدد على رغم تناقض مصالحهما، فهي تعادي تيارا لا يتعارض مع مصلحتها بل مع مصالح الانظمة و الحكومات غير الديمقراطية فقط.

كركوك في [قاموس الاعلام العثماني]

قيس قرداغي

قاموس الاعلام العثماني اضخم دائرة معارف في العهد العثماني والدليل الرسمي للدولة العثمانية الفه العلامة الاشهر انذاك (شمس الدين سامي) وطبع في مطبعة مهران عام (1315) للهجرة (1842ميلادية) ويقع في بضع الاف صفحة من القطع الكبير يجد القارئ في متن هذا القاموس ما لا يجده في مثيلاته من حيث دقة المعلومات حول الاعلام من شعراء وادباء وشخصيات سياسية وملوك وامراء ورؤساء واخرين، وكذلك يطلع قارئ الموسوعة على معلومات طوبوغرافية عن اهم المدن والقصبات في الامبراطورية

العثمانية وخارجها ومن يتمحص نوع المعلومات المدونة فيه يتضح لديه على ان المؤلف ربما جال كل تلك المناطق والمدن ومرفيها مستطلعا ومشاهدا ومستمعا اذ ان بعض من تلك المعلومات حقائق نادرة الوجود في المصادر التاريخية آنذاك مثلما نجدها في هذه الترجمة الحرفية لمادة كركوك في المجلد الخاص بحرف الكاف الذي يحتوي لوحده على مئات الصفحات،حيث نجد العلامة شمس الدين سامي يتحدث بلغة الارقام التي معمولة الان في البحوث العلمية والدراسات الاكاديمية واعتقد انه بهذا يعد سباقا في هذا الميدان عندما نقارن موسوعته باسلوب صياغة وكتابة الكتب قبل قرن ونيف من السنين.

تاتي اهمية عرض هذه الوثيقة التاريخية بلغة الضاد وفي مثل هذا الوقت حيث هذا اللغط المبالغ فيه حول هوية كركوك الاثنية ومحاولة طمس حقائقها في ان الكاتب شخصية محايدة كتب معلومات مستقاة من المراجع المتيسرة آنذاك ومن خلال استطلاع ذاتي مجرد ، اما كون مؤلف القاموس شخصا مسؤولا إعلاميا واديبا تركيا نابغا كتب الى جانب هذه الموسوعة كتبا ادبية وروايات تعالج مضامينها امورا في غاية الدقة والاهمية بالنسبة الى تلك الظروف حيث كان متنورو القوم يتطلعون الى تجديد ثقافة الامة من خلال الاحزاب والمنظمات الجديدة التي بدأت تطفح على السطح يكون سندا اخرا بيد الكرد الذين يشكلون الاكثرية الساحقة من مجموع سكان محافظة كركوك كما تبين ذلك من نتائج الانتخابات الاخيرة حيث حصل الكرد على الاغلبية من اصوات الناخبين وبدون اقضية كركوك الاساسية (كفري، طوز خورماتو، كلار، جمجمال) التي بترها النظام المقبور من المحافظة ضمن سياسة التعريب الداعية الى تقليل نسبة الكرد فيها.

كتب شمس الدين سامي في الصفحة (3846) من قاموسه المدون باللغة التركية مايلي:

((كركوك_ مركز سنجق شهرزور في ولاية الموصل بكردستان ،تبعد عن الموصل (160) كيلومتر جنوبا. تقبع خلف سلسلة من التلال على سهل واسع في وادي ادهم (ادهم/ الاسم القديم لنهر خاصة بكركوك_ المترجم) عدد سكانها (30000) نسمة. فيها قلعة و(36) جامعا ومسجدا، (7) مدارس و(15) تكية وزاوية (كذا) (13) خانا و(1282) محلا تجاريا ومستشفى واحدة و(8) حمامات وجسر على النهر ومدرسة رشدية مع (18) مدرسة ابتدائية و(3) كنائس ومعبد واحد لليهود.

من احيائها محلة التبة ومحلة القلعة وما يجاورها من الاحياء السكانية في القسم الشرقي للنهر. ثلاثة ارباع السكان من الكرد اما الربع الباقي هم خليط من الترك والعرب، وسائر الاقليات هم (760) اسرائيلي (كذا) و(460) كلداني.

الحركة التجارية فيها نشطة كونها واقعة على ملتقى عدة طرق رئيسية ولكثرة المياه الجارية فيها يلاحظ المرء العديد من البساتين المكتظة باشجار الليمون والبرتقال وسائر الفواكه الاخرى في اطراف المدينة، اما بجوارها تتوفر المياه المعدنية والنفط، كما ويوجد فيها معملا لصناعة الاقمشة واعمال دباغة الجلود والغزل والنسيج ومعملا اخرا لانتاج عصير البرتقال.

هواؤها معتدل صحي وان كان حارا جدا في الصيف ، فيها مقام النبي دانيال والنبي عزيز عليهما السلام مع عدد من مزارات كبار الشيوخ والصالحين تتبرك الاهالي بزياراتها.

كركوك مدينة قديمة كان اسمها (كركوره)، وقضاء كركوك مركز لسنجق (شهرزور) يحدها سنجق السليمانية شرقا وقضاني كويسنجق واربل شمالا وسنجق الموصل غربا وولاية بغداد من جهة الجنوب الغربي وقضاء الصلاحية (اسم قضاء كفري في العهد العثماني) من جهة الجنوب الشرقي، تتبعها نواح ادارية خمس وهي طوز خورماتو والتون كوبري وكل وشوان مع (352) قرية.

نهر ادهم الذي يصب في نهر دجلة يشق المدينة الى نصفين ، تربتها خصبة منبتة وصالحة للزراعة ، تزرع فيها الحنطة والشعير والرز والتبغ والعنب وسائر الحمضيات وخاصة الليمون. هنالك ابار غنية بالبترول في الجهة الشمالية للمدينة يستخدمها الاهالي بدلا من الزيت ، في المحلة التي تحمل اسم (بابا كوركور) ينبع سائل يستخدم في علاج انواع مختلفة من الامراض ، في الجهة الجنوبية من المدينة مياه مالحة تتخذ منها مما لح تنتج الشئ الكثير من الملح ، كما وتكثر فيها الحيوانات الاليفة كالخرفان والماعز وانواع مختلفة من الخيول من صوف تلك الحيوانات يصنع في المدينة الشال والسجاد والعباءات).

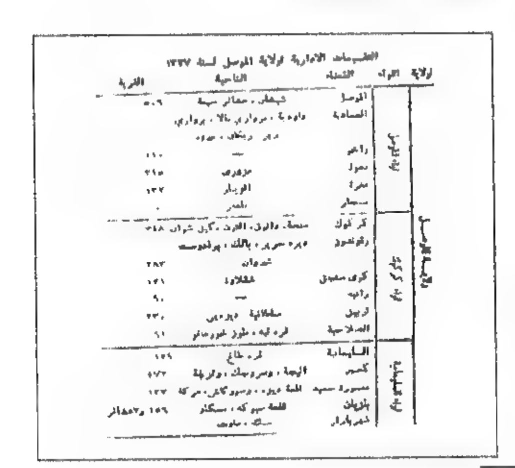
اقدم هذه الترجمة الامينة-لعلي اسدل الستار بها على حقيقة تاريخية مهمة وخافية عن الكثير من الباحثين المختصين بشأن كركوك التي تعرضت لحملة تغيير معالمها منذ اكثر من نصف قرن وصلت ذروتها اثناء حكم نظام صدام سيتضح مما سبق ان المؤلف قد زار المدينة بنفسه او مر بها ضمن جولته. كما اود ان الفت انظار من يود الاطلاع على القاموس ان نسخا منه متوفرة في الكثير من المكتبات الكبيرة في اوروبا وتركيا وفي المكتبات الخاصة في كردستان حيث سبق وان اطلعت على نسخة منها في مكتبة المرحوم رشاد المفتي باربيل (والد السيد عدنان المفتي - رئيس البرلمان الكردستاني الحالي)، اما نسختي فقد اقتنيتها بثمن زهيد من مكتبة المرحوم الحاج قاسم الرجب ببغداد.

ولاية الموصل

في [سالنامه] العثمانية[1]

اعداد : عبدالخالق صابر

ايام الحكم العثماني في العراق، كانت التشكيلات الادارية منقسمة الى ثلاث ولايات وهي: ولاية بغداد و ولاية الموصل وولاية البصرة[2]. تضم ولاية الموصل الجبلية انذاك عددا غير قليل من الاقليات



التشكيلات الادارية لولاية الموصل لسنة ١٣٣٧

الولاية	اللواء	القضاء	الناحية	القرية
[illegible]	[illegible]	الموصل	[illegible]	[illegible]
		العمادية	[illegible]	
		زاخو	—	[illegible]
		دهوك	مزوري	[illegible]
		عقرة	الزيبار	[illegible]
		سنجار	[illegible]	
	[illegible]	كركوك	[illegible]	[illegible]
		راوندوز	[illegible]	
			[illegible]	[illegible]
		كوى سنجق	[illegible]	[illegible]
		رانية	—	[illegible]
		اربيل	[illegible]	[illegible]
		الصلاحية	قره تپه ، طوز خورماتو	[illegible]
	[illegible]	السليمانية	قره داغ	[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]
		[illegible]	[illegible]	[illegible]
		بازيان	[illegible]	[illegible]
		شهربازار	[illegible]	

العراقية الى جانب الكرد، و هذه الأقليات تؤلف جزءا جوهريا، ربما يبلغ الثلث من مجموع العنصر الكردي الذي يعيش في حزام واسع من الحدود الشرقية من الأناضول و يمتد حتى الحدود الروسية و الايرانية.

كانت ولاية الموصل في العهد العثماني منقسمة الى اقضية و نواح و قرى[3]، المتصرف اكبر موظف في اللواء و القائممقام في القضاء ويليه مدير الناحية في الناحية، و في نفس الوقت قام العثمانيون بتأسيس مجالس الولايات و تتكون هذه المجالس من اعضاء طبيعيين بحكم مناصبهم من كبار موظفي الولاية برئاسة الوالي و عضوية وكيله و الدفتردار و القائممقام و المكتوبي و المفتي و من اعضاء منتخبين يتراوح عددهم بين (4-9) اعضاء و فيهم من يمثلون الطوائف الدينية المختلفة في ولاياتهم، اما في الالوية فيكون مجلس ادارة اللواء برئاسة المتصرف و عضوية نائبه و المحاسب و مدير التحريرات و ينتخب اربعة اعضاء من الأهالي، اما في الأقضية فمجلس ادارة القضاء برئاسة قائممقام و عضوية مدير المال و مدير التحريرات و المفتي و الأعضاء المنتخبون من الأهالي اربعة اعضاء. وقد يزيد او ينقص عدد الاعضاء الطبيعيين او المنتخبين بحسب الولايات و الألوية و الأقضية. ان مدة انعقاد مجلس الولاية او اللواء لا تتجاوز في مجموعها (40) يوما و يجتمع مرة واحدة في السنة، ان الوالي يستمع الى اعضاء المجلس فيما يبدون من اراء و اقتراحات و عليه ان يعرض عليهم ما يراه ضروريا، و لكن ليس من الضروري ان ينفذ ما يقره مجلس الولاية من قرارات، لأنها غير ملزمة له و عليه ان يرفعها الى الباب العالي في استانه (اسطنبول) ليتخذ حيالها القرارات النهائية التي سوف يبلغ لها و ينفذها فيما بعد، و من الجدير بالذكر ان الأعضاء المنتخبين لهذه المجالس بصورة عامة يمثلون الطبقة الوجيهة و الغنية و المتنفذة سواء في الولاية او اللواء او القضاء و معظم هؤلاء الأعضاء يتصف بالجهل و محاباة الولاة و كبار الموظفين و عدم الاعتراض عليهم خوفا على مصالحهم الخاصة ان تهدر و قد يتخذها البعض منهم وسيلة للكسب.

ان هذه الأمور كما ذكرنا قبلا موجزا تأريخيا لاشكالية الأمور في ولاية الموصل، و موضوع بحثنا هنا هو ولاية الموصل و تقسيماتها الادارية التي تتكون من ثلاث الوية و يتبين لنا في الجدول و في الخريطة كما موجودان في البحث. و من هذا الجانب يقول: المؤرخ (ستيفن همسلي لونكريك) كانت غالبية ولاية الموصل اقليما كرديا مقسما الى اقضية دهوك و العمادية و زاخو و زيبار بالاضافة الى مدينة السليمانية و ثلثي منطقة شهرزور[4]. و قد كانت الموصل سنة 969م بلدة طيبة عامرة الأسواق و كان جل اهلها من الكرد[5]. ان ولاية الموصل في اواخر القرن التاسع عشر كانت ثلاث الوية تابعة لها وهي (الموصل، كركوك، السليمانية) و اربعة عشر قضاءً و ثلاث و ثلاثين ناحية و 3027 قرية كما يتبين في الجدول الوارد في هذا البحث و مأخوذ من

سالنامة دولية علمية عثمانية لسنة 1327 الهجرية 1909 الميلادية – في الصفحتين 788، 795[6]. و لكن في هذا الجدول ورد بعض الأسماء خطأ قد سجلها كاتب الـ(سالنامة) لعدم توفر المعلومات الكافية لديه، مثلاً كلمة (اليجة) اصلها (هلبجه او الوزه (هەلوژه).

الهوامش

1-هذه الـ(سالنامه) من الوثائق المهمة التي تدل على المناطق الكردية في ولاية الموصل.

2-ان الأسس العامة للتقسيمات الادارية التي طبقها العثمانيون في العراق تبقى سارية المفعول حتى منتصف القرن و ربما حتى اواخر الستينيات، ماعدا الغاء نظام الولايات و صار الألوية التي زيدت من عشر الوية الى خمس عشرة لواء حتى شهر ايار 1969.

3-يعود الفضل الى والي مدحت باشا ايام حكمه 1869-1872 في بقاء هذه التشكيلات معمولاً بها بموجب نظامه المؤرخ في 29 شوال سنة 1287 هـ 1871م الذي طبقه و بقي ساري المفعول حتى نهاية العهد العثماني وقد ادخل نظام مدحت باشا تعديلين طفيفين قبيل الحرب العالمية الاولى بموجب القانونين الصادرين في 18 ربيع الآخر 1330هـ - 1912م – و في 17 ربيع الآخر 1331هـ - 1913م.

4-في تلك الفترة كانت مدينة اربيل تابعة للواء (كركوك) او كما سميت انذاك بـ(كركوك سنجاغي) كما سميت السليمانية بـ(السليمانية سنجاغي).

5-راجع كتاب (بلدان الخلافة الشرقية)، للمؤلف (كي لسترنج) ترجمة: بشير فرنسيس و كورتيس عواد 1954 بغداد.

6-ان الخريطة المذكورة – (صممت) في نفس السنة 1327 هـ. و مأخوذة من سالنامة دولية علمية عثمانية.

ملاحظة: الجدول و الخريطة نشرا في كتاب (تطور العراق تحت حكم الاتحاديين للمؤلف فيصل محمد الأرحيم) الذي منعته الحكومة العراقية بعد صدوره بايام قليلة.

المصادر

1-صالح زكي، موجز تأريخ العراق. بغداد 1949.

2-كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس و كوركيس عواد 1954 بغداد.

3-فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، 1975 الموصل. هذا الكتاب كان في الاصل رسالة ماجستير نالت مرتبة الامتياز.

4-ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث 1900-1950، ترجمة سليم طه. الجزء الاول 1988 بغداد.



شمعة على قبر هادي العلوي

زهير كاظم عبود



في ليل العراق البهيم والطويل كانت ثمة بروق وصواعق تنير الطريق وتبهر العيون وتشعل الذاكرة التي ادمنت النوم، والمتصفح لتاريخ العراق يجد كما كبيراً من الاقمار العراقية المشعة والمتألقة دوما والحاضرة في كل زمان، وفي ليل العراق الحالك كان ثمة ضوء يعادل ضوء القمر ويتشابه مع حزمات الشمس التموزية، وحين كنا نفتقد الحكمة في الزمن البعثي البغيض ونسأل ان كانت لم تزل متجددة وتحل في ضمائر الرجال، كنا نحلم بانسان عراقي معجون بطينة اور ومرسوما على حجارة اشور، صلبا كالخزف البابلي، صريحا وقويا صلداً كما صخور كردستان، حكيماً اسمه هادي العلوي.

الجراة التي تتحلى بها ليست في صراحتها او حقيقتها او طقوسها، وانما تكمن في زمنها، فأنت تقول الحقيقة في الزمن العربي الأعور، وفي زمن عربي هش لم يعد يفرق بين المكابرة على الباطل والاعتراف بالحق وبين الاصرار على الظلم، بين الرذيلة وبين الفضيلة، بين العفة والاقتدار وبين سلطة الجبناء واقتدار المرعوب، وبين ان تنتصر للانسان وبين ان تبقى اسير الثقافات المليئة بالدجل والطائفية والشوفينية، وبين ان تنزع ادرانها عن جسدك وتتخلص من ارثها لتقول الحقيقة وانت غير مثقل بكوابيسها او تتلبسك ابداً، بين ان تكون جريئاً وصوتك عالياً وبين ان تكون خنيثاً تتحدث بميوعة المتخنثين.

يا سيدي الحكيم لقد تبرأت من الطيار العربي الذي قصف الأطفال في كردستان بالغازات، او الذي نثر عليهم القنابل بدلاً من حلوى العيد او رذاذ المطر، ومن الجندي الذي ركل الأطفال الكرد ثم رشقهم بزخة رصاص عربية شجاعة لتسكت خوفهم وجوعهم وشوقهم الى امهاتهم اللواتي قبرن قبلهم دون صراخ.

يا سيدي الحكيم تذكرتك اليوم وانت تتبرأ من كل هذا وتقول لنا:

"ايها الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة، على فراشه، او في ساحة لعبه، هذه براءتي من دمك اقدمها لك. معاهداً اياك، الا اشرب نخب الأمجاد الوهمية، لجيوش العصر الحجري، اقدمها لك على استيحاء، ينتابني شعور بالخجل منك، ويجللني شعور بالعار امام الناس، اني احمل نفس هوية الطيار الذي استبسل عليك. وليت الناس اراحوني منها، حتى يوفروا لي براءة حقيقية من دمك

العزيز. انا المفجوع بك. الباكي عليك في ظلمات ليلي الطويل. في زمن حكم الذئاب البشرية، لم نعد نملك فيه الا البكاء. اقبلها مني، ايها المغدور، فهي براءتي اليك من هويتي".

يا سيدي الحكيم لم تزل بعض الأعراب من الناس فينا حتى اليوم تشرب نخب الأمجاد الوهمية لجيش العروبة، ولم يزل العار الذي تكللت جباهنا به عنوان للعنفوان والشجاعة، ولم نزل منتصرين في الاذاعات ونحن منخورون ومهزومون حتى العظم، ولم يزل التباكي على وحدة الوطن من العصاة الانفصاليين الذين يريدون سرقة وطننا العربي الكبير منا في غفلة من الزمن بعد ان كانوا دون وطن او هوية، لم تزل الأسلحة الفارغة التي تختزنها العقول الباهتة ذخراً لأيامنا العربية القادمة، لم نزل نختزن الكيمياوي والعنقودي ونحتفظ بالألغام لنزرع بها حقول كردستان، لم يزل حتى اليوم يا سيدي العلوي من يفكر بعقلية الجندي الذي يركل والطيار الذي يقصف بالكيمياوي ومطلق النار خلف الرأس دون ان يعرف الضحية والقاتل بعضهما، ولم يزل حتى اليوم من يجد في هذا الأعتذار والبراءة التي تقدمت بها رجساً من عمل الشيطان.

يا سدي الحكيم لقد تفتحت الأرض واخرجت من باطنها رفات مئات الالاف من الكرد المدفونين باياد عربية، ووشمت اجسادهم برصاصات اشتروها من ثمن البترول العربي بدلاً من شراء خبز الفقراء، وتعددت المقابر حتى فاق عددها خيال وحساب الانسان، فقد صارت للكرد بين كل مقبرة ومقبرة مقبرة اخرى، كردستان العراق اضحت بلاد المقابر، وصارت اماكن قتلهم متاحف ومعارض وملاعب للأطفال ممنوع فيها دخول البعثيين، لكنهم لم يقرأوا الفاتحة على جثث ضحاياهم ولااقاموا مآتم النواح، ولم يسمعوا من غيرك من يتبرأ من شناعة البطولة العربية في الزمن الأخرق.

يا سيدي الحكيم في فاجعة كربلاء التي قتل فيها الامام الحسين تمادى القتلة وقتلوا طفلاً رضيعاً، لكنهم في كربلاءات كردستان دفنوا الأطفال الرضع دون ذبح فقد تم دفنهم احياء وملأوا افواههم بالتراب دون ان يفكوا القماط، لم يتعرفوا حتى على قوميتهم او اسمهم او اسماء امهاتهم او اجناسهم، لكنهم وجدوهم ملتصقين بأجساد الآخرين والتراب يملأ خياشيمهم.

لم تعرف النساء الكرديات المذبوحات بالرصاص العربي الشجاع الى اللحظة الأسباب التي ادت الى قتلهم بهذا الشكل المروع والجماعي والذي لم يهز ضمير العالم العربي ولابكى شيوخ الجوامع ولاتذكرونهم بالرحمة في الدعاء الطويل الذي خصصوه للقائد الضرورة.

لم يحص الكرد اعداد قتلاهم لحد اليوم ففي كل يوم يكتشفون مقبرة لأهلهم حتى ضاع عدهم، هذا غير مقابرهم التي توزعت في الرمال العربية والمدن العربية التي لايعرفون والتي ستكتشف بعد حين او التي لن تكتشف ابداً، لم يزل لحد اليوم بيننا من يعتبر الكرد هم الشوفينيين وانهم يستحقون مانالهم من الطاغية والسلطات العربية القامعة التي سبقته،

وان عليهم ان يستجيبوا لقدرهم ويتقبلوا كون الله خلقنا لقيادتهم، وهم تحت رعايتنا فنحن السادة وهم الأتباع.

ياسيدي الحكيم قدمت براءتك من هويتك الى الطفل الكردستاني، ولم يتبعك احد ولم يشايعك اصحاب الهويات، ولم يؤيدك احدا ماعدا بعض الأقمار العراقية التي بقيت تشع لنا بعدك، فهل هذا موقف عربي واشارة تدل على الاصرار والمكابرة في ارتكاب فعل الجريمة بحق الأنسان الكردي والتباهي بالجرم المشهود؟ وهل ان الجمع العربي لم يزل يريد ان يعود الطيار العربي والجندي الراكل واليد العربية التي تحفر الشقوق لتدفن الضحايا ليمارس عمله مرة اخرى في زمن بليد اختلطت فيه التعابير السياسية حتى صار للعواهر فينا تجمعات واحزابا وقيما نحترمها ونلتزم بها ونستحي منها، بل وصار حثالات العرب وسقط المتاع محللين سياسيين في الفضائيات العربية يمنحون انفسهم الحق بشتم من يريدون ويسقطون من يريدون في هذا الزمن العربي الأحول.

ياسيدي الحكيم في زماننا صار العرب يطلقون على اكثر البشر انحطاطاً وخسة وسفالة شهداء، فالشهادة لم تعد قاصرة على من تتوفر فيه شروطها، وتحولت الى صكوك تمنحها الجمعيات والأحزاب والشخصيات وفق ثمنها ووفق مصلحتها، والشهادة في زماننا صار يمنحها مختار المحلة والنشال في مواقف السيارات، وفي زماننا العربي صار العرب يطلقون على القاتل والسارق والسافل والغادر والجبان لقب رمز العرب، بالرغم من كونه حقا رمزاً عربياً لهم في زمن بائس، فلم يعد للمبادئ ذلك الثقل الذي كان في زمانك، ولم تعد القيم تلك كنت تؤمن بها فاعلة في هذا الزمان، صار في هذا الزمن العربي الأحول بامكان الممسوح والمنسوخ والمثلوم ان يطعن في اي رمز عراقي وطني ويتطاول على الحقيقة ويزور التاريخ وسط تصفيق واهازيج عربية.

يا سيدي الحكيم براءتك من هويتك والتي لم يجاريك فيها الآخرين لم تكن كافية، مع انها خطوة جديرة ان تشعل الضمائر وتهز الشوارب وتعيد الصحوة للغافلين من الأمة الواحدة، وبراءتك من الهوية التي قدمتها للطفل الكردي الممتلئ بروائح الكيمياوي والخردل وثقوب الرصاص.

ساقف خلفك اردد براءتك من الهوية وانحني اجلالا ومهابة لهذا الشعب النبيل، واقف بخشوع وبتقديس امام جثث الضحايا التي لم نعدها ونرتب عظامها لحد اليوم، واقف بسكون وصمت مصحوب بدمع ساكت امام صور الشهداء في حلبجة المدينة الشهيدة التي مات فيها الأنسان وشجر الاجاص وحمام البيوت وعصافير الحقول، واردد براءتي امام كل مقبرة تم اكتشافها او لم تنكشف لحد اليوم.

ساقف خلفك اردد براءتك من الهوية وانحني اجلالا ومهابة لهذا الشعب النبيل، واقف بخشوع وبتقديس امام جثث الضحايا التي لم نعدها ونرتب عظامها لحد اليوم، واقف بسكون وصمت مصحوب بدمع ساكت امام صور الشهداء في حلبجة المدينة الشهيدة التي مات فيها الأنسان وشجر الاجاص وحمام

البيوت وعصافير الحقول، واردد براءتي امام كل مقبرة تم اكتشافها او لم تنكشف لحد اليوم.

ساقف خلفك مهابة لك وانا التمس طريقك الجريء حين صرخت بوجه الزمن العربي العاهر وتبرأت من هويتك امام الطفل الكردي المحترق بالغاز في قريته الصغيرة بجراة لم يكن يملكها سواك، وصرخة لم يسبقها سواك، وصراحة لم يكن يقولها سواك، مصحوبة بدموعك الغالية ايها الحكيم، فالحكماء قليلاً مايبكون، لكنك انفعلت امام الغدر الذي حل بالطفولة وبالأنسان في كردستان، فأطلقت براءتك من الهوية امام الضمائر العربية التي لم تزل ممسوحة ومشوهة الملامح.

خلفك سيدي الحكيم العلوي لن اعلن براءتي من الهوية فقط، وانما سأبقى منحنيا امام طهارة الأجساد الكردية والصبر الكردي الطويل، ساكنا امام (نرجس) الطفلة الكردية ذات الأيام الثلاثة التي دفنها الجيش العربي قبل ان تموت، وامام نبل الأمة الكردية، لعل سكوني وانحناءتي وبراءتي تثير البعض ليقف معنا بدلاً من رشقنا بحجارة الوطن الواحد والأمة الواحدة.

اضع شمعتي قرب قبرك الغريب في الزمن الغريب، ثم اعود لأعلن براءتي من هويتي امام اطفال كردستان وشباب كردستان ونساء كردستان وشيوخ كردستان وعصافير كردستان التي سممها العقل العربي المريض، وارتكب بحقها اقسى المجازر التي عمد الاعلام العربي وهو جزء من الانحراف العربي في الزمن الاحول ان يتستر عليها، وان يشطبها من ذاكرته ويتعامل معها باعتبارها قضايا اعتيادية في الفعل العربي، او هي قضايا داخلية غير مهمة في عرف العقل الشوفيني.

اضع شمعتي واعود لأنحني اجلالا لشعب كردستان، مع علمي ومعرفتي بأن لابراءتي ولاانحناءتي ستعيد البهاء والمسرة لأرواح الشهداء والضحايا الذين حصدتهم الماكنة العربية، وانا اعتقد انني لن اغير من الامر شيئاً، لكننا نحاول فقط ان نقدم شيئاً مما نستطيع لحقيقة موجعة من حقائق الحياة العراقية، وان نعطي لكردستان مايجود به المعدم، رمزية الموقف الأنساني الذي نملك.

اضع شمعتي قرب قبرك واقف اجلالا لشعب كردستان متبرئاً من هويتي ولن استعيدها حتى يتقبل مني اهل قرى ومدن كردستان واهل الشهداء والضحايا هذا الأعتذار، وهذه الوقفة، وان يمسحوا دموع خجلي واعتذاري، وان يتقبلوا ان يجلسوني في بيوتهم الفقيرة اقرأ الفاتحة لأرواح الشهداء الذين قتلهم ابناء جلدتي وقوميتي في زماننا العربي البغيض.

اعلن براءتي ووقفتي اجلالا واطالب كل الخيرين والطيبين من اهلي ان يقفوا خلفك سيدي الحكيم فقد تحملت الكثير منهم وانت تعلن براءتك، وها نحن نعرض ارواحنا نتبرء من هويتنا ونعلن وقوفاً احتراماً واجلالاً لهذه الارواح الطاهرة التي قد يجعلها تستقر وترتاح هذا التبرؤ وهذه الوقفة، ونحن نتلمس جرائتك في الموقف وصراحتك في التعبير ايها الحكيم العراقي والأنسان المتلىء بالطيب والحكمة.

محاولات لاستجلاء طلاسم "شيركو بيكەس" الشعرية

شاعر يوغل في احزان الانسان



احمد الحلي

الشاعر هو الرائي الأول، هذا ما صرح به ذلك الصبي الفرنسي المدهش رامبو عند نهايات القرن التاسع عشر، و ما يزال هذا المقياس هو الفيصل لما هو شعر و ما هو غير ذلك، فبدون ان يتوافر الشعر على الرؤى و الاستبصار و القدرة على السحرية و التنبؤ فلن يكون هناك ثمة شعر و شعراء. ان الشاعر في الاساس هو الوريث الاوحد لأولئك النفر الذين يسمون كهنة العصور السحيقة، و هو ما يزال قادرا على القيام بالدور ذاته في عصرنا الراهن، و ان تزي بأزياء اخرى، فمن خلال طغيان العلائق المادية و برودة العصر و انحسار الاواصر في العلاقات الاجتماعية، و التي عملت على تهميش انسانية الانسان، بالقائه في زواياها الضيقة و اقبيتها المعتمة ينهض الشاعر ليعيد ترميم العالم و ليصنع الاشياء الجميلة الاثيرة في الحياة، و التي من شأنها ان تعيد صياغة الوشائج الوجدانية عبر الكلمة الدافقة و النبض الخلاق، كانت احدى اثمن الفرص بالنسبة لي ان يتاح لي وقوع ديوان الشاعر الكردي العراقي شيركو بيكەس بين يدي، حيث كنت في السابق اتسقط المقالات التي كانت تنشرهنا و هناك و التي تتحدث عن شعره و تجربته، غير ان ذلك لم يكن كافيا قط بالنسبة لي لاطفاء جذوة فهمي و شغفي لقراءة المزيد من نصوص الشاعر ذاتها بعيداً عن التحليلات وفهم الاخر لها، لقد وجدت نفسي بازاء الديوان مقذوفا بغتة في غابة مترامية الاطراف من السحر و الرموز و الفتنة، كانت حقاً غابة كسرت كثيراً من دواعي احباطي من امكانية رؤية شعر في هذا العصر الاسمنتي المخرب، لقد كانت اشبه بنقلة عبر الزمان و المكان الى عصور السحر و الاساطير و الخلاصات النقية، مثلما وجدت فيها براكين الاسى يمشي على شفير الهاوية، او خيط الصراط كانت جنيات الماء يتراقصن من حولي و هن يعزفن بقيثارتهن و يغنين اجمل الاغنيات، اخذات بيدي لسبر مواطن البهجة و الوقوف عند منابع الحزن لقد بدا لي الحزن هنا كحزن عام للاشياء، و الموجودات، تصطبغ به الارض و الينابيع و الاشجار و الوجوه.

حقاً لقد كانت رحلة ممتعة ان يأخذني قارب شيركو بيكەس الى حيث مستنقعات العذابات السرية

للانسان و احزانه المروعة، لقد كان الامر يبدو لي كما لو اني القيت بذات القارب الروماني الذي اختار ان يمخر فيه دانتي بصحبة فرجيل شواطئ الجحيم، لقد وجدت في شيركو بيكەس سمات مشتركة كثيرة من شعراء اخرين، كنت ارى فيه اسى جبران خليل جبران المتألق، ذلك الاحساس العميق بالاسى المقرون بارادة لا تقهر لغالبته و التي هي متأتية عند جبران من نيتشه، و لعل هذه السمة بالذات هي من ابرز ما يميز شعبنا الكردي عبر التاريخ، كذلك فاني وجدت روح زارادشت الذي يتكرر اسمه في الديوان في اكثر من موضع كذلك وجدت ان الشاعر قد تمثل و بطريقة فذة مجمل انجازات التراث الانساني، و خلاصاته الحية الرصينة، مضافاً اليها انعكاسات التجارب الحديثة في الشعر بدءاً بهولدرلن و هاينه الالمانيين و مروراً بويتمن و بودلير و من اتى بعدهما و انتهاء باليوت و ازرا باوند و مايكوفسكي الذي يكرس قصيدة من اجله و جاك بريفير و كافافي و رسول حمزاتوف بما اتسم به صوت هؤلاء من نبرة مفعمة بالبساطة و الحميمية الاشراقية و الحسم في ان معاً، لقد تبدت لي اناشيد شيركو بيكەس، كما لو ان ذاكرة الشعب الكردي ظلت محتفظة بها لأمد طويل جداً قبل ان يأتي الشاعر ليميط اللثام عنها و يعرضها امام الملأ.

من جملة ما يقوله الشاعر سعدي يوسف في تقديمه للديوان الصادر في عام 1994 و بترجمة كل من جلال زنكابادي و كريم دشتي، و محمد موكري، رحلة شيركو بيكس، المديدة في الشعر و الثقافة و الحياة ظلت رحلة اكتشاف و دهشة و صيرورة، و في مسارها الفني و به، اعتنى الشعر، و تجوهر، و عاد الي البدء، ايماء و اشارة الى واقع اخر، ان كان النص يومئ فمعنى هذا، ان ثمة من سيتناول طرف الخيط ليمضي به بمعنى ان الشاعر لم يشأ الا ان يجعل القصيدة مفتوحة على ذائقة المتلقي و وعيه و الذي بامكانه ايضا ان يضيف عليها ما يشاء من رؤاه الخاصة و تصوراته و بهذا فهو يقول في قصيدة (حيرة) في نهايتها:

حائرة هي كلماتي

اتكتمل القصيدة؟

ام اتركها لكم؟

فلأتركها لكم؟

و لكننا نعود الى القصيدة الاولى في الديوان و المعنونة (ها هنا) لأنك لا تملك بعد قراءتها الا ان تمسك الديوان بجذل:

ها هنا الليلة،

الجبل شاعر

الشجرة قلم

السهب ورق

و الحجر نقطة

و انا

علامة تعجب!

و من ابرز ما يمكن استجلاؤه في نصوص الشاعر هو ان اللغة بالنسبة اليه تتدفق مطواعة ولينة و كانها ازاهير برية تنبت للتو عند منعطفات الصخور، كذلك تتضح مقدرته على تطويع الكلمات

بحيث تبدو و كانها لوحات تشكيلية تم رسمها بأنامل الطبيعة ذاتها، حيث بامكانها ان تتوالد من بعضها عبر مخاض الالم الخلاق.

على مرأى من الفضاء

سرقوا الغيم

على مرأى من الغيم

سرقوا الريح

على مرأى من الريح

سرقوا المطر

و على مرأى من المطر

سرقوا الثري

و في الثري

دفنوا العيون التي شهدت اللصوص!

و من سمات شعره المهمة ايضا ان نصوصه تتماهى مع موطنه كردستان حد التوحد؛ مثلما الندي، الخرير، و اخضرار الجبال، ابدا لا تنطفئ/ لن تخرس/ و لن تتقهقر/ انما تبقى مثل كردستان/ و تحيا كالماء و الريح! على ان اللغة الغالبة في اسلوب الشاعر هي نبرة الحزن و الاسى تلك الاوجاع البرحة التي شاء الشاعر ان يحملها على كاهله في حله و ترحاله!

خرير المياه!

هو النبع اذ يبكي

حفيف الغابات!

صرخات الغصون و استغاثة الاوراق!

او يكون احمرار الربوات!

انى يشرع الشهداء

جراحاتهم!

كذلك يلوح لنا استعداد الشاعر للتضحية!

اصغوا الي اني لانثر في عيونكم صوتي

اشعل عبر صوتي شموع عيونكم

تركيا الأقليات المقموعة في رواية ياشار كمال "انظر الى الفرات"

اسكندر حبش



عن منشورات "غاليمار" في باريس صدرت مؤخراً الترجمة الفرنسية لرواية الكاتب الكردي التركي يشار كمال "أنظر إلى الفرات الجزء الأول قصة جزيرة". حول الرواية خصص الملحق الأدبي لصحيفة ليبراسيون، ملفه الأسبوعي، حيث تناول

الكتاب وأجرى حواراً مع الكاتب. هنا مادة معدة من عدد "ليبراسيون" حول يشار كمال.

عبر البحر الهادئ، عندما تنبثق الشمس في الفجر، هناك لحظة تسبح فيها المراكب الشراعية في نور حليبي لامع. "عليك أن تسلك دربك حين يصبح البحر أبيض"، هذا ما يحب أن يستعيد قوله يشار كمال، المنحدر من الأسياد الكرد القدامى ومن عصابات قطاع الطرق الشهيرة ومن الشعراء المتسكعين. لا يرغب (أو لا يريد) يشر كمال، راوي ثورات الشعوب في هضاب الأناضول، الذي تخطى الثمانين والذي يعد أهم كاتب كردي تركي حي، الغزير الإنتاج، إذ أصدر أكثر من أربعين كتابا وترجم إلى أكثر من 26 لغة، والذي تمت ملاحقته من قبل "العدالة" التركية، على الأقل أكثر من عشرين مرة، بسبب التزامه ومواقفه السياسية والإنسانية أن يعيش بعد بعيداً عن البحر. كان شابا في السابعة عشرة من عمره، حين اكتشف البحر المتوسط هذا اليتيم (قتل والده أمام عينيه) القادم من قريته الواقعة وراء جبال طوروس، فبقي يتأمله طيلة نهار بأسره. منظر قلب كيانه كله، لدرجة أنه نسي أن يأكل ذلك اليوم. لفترة طويلة سكن كمال تخوم مدينة استنبول، في الجهة الأوروبية، في منزل كبير بالقرب من إحدى البحيرات، وسط غابة فيها 300 شجرة، كان يعتني بها بدقة بالغة. إلا أنه غادر مكانه هذا ليعيش في مبنى صغير فوق مرتفعات "البوسفور"، في الجهة الآسيوية، متأملا ذهاب وإياب المراكب الماخرة هذا المضيق، من على طاولة مكتبه حيث لا يزال يكتب، مثل العادة، بقلم رصاص. "إن جيراني مثلهم مثل غالبية الأتراك، مسمرون أمام شاشات التلفزيون، في حين أنني أشاهد أمام البحر"، يسخر الكاتب بالقول، وهو الذي انهى لتوه الجزء الرابع من كتاب كان من المفترض أن يكون "ثلاثية" (صدر الجزء الأول منه في تركيا منذ 8 سنوات): "إنها رواية شاملة حول انهيار السلطنة العثمانية كما حول مآسي الحداثة التركية الأصلية التي لا تزال حية في ذاكرتنا: الحروب، ترحيل الشعوب بالقوة وتغيير أمكنتها، المجازر، المذابح، وتدمير الطبيعة".

يشكل البحر، رمز الهجرات والغزوات، الشخصية الرئيسية في هذا العمل الروائي الذي يبدأ، بالضبط، بهذه اللحظة السحرية البيضاء العائدة للوقت الذي تبدأ فيه المراكب "بالسباحة" عند الفجر. إنها قصة جزيرة صغيرة، "جزيرة النمل". جزيرة غير موجودة في الواقع لكن يمكن لها أن تكون في أي مكان قبالة هذا الساحل الذي سكنه اليونان خلال قرون عديدة. توجب على الجميع أن يغادروا "بلادهم" العام 1923، خلال عملية تبادل السكان الكبيرة التي تمت يومها (مليون ونصف مليون يوناني من تركيا مقابل نصف مليون تركي من اليونان) وهي العملية التي وسمت ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ميلاد الدولة الأمة، للجمهورية التركية الحديثة و"العلمانية"، التي أسسها مصطفى كمال وفق النمط اليعقوبي. يروي مبدع شخصية محمد الناحل أشهر شخصياته الروائية وهي الشخصية التي

كانت تتحدى سلطة "الأغاوات واصف التاريخ وانهيار عالم، عبر مواجهة بين رجلين "ولدا من رماد الحريق ذاته". هناك فاسيلي اليوناني، الذي يرتدي بذلة السلطنة العثمانية، الذي بقي مختبئاً وحده على الجزيرة بعد رحيل كل سكانها اليونان والذي اقسم على الكتاب القدس، بأن يقتل أول شخص يطأها. هناك ايضا موسى بويراز، الشركسي المعتد بنفسه والبهي الطلعة، الضابط المرافق لمصطفى كمال خلال الحرب، وفيما بعد في نضاله لطرد الفرنسيين واليونانيين. كان موسى يريد الهرب من رعب ماضيه ومن انتقام العائلات التي قتل ابناءها.

المذبحة

ما يؤرق هذين الشخصين كانت الذكريات عينها: مذبحة الدردنيل (التي وصفت بفردان الشرق) وما رافقها "من امطار اجساد مقطعة ممتزجة بالطين وبالحصى كانت تسقط من السماء عند كل قصف مدفعي"، كما كانا يهربان من ذكرى جبهة القوقاز حيث الغابة التي قتل فيها الوف البشر إذ تجمدوا من الثلج وهم واقفون. كانا يستعيدان الصور عينها، الجنود الذين ضلوا الطريق لينهبوا ويقتلوا قبل أن يقتلوا، نزوح اللاجئين وهم يموتون من جراء الجوع والأمراض، التصفيات التي ارتكبت بحق اليزيديين، الكرد الزرادشتيين الذين اتهمهم المسلمون بأنهم عباد الشيطان: "نساء ورجال، شبان وعجائز مروا على نصل السيف، او رموا في دجلة والفرات كما نهود الشابات المقطعة التي كانت تدمي في الصحراء".

مشاهد تستدعي ايضا، وبشكل بديهي، المجازر التي ارتكبت بحق مئات الآلاف من الأرمن، حتى وان كان يشار كمال لا يذكر ذلك إلا بشكل عرضي، كما لو أنه يتردد هنا في مواجهة هذا "التابو" الكبير الذي تغلق عليه الذاكرة التركية. مع ذلك، فهذه الذاكرة هي التي تمسه بشكل مباشر، لأنه ينحدر هو نفسه من عائلة كردية تنتمي إلى منطقة "بحر فان"، اي تلك البحيرة الكبيرة الواقعة في الشمال الشرقي. فأمام تقدم الجحافل الروسية بمساعدة القوميين الأرمن، كان على أهل تلك القرية أن يغادروها والتي كان يسكن فيها بسلام، حتى تلك اللحظة، كل من الكرد والأتراك والأرمن.

يقول يشار كمال: "يروى في عائلتي بأنه لم يكن هناك مسجد في المنطقة، لذلك كان المسلمون يذهبون ليصلوا في كنيسة الأرمن"، يتذكر الكاتب الذي ولد في "المنفى" على الطرف التركي الآخر، في الجنوب الغربي، في سهل "كوكوروفا" عند أقدام جبال طوروس، حيث شاهد القرية التي ولدت فيها عائلته، للمرة الأولى، العام 1951. يومها شاهد أيضا في الساحة العامة، الحفرة الكبيرة التي خلفتها قذيفة روسية: "يومها فقط، قرر السكان أن يرحلوا. لغاية تلك الفترة، كانوا يرفضون ذلك، على الرغم من رعب قصص اللاجئين الذين كانوا يمرون ويقولون أن الروس سيقتلون الجميع ويغتصبون النساء"، هذا ما يشرحه الكاتب الذي يحب أن يتذكر مثلا كرديا قديما يفيد معناه "حين تغادر أرضك، يغادرك قلبك ايضا". من هنا بقي اهله موسومين بهذا

الترحيل والنزوح. لقد أرقت هذه المأساة طفولته، حيث شاهد أيضا، في قريته، العديد من المهاجرين الأتراك الذين جاءوا من اليونان. "كان لا يزال هناك العديد من الناس الذين لم يوضبوا حقائبهم، فعلى الرغم من مرور السنوات الطويلة، كانوا لا يزالون على قناعة تامة، بأنهم بين يوم وآخر، سيعودون إلى المكان الذي عاشوا فيه دائما، الى المكان الذي يرغبون في أن يموتوا فيه، مسقط رأسهم"، يجد الروائي الذي يضيف انه ربما كان المنفى أصعب أيضا بالنسبة إلى اليونانيين.

هؤلاء كانوا "في معظمهم من الأطباء، من المهندسين، من التجار الذين اعتادوا على حياة المدينة، فوصلوا إلى بلد صغير مدمر، لتسكنهم السلطات في سهول تجتاحها الملاريا". مع أولئك اختفى العديد من المهن الحرفية، "في بعض القرى الأناضولية، لم يعد هناك خباز حتى". وبالنسبة إلى القادمين الجدد، لم تكن الحياة سهلة دوما، اضف إلى ذلك أن السكان المحليين كانوا يستقبلونهم أحيانا بعدائية ما. "بعيدا عن القرية حيث كنت اذهب إلى المدرسة، كانت هناك ضيعة لم يبق منها أي شيء سوى مدخنة متفحمة. لم يكن هناك أي شخص يرغب في أن يقص عليّ ما حدث. وشيئا فشيئا، اكتشفت بأن الذين هجروا من اليونان جاءوا ليسكنوا هناك فجاء أهل القرية ليسرقوا وينهبوا ما بقي من الذين رحلوا إلى اليونان، فطردوا الجميع وأحرقوا كل شيء"، يقول الكاتب الذي يعترف بأن "عملية التبادل والترحيل هذه، التي فرضت بالقوة بعد الحرب، لا يتحمل مسؤوليتها فقط، قناصل الدول الغربية والمسؤولون الأتراك واليونان في تلك الحقبة".

هذا الموضوع، كان من المواضيع المحرمة لغاية سنوات طويلة في الجمهورية الكمالية التي قررت أن تشيد جمهورية أمة، وفق النمط اليعقوبي، تستوعب كل الأقليات. بيد أن هذه القضية تحتل اليوم مقدمة النقاشات على الساحة التركية. بيع من الكتاب اكثر من 100 الف نسخة، حين صدر بالتركية العام 1998، وهذا عدد يمثل الكثير هناك، كما أنه ساهم في تسريع عجلة النقاش. "قبل صدور الكتاب، لم يكن هناك أي شخص تقريبا، عند الجمهور الواسع، يتحدث عن هذه الصدمة التي سببتها عمليات الترحيل التي حدثت بالقوة، من هنا جاء الكتاب ليطلق النقاش. ثمة جمعيات عائدة لبعض المهاجرين وقفت على قدميها والبعض الآخر دعتني إلى حلقات حوار حول كتابي. رفضت ذلك قائلا لهم لماذا صمتم حتى الآن"، يقول يشار الذي يجد أنه كان يحب معرفة هذا "الموزاييك" التي كانت عليه تركيا العثمانية. من هنا تأتي روايته لتشهد على هذا الانتفاخ. نجد فيها خانا شيشانيا وشركسا من بينهم أميرة جميلة وشجاعة، يونانيين، ارمن، كردا، عربا، يهودا، البانيين كما شعوبا بلقانية أخرى...

يصف يشار كمال نفسه كاتبا من اصل كردي يكتب بالتركية: "لأنني لا أفكر بالكردية، حتى وان كانت لغتي الأم فأنا أمي بهذا المعنى"، كان لغاية فترة طويلة مفتونا، مثله مثل العديد من أقرانه في

اليسار الجمهوري التركي، بصورة مصطفى كمال. إلا أن السنوات الخمس عشرة من "الحرب القذرة" (1984-1999 و37000 قتيل) التي شنتها السلطات ضد الثائرين الكرد في حزب الـ PKK، دفعته إلى تشديد التزامه وفي طلب الاعتراف بالحقوق السياسية والثقافية الكردية. ربما شهرته العالمية هي من يحميه اليوم، إلا أن المخاطر حقيقية. "أنا شخص رعديد، لكن، كما الكثير من الناس، لا استطيع أن أمنع نفسي من الركض امام خوفي"، هذا ما قاله منذ فترة. ففي بلد يشهد اليوم العديد من الإصلاحات ويحلم بالدخول الى الاتحاد الأوروبي، يؤكد يشار كمال بصوت عال خياره بالاعتراف بذاكرة تركيا المتعددة. بعض أصدقائه القدامى في اليسار الكمالي لم يفهموا هذا "الانحراف نحو العثمانية الجديدة". اما على الطرف الآخر، فإن أصدقاءه الملتزمين بالقضية الكردية يأخذون عليه عدم التزامه الكافي.

لقد اتخذ يشار كمال مسافة من ذلك. انه قبل أي شيء كاتب يريد أن يشهد، وأول شيء، على محيطه. حين كان صحافيا شابا يعمل في صحيفة "الجمهورية"، زار في الخمسينيات جميع المناطق التركية التي كانت لا تزال جبالا مليئة بالنسور والثعالب، وان كانت متجهة نحو التحديث الصناعي. "كنت شاهدا على هذه المأساة وبخاصة تدمير الغابات بالنيران"، هذا الالتزام البيئي نجده حاضرا في روايته الأخيرة: "جزيرة النمل كانت جنة تحولت، شيئا فشيئا إلى صحراء ومن ثم الى جهنم"، يقول الروائي وهو ينظر الى البحر امامه وهو يختنق بالمدينة الكبيرة التي اصبحت عليها استنبول التي تحوي اليوم 12 مليون نسمة. "في الماضي كنا نصطاد في البوسفور الذ سمك، اليوم يختفي السمك تدريجيا، حتى أنه لم يعد يؤكل".

عن جريدة السفير اللبنانية*

من صقلية الى اربيل
النسخة العراقية من فلم "العراب"

حسين علوان علي

مثلما استطاع (فيتو اندوليني) الصغير بطل فلم العراب (لفرانسيس فورد كوبولا) ان يفلت من قبضة عصابة المافيا في صقلية حينما كان صغيرا، و ذلك حين هربه معارفه في جيب خرج على ظهر بغل، ومر من امام افراد العصابة المسلحين الذين كانوا يبحثون عنه و يحذرون الأهالي من اخفائه، عمد أب و ام كرديان عراقيان الى اخفاء صغيريهما في جانبي خرج على ظهر بغل لينقذوا بجلدهم

ساعة ان كانت مجاميع من جيش صدام تتقدم صوب الجبال ابان اجتياحه المعروف لأربيل في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي.

ربما لم يكن ذلك الأب الكردي قد رأى مثلما احسب فلم العراب ليتوصل الى هذه الفكرة المبتكرة لينقذ ابناءه، لكنني موقن ان هنالك اعدادا لا تحصى من الاباء على مر التأريخ في القرى النائية و الأرياف استخدموا الخرج على ظهور الدواب لينقذوا ابناءهم خلال المجازر و الحرب التي لم تزل تفتك بالعالم لكي لا يقعوا بين ايدي القتلة و السفاحين الذين اصطبغ التأريخ بدماء اراقوها اليوم و منذ ازمان بعيدة.

لم يستطع الكرد في غمرة المفاجئة ان يلحقوا في حمل متاع غير ثيابهم التي عليهم و هربوا بأرواحهم الى الجبال تاركين خلفهم كل شيء. بعد تطواف عسير و ركض لاهث و هلع و خوف من القتلة في جيش صدام الذي بانت جحافله المخيفة على البعد، ترك الهاربون الدواب في المسالك الوعرة و استخدموا اقدامهم للجري و التخفي ما بين الزوايا و الحفر، و بضمنهم الأب الذي اخرج ابنته من الخرج و ركض ليلحق بالأم التي كانت تحمل ابنه الصغير الآخر الذي تركه معها.

وبعد ركض ماراثوني و مكابدات و مجموعة عجيبة من الصدف استطاعوا التخلص من الخطر و الوصول الى مكان امن اخيرا ليتنفسوا الصعداء و يرتموا على الأرض لاهثين متفحصين صغارهم و رفاقهم، سرعان ما سألت الأم الأب عن الابن، فسألها عنه بدوره وقد دب فيه الفزع، قالت له انها وضعته في جانب الخرج على ظهر البغل مثلما وضعت ابنتها على الجانب الآخر، بقي الابن هناك.. على الجانب المقتول من العالم، لطمت الأم خدودها وشق الأب ثيابه، الهي ايها الرب الجبار، يمكن للأب ان ينسى كل شيء الا ابنه؟؟ لقد حدث سوء فهم حسب، فان احدا منهم لم ينس الابن، كل منهم حسب انه مع الاخر، لكن اكثر ما يساء فهمه في الحروب هو الفهم نفسه.

ركضوا الى حافة الجبل ليروا البغل متوقفا على البعد و جنود صدام يمرون جنبه دون ان يلتفتوا اليه، يطلقون النار صوب الجبال التي توقفوا عندها، ولكن.. كيف يمكن انقاذه؟ من يذهب اليه سينتهي جسدا مثقبا بالرصاص، هل سيتركونه على هذا الحال هناك؟ لقد تحطم العالم في تلك اللحظة و تفتت كل امل، هل يمضون في الهروب ام ينتظرون؟ وكان الحل المأساوي الأخير في ان ينقذوا ثلاثة من اربعة بدلا من فقدان الأربعة جميعاً.

استدار البغل ليعود ادراجه حاملا على ظهره فيتو اندوليني العراقي مخفيا في الخرج و جنبه تمرق دبابات المافيا الصدامية باحثة عن الكرد في جبال اربيل.

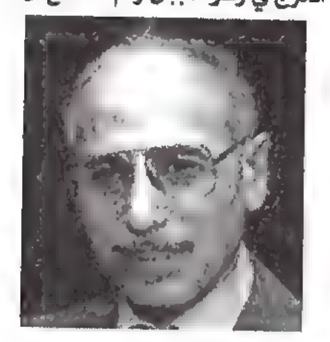
كان الفارق الوحيد بين اندوليني الصقلي و بين العراقي ان الأول انتهى به الأمر مهاجرا الى امريكا، بينما هاجر اهل العراقي دونه.. الى امريكا كذلك.

كم كاتب مثل (ماريو بوزو) كاتب سيناريو العراب، وكم مخرج مثل كوبولا نحتاج لنروي وقائع المأساة العراقية؟

حتى هذه اللحظة وفي مكان ما من امريكا تبكي تلك الأم دما كلما تذكرت ابنها الذي بقي مختفيا في الخرج في وعر الجبال ولم تستطع ان تفعل حياله شيئا.

ترى.. ماذا حل بأندوليني العراقي بعد ذلك؟

roadtosun@yahoo.com



شكرا ايها الكرد

عدنان حسين

إذا أراد العرب في العراق، وكذلك التركمان والكلدان والآشوريون، أن يكونوا منصفين مع شركائهم في الوطن، الكرد، يتعين عليهم ان يشكروا هؤلاء ثلاث مرات في اليوم.

على الدوام ربط الكرد في العراق تحقيق مطالبهم واقرار حقوقهم القومية، السياسية والثقافية والادارية، بالقضية الوطنية العراقية، وارتبطت حركتهم السياسية أوثق ارتباط بالحركة الوطنية العراقية، ولم يحصل أن وضعت نفسها في موضع التعارض والتناقض والصراع مع الحركة الوطنية العراقية.

وعندما انطلقت ثورتهم المسلحة الحديثة، مطلع الستينات من القرن الماضي، ردا على استخدام القوة ضدهم لقمع حركتهم السلمية المطالبة بتحقيق شعارات ثورة 14 تموز (يوليو) 1958 والوفاء بوعودها ـ تبنت الحركة القومية الكردية شعارا، تقدمت فيه المطالب الوطنية العراقية على المطالب القومية الكردية، الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان.

ولما استباح البعثيون في انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963 كل شيء، وانتهكوا المحرمات والمقدسات، واهدروا دماء الوطنيين العراقيين من كل الاتجاهات، وجد الناجون من هؤلاء الوطنيين في الكرد، حماة مخلصين لهم، وفي كردستان ملجأ حصينا. ولاحقا أيضا، عندما أعلن صدام حسين الحرب على العراقيين، قبل شنه الحرب على إيران، لم يتردد آلاف العرب والتركمان والكلدان والآشوريين من طلب الأمن والأمان لدى البيشمركة، مطمئنين إلى أنهم في الحفظ والصون.

بأم عيني رأيت، أثناء انتفاضة 1991 ضد صدام حسين، النساء الكرديات، يخبزن ويطبخن ويحملن مع لبناتهن الطعام، إلى آلاف الجنود والضباط العرب، الذين أرسلوا الى كردستان لمحاربة الكرد، ولاذوا خلال الانتفاضة بالمساجد في المدن الكردية، ليكونوا في مأمن من شر صدام.

ومنذ اواخر 1991 حول الكرد إقليمهم الذي بسطوا سيطرتهم على معظم مناطقه، إلى ملاذ آمن للمعارضين في الخارج، والمنشقين في الداخل، الذين توافد مئات منهم إلى اربيل والسليمانية ودهوك، حيث أقاموا مقرات وقواعد ومحطات إذاعة وتلفزيون، وأصدروا الصحف.. بل استعاد البعض منهم حياتهم الأسرية مع زوجاتهم وبناتهم واولادهم بعد غربة طويلة.

ليس كثيرا أبدا في حق من فعلوا هذا كله لنا، نحن العرب والتركمان والكلدان والآشوريين، أن نقول لهم مع شاي (أو قهوة) الصباح: شكرا.

باسم العروبة والقومية العربية.. بل باسم الإسلام أيضا، واجهت الحكومات العراقية بالقوة الغاشمة مطالب الكرد بإقرار حقوقهم. وفي عهد صدام تطورت هذه القوة إلى إبادة جماعية ودمار شامل باسم العروبة والقومية العربية والإسلام أيضا.. ولقد تغاضى الكرد عن تاريخنا غير المشرف معهم ومدوا لنا أيادي المحبة والوحدة في إطار دولة ديمقراطية فيدرالية، مقاومين الدعوات إلى الانفصال والاستقلال.

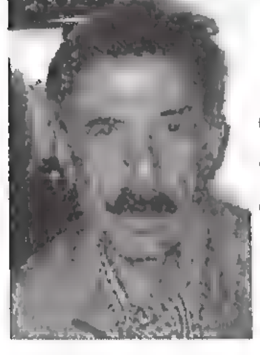
ليس كثيرا أبدا في حق من تمسكوا بوحدة العراق، التي وضعها صدام على كف عفريت، أن نقول لهم في الظهيرة: شكرا.

وليس كثيرا أيضا في حق الكرد أن نقول لهم :شكرا، ثالثة في المساء عن دفاعهم المستميت هذه الأيام عن المستقبل الديمقراطي للعراق، بوقوفهم بصلابة في وجه هؤلاء الطائفيين الظلاميين، الذين لا خيار لديهم يتيحونه أمام الشعب العراقي المنهك بالاستبداد القومي المديد، والحروب القومية العبثية المهلكة، إلا أن يسقط من جديد في وهدة استبداد ديني. طائفي هذه المرة، على طريقة الجمهورية الإسلامية في إيران أو على طريقة إمارة طالبان في افغانستان.

شكرا.. شكرا.. شكرا، أيها الكرد.. وهذا اقل ما تستحقونه من شركائكم في العراق.

a.hussein@asharqalawsat.com

نشاطات التشكيلي الكردي اسماعيل خياط في فرنسا والمانيا



بتاريخ 2004/12/16 وصل الفنان اسماعيل خياط مدينة (ليل) الفرنسية بدعوة من منظمة – امطار الطيور – الفرنسية الدولية بمناسبة احتفال عشر سنوات على مرور تأسيسها، وجهت الدعوة عن طريق وزارة الثقافة لحكومة اقليم كردستان، استغرق سفره لمدة شهرين تجول فيها بين مدن فرنسا و المانيا حافلة بعدة نشاطات فنية منها: افتتاح معرضه الخاص بتأريخ 12/19 في غالري شيريتا بمدينة روبي. ومن ثم عاد الى باريس، حيث افتتح معرض خاصا له بتاريخ 1/29 من قبل غالري المعهد الكردي بباريس اضافة الى نشاطات اخرى.

كتب

العروض في الشعر الكردي



تأليف: الشاعر احمد هردي

عرض: سردم العربي

من منشورات المجمع العلمي الكردستاني

في الاونة الاخيرة صدر عن المجمع العلمي الكردستاني هذا الكتاب لمؤلفه الملم بالشعر ومسائله الشاعر احمد هردي، حيث عالج من خلال اربعة فصول مع مقدمة شرح من خلالها قضية تبعية الشعر الكردي الكلاسيكي المنظوم لشاكلة عروض الخليل، وذلك في ستة عشر بحرا، وقضايا اخرى متعلقة بالوزن الشعري والدائرة العروضية.

يوضح الشاعر احمد هردي في مقدمته رأيه حول دراسة العروض في الشعر الكردي، فيقول: (بعد اطلاعي على العروض في الشعر الفارسي، بان من يحاول دراسة العروض في الشعر الكردي عليه ان يعتمد على الحقائق الاتية:

أولا: الحقيقة التي اشار اليها المرحوم (كوران) بصدد اقتباس الشعراء الكرد بعض الاوزان العروضية عن طريق الادب الفارسي.

ثانيا: وعليه ان يعلم بان طريقة استعمال الشعر الفارسي للاوزان العروضية تختلف عن طريقة استعمال الشعر العربي لها من حيث استعمال (الازاحيف) او عدم استعمالها.

ثالثا: ان الشعر الكردي عند اتصاله بالشعر الفارسي او عن طريقه لم يقتبس الاوزان العروضية فقط وانما اقتبس طريقة استعمال الشعر الفارسي للازاحيف والعلل ايضا..).

ثم اجلى آراء الباحثين الذين كتبوا حول الوزن العروضي في الشعر الكردي وهم قليلون

جداً. وقد دقق النظر فيما اذا كانوا قد توصلوا الى النتيجة نفسها التي وصل اليها الشاعر من محاولاته، والذين هم حسب قدمهم: (احمد خاني، الشيخ نوري، كوران، علاء الدين سجادي..). فقال بصدد كوران: (من الملاحظ ان كوران في محاضراته لم يتحدث عن العروض ولا عن الوزن بصفة خاصة وانما تحدث عن كل ذلك ضمن موضوع عام هو النقد الادبي {...} وان كان يجد فيه الكثير من الآراء الصائبة والحقائق العلمية كالتي قالها بصدد اقتباس الشعراء الكرد الاوزان العروضية عن طريق الادب الفارسي، والتي كان لها الاثر الاكبر في توجيهي نحو دراسة العروض في الشعر الفارسي). اما بصدد الشيخ نوري الشيخ صالح فيقول: (.. ولما كانت النتائج التي توصلت اليها في تشخيصي لتلك الاوزان، تتفق تماما مع ما توصل اليه المرحوم "الشيخ نوري" قبلي، فقد اعتبرت مقالته خير وثيقة تؤيدني في هذا المجال كما رايت ذلك في "نوبهار" للشاعر "احمد خاني" فيما بعد. وكان ذلك خير دليل لي على صواب منهجي حيث شجعني على مواصلة البحث ايضا).

ويكتب حول علاء الدين سجادي: (.. مع ان المجال لا يتسع هنا للتحدث عن ذلك بالتفصيل، غير انه ليؤسفني جدا ان اشير الى انه لم يحالفه الحظ في معرفة بعض هذه الاوزان. فالمثل الذي يقدمه لـ(البسيط) مثلا، وهو بيت "پيرەميرد" الشهير: "ئەم رۆژی سالی تازەیە... الخ" فهذا البيت ليس من البسيط ابدا وانما هو من (المضارع الاخرب المكفوف المحذوف). والعجيب انه قبل ذلك يقدم بيتا صحيحا (للمضارع)...). واما حول (نوبهار) لخاني فيقول: (ولنأت الان على العمل العظيم الذي قام بـ(خاني) في (نوبهار)، حيث يعد هذا الكراس الذي قام بتأليفه (احمد الخاني) وثيقة مهمة من ناحيتين:

اولا: من ناحية قدمها، فتأليفها يرجع الى عام 1094 الهجرية المقابل لـ 1682-1683 للميلاد. وهو اقدم كتاب-حسب علمي- ألف في اللغة الكردية لحد الان في هذا الموضوع.

ثانيا: وهو (اي الكتاب) وثيقة مهمة تثبت النظرية التي سلكتها في دراستي وهي: ان الشاعر الكردي اذا استعمل في اول بيته تفعيلات سليمة او مزاحفة او متنوعة، عليه ان يستمر عليها الى النهاية. فالكتاب يسير على نفس النهج، مما يؤكد ان الشعراء الكرد ساروا على النهج منذ زمن (احمد الخاني)، بل قبل الخاني ايضا، حيث نرى (الجزري) يسير على النهج نفسه في اشعاره. وهو النهج نفسه الذي سار عليه شعراء الفرس ايضا).

فبحق وجدارة يمكن ان يوضع هذا الجهد الجهيد للشاعر احمد هردي ضمن اوائل النتاجات العلمية، والذي يسد الثغرة الشاسعة في دراسة الشعر الكردي. علما بان هذا الشاعر المبدع اشتهر بديوانه الرائع (رازى تەنیایی)، نأمل له المزيد من النتاجات والابداع، ونرجو له عمرا مديدا مشفوعا بالصحة والعافية.



حرب الخليج و انتفاضة كردستان العراق

تأليف: د. فاضل الزهاوي

عرض: سردم العربي

ضمن سلسلة الكتب التي تصدرها المديرية العامة للطباعة و النشر في وزارة الثقافة لحكومة اقليم كردستان، صدر هذا الكتاب عام 2004 في السليمانية، يحتوي الكتاب على عشرة فصول اضافة الى مقدمة المؤلف، حيث يقول فيها ان موضوع الكتاب الذي نتناوله من النواحي السياسية و القانونية يكتسب اهمية كبيرة لأنها تستعرض احداثا عسكرية و سياسية و انسانية خطيرة في حقبة معينة من تاريخ الكرد خصوصا و العراق عموما، مما يتطلب معالجتها و تحليلها و تقييمها لاستخلاص الدروس و العبر منها.

يتناول المؤلف في الفصل الاول الاوضاع السياسية في كردستان قبل غزو الكويت، حيث كانت الاوضاع قبل احتلال الكويت من قبل الجيش العراقي في الثاني من اب 1990 تتسم بنوع من الاستقرار المفروض بالقوة و الهدوء النسبي، اضطرت الحركة التحررية الكردية المسلحة الى ترك مقراتها و قواعدها الرئيسية في كردستان العراق و اللجوء الى المناطق الحدودية الايرانية و التركية اثر تعرض تلك القواعد الى هجوم شامل من جانب الجيش العراقي قبل و بعد وقف الحرب العراقية الايرانية في الثامن من اب 1988 و تقلص النشاط العسكري الى حد كبير.

غزو الكويت السبيل الى الانتفاضة، هو عنوان الفصل الثاني الذي يتحدث فيه بشيء من التفصيل عن هذا الغزو التاريخي، و تنبؤ القيادي الكردي جلال الطالباني بغزو الكويت قبل حدوثه، حيث القى السيد جلال الطالباني قبل احتلال الكويت بثلاثة اشهر محاضرة في قاعة تابعة لوزارة الخارجية البريطانية في لندن تنبأ فيها بأن العراق سيقدم على احتلال الكويت، و كانت هناك معلومات لدى الاتحاد الوطني الكردستاني حول هذا الاحتلال، الا انه لم يكن هناك في ذلك الوقت اي تنسيق بين الاتحاد و دول الحلفاء.

يتناول في الفصل الثالث "موقف الكورد من احتلال الكويت" و في الفصل الرابع يتحدث عن بدء

حرب الخليج و موقف الكرد خلال هذه الحرب، نقرا في الفصل الخامس انتهاء الحرب و اندلاع الانتفاضة الشعبية في كوردستان حيث بدات القوات المشتركة للبيشمركة في يوم 27 شباط 1991 بالتدفق من المناطق الحدودية المتاخمة لايران و الانتشار في المناطق المختلفة وزاد حجم هذا التدفق يوم الرابع من اذار. ما ان تم اعلان وقف اطلاق النار بين دول التحالف و العراق في 28 شباط 1991 حتى وجه السيد نوشيروان مصطفى القيادي في الاتحاد الوطني الكردستاني رسالة الى قوات البشمركة يدعوهم الى الاستعداد و التهيؤ لتنفيذ المهمات التي ستصدر اليهم عن طريق اذاعة صوت شعب كردستان ببدء العمليات العسكرية.قبل ذلك بدات انطلاقة الانتفاضة بتأريخ 28 شباط 1991 من مدينة البصرة، حيث امتدت هذه الانتفاضة بسرعة حتى شملت محافظات الناصرية و العمارة و الكوت و النجف و كربلاء و الديوانية و الحلة و السماوة و هي كلها مدن تسكنها اغلبية الشيعة. نقرا في الفصل السادس الانتكاسة الكبرى للانتفاضة التي بدات ايضاً من الجنوب و وصلت الى كردستان، حيث الهجرة المليونية المعروفة لدى العالم اذ نقرا تفاصيلها في الفصل السابع بعنوان النزوح الجماعي. يتناول في الفصل الثامن القرار الذي اصدره مجلس الامن الرقم 688 في الخامس من نيسان 1991، حيث ادى الى ولوج القضية الكردية الى المحافل الدولية.

بعد ذلك بدا التفاوض مع حكومة بغداد دون ان يؤدي الى نتائج ايجابية، هذا ما نقراه بالتفصيل في الفصل التاسع، فيتناول الاحداث التي حصلت اثناء فترة الانتفاضة و سحب الجيش العراقي من بعض المدن الكوردية و فرض حصار اقتصادي على كوردستان. اما في الفصل العاشر فيتناول الانتخابات التي جرت في كوردستان و تشكيل حكومة اقليم كوردستان في النصف الثاني من عام 1992.

دهوك ـ نينوى

دراسة في الخصائص الديموغرافية للسكان

تأليف: الدكتور خليل اسماعيل محمد

عرض: سردم العربي

"تمثل منطقة نينوى و دهوك و التي كانت تسمى بلواء (محافظة) الموصل قبل ان تتوزع على محافظتي نينوى و دهوك، اهمية ستراتيجية متميزة، سواء من خلال موقعها الجغرافي المشرف



على جمهوريتي تركيا و العربية السورية، او ثرواتها الاقتصادية و تكوينها الاثنوغرافي". هذا ما جاء في مقدمة كتاب "دهوك – نينوى، دراسة في الخصائص الديموغرافية للسكان" للدكتور خليل اسماعيل محمد الذي اصدره مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية هذا العام في السليمانية.

ان هذه الدراسات، كما يقول المؤلف، ثمرة جهود امتدت عقداً من الزمن، تناولت الجوانب الديموغرافية لسكان محافظتي نينوى و دهوك، مع التركيز على برامج سياسة التعريب التي قامت الحكومات العراقية بتنفيذها، عبر مراحل مختلفة، و النتائج التي آلت اليها تلك السياسة بهدف المساهمة في وضع حد لها، و السعي لتجاوز نتائجها قبل ان تتحول الى امر واقع.

يتناول الباحث في الفصل الاول الاستيطان العربي في محافظة نينوى و اتجاهات هذا الاستيطان و اثره على التكوين القومي للسكان، حيث يبحث في الموقع الجغرافي لمحافظة نينوى والاستيطان العربي قبل وبعد قيام الدولة العراقية مستنداً الى بعض الوثائق والاحصاءات الهمة التي تثبت التنوع الاثنوغرافي بين القوميات الكردية والعربية والتركمانية كما انها ملتقى الطوائف و الاديان المختلفة. يمثل الكورد اغلبية سكان المحافظة و ذلك قبل ان تمتد اليها عمليات التعريب ولاسيما بعد قيام الدولة العراقية و الحاق ولاية الموصل بها.

في الفصل الثاني يتحدث عن الخصائص الديموغرافية لسكان المراكز الحضرية في محافظة دهوك في اربعة مباحث، يتناول فيها النمو و التوزيع الجغرافي للسكان، و اثر النمو الحضري للسكان على الخصائص الديموغرافية في زاخو. و في الفصل الثالث يتناول غرب دجلة و المناطق الايزدية و البعد الديموغرافي للايزديين في العراق و البعد القومي للاستيطان الريفي في قضاء سنجار و اخيراً البعد القومي للاستيطان الريفي في ناحية زمار.

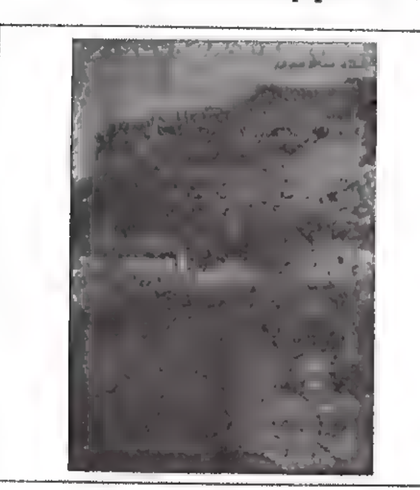
كوردستان في عهد المغول

1220-1335 ميلادي

تأليف: الدكتور عبدالله العلياوي

عرض: سردم العربي

صدر للدكتور عبدالله محمد علي علياوي كتاب تاريخي قيم بعنوان "كوردستان في عهد المغول 1220-1335 ميلادي، دراسة في التاريخ السياسي" بـ 186 صفحة و طبع في السليمانية. قدم له الاستاذ الدكتور محسن محمد حسين.



يحتوي الكتاب على اربعة فصول، خصص الفصل الاول لدراسة اصل التتر و المغول و كذلك احوال العالم الاسلامي قبيل الغزو المغولي، و من ثم تطرق الى العلاقة بين الخوارزميين و المغول من جهة و مع العباسيين من جهة اخرى، ثم تطرق الى احوال المناطق الكردية قبيل الغزو و علاقة الكرد مع الدولة الخوارزمية التي عانت بلاد الكرد من ويلاتهم كثيراً.

في الفصل الثاني يتناول المنطقة الكردية ضمن الاقاليم الاتية: اقليم ارمينية و اذربيجان و الجبال حيث ركز على دراسة المدن ذات الاكثرية الكردية انذاك و بحكم ستراتيجيتها و دورها التي تأتي بالدرجة الثانية و اشار الى قوة التحدي الكردي ضد المغول حيث ان بعض هذه المدن انفصلت عن المنطقة الكردية بحكم التطورات التاريخية و اتباع سياسة التهجير المستمر للكرد من قبل الحكام الفرس مثلما حدثت لمدينة همدان الكردية في اقليم الجبال، كما و يشير الى دور الكرد في الدفاع عن بغداد حاضرة العالم الاسلامي انذاك.

وفي الفصل الثالث تطرق الباحث لدراسة منطقة لورستان و موقعها الجغرافي حيث كما يقول الدكتور ان مادة هذا الفصل قليلة بسبب ندرة المصادر التي تتناول تاريخ هذه المنطقة الكردية اذ لم تدرس لحد الآن دراسة علمية.

وجاء الفصل الرابع و الاخير ليتناول المنطقة الكردية في بلاد الجزيرة الفراتية، فأشار الى دفاع الكرد عن مدينة اربل او اربيل (التي كانت ضمن الجزيرة الفراتية آنذاك) بوجه الغزاة، ودور الكرد في الدفاع عن مدينة ماردين و مدن اخرى في الجزيرة الفراتية كمدينة سنجار، و دور الملك الكامل الايوبي في الدفاع عن مدينة ميافارقين في دياربكر، و عدم وجود التعاون بين الامراء الايوبيين ضد المغول.

حصل الدكتور عبدالله محمد علي علياوي على شهادة الدكتوراه في تاريخ الكرد الحديث عام 1998، ترقى الى مرتبة استاذ مساعد عام 2002، يعمل حالياً في جامعة صلاح الدين بكلية الاداب قسم التاريخ، و يعمل محاضراً للدراسات العليا في جامعتي السليمانية و كويه، وهو عضو مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية.



الهوية وتعقيداتها

مقالات ضد الدوغمائية

تأليف: مريوان وريا قانع، عرض: سردم العربي

الطبعة الاولى 2004

مطبعة (رنج) السليمانية

الحجم: 262

ان مؤلف هذا الكتاب هو احد الكتاب البارزين بين المثقفين الكورد، حيث بعد انتفاضة اذار 1991 مع مجموعة من المثقفين الاخرين كانوا ولا يزالون منشغلين بتجديد الخطاب الثقافي الكوردي، من خلال مجلتي (آزادي) و(رهند)، منشغلون باختراع مفاهيم جديدة والرؤية الجديدة للعالم و للمجتمع الكردي وذلك لقراءة واقع المجتمع الكوردي وتحليل مشاكله السياسية والاجتماعية..الخ.

ان المؤلف (مريوان وريا قانع) يحمل شهادة ماجستير ويعيش الان في هولندا.. وكتابه الذي نحن بصدد قراءته (الهوية وتعقيداتها) والذي طبعه ونشره مركز (رهند) للدراسات الكوردية، كان رابع تأليفاته، اذ قبل هذا الكتاب نشر الكاتب النتاجات الاتية:

1-السلطة والاختلاف (مجموعة مقالات)، 1999، دار سردم للطباعة والنشر، السليمانية.

2-الفلسفة، الاسلام، التنوير-2003

3-السعادة والصمت (مجموعة لقاءات ومقابلات)-2004

الهوية وتعقيداتها مجموعة مقالات ضد الدوغمائية، حيث نشرها الكاتب قبل ذلك في عدة جرائد ومجلات، وهي تخص قضايا (العولمة والهوية والتراث، الكورد والتاريخ والارهاب.. الخ).

كما جاء في مقدمة الكتاب: (ان هذا الكتاب رغم انه مكون من مجموعة من مقالات متعددة، حيث كتبت في الاوقات المتشتية وهي مختلفة في علاقاتها بالمناسبات التي كتبت من اجلها، الا انها متفقة في نقطة هي انها تقف بشتى الطرائق ضد الدوغمائية الفكرية) أي ان المظلة التي تنطوي تحتها تلك المقالات هي انها تصد عن الاشكال المختلفة للدوغمائية، وخاصة الدوغمائية الجديدة الماثلة في الثقافة والفكر السياسي الكوردي.

في بداية الامر يؤكد الكاتب على انه (خطأ فادح اذا تسلمنا بان الدوغماء الماثل في ثقافة معينة لا يستطيع ان يجدد نفسه، فمثلما كانت الكفاءات النقدية الماثلة في ثقافة قابلة للتجديد فكذلك بالنسبة للدوغمائية، حيث انها كذلك قابلة للتجديد).

من هنا يشرع الكاتب، بنظرة نقدية معتمدا على نظرية عقلانية، بانتقاد كامل للخطابات الدوغمائية الماثلة في الثقافة الكوردية، والتي تثيب الى واقع مجتمعنا باشكال وصفات مختلفة.

في الحقيقة، ان الواجب الرئيس الذي يقع على عاتق كل مشروع فكري-نقدي في واقع مجتمع ما، يتبلور في وقوفه ضد اشكال الدوغمائية والعوائق التي تسبب في ولادة الخطابات السلفية وفتور الطاقات والكفاءات العقلية، فمن وحي هذا المنظور جاءت فكرة تأليف هذا الكتاب لكي يلعب في الثقافة الكوردية، هذا الدور ويحسن واقع المجتمع الكوردي.

بيان تأسيس التجمع العربي لنصرة القضية الكردية

عانى الشعب الكردي معاناة انسانية قاسية نتيجة السياسة الشوفينية التي تتبعها السلطات القمعية في البلدان التي تشغلت أجزاء من كردستان في أراضيها فجزأت اوصالها وشتت وحدتها وكلمتها وعمدت الى انكار حقوق الكرد في الحياة ، وكانت العلاقة الأنسانية بين الشعبين الكردي والعربي وشيجة الترابط وقوية التماسك على الدوام ، وساهم العرب من أصحاب الضمائر الحية في نصرة الشعب الكردي والدفاع عن حقوقه المشروعة.

وتطورت العلاقة التاريخية بين الشعبين بحيث قدم العرب التضحيات الجسام من اجل تحقيق أهداف الشعب الكردي الأنسانية والمشروعة إيماناً منهم بحق الأنسان في الأختيار ، وبما تكفله الشرائع السماوية والقوانين الدولية لهذه الحقوق وبما نادت به الأحزاب الوطنية .

وقاوم الكرد جميع السلطات التي حاولت أن تنكر عليهم حقهم في الحياة السياسية وشراكتهم الحقيقية في العمل السياسي ، وكان يقف بالضد من هذه الحقوق السلطات الجائرة على الدوام حيث تتكاتف القوة الغاشمة ، في حين تقف بالضد من هذا الموقف الجماهير العربية مساندة لقضية الكرد وحقوقهم .

وكان الكرد في كردستان العراق على الدوام الظهير الحقيقي والمساند الثابت لقضية الشعب العراقي في نضاله ضد السلطات الدكتاتورية والشوفينية التي مارست أبشع أنواع الظلم والهدم ، وكانت الحركة الكردية الوطنية المسلحة في نظر السلطات على الدوام الحركة الأنفصالية والعاصية والرجعية والجيب العميل والقوة الهدامة ، والحقيقة أنها الحركة الوطنية والشعبية والمعادية للأستبداد والطغيان ، والحركة الجماهيرية التي لم تستطع أن تكسرها أو تفتتها جيوش السلطات الشوفينية بالأضافة الى كونها الجزء الفاعل والحقيقي من الحركة الوطنية في العراق ، والمساند لجميع معارضي الانظمة الأستبدادية والطغيان .

والمتابع لحركة التاريخ يدرك حجم العلاقة الوثيقة بين العرب والكرد ، ويدرك أستمرار التآزر والتعاضد في القضايا الأنسانية ، وفي المواقف التاريخية المشتركة .

وماموقف بعض الاقلام والضمائر العربية من مساندة لقضية الكرد سوى الدليل الحي على ذلك ، ونرى ان هذه الوقفة ماهي الا من الموجبات المترتبة على المدافعين عن حقوق الانسان والمجتمع المدني والمتبنين قضية الحقوق والساعين الى ان ينال كل شعب حقه من الحياة والحرية وتقرير المصير ويساهم بشكل فاعل وجدي في بناء الحضارة وتقدم الانسان .

لذا فأن تأسيس هذا التجمع الذي سيقتصر على الأقلام العربية مهما كانت جنسيتها والتي تسعى الى المساهمة في انعتاق الكرد من قيود الذل والعبودية التي تحاول بعض السلطات الشوفينية أن تفرضها عليهم ، وأن نسعى للتأكيد على الهوية الكردية والأهداف الأنسانية التي يطالب بها الأنسان الكردي وحقه المشروع في الحياة الأنسانية ، وأن نتبنى

الخيار السياسي الذي أجمع عليه كل شطر من الأشطار التي صارت فيها الأمة الكردية ، وأن نتعاون معها في سبيل نشر ثقافة المحبة والتسامح والأخوة والأعتراف بحق الآخر في الأختيار والحياة في كل مكان .

ويسعى التجمع للمساهمة في التخلص من نتائج الفكر الشوفيني الشائع بين العرب والذي نشرته السلطات والثقافة البغيضة والهدامة لغرض بث الفرقة والأستهانة بالشعوب وغمط حقوقها الانسانية ، ويسعى التجمع العربي لمناصرة القضية الكردية من خلال الأسهام الفعال في عرض الحقائق المغيبة التي فجعت بها الأمة الكردية وتحملتها بصبر وثبات كبيرين .

كما يسعى التجمع الى ادانة و تجنب اساليب الحرب والقتال التي تسعى اليها الأفكار والسلطات الشوفينية والمتعصبة والمتطرفة قوميا وشجب اساليب الحروب والقتال ، وتأمين حياة مدنية وآمنة ضمن مجتمع مدني وديمقراطي وموحد يليق بالأنسان . ان الأعتراف بحق الآخر اضحت قاعدة أساسية للحياة الأنسانية في هذا العصر ، وبدون هذا الأقرار ستكون للحقوق تعابير تختلف عن حقيقتها ، لذا فإن التجمع يسعى الى مساهمة الأعضاء المنتسبين اليه بالمساهمة الثقافية والسياسية الفاعلة من أجل أبراز هذه الحقوق .

ان شروط الأنتساب والأنتماء الى هذا التجمع ليس لها غير شرط مراجعة كل انسان لضميره وقياس مدى تقبله لحق الآخر في الحياة والأختيار السياسي ، وأن ينسجم مع القواسم المشتركة في هذا المجال خدمة لقضايا الانسان وترجمة هذه المواقف عمليا . ان التجمع عبارة عن توحد المثقفين العرب من مختلف الأعمار والجنسيات ومن اجيال متعددة من الراغبين بنصرة قضية الشعب الكردي ، ويتمتع التجمع بأستقلال سياسي ولاينتمي الى اي حزب ولا لأية سلطة ، ويتمتع بالمصداقية ، ويعمل على الصعيد الشعبي للمساهمة في شحذ الوعي العربي ضد الفكر الشوفيني البغيض ، وبما يخدم قضية التفاعل الحقيقي بين الشعبين العربي والكردي .

يسعى التجمع لتجنيد الطاقات العربية للمساهمة في نصرة قضية الشعب الكردي وأستنهاض همم المثقفين العرب في هذا المجال ، ونؤكد أن التجمع ليس حزبا ولاتجمعا سياسيا او تابعا لأي طرف ، ويسعى الى التنسيق مع تطلعات ومواقف الشعب الكردي بما يحقق توثيق الروابط الأنسانية بين المثقفين العرب والكرد.

من يرغب في الانتساب: admin@sotaliraq.com

* عن الهيئة المؤسسة للتجمع:

1- الدكتور كاظم حبيب - كاتب ومفكر عراقي – المانيا
2- زهير كاظم عبود - كاتب وقاض عراقي سابق – السويد
3- جاسم المطير – كاتب وقاص عراقي – هولندا
4- الدكتور أحمد ابو مطر – اكاديمي فلسطيني – النرويج
5- عباس العلوي – كاتب ومحلل سياسي عراقي – السويد

بيان دعم وتأكيد لحقوق شعبنا الكردي المناضل

وتنديد واستنكار للمواقف العدائية والحملات الاعلامية الظالمة ضده

الى / جماهير شعبنا الكوردي المناضل وقيادته وممثليه واحزابه السياسية كافة

كلما اقترب الكورد خطوة باتجاه تحقيق آمالهم بالحصول على حقوقهم المشروعة، هذه الحقوق التي هضمت منذ تشكيل الكيان العراقي بالحاق ولاية الموصل بهذا الكيان غير المتجانس في عشرينات القرن الماضي، تعالت صيحات نشازة من أفواه تيارات ظلامية متخلفة متنافرة غير متجانسة، مختلفة المشارب والأهواء، لا يجمعها شيئ سوى الكره الشديد لأمة الكورد والعمل على واد التطلعات الكوردية وطمس حقوقهم القومية المشروعة.

وبعد سقوط طاغية العراق في التاسع من نيسان 2003 على يد قوات التحالف وبمشاركة الكورد وقوات البيشمة ركة الأبطال سند الأمة الكورية ورمزعزتها ، تراجعت بعض القوى والاحزاب و الحركات العراقية التي كانت ضمن المعارضة عن مواقفها السابقة، وتناست كل الاتفاقيات والمواثيق والعهود التي التزمت بها تجاه شعبنا الكوردي ووقعت عليها بنفسها في المؤتمرات التي عقدتها، وحاولت هذه الأطراف ومنذ البداية أن تتنكر للفدرالية التي اختارها الشعب الكوردي واقرتها هي ايضا، واليوم تحاول هذه الاطراف التنصل من بنود قانون ادارة الدولة العراقية، وخاصة المواد المتعلقة منها بحقوق الكورد مثل المادة (58) التي تنص على تطبيع الأوضاع في كركوك وازالة آثار التعريب، في محاولة منها لشرعنة ما اقدم عليه النظام العنصري السابق بحق الشعب الكوردي.

ولما أصر الكورد على حقوقهم وعلى عدم التنازل عنها، والتي تمثل الحد الادنى من الحقوق التي يستحقها أي شعب في العالم... شنت هذه الجماعات حملة عدائية واسعة ضد الكورد، وخاصة في الفترة الاخيرة وبعد مشاركة الكورد بكثافة في الانتخابات العراقية و فوز قائمتهم بالمرتبة الثانية، حيث تعرضوا الى سيل هائل من الشتائم التي يندى لها الجبين، والى التحريض ضدهم والطعن بتأريخهم العريق ونضالهم المشرف وبشهدائهم الأبرار، وتم وصف البيشمركة بالميليشيات، واتهام الكورد بالعمالة لأسرائيل وفتح أراضي كوردستان أمام الموساد، اضافة الى الادعاء بقيام القيادة الكوردية بتزوير الانتخابات وجلب مئات الآلاف من الكورد من خارج حدود العراق للتصويت، واتهامهم بتكريد كركوك، وتقديم مطالب تعجيزية جديدة بغرض الابتزاز واستغلال الفراغ الدستوري في البلاد، واتباع سياسة لي الاذرع... الخ من سلسلة الاتهامات الطويلة الباطلة والاساءات التي لم يشهدها الكورد حتى في أحلك العهود الاستبدادية التي مرت بهم، وصار من غير المعقول السكوت عنها، وهذا لا يبشر بخير ولا يدل على أية نية صادقة من هذه الأطراف في العيش المشترك مع الكورد تحت سقف وطن واحد.

لكل ما تقدم.... فنحن الموقعين على هذا البيان من المثقفين والكتاب الكوردستانيين، في أوربا وفي جميع انحاء العالم، نرجو من القيادة السياسية الكوردستانية ومن البرلمان الكوردستاني و من أعضاء قائمة التحالف الكوردستاني ومن الوفد الكوردي المفاوض، بأن يضعوا مصالح شعب كوردستان فوق كل أعتبار، وان يتحملوا مسؤولياتهم أمام الله وأمام التأريخ وامام شعبنا الكوردي، وأن يتمسكوا بكل قوة بمطاليبنا العادلة والمشروعة التي ضحينا من اجلها بالغالي و النفيس، وأن لا يتنازلوا أبدا عن الحد الادنى من حقوقنا التي وردت في قانون ادارة الدولة للمرحلة الانتقالية وخاصة المادة (58) المتعلقة بتطبيع الأوضاع في كركوك وبقية المدن الكوردستانية من خانقين الى سنجار، وارجاعها بأقرب وقت الى اقليم كوردستان، واعادة العرب المستجلبين لتغيير الطابع السكاني لمدينة كركوك الكوردستانية ضمن سياسة التعريب ، وأن تتمسك القيادة الكوردية بالابقاء على قرة عيون الكورد ورمز عزتنا وفخرنا ومجدنا... قوات البيشمركة الأبطال، وأن يتمتع اقليم كوردستان بحصته العادلة من الموارد والثروات النفطية والطبيعية بما يكفي لاعادة اعمار ما خربته ودمرته الحكومات العراقية المتعاقبة، مع تعويض كل المتضررين عما لحقهم من اضرار.

وعلى الساسة الكورد التصدي للمحاولات التي تجري من قبل رجال الدين التدخل في السياسة العراقية وتوجيهها ، وخاصة من الذين هم ليسوا بعراقيين، والعمل على بناء نظام ديمقراطي علماني متحضر. فالكورد ليسوا على استعداد بعد سنوات نضالهم المريرة من أجل الحرية والحياة المتحضرة الكريمة، ان يقعوا فريسة للاستبداد الديني أو لديكتاتورية الأكثرية، بعد أن تخلصوا من هيمنة وأهوال الاستبداد القومي الذي حكمهم طويلا.

نؤكد علىالأخوة العربية الكوردية لبناء وطن فدرالي ديمقراطي، وطن تسوده مبادئ العدالة والمساواة واحترام حقوق الانسان والاعتراف بالآخر، وإن لم يرض أصحاب القرار المقابل، فأننا نكون في حل من أمرنا معهم، ولنتوجه الى اعلان دولتنا الكوردية المستقلة استنادا الى حقنا في تقرير المصير الذي أقرته كل المواثيق والاتفاقيات الدولية، واحتراما لرغبة الملايين من جماهير كوردستان الذين شاركوا في الاستفتاء العام الذي جرى لتقرير مصير كوردستان في 30 كانون الثاني 2005 من قبل حركة الاستفتاء - الريفراندوم - وصوتوا لاستقلال كوردستان.

و نقول للعراقيين الشرفاء بأننا مازلنا نمد لهم ايادينا بكل خير وتسامح لنطوي صفحة الماضي بكل آلامها ومآسيها، وان من يتحمل مسؤولية الجرائم التي ارتكبت بحق الكورد هو الأنظمة الجائرة وليس الشعب العربي الشقيق، و هنا نستنكر كل جرائم الارهابيين في العراق، و خاصة تلك الجرائم البشعة التي حصلت مؤخرا في الموصل الحدباء و الحلة الجريحة، وكذلك نشجب اعتداءات بعض رجال الدين على طلاب جامعة البصرة الفيحاء، و ندين ايضا الجرائم التي مورست ضد اخوتنا المسيحيين بمختلف مذاهبهم. ونطالب بمحاكمة اركان النظام السابق، وتشكيل محاكم في محافظات العراق لمحاكمة المجرمين والارهابيين، لينالوا قصاصهم العادل.

مجموعة من المثقفين والكتاب الكوردستانيين في أوربا وفي انحاء العالم وداخل كردستان

كتب في 2005/3/18

8

Vol,2. Spring 2005

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by Sardam Printing & Publishing House



Sardam Printing & Publishing House
www.sardam. info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 1500 دينار عراقي